



المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم الكتاب والسنة

تخصص التفسير وعلوم القرآن

ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير

من أول سورة الحجر إلى آخر الآية (٨٠) من سورة النحل

جمعاً ودراسة موازنةً

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالبة

مؤي بنت محمد بن حامد آل عثمان النخامدي

الرقم الجامعي

(٤٢٩٨٠٠٧٧)

إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور

جمال مصطفى محمد الحميد النجار

العام الجامعي: ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م



ملخص الرسالة بالعربية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:
فهذه رسالة علمية لنيل درجة الماجستير من قسم الكتاب والسنة تخصص التفسير
وعلوم القرآن، عنوانها: (ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير من أول سورة الحجر إلى آخر
الآية (٨٠) من سورة النحل، جمعاً ودراسةً موازنةً).

تتكون الرسالة من: مقدمة وتمهيد وقسمين وخاتمة وفهارس.
فالمقدمة: فيها بيان أهمية الموضوع وأسباب اختياره والدراسات السابقة فيه وأبرز
الإضافات العلمية التي أضافها البحث، ثم حدود البحثو بيان خطتهو بيان المنهج الذي
سرت عليه فيه.

و التمهيد: فيه مقدمة عن الترجيح؛ تتناول معناه وفائدته ومتى يكون، ثم ترجمة موجزة
عن الإمام القرطبي تتناول حياته الشخصية وحياته العلمية ووفاته.
و القسم الأول من الرسالة: فيه فصلان؛ تناول الفصل الأول منهج القرطبي في تفسيره،
وكشف عن منهجه العام في التفسير ثم منهجه التفصيلي الذي تضمن أربعة مطالب: تفسيره
القرآن بالمأثور وموقفه من التفسير بالرأي وعنايته ببيان أنواع علوم القرآن وعنايته بالرد على
الفرق المخالفة.

و تناول الفصل الثاني طرق الترجيح عند القرطبي في تفسيره، ووسائل الترجيح التي
استعملها، مدعماً كل ذلك بالشواهد من تفسيره.
أما القسم الثاني من الرسالة: فيختص بدراسة المسائل الترجيحية دراسةً موازنةً بأقوال
أهل العلم، وذلك في القدر المحدد للدراسة.

ثم الخاتمة: وفيها أهم النتائج، وتوصيات البحث، ثم الفهارس: وهي أحد عشر فهرساً.
و قد أسفر البحث عن قوة ترجيحات القرطبي، واتباعه الدليل، واجتهاده وعدم تعصبه
للمذهب، وتقديمه النقل على العقل.

و الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

الباحثة: مي بنت محمد الغامدي

Thesis Abstract

This Master Degree thesis, presented to the Department of Qur'an and Sunnah of Umm Ul Qura University, is specialized in the field of Tafseer & Qur'anic Sciences. The title of the thesis is: "the most correct opinions, based on authentic evidence, selected by Imam Al Qurtubi in the Tafseer: starting from the the beginning of Surat Al Hijr to the end of the Aya (verse) ٨٠ of Surat Al Nahl". Thesis contains: Preface, Introduction, Tow Parts, Conclusion, and Index.

The Preface comprise the significance of the topic, the reason behind choosing it, and the previous studies in similar topics. Moreover, It covers the new research value that the thesis adds to the research field. The preface demonstrate the boundaries of the topic, the plan, and the methodology of the thesis.

The Introduction begins talking about the meaning of Tarjeeh, in general, which is selecting the most correct opinion, based on authentic evidence, its consequences, and when should it be considered. In addition, a brief Biography of Imam Al Qurtubi is demonstrated showing the major stages of his life.

Part I of the thesis comprise Two Chapters. The first covers the methodology of Imam Qurtubi in Tafseer. Second Chapter handles the methodology He chooses in his Tafseer, and Tarjeeh means, He uses, all done based on exaples of Al Qurtubi work.

Part II is specified in Studying Tarjeeh cases of Imam Al Qurtubi compared with other scholars opinions, while all cases restricted on the thesis boundaries.

The Conclusion presents the most important results and recommendations of the research. At the end of the thesis, eleven Indices are fully arranged. The research demonstrated the strength of Imam Al Qurtubi Tarjeeh Metodology, his full compliance of authentic evidence, and impartiality to his, Maliki, School of thought. He gives more value for authentic evidence than his own opinions and prejudgment.

The researche: mie mohmd alghamdi

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً.. والصلاة والسلام على من بعثه ربه بالحق شاهداً ومبشراً ونذيراً.. وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

وبعد:

فإن كتاب الله العظيم منهلٌ روي لكل شارب، وموردٌ غنيٌّ لكل طالب، وقف عند حكّمه الحكماء، واشتغل ببيان أحكامه كبار العلماء، ودارت في فلك علومه مئات المصنّفات والأجزاء.

ولقد كان علم تفسيره من أشرف علوم الدين، وكان بيانه للناس وظيفته العلماء الربانيين، في كل عصرٍ وحين، فقاموا بواجب هذه الوظيفة خير قيام، وكتبوا في تفسير القرآن وبيانه التفاسير النفيسة العظام، التي أصبحت — بحق — كنزاً من كنوز أمة الإسلام، وتراثاً خالداً للعلماء والطلاب والعوام.

وإن من أنفس كتب المكتبة الإسلامية في التفسير، وأغزرها علماً، وأمثلها طريقةً في الترتيب والتأليف، وأميزها منهجاً في التحرير والتصنيف هو كتاب (الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمّنه من السنة وآي لفرقان) للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي المتوفى سنة ٦٧١هـ، حيث بسّط فيه معاني القرآن الكريم، واعتنى بأحكامه، وطرّزه بذكر القراءات، والإعراب، والشواهد الشعرية، والمباحث اللغوية، والنكت النحوية، ولم يهمل الرد على المبتدعة المخالفة، حتى جاء تفسيره أشبه بموسوعة علمية، وصدق في وسمه بـ (الجامع).

هذا، وقد وفق الله — له الفضل والمنة — قسم الكتاب والسنة في اختيار هذا التفسير العظيم ليكون محور دراسة لطلاب مرحلة الماجستير في مشروعٍ علميٍّ فريدٍ هو:

(ترجيحات الإمام القرطبي في تفسيره جمعاً ودراسةً موازنة)؛ حيث إن للقرطبي رحمته الله اجتهاداته الخاصة في ترجيح بعض أقوال أهل العلم على بعض، وله اختياراته العلمية المعتمدة في التفسير، وهذا الجهد والاجتهادات حقيقٌ أن تكشف عنها النقاب بالدراسة والبحث والنظر.

أهمية الموضوع:

من الأمور التي تُبرز أهمية موضوع دراسة ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير ما يلي:

١ - أن كتاب (الجامع لأحكام القرآن) يتبوأ مكانةً علميةً في مكتبة التفسير، بل يعتبر من أمهات كتب التفسير التي لا يُستغنى عنها.

٢ - الشهرة العلمية للإمام القرطبي رحمته الله؛ تدل عليها كثرة تصانيفه ويشهد بها ثناء العلماء عليه في كتب الطبقات والتراجم.

٣ - أن دراسة الترجيحات في التفسير تُكسب الطالب ملكةً علميةً راسخةً في التعامل مع الأقوال ومناقشة الأدلة، وهو أمرٌ مهمٌ للمتخصص في التفسير؛ حيث يكثر في كتب التفسير إيراد الأقوال وهذا يحتاج إلى تحقيق وترجيح.

وقد كنت أتطلع أن يوفقني المولى عز وجل لكتابة بحث الماجستير في موضوع علميٍّ قيمٍّ، يزداد به علمي، وأنفع به غيري، (ويكون تذكرةً لنفسي وذخيرةً ليوم رمسي) (١) فتنقلتُ كثيراً بين عددٍ من الموضوعات في الدراسات القرآنية، واطلعت على الكثير من الكتب والرسائل العلمية، واستخرتُ الله ووضعت حاجتي بين يديه، فوفقني — وهو الموفق إلى كل خير — إلى اختيار الكتابة في قسمٍ من أقسام مشروع (ترجيحات الإمام القرطبي في تفسيره) الذي اقترحه القسم لطلابه.

(١) كما قال الإمام القرطبي عند اختياره للكتابة في تفسيره. الجامع لأحكام القرآن (١/٨).

أسباب اختيار الموضوع:

وقد دعاني لاختيار هذا الموضوع أسباب عدة، أهمها:

١ - المكانة العلمية التي يتمتع بها تفسير الإمام القرطبي؛ بفضل ما احتوى عليه من الفوائد العلمية الغزيرة، ومن الاختيارات والترجيحات التي تخضع للقواعد العلمية في الترجيح، فكان من المفيد لطالب علم التفسير الغوص في أعماق هذا البحر الزاخر، واستخراج درره، والوقوف على منهجية الإمام القرطبي في الترجيح والاختيار.

٢ - أن طريقة الموازنة لأقوال أهل العلم في التفسير توسع أفق الباحث، وتنمي فيه ملكة علمية، وتكسبه مهارةً فنية، يتمكن بواسطتها من التمحيص والتحرير عند القراءة في كتب التفسير، وهذه ميزة لا تتوفر في كثير من الموضوعات.

٣ - أن موضوع الترجيح ودراسة قواعده من أصول التفسير المهمة للمتخصص، لاسيما إن كانت الدراسة تطبيقية موازنة فإن نفعها يكون حينئذٍ أعظم.

الدراسات السابقة:

بلغ عدد الدراسات السابقة في تفسير الإمام القرطبي (٣٨) دراسة، وهي كالاتي:
أولاً - الرسائل السابقة في مشروع (ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير)، وجميعها رسائل ماجستير من جامعة أم القرى، قسم الكتاب والسنة:

١ - ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير من أول الكتاب إلى الآية (١٨٨) من سورة البقرة، جمعاً ودراسة موازنة. عبد الله عيدان الزهراني ١٤٢٨ هـ.

٢ - ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير من أول الآية (١٨٩) من سورة البقرة إلى آخر الآية (١٥٢) من سورة آل عمران، جمعاً ودراسة موازنة. خالد محمد الشهراني. ١٤٢٨ هـ.

٣ - ترجيحات الإمام القرطبي من أول الآية (١٥٣) من سورة آل عمران إلى آخر الآية (٤٢) من سورة النساء، جمعاً ودراسة موازنة. عبد الله حسين ساكو. ١٤٣٠ هـ.

- ٤- ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير من الآية (٤٣) من سورة النساء إلى آخر سورة المائدة، جمعاً ودراسة موازنة. مامودو محمد كوما. ١٤٢٩ هـ.
- ٥- ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير من أول سورة الأنعام إلى آخرها، جمعاً ودراسة موازنة. أسماء محمد السلومي. ١٤٢٩ هـ.
- ٦- ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير من أول سورة الاعراف إلى آخر الآية (٤٠) من سورة التوبة، جمعاً ودراسة موازنة. حسين سيد عبد الغفور. ١٤٢٨ هـ.
- ٧- ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير من أول الآية (٤١) من سورة التوبة إلى آخر سورة يونس، جمعاً ودراسة موازنة. خلود سليمان العصيمي. ١٤٣١ هـ.
- ٨- ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير من أول سورة هود إلى آخر سورة يوسف، جمعاً ودراسة موازنة. إيناس بكر هوساوي. ١٤٢٩ هـ.
- ٩- ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير من أول سورة الرعد إلى آخر سورة ابراهيم، جمعاً ودراسة موازنة. فهد زويد مزيد العطري. ١٤٢٨ هـ.
- ١٠- ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير من أول الآية (٨١) من سورة النحل إلى آخر سورة الإسراء، جمعاً ودراسة موازنة. سلوى مصطفى البلوشي. ١٤٢٩ هـ.
- ١١- ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير من أول سورة الكهف إلى آخر الآية (١٥) من سورة مريم، جمعاً ودراسة موازنة. مرام صالح باتوبارة. ١٤٢٩ هـ.
- ١٢- ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير من آية (١٦) سورة مريم إلى الآية (٨٢) من سورة طه، جمعاً ودراسة موازنة. لولوة عبد الله بخيت. ١٤٢٨ هـ.
- ١٣- ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير من أول الآية (٨٣) من سورة طه إلى آخر الآية (٨٨) من سورة الأنبياء، جمعاً ودراسة موازنة. إيمان صالح راجح. ١٤٣٠ هـ.

١٤ - ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير من أول الآية (٨٩) من سورة الأنبياء إلى آخر سورة الحج جمعاً ودراسة موازنة. هاجد عبد الله العصيمي. ١٤٢٨هـ.

١٥ - ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير من أول سورة المؤمنون إلى آخر الآية (١٠) من سورة النور، جمعاً ودراسة موازنة. أميرة أسعدقنق. ١٤٣١هـ.

١٦ - ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير من الآية (١١) من سورة النور إلى آخر سورة الفرقان، جمعاً ودراسة موازنة. ناهد أحمد باجنيد. ١٤٣٠هـ.

١٧ - ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير من أول سورة الشعراء إلى آخر سورة لقمان. سعيد ناصر آل مقبل. ١٤٢٥هـ.

١٨ - ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير من أول سورة السجدة إلى نهاية سورة فاطر، جمعاً ودراسة موازنة. ماجد عبد الله شكري. ١٤٢٧هـ.

١٩ - ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير من أول سورة يس إلى آخر سورة ص، جمعاً ودراسة موازنة. نوال محمد سقطي. ١٤٢٩هـ.

٢٠ - ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير من أول سورة الزمر إلى آخر سورة فصلت، جمعاً ودراسة موازنة. ماجد عبد العزيز الحارثي. ١٤٢٩هـ.

٢١ - ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير من أول سورة الشورى إلى آخر سورة الدخان، جمعاً ودراسة موازنة. حميدان إبراهيم الصحفي. ١٤٢٨هـ.

٢٢ - ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير من أول سورة الجاثية إلى آخر سورة ق، جمعاً ودراسة موازنة. حمدان حميد السلمي. ١٤٢٩هـ.

٢٣ - ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير من أول سورة الذاريات إلى نهاية سورة التغابن، جمعاً ودراسة موازنة. أحمد عمر السيد. ١٤٢٨هـ.

٢٤ - ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير من أول سورة الطلاق إلى آخر سورة الناس، جمعاً ودراسة موازنة. محمد أحمد بن معيض. ١٤٢٩هـ.

ثانياً - كتب ورسائل علمية أخرى:

- ١ - القرطبي ومنهجه في التفسير. رسالة دكتوراة. محمود حامد زلط القصبي. جامعة الأزهر. كلية أصول الدين. ١٣٩١ هـ.
- ٢ - القرطبي مفسراً. رسالة ماجستير. علي سليمان العبيد. كلية أصول الدين. قسم القرآن وعلومه. جامعة الإمام محمد بن سعود. ١٤٠٢ هـ.
- ٣ - المعنى والإعراب في تفسير القرطبي. رسالة ماجستير. محمد سعد السيد. كلية الآداب. جامعة الإسكندرية. ١٤٠٩ هـ.
- ٤ - أثر المعنى في توجيه الشاهد النحوي في تفسير القرطبي. رسالة ماجستير. عبد الله محمد فرج الله. جامعة اليرموك. ١٤١١ هـ.
- ٥ - منهج الإمام القرطبي في أصول الدين. رسالة ماجستير. أحمد عثمان المزيدي. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ١٤١٢ هـ.
- ٦ - القرطبي نحويًا من خلال تفسيره الجامع لأحكام القرآن. رسالة دكتوراة. فاطمة لمحرشي. جامعة الإمارات العربية المتحدة. ١٤١٤ هـ.
- ٧ - ترجمات القرطبي في الحدود من خلال كتابه الجامع لأحكام القرآن. رسالة دكتوراة. سعدية حامد جمعة المحياوي. كلية التربية بجدة. قسم الدراسات الإسلامية. الرئاسة العامة لتعليم البنات. ١٤١٤ هـ.
- ٨ - درس اللغوي في تفسير القرطبي: سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران. رسالة دكتوراة. علي زكريا الخواجي. جامعة الإسكندرية. كلية الآداب. ١٤١٧ هـ.
- ٩ - اختيارات الإمام القرطبي الفقهية في العبادات دراسة فقهية مقارنة. رسالة ماجستير. عايض مقبول حمود القرني. المعهد العالي للقضاء. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ١٤١٨ هـ.
- ١٠ - اختيارات الإمام القرطبي الفقهية في فقه الأسرة. رسالة ماجستير. عبد الله صالح الطويل. المعهد العالي للقضاء. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ١٤١٩ هـ.

- ١١ - الإعراب والاحتجاج للقراءات في تفسير القرطبي. رسالة ماجستير. سيدي عبد القادر محمد الطفيل. كلية الدعوة الإسلامية بليبيا. ١٤١٩هـ.
- ١٢ - منهج الإمام القرطبي في استنباط الأحكام من خلال تفسيره الجامع لأحكام القرآن. رسالة ماجستير. حارث محمد سلامة العيسى. جامعة آل البيت بالأردن. ١٤٢٠هـ.
- ١٣ - الآراء الأصولية للإمام القرطبي من خلال تفسيره. رسالة دكتوراة. أحمد عيسى العيسى. كلية الفقه وأصوله. الجامعة الإسلامية ببغداد. ١٤٢٣هـ.
- ١٤ - الدخيل في تفسير القرطبي، تحقيق ودراسة من أول الكتاب إلى آخر تفسير سورة الكهف. رسالة دكتوراة. أحمد الشحات أحمد موسى. كلية أصول الدين. جامعة الأزهر القاهرة (١).

الإضافات العلمية:

- يمكن إجمال أبرز الإضافات العلمية لهذا البحث في الآتي:
- ١ - معرفة الأقوال الراجحة في التفسير، في القدر المخصص للدراسة.
 - ٢ - الوقوف على منهجية القرطبي في الترجيح، وطرقه التي استعملها.
 - ٣ - إبراز السمات العلمية التي تميز بها الإمام القرطبي، كتجري الصواب وترك التقليد، والتجرد من التعصب للمذهب، والعدل مع المعارض، والوقوف مع ما يراه أنه الحق. وهذه سماتٌ جديرةٌ أن تُشهرَ وتُظهرَ لأهل العلم وطلابه.
 - ٤ - تحكيما لقواعد الترجيحية لفصل القضاء بين الأقوال المتنازعة في التفسير، والوقوف على دورها في الوصول إلى الحق.
 - ٥ - إظهار غزارة علم الإمام القرطبي من خلال ترجيحاته.

(١) لم أجد تاريخاً للرسالة.

حدود البحث:

كما يظهر من عنوان البحث؛ ستكون حدوده (ترجمات الإمام القرطبي في التفسير من أول سورة الحجر إلى الآية ٨٠ من سورة النحل. جمعاً ودراسةً موازنةً)، مقتصرًا على ترجمات القرطبي المتعلقة ببيان معنى الآية - أو اللفظ منها - أو ما له أثر في معناها.

خطة البحث:

يحتوي البحث على الآتي:

المقدمة: وفيها بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وأبرز الإضافات العلمية، وحدود البحث، ثم بيان خطة البحث.

التمهيد: وفيه:

أولاً - مقدمة في الترجيح:

- أ- معنى الترجيح في اللغة والاصطلاح.
- ب- فائدة الترجيح.
- ت- متى يكون الترجيح.

ثانياً - ترجمة موجزة للإمام القرطبي:

أ- حياته الشخصية:

- اسمه ونسبه

- مولده

- نشأته

- صفاته وأخلاقه

ب- حياته العلمية:

- طلبه للعلم

- مكانته العلمية

- ثناء العلماء عليه

- عقيدته ومذهبه الفقهي

- شيوخه

- تلاميذه

- مؤلفاته ونتاجه العلمي

ت - وفاته.

القسم الأول: منهج الإمام القرطبي في التفسير والترجيح:

و فيه فصلان:

الفصل الأول: منهج الإمام القرطبي في تفسيره:

و فيه مبحثان:

المبحث الأول: المنهج العام لتفسيره.

المبحث الثاني: المنهج الوصفي التفصيلي:

و فيه أربعة مطالب:

المطلب الأول - تفسيره القرآن بالمأثور.

و فيه ستة أمور:

الأمر الأول: تفسيره القرآن بالقرآن

الأمر الثاني: تفسيره القرآن بالسنة.

الأمر الثالث: تفسيره القرآن بأقوال الصحابة.

الأمر الرابع: تفسيره القرآن بأقوال التابعين.

الأمر الخامس: عنايته بأسباب النزول.

الأمر السادس: موقفه من الإسرائيليات.

المطلب الثاني - موقفه من التفسير بالرأي، وفيه أربعة أمور:

الأمر الأول: تفسيره القرآن باللغة، وعنايته بالإعراب.

الأمر الثاني: عنايته بالأحكام الفقهية.

الأمر الثالث: عنايته بتوجيه القراءات.

الأمر الرابع: عنايته بالاستنباط.

المطلب الثالث - عنايته ببيان أنواع علوم القرآن.

المطلب الرابع - عنايته بالرد على الفرق المخالفة.

الفصل الثاني: منهج القرطبي في الترجيح في التفسير:

و فيه مبحثان:

المبحث الأول - طرق الترجيح عند القرطبي في تفسيره:

و فيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: التنصيص على القول الراجح.

المطلب الثاني: التفسير بقول، مع النص على ضعف غيره.

المطلب الثالث: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرير.

المطلب الرابع: إيراد قول جمهور المفسرين؛ إشارة إلى موافقتهم.

المطلب الخامس: الاقتصار على ذكر قول أحد المفسرين دون تعقب؛ إشارة إلى

موافقته.

المبحث الثاني - وسائل الترجيح عند القرطبي في تفسيره:

و فيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: الترجيح بالنظائر القرآنية.

المطلب الثاني: الترجيح بالحديث النبوي.

المطلب الثالث: الترجيح بأقوال السلف.

المطلب الرابع: الترجيح بأسباب النزول.

المطلب الخامس: الترجيح بالسياق.

المطلب السادس: الترجيح بظاهر القرآن.

المطلب السابع: الترجيح بدلالة الأصل المعتمد في كلام العرب.

المطلب الثامن: الترجيح بدلالة تصريف الكلمة واشتقاقها.

القسم الثاني - دراسة المسائل الترجيحية من أول سورة الحجر إلى آخر الآية (٨٠) من

سورة النحل.

أولاً - دراسة المسائل الترجيحية في سورة الحجر.

ثانياً - دراسة المسائل الترجيحية في سورة النحل من أول السورة إلى آخر الآية (٨٠).

الخاتمة:

و تتضمن أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس:

و تتضمن الفهارس الآتية:

- ١ - فهرس الآيات القرآنية.
- ٢ - فهرس الأحاديث المرفوعة.
- ٣ - فهرس الآثار.
- ٤ - فهرس الشواهد الشعرية.
- ٥ - فهرس الأعلام المترجم لهم.
- ٦ - فهرس المصطلحات العلمية المشروحة.
- ٧ - فهرس البلدان والأماكن.
- ٨ - فهرس القبائل والعشائر.
- ٩ - فهرس الفرق والمذاهب.
- ١٠ - فهرس المصادر والمراجع.
- ١١ - فهرس المحتويات.

منهج البحث:

اتبعتُ في دراسة الترجيحات في البحث المنهج الآتي:

أولاً - استخراج ترجيحات الإمام القرطبي في تفسيره - من الجزء المخصص

للدراة - مرتبةً وفق ترتيب المصحف الشريف.

ثانياً - دراسة كل مسألة كالاتي:

- ١ - إيراد الآية التي وقع في تفسيرها الترجيح.
 - ٢ - ذكر عدد المسائل الترجيحية الواردة في الآية.
 - ٣ - تصوير المسألة الترجيحية في عنوان جانبي بارز.
 - ٤ - إيراد نص كلام الإمام القرطبي في المسألة كاملاً - في الغالب - وقد أختصر من كلامه إن كان طويلاً وأقتصر على الموضوع المتضمن للترجيح.
 - ٥ - استنباط طريقة الترجيح التي وردت في نص الإمام القرطبي.
 - ٦ - ذكر عدد الأقوال الواردة في تفسير الآية.
 - ٧ - ذكر الأقوال التي فسرت بها الآية - مبتدئةً بقول القرطبي ومن وافقه - ثم بقية الأقوال حسب الأقوى فالأقل قوة فيما يظهر، مع عرض الأدلة والحجج لكل قول، وقد أورد ما يدعم القول من نصوص أهل العلم.
 - ٨ - دراسة المسألة ومناقشة الأقوال وأدلتها.
 - ٩ - بيان القول الذي ظهر لي رجحانه، وإحضار شاهد عدلٍ أو أكثر من قواعد الترجيح المعتمدة؛ للشهادة على صحة الترجيح.
 - ١٠ - ختم المسألة بالحكم على ترجيح الإمام القرطبي.
- هذا، وقد اعتمدت في الدراسة التطبيقية للمسائل سبعة تفاسير كمراجع ثابتة أرجع إليها في كل مسألة، لما وجدت فيها من تحرير للأقوال، واستيفاء لمسائل الآية في الغالب، واستقلالية علمية تغني عن النقل والتكرار من التفاسير السابقة، مع تحرر تام من التقليد.

هذه التفاسير هي:

- ١ - جامع البيان للطبري.
- ٢ - المحرر الوجيز لابن عطية.
- ٣ - مفاتيح الغيب للرازي.

٤- البحر المحيط لأبي حيان.

٥- تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

٦- أضواء البيان للشنقيطي.

٧- التحرير والتنوير لابن عاشور.

هذا مع استفراغ الجهد في الرجوع إلى بقية التفاسير - قديمها وحديثها - والمراجع المتعلقة بالمسألة المراد دراستها ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

وسرُّ في كتابة البحث على الأسلوب العلمي الآتي:

أولاً - عزو الآيات إلى سورها في القرآن الكريم، بذكر اسم السورة ورقم الآية بعد ذكر الآية مباشرة؛ رغبةً في عدم إثقال الحواشي.

ثانياً - توثيق القراءات من مصادرها الأصلية.

ثالثاً - تخريج الأحاديث الشريفة بذكر أشهر من أخرجها من أئمة الحديث، مع ذكر الكتاب والباب ورقم الجزء والصفحة ورقم الحديث إن وُجد، ثم أيبّن درجة الحديث: أ- فإن كان في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بتخرجه منها أو من أحدهما، ولا حاجة عندئذٍ لذكر درجة الحديث.

ب- وإن لم يكن في أحد الصحيحين ذكرت من أخرجها من أئمة الحديث حسب ما وصل إليه علمي وإطلاعي، ثم بيّنت درجة الحديث.

رابعاً - تخريج الآثار التفسيرية بعزوها إلى كتب التفسير الآتية:

- تفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني.

- جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري.

- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم.

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي.

فإن لم يكن الأثر فيها عزوته إلى من أورده في كتابه، ولم أتطرق للحكم على الآثار في

الغالب.

- خامساً - توثيق النصوص المنقولة من مصادرها الأصلية ما أمكن.
- سادساً - الترجمة للأعلام الوارد ذكرهم في صلب الرسالة ترجمة موجزة في أول موضع من ورود اسم العلم، واستثنت من الأعلام: الرسول والأنبياء عليهم الصلاة والسلام والخلفاء الأربعة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، ولا أُحيل إلى موضع الترجمة الأولى؛ إيجازاً.
- سابعاً - شرح الكلمات الغريبة بالرجوع إلى كتب الغريب والمعاجم التي تناسبها.
- ثامناً - توضيح الألفاظ التي تحتاج إلى تعريف - كالمصطلحات العلمية وأسماء الأماكن والقبائل والفرق - من مصادرها المتخصصة، واستثنت من أسماء الأماكن: مكة والمدينة؛ حيث لا يجهلها مسلم.
- تاسعاً - عزو الأبيات الشعرية إلى قائلها، وتوثيقها من دوواينهم، وإن كان فيها ما يحتاج إلى بيان في اللفظ أو المعنى بيّنه.
- عاشراً - التزام الترتيب الزمني للوفيات عند ذكر عدد من العلماء أو المؤلفات في جملة واحدة، ولم أخالف في ذلك إلا لأمر يقتضيه المقام، أو ذهول وسهول لا يخلو منها أحد.
- أحد عشر - التزمت بالصلاة والسلام على الأنبياء والترضي عن الصحابة، ولم ألتزم بكتابة الترحم على الأعلام من السلف وغيرهم لأن ذلك يطول.
- اثنا عشر - ذيلت البحث بفهارس كاشفة، وراعت في ترتيب كل فهرس الطريقة المعتمدة في فهرسة البحث العلمي.
- ثلاثة عشر - شكليات البحث:
- نصوص الآيات القرآنية:
- أ- فأما الآيات الواردة في صلب البحث: فجعلتها بين قوسين مزهرين هكذا ❖ ❖ وكتبتها بالرسم العثماني؛ بخط مصحف المدينة المنورة برواية حفص عن عاصم، وأردفتها باسم السورة ورقم الآية مكتوباً بخط صغير.

ب- و أما الآيات الواردة في الحواشي: فجعلتها بين علامتي تنصيص، هكذا: " " وكتبتها بالخط المستخدم في كتابة الحاشية.

• نصوص الأحاديث الشريفة:

جعلتها بين قوسين مزدوجين، هكذا: «».

• أقوال العلماء، والألفاظ التي تحتاج إلى إبراز:

جعلتها بين قوسين هلاليين، هكذا: ().

• إذا حذفُ شيئاً من النص المنقول جعلتُ مكانه نُقطاً هكذا.....

• إذا كان النص مما يحتاج إلى ضبط بالشكل ضبطته بالشكل؛ لئلا تُشكل قراءته.

• التوثيق والعزو:

وضعت آخر النص الذي أريد توثيقه رقماً لمراجعة الحاشية السفلية، ثم ذكرتُ في الحاشية اسم الكتاب ورقم الجزء والصفحة التي ورد فيها النص، أما بقية معلومات الكتاب فذكرتها في فهرس المراجع.

هذا، وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يجعل جهدي في هذا البحث خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكتب له القبول.

و بعد شكر الله الكريم المنان أتقدم بوافر الشكر والامتنان إلى كل من كان له عليّ فضل بعد الله تعالى فيما وصلت إليه من إنجاز، وعلى رأس أولئك والديّ الكريمين، اللذان وضعاني على بدايات طريق تعلم القرآن وعلومه منذ مراحل تعليمي الأولى، فجزاهما الله عني خير الجزاء وحفظهما وتمتعهما بالصحة والعافية دوماً.

ثم الشكر لزوجي الغالي الذي ذلّل لي الصعاب وحثّني وأعانني كثيراً في مسيرتي العلمية، فله جزيل الشكر والامتنان.

و الشكر موصول لشيخي الفاضل: الأستاذ الدكتور جمال بن مصطفى النجار الذي أكرمني بعلمه وتوجيهاته ونصحه، وأسأل الله أن يبارك فيه وينفع به.

و لمشايخي الكرام: فضيلة الدكتور عبد الودود مقبول حنيف وفضيلة الدكتور

صديق أحمد مالك، الذّين تفضلاً بقبول هذه الرسالة ومناقشتها.
و لجامعة أم القرى شكراً وثناءً، وأخص بعاطر الشناء أستاذاتي ومشايخي في قسم
الكتاب والسنة، ولهم مني صادق الدعوات بظهر الغيب.
و لإخواني وأخواتي الحبيبات من الشكر أبلغه وأصدقه، ولجميع الأخوات اللاتي
ساندنني بنصح أو خدمة علمية أو دعاءٍ أو تشجيع، لهنّ مني الشكر والتقدير الخالص.
هذا، والله تعالى أعلم العالمين، وأحكم الحاكمين، سبحانه ربنا لا علم لنا إلا ما
علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.



تمهيد

وفيه:

أولاً: مقدمة في الترجيح:

- أ- معنى الترجيح في اللغة والاصطلاح.
- ب- فائدة الترجيح.
- ت- متى يكون الترجيح.

ثانياً: ترجمة موجزة للإمام القرطبي:

أ- حياته الشخصية:

- اسمه ونسبه
- مولده
- نشأته
- صفاته وأخلاقه

ب- حياته العلمية:

- طلبه للعلم
- مكانته العلمية
- ثناء العلماء عليه
- عقيدته ومذهبه الفقهي
- شيوخه
- تلاميذه
- مؤلفاته ونتاجه العلمي

ت- وفاته.

أولاً - مقدمة في الترجيح

أ- معنى الترجيح في اللغة والاصطلاح.

في اللغة:

قال ابن فارس^(١): (الراء والجيم والحاء أصل واحد، يدلُّ على رَزَانَةٍ وزيادة. يقال: رَجَحَ الشيء، وهو راجِح، إذا رَزَنَ)^(٢).

فمعاني مادة (رجح) تدور حول الزيادة والثبات والرزانة.

في الاصطلاح:

عرّفه الأصوليون بتعريفات كثيرة، من أجودها تعريف الزركشي^(٣) حيث قال: (تقوية إحدى الإمارات على الأخرى بما ليس ظاهراً)^(٤).

و من أجمع تعريفاته وأجزها: (تقوية أحد الدليلين بوجه معتبر)^(٥).

و معنى الترجيح في هذا البحث:

(تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل نقلي أو عقلي).

(١) ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، من أئمة اللغة والأدب في القرن الرابع، كان صاحب ابن عباد يكرمه ويتلمذ له، ويقول: (شيخنا أبو الحسين ممن رزق حسن التصنيف وأمن فيه من التصحيف) من تصانيفه: معجم مقاييس اللغة، الصحابي في علم العربية: ألفه لخزانة الصحاح ابن عباد، وغيرها، ومن أسلوبه اقتبس الحريري صاحب المقامات ذلك الأسلوب، وله شعر حسن. ت: ٣٩٥هـ. انظر: معجم الأدباء (١٥٦/١) وفيات الأعيان (١١٨/١).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٤٨٩ / ٢).

(٣) الزركشي: محمد بن بهادر بن عبد الله، أبو عبد الله: عالم بفقهِ الشافعية والأصول، تركي الأصل مصري المولد والوفاء، له تصانيف كثيرة في عدة فنون منها: البرهان في علوم القرآن، والبحر المحيط في أصول الفقه، وإعلام الساجد بأحكام المساجد، والمشور، ويعرف بقواعد الزركشي في أصول الفقه، وعقود الجمان ذيل وفيات الأعيان. ت: ٧٩٤هـ. انظر: الدرر الكامنة (٣/٣٩٧) الأعلام (٦١/٦).

(٤) البحر المحيط (٤١٥/٨).

(٥) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف ص ٢٨.

ب- أهمية الترجيح وفائدته:

إن ذكر الأقوال الواردة في تفسير الآية دون التنبيه على الراجح الفاصل بينها بالدليل يضيّع الحق على طالبيه^(١)، ذلك أن كتب التفسير مشحونة بالقوي والضعيف من الأقوال، فكان بيان القوي منها وتمييزه عن غيره ضرورة يحتاج إليها كل طالب حق، وكل من قصد كتب التفسير يروم معرفة معاني كلام الرب جل جلاله من منهل عذب صافٍ. ثم إن العمل بالراجح وتقديمه على غيره واجب^(٢)، دلّ على وجوبه ما نُقل من إجماع الصحابة والسلف على وجوب الأخذ بالراجح من الظنّين في الوقائع المختلفة.

وأمثلة ذلك كثيرة من عملهم، منها أنهم كانوا:

١ - لا يعدلون إلى الآراء والأقيسة إلا بعد البحث عن النصوص واليأس منها، لأن تقديم القطعي أولى من تقديم الظني.

٢ - يقدّمون الراوي الأشهر بالعدالة والضبط على غيره لأن سكون النفس إلى روايته أشد والظن بقوله أقوى.

٣ - يقدّمون المتواتر اليقيني على الأحاد المظنون.

٤ - يرجّحون الرواية باللفظ على الرواية بالمعنى لكونها أضبط وأغلب على الظن أنها من قول الرسول^٨.

٥ - يقدّمون الرواية المشتملة على زيادة لم ترد في الرواية الأخرى، لاشتغالها على زيادة علم خفي على الآخر، كرواية من روى أنه^٨ كبر في صلاة العيد سبعا، فإنها مقدمة على رواية من روى أربعاً^(٣).

و غيرها من الأمثلة كثير.

(١) انظر: إيثار الحق ص ١٤٩.

(٢) انظر: المحصول للرازي (٤/٤٢٨) مختصر التحرير (٢/٣٨).

(٣) انظر: الإحكام في أصول الأحكام (٤/٢٤٠) وما بعدها.

قال القُرَافِي (١): (وشأن الشريعة تقديم الراجح عند التعارض) (٢).



(١) القُرَافِي: أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي، أبو العباس، من علماء المالكية، نسبته إلى قبيلة صنهاجة من برابرة المغرب، وإلى القرافة المحلة المجاورة لقبر الإمام الشافعي بالقاهرة، وهو مصري المولد والمنشأ والوفاء، كان إماماً بارعاً في الفقه والأصول والعلوم العقلية وله معرفة بالتفسير، له مصنفات جليلة في الفقه والأصول، منها: أنوار البروق في أنواع الفروق، الأحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرف القاضي والإمام، الذخيرة في فقه المالكية، اليواقيت في أحكام المواقيت، ت: ٦٨٤ هـ. انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (١/١٣٨).

(٢) أنوار البروق في أنواع الفروق (٤/٢٢٨).

ت- متى يكون الترجيح؟

يكون الترجيح عند اختلاف الأقوال في تفسير الآية، وتعذر الجمع بينها.

وهذا الاختلاف له ثلاث صور:

الأولى - أن تكون جميع الأقوال متعارضة في الآية، بحيث يتعذر حمل الآية عليها جميعاً.

الثانية - أن يكون بعض الأقوال معارضاً لدلالة نص من آية أو حديث، أو معارضاً لإجماع العلماء.

الثالثة - أن تكون جميع الأقوال محتملة في الآية، وبعضها أولى من بعض لاعتبارات معينة أو شواهد أو غيرها.

و يكون العمل بالترجيح فيها كالاتي:

ففي الصورة الأولى:

وهي أن تكون جميع الأقوال في الآية متعارضة، بحيث يتعذر حمل الآية عليها جميعاً - وغالب ذلك في المشترك اللفظي^(١) - لا بد أن يكون المراد أحدها؛ إذ يمتنع حمل اللفظ على معنيين من متكلم واحد في وقت واحد إذا امتنع الجمع بين مدلوليه^(٢).

و ذلك مثل (القرء) في قوله تعالى: ﴿ل K J I H﴾

البقرة: ٢٢٨ فإنه يطلق في الحقيقة على (الحيض) وعلى (الطهر) ولا يمكن الاعتداد بهما في وقت واحد، فلزم أن يكون المراد أحدهما.

قال الزبيدي^(٣): (والقرء - ويضم - يطلق على: الحيض والطهر وهو ضد، وذلك

(١) المشترك اللفظي: ما وضع لمعنيين فأكثر ويحدد المعنى حسب السياق والقرائن، كالقرء للطهر والحيض. انظر:

التعريفات للجرجاني (٧٠/١) الحدود الأنيقة ص ٨٠.

(٢) انظر: الإحكام (٢٤٥/٢) التمهيد (١٧٣/١).

(٣) الزبيدي: محمد بن محمد بن محمد الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى: علامة باللغة والحديث والرجال

لأن القُرء هو الوقت^(١).

وقال العز بن عبد السلام^(٢): (وإن استوى استعمال اللفظين لغةً وعرفاً أو لغةً وشرعاً - كالقرء - فإن لم يمكن جمعها حمّله المجتهد على أحدهما بما يدل عليه، فإن اختلف فيه مجتهدان فمراد الله من كل واحد منهما ما أدى إليه اجتهاده)^(٣).

وفي الصورة الثانية:

وهي أن يكون بعض الأقوال معارضاً لدلالة نص من آية أو حديث، أو معارضاً لإجماع العلماء، فإن الأقوال المعارضة يجب أطراحها، ويكون الراجع هو القول الموافق لدلالات النصوص، أو الموافق للإجماع.

والأنساب، من كبار المصنفين، أصله من العراق ومولده بالهند ومنشأه في زبيد باليمن، وإقامته بمصر، كاتبه ملوك الحجاز والهند واليمن والشام والعراق والمغرب الأقصى والترك والسودان والجزائر، توفي بالطاعون في مصر سنة ١٢٠٥هـ، من كتبه: تاج العروس في شرح القاموس - عشرة مجلدات، وإتحاف السادة المتقين في شرح إحياء العلوم للغزالي - عشرة مجلدات، وغيرها. انظر: حلية البشر في علماء القرن الثالث عشر (٣/١٤٩٢) الأعلام (٧/٧٠).

(١) تاج العروس (١/١٨٨)، قال شيخ الإسلام: (والطهر الذي يتعقبه حيض هو قرء. وأما الطهر المجرد فلا يسمى قرءاً؛ ولهذا إذا طلقت في أثناء حيضة لم تعد بذلك قرءاً؛ لأن عليها أن تعد بثلاثة قروء وإذا طلقت في أثناء طهر كان القرء الحيضة مع ما تقدمها من الطهر؛ ولهذا كان أكابر الصحابة على أن الأقرء الحيض كعمر وعثمان وعلي وأبي موسى وغيرهم رضي الله عنهم؛ لأنها مأمورة بتربص ثلاثة قروء؛ فلو كان القرء هو الطهر لكانت العدة قرئين وبعض الثالث فإن النزاع من الطائفتين في الحيضة الثالثة؛ فإن أكابر الصحابة ومن وافقهم يقولون: هو أحق بها ما لم تغتسل من الحيضة الثالثة وصغار الصحابة إذا طعنت في الحيضة الثالثة فقد حلت) مجموع الفتاوى (٢٠/٤٧٩).

(٢) العز بن عبد السلام: عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم الدمشقي، عز الدين الملقب بسلطان العلماء: فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد، ولما سلّم الصالح إسماعيل ابن العادل قلعة (صفد) للفرنجة اختاراً أنكر عليه ابن عبد السلام ولم يدع له في الخطبة، فغضب وحبسه، ثم أطلقه فخرج إلى مصر، فولاه صاحبها الصالح نجم الدين أيوب القضاء والخطابة ومكثه من الأمر والنهي، ثم اعتزل ولزم بيته، توفي بالقاهرة سنة ٦٦٠هـ، له كتب عدة منها: التفسير الكبير، الإمام في أدلة الأحكام، ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام، بداية السؤل في تفضيل الرسول. انظر: الوافي بالوفيات (١/٤٠٣) الأعلام (٤/٢٤).

(٣) الإشارة إلى الإيجاز ص ٢٣٢.

و ذلك مثل قول مقاتل بن سليمان^(١): (إن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم قبل أن يخلقه)^(٢) وهذا مخالف لقوله تعالى: ﴿ ut s r q p o n m l k ﴾ | { z y x w v } ص: ٧٢.٧١ فمثل هذا القول يُطرح ويكون الراجح هو الموافق للنص.

و مثله في مخالفة الإجماع: من ادعى جواز نكاح تسع حرائر^(٣) استدلالاً بقوله تعالى: ﴿ b a ` _ ^] \ [z y x w v u t ﴾ النساء: ٣.

قال الشاطبي^(٤): (ثم أتى بعض من نسب إلى الفرق ممن حرف التأويل في كتاب الله، فأجاز نكاح أكثر من أربع نسوة، ولم يلتفت إلى إجماع المسلمين أن ذلك خاص به عليه السلام، فأجاز الجمع بين تسع نسوة، ولم يفهم المراد من الراوي ولا من قوله: ﴿ b a ` ﴾ فأتى ببدعة أجزاها في هذه الأمة لا دليل عليها ولا مستند فيها)^(٥).

(١) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء، البلخي، أبو الحسن: تابعي، أصله من بلخ ثم انتقل إلى البصرة، دخل بغداد وحدث بها. روي عن الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول: (من أراد التفسير فعليه بمقاتل بن سليمان). من كتبه: تفسير مقاتل بن سليمان، الناسخ والمنسوخ، الوجوه والنظائر، متشابه القرآن، وغيرها توفي بالبصرة سنة ١٥٠ هـ. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٤٣٥/٢٨).

(٢) انظر: تفسير مقاتل (٢٠٢/٢).

(٣) وهم طائفة من الشيعة. قال ابن كثير رحمه الله: (قال الشافعي: (وقد دلت سنة رسول الله ^ المبينة عن الله أنه لا يجوز لأحد غير رسول الله ^ أن يجمع بين أكثر من أربع نسوة)، وهذا الذي قاله الشافعي رحمه الله مجمع عليه بين العلماء، إلا ما حكى عن طائفة من الشيعة أنه يجوز الجمع بين أكثر من أربع إلى تسع). تفسير القرآن العظيم (٢٠٩/٢).

(٤) الشاطبي: القاسم بن فيرّه بن خلف، أبو محمد الشاطبي: إمام القراء، ولد بشاطبة في الأندلس ضريراً، وهو صاحب: حرز الأمان، وهي قصيدة في القراءات تعرف بالشاطبية، كان إماماً كبيراً أعجوبة في الذكاء كثير الفنون آية من آيات الله تعالى غاية في القراءات حافظاً للحديث بصيراً بالعربية إماماً في اللغة رأساً في الأدب مع الزهد والولاية والعبادة والانقطاع، شافعي المذهب مواظباً على السنة، قال ابن خلكان: كان إذا قرئ عليه صحيح البخاري ومسلم والموطأ تصحح النسخ من حفظه، ت: ٥٩٠ هـ. انظر: غاية النهاية في تراجم القراء الأربعة عشر (٢٨٤/١).

(٥) الاعتصام (٣٤٣/١) مختصراً.

و في الصورة الثالثة:

و هي أن تكون جميع الأقوال محتملة في الآية، غير أن بعضها أولى من بعض لاعتبارات معينة أو شواهد من لغة العرب أو القرائن أو غيرها، فهذه الصورة يُقدّم فيها الأولى، والأكثر موافقةً للسياق.

قال العز بن عبد السلام: (وإذا احتمل الكلام معنيين وكان الحمل على أحدهما أوضح وأشد موافقةً للسياق كان الحمل عليه أولى)^(١).

و هذا النوع هو الغالب في بحثي هذا، وأمثله مفصلة في القسم التطبيقي.

و محررو المفسرين - أمثال ابن جرير الطبري^(٢) وابن عطية^(٣) وابن كثير^(٤) والشوكاني^(٥)

(١) الإشارة إلى الإيجاز ص ٢٢٠.

(٢) الطبري: محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ شيخ المفسرين، ولد في طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها، له من المصنفات: جامع البيان في تفسير القرآن، أخبار الرسل والملوك، وغيرها. قال ابن الأثير: (أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ، وفي تفسيره ما يدل على علم غزير وتحقيق) وكان مجتهداً في أحكام الدين لا يقلد أحداً. ت: ٣١٠هـ. انظر: الكامل في التاريخ (٩/٧) طبقات المفسرين للسيوطي (١/٨٢).

(٣) ابن عطية: عبد الحق بن غالب بن عطية، أبو محمد الغرناطي القاضي، الإمام الكبير، قدوة المفسرين، كان فقيهاً عارفاً بالأحكام والحديث والتفسير بارع الأدب بصيراً بلسان العرب واسع المعرفة له يد في الإنشاء والنظم والنثر وكان يتوقد ذكاءً، توفي سنة ٥٤١هـ. انظر: طبقات المفسرين للسيوطي (١/٥٠).

(٤) ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، أبو الفداء، الحافظ المفسر المؤرخ، لازم الحافظ المزني وتزوج بنته، ولازم ابن تيمية، تناقل الناس تصانيفه في حياته، ومنها: البداية والنهاية، تفسير القرآن العظيم، شرح صحيح البخاري ولم يكمله، وغيرها. ت: ٧٧٤هـ. انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (١/١٤٣) طبقات المفسرين للأذنهوي (١/٢٦١).

(٥) الشوكاني: محمد بن علي بن محمد، من بلاد خولان باليمن، فقيه من أهل الاجتهاد، نشأ بصنعاء وولي قضاءها، وكان يرى تحريم التقليد، له ١١٤ مؤلفاً منها: نيل الأوطار من أسرار متقى الأخبار، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، فتح القدير في التفسير، إرشاد الفحول في أصول الفقه، توفي سنة ١٢٥٠هـ. انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (١/١٤٣) الأعلام (٦/٢٩٨).

والشنقيطي^(١) وغيرهم - لا يتركون هذا النوع من الاختلاف دون ترجيح أو تعليق إلا نادراً.

أما إن كانت جميع الأقوال الواردة في تفسير الآية محتملة، متساوية في القوة ولكل قول منها دليل يشهد بصحته؛ فإن هذه الصورة من الاختلاف لا يدخلها الترجيح؛ لكون الأقوال كلها صحيحة وجميعها مراد من الآية، فتُحمل الآية على الجميع.

و يكون القول الراجح عندئذٍ: قولاً واحداً يجمع الأقوال جميعها.

و مثاله: اختلاف المفسرين في معنى " ما " هل هي موصولة أم مصدرية، وذلك في

قوله تعالى: ﴿ON MLK J﴾ الرعد: ٨.

فيُحتمل أن تكون " ما " موصولة بمعنى (الذي) فيكون المعنى: الله يعلم الذي

تحمله الأرحام من نوع الجنين وحاله من كمال أو خداج ونحو ذلك من الأحوال.

و يُحتمل أن تكون " ما " مصدرية، أي: يعلم حمل كل أنثى: نوعه وأحواله ومآله.

فمثل هذا الخلاف لا يدخله ترجيح؛ لكون الأقوال جميعها متساوية في القوة، وكلها

حق، ولا دليل يقوّي أحدهما على الآخر.



(١) الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي: مفسر مدرس من علماء شنقيط بموريتانيا، ولد

وتعلم بها. حج ثم استقر مدرساً بالمدينة المنورة ثم بالرياض، وأخيراً في الجامعة الإسلامية بالمدينة، توفي

بمكة سنة ١٣٩٣هـ، له كتب منها: أضواء البيان في تفسير القرآن، منع جواز المجاز، دفع إيهام الاضطراب

عن أي الكتاب. انظر: الأعلام (٤٦/٦).

ثانياً - ترجمة موجزة للإمام القرطبي

أ - حياته الشخصية:

اسمه ونسبه:

هو الإمام العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح^(١) الأنصاري^(٢) الخزرجي^(٣) الأندلسي^(٤) القرطبي^(٥) ثم المصري^(٦).

فهو أنصاري خزرجي النسب، أندلسي قرطبي المولد والمنشأ، مصري الوفاة.

-
- (١) بسكون الراء بعدها مهملة، وقيل: ابن فرج بالجيم، وهو تصحيف. انظر: شذرات الذهب (٣٣٥/٥).
- (٢) نسبة إلى الأنصار جمع ناصر، وهم قبيلتي الأوس والخزرج، سُموا بالأنصار لنصرهم الرسول^٨ والمهاجرين، فمدحهم الله تعالى بقوله: "والذين آووا ونصروا" (الأنفال: ٧٢) قيل لأنس بن مالك: أرأيتم اسم الأنصار أكتتم تُسْمُون به أم سَمَّاءكم الله؟ قال: بل سَمَّاءنا الله. انظر: وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى (١٩/١).
- (٣) نسبة إلى الخزرج، وهم بطن من الأزد من القحطانية، إحدى قبيلتي الأنصار، كان لهم ملك يشرب مع إخوتهم الأوس قبل الإسلام، انظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (١٩/١) معجم قبائل العرب (٣٤٢/١).
- (٤) نسبة إلى الأندلس، وهي الإقليم المعروف بالمغرب، تقع في الركن الجنوبي الشرقي، وتسمى الآن أسبانيا، فتحها المسلمون بقيادة طارق بن زياد في عهد الوليد بن عبد الملك سنة ٩٢ هـ، قال الذهبي: (وجلب العلم إليها... ولم يزل بها أثارة من علم إلى أن استولى على قرطبة وأشبيلية النصراني فتناقص العلم بها) يغلب على طبيعة أرضها الخضرة والمياه الجارية والثمار. انظر: الروض المعطار في خبر الأقطار (٣٢/١) فتوح البلدان (٢٧٣/١) الأمصار ذوات الآثار (٥٠/١).
- (٥) نسبة إلى قرطبة، وهي عاصمة الأندلس الكبرى، تقع في وسط الأندلس على نهر الوادي الكبير، وكانت عاصمة بني أمية، وفيها الجامع المشهور الذي ما يزال قائماً كأبهى الآثار العمرانية، كانت مركز الثقافة والتجارة والسياسة في التاريخ الأندلسي، وإليها ينسب عدد كبير من الشعراء والعلماء. انظر: التعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية (٢٠٤/٢).
- (٦) نسبة إلى مصر، وهي فُطر عظيم من أقطار المسلمين واقع في الركن الشمالي الشرقي من قارة أفريقيا، فتحها عمرو بن العاص رضي الله عنه سنة ٩ هـ، وبها نهر النيل الذي يعد عصب الحياة في البلاد، وقناة السويس أعظم شريان مائي بحري والكثير من الآثار الحضارية. انظر: فتوح البلدان (٢٤٩/١).

و هذا نسبه الذي وجد بخط يده (١)، وذكره أصحاب كتب التراجم (٢).



(١) انظر: مقدمة كتابه التذكرة.

(٢) انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (٧٤/٥٠) الوافي بالوفيات (٨٧/٢) الديباج المذهب في

تراجم أعيان علماء المذهب (٣١٧/١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٣٣٥/٥) نفع الطيب من غصن

الأندلس الرطيب (٢١٠/٢) معجم المؤلفين (٨/٢٣٩) طبقات المفسرين للسيوطي (١/٢٤٦) طبقات

المفسرين للأذهوي (١/٢٤٦).

🏠 مولده:

على الرغم من مكانة الإمام القرطبي العلمية، وشهرة مؤلفاته وكثرتها؛ إلا أن المصادر التاريخية لم تذكر تاريخ ومكان مولده. لكن القرطبي رحمته الله ذكر في تفسيره نصاً نستطيع من خلاله معرفة زمن مولده بالتقريب.

فقد أورد في تفسيره حادثة مقتل أبيه على أيدي النصارى مؤرخةً، فقال:
(العدو إذا صَبَّحَ قوماً في منزلهم ولم يعلموا به فقتل منهم، فهل يكون حكمه حكم قتيل المعترك، أو حكم سائر الموتى؟ وهذه المسألة نزلت عندنا بقرطبة - أعادها الله - :
أغار العدو - قصمه الله - صبيحة الثالث من رمضان المعظم سنة سبع وعشرين وستمائة والناس في أجزانهم^(١) على غفلة، فقتل وأسّر، وكان من جملة من قتل والذي رحمته الله، فسألت شيخنا المقرئ الأستاذ أبا جعفر أحمد المعروف بأبي حجة^(٢) فقال: غسَّله وصلَّ عليه فإن أباك لم يُقتل في المعترك بين الصَّفين)^(٣).
فهذا النص يفيدنا أن القرطبي كان في سنة ٦٢٧هـ شاباً في مرحلة طلب العلم، فنستطيع - ظناً - أن نقول إن مولده كان في أواخر القرن السادس أو أوائل السابع الهجري، في عصر دولة الموحدين^(٤).

(١) أجزانهم: جمع جَريْن وهو موضع تحفيف الثمر، كالبيدر للحنطة. انظر: العين (١٠٤/٦) لسان العرب (٨٦/١٣).

(٢) ستأتي ترجمته عند الحديث عن شيوخ القرطبي إن شاء الله.

(٣) (٤١٢/٥) عند تفسير قوله تعالى: " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزقون " (آل عمران: ١٦٩).

(٤) الموحدون: هم أتباع محمد بن تومرت الذي دعا إلى قيام الدولة الموحدية بعد سقوط دولة المرابطين، وكان صاحب دعوة تجديدية إلا أن له معتقدات منحرفة عن منهج أهل السنة والجماعة كما تذكر المصادر التاريخية، حكم الموحدون بلاد الأندلس والشمال الأفريقي، وأول خلفائها عبد المؤمن بن علي الذي وحد الشمال الأفريقي ووضع المعالم السياسية لدولة الموحدين، وفي الفترة الأخيرة من تاريخ هذه الدولة أخذ ولاء

كما يُفهم أن مولده كان بقرطبة؛ حيث فيها محاصيلهم ومنازلهم، إضافةً إلى أنه يُنسب إليها في اسم الشهرة الذي يُعرف به.



المسلمين يضعف لدولة الموحدين بسبب انحراف منهجها وظلمها للرعايا وحرص خلفائها المتأخرين على شهواتهم ومصالحهم، حتى سقطت على يد المرينيين بالمغرب سنة ٦٦٨ هـ. انظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب (٥١/١ وما بعدها) دولة الموحدين ص ٢ وما بعدها، وهو جزء من سلسلة صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الأفريقي لعلي بن محمد الصلابي.

نشأته:

نشأ رحمته الله نشأة علمية متميزة؛ بفضل ما كانت تتمتع به قرطبة من حضارة علمية آنذاك، ساهمت في إخراج نخبة من جهابذة العلماء في مختلف الفنون. فقرطبة كانت قلعة من قلاع العلم، وكانت أكثر بلاد الأندلس كتباً، وأهلها أكثر الناس اعتناءً بالكتب، وأشدهم مواظبةً على الصلاة، وإظهاراً لشعائر الدين وإنكاراً للمنكرات^(١).

وكانت الحلقات والمعاهد منتشرة في مدن الأندلس، وفي هذا يقول الشيخ محمد محمد حسين^(٢): (أنشأ الأندلسيون في كل ناحية المدارس وخزائن الكتب، وأقاموا في العواصم الجامعات التي كانت وحدها مواطن العلم في أوروبا زمناً طويلاً)^(٣). و مما ساعد على تكوين الجو العلمي لعصر الإمام القرطبي أن مؤسس الدولة الموحدية محمد بن تومرت^(٤) كان من أقطاب علماء عصره، وقد أفسح في دعوته للعلم وحض على تحصيله، ولم تكن الحياة العلمية في مصر - وقد انتقل إليها الإمام القرطبي

(١) انظر: نوح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (١/٤٦٢).

(٢) محمد محمد حسين: أديب إسلامي مصري، غير مكثّر في ميدان الكتابة، لكنه رصين الأداء، مقتدر في استيفاء جوانب ما يطرقه، أبرز مؤلفاته: (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر) الذي رد فيه على طه حسين وغيره، و(الروحية الحديثة حقيقتها وأهدافها) و(اتجاهات هدامة في الفكر العربي المعاصر) و(حصوننا مهددة من الداخل) ت: ١٤٠٣ هـ. انظر: عقد الجواهر في علماء الربع الأول من القرن الخامس عشر (٢/٢١٢٣).

(٣) الإسلام والحضارة الغربية ١/٢٦٠

(٤) محمد بن تومرت: محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودي، من قبائل جبال السوس بالمغرب، يلقب بالمهدي القائم بأمر الله، صاحب دعوة السلطان عبد المؤمن أول ملوك الموحدين وواضع أسسها، كان حديد النظر داهيةً فصيحاً أديباً، رحل إلى المشرق في شبابه طالباً للعلم فأنهى إلى العراق، واجتمع بأبي حامد الغزالي والكنيا الهراسي والطرطوشي وغيرهم، وكان ورعاً ناسكاً متقشفاً مخشوشاً مخلوقاً كثير الإطراق، مقبلاً على العبادة، وأخبار دعوته كثيرة، ت: ٥٢٤ هـ. انظر: وفيات الأعيان (٥/٤٥) الأعلام (٦/٢٢٨).

أيام الأيوبيين^(١) - بأقل منها في الأندلس أيام الموحدين^(٢).

أما عن أسرته: فقد عاش في كنف أسرة رقيقة الحال، فأبوه كان فلاحاً، وكان شيخنا القرطبي يتكسب من نقل التراب للبنائين^(٣).

ولم تفصل لنا المصادر التي ترجمت للقرطبي رحمته الله نشأته أو وضع أسرته؛ ولعل السبب في ذلك أن العدو لما استولى على قرطبة وأرغم أهلها على الهجرة لا زال القرطبي في مرحلة طلب العلم، وعادة المؤرخين أن يؤرخوا لمشاهير العلماء.



(١) الأيوبيون: هم أسرة حكمت أجزاء واسعة من المشرق العربي خلال القرنين السادس والسابع الهجري، وقد تأسست الدولة الأيوبية على يد السلطان صلاح الدين الأيوبي في مصر ثم امتد حكمه إلى الشام والحجاز وشمال العراق وجنوب تركيا وجنوب اليمن. انظر: البداية والنهاية (٢/١٣) وما بعدها) في تاريخ الأيوبيين والماليك ص ٣٥ وما بعدها.

(٢) انظر: القرطبي ومنهجه في التفسير ص ٦٥.

(٣) قال رحمه الله: (ولقد كنت في زمن الشباب أنا وغيري نقل التراب على الدواب من مقبرة عندنا تسمى بمقبرة اليهود خارج قرطبة... إلى الذين يصنعون القرمذ للسقف) التذكرة (١/١٦٨).

صفاة وأخلاقه :

اشتهر إمامنا رحمه الله بصفات العظاء وأخلاق الكبار، فقد شهد له معاصروه بأنه من عباد الله الصالحين، العلماء العارفين، الورعين الزاهدين، المشتغلين بما يعينهم من أمور الآخرة (١).

وكان رحمه الله كثير الاطلاع، وافر العلم، قوي العزيمة في ذلك، قال عنه ابن فرحون (٢): (أوقاته معمورة ما بين توجيه وعبادة وتصنيف) (٣) فقد أخذ نفسه رحمه الله بالجدية المستمرة، فأثر العزلة للتأليف والاطلاع على المخالطة والتدريس.

فأما زهده وورعه: فقد كان متواضعاً، مطرّحاً للتكلف، يمشي بثوب واحد وعلى رأسه طاقية، مشتغلاً بما يعنيه من أمور الآخرة (٤)، ويدل على ذلك: تأليفه كتابين للحث على الزهد في الدنيا والاشتغال بما ينفع للآخرة، وهما: (قمع الحرص بالزهد والقناعة) و(التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة) وسيأتي الحديث عنهما عند ذكر مؤلفات الإمام رحمه الله.

و أما شجاعته في الحق: فقد ظهر في غالب مؤلفاته، لاسيما وهو يعالج مواطن الضعف العلمي في عصره، أو يُنكر مظاهر الغفلة والفساد الظاهرة في مجتمعه، والبدع المنتشرة آنذاك، شاملاً خطابه للحكام والعلماء وعامة الناس.

كما يضاف إلى صفاته ما نلحظه من خلال القراءة في كتبه من سلامة تفكيره وقوة

(١) انظر: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٢/ ٢١٠).

(٢) ابن فرحون: إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري، من شيوخ المالكية، عالمٌ بَحّاث، مغربي الأصل، وُلد ونشأ بالمدينة وبها توفي، وله رحلات إلى مصر والشام، أصيب بالفالج فمات بعَلته سنة ٧٩٩هـ، من أشهر كتبه: الديباج المذهب في تراجم أعيان المذهب وله مؤلفات مطبوعة وأخرى مخطوطة. انظر: الدرر الكامنة

(١/١٤) الأعلام (١/٥٢).

(٣) الديباج المذهب (١/٣١٧).

(٤) انظر: المصدر السابق.

== ترجمات القرطبي في التفسير من سورة الحجر إلى آية (٨٠) من سورة النحل == ٣٧ -

فهمه وعفة لسانه عن المخالفة في الرأي.

و في الصفحات اللاحقة سنأتي على مكانته العلمية وثناء العلماء عليه، فتتكشف لنا

جوانب رائعة من حياة هذا العلم الفذ، المجاهد الأحذ^(١).



(١) الأحذ من الرجال: المنقطع الأشباه. انظر: تاج العروس (٣٩٥/٩).

ب- حياته العلمية:

🏠 طلبه للعلم:

أقبل رحمته الله منذ صغره على تعلم العلوم الدينية والعربية إقبال الشغوف بها، فأعطته من نفسها ما رفع ذكره في الآخرين.

لذلك نجده في سائر كتبه نسيجٌ وحده في كل مسألة يعرضها، ونلاحظ درايته الفائقة في أي علم يتناوله بالبيان؛ حتى كأنه قد تخصص فيه، وصرف سنوات طلبه في دراسة قضاياها، نجده كذلك في تفصيله لمسائل في علوم القرآن، وفي القراءات، وفي الحديث ورجاله، وفي الفقه وأصوله، وفي اللغة وغرائبها والنحو وأبوابه، وفي غيرها من العلوم التي يطرقها.

و كانت بداية طلبه العلم على طريقة أهل الأندلس التي انفردوا بها عن غيرهم؛ وهي أنهم كانوا يبدؤون بتعليم القرآن واللغة والشعر جنباً إلى جنب، بخلاف سائر الأمصار الذين كانوا يقدمون القرآن على غيره من العلوم (١).

وبهذه الطريقة القوية أخذ القرطبي يشق طريق العلم ويسير في دروبه إلى أن تكونت عنده ملكة العلم، وأصبح في عداد العلماء العارفين.

هكذا كان القرطبي العالم فترة حياته في قرطبة، واستمرت مسيرة العلم والتعلم حتى بعد انتقاله إلى مصر واستقراره بمدينة مئنة بني خصيب (٢)، وقد كان سبب انتقاله إليها هو سقوط قرطبة، وكان ذلك في يوم الأحد الثالث والعشرين من شهر شوال سنة ٦٣٣هـ (٣)، وقد انتقل إليها أيضاً الكثير من علماء الأندلس كالطروش (٤) والشاطبي

(١) انظر: القرطبي ومنهجه في التفسير ص ٨.

(٢) مئنة بني خصيب: بالضم ثم السكون ثم ياء مفتوحة: مدينة كبيرة حسنة كثيرة الأهل والسكن على شاطئ النيل في الصعيد الأدنى، وتعرف الآن بالمنيا. انظر: معجم البلدان (١٧٧/٤) الروض المعطار في خبر الأقطار (٥٨٤/١).

(٣) انظر: فح الطيب من غصن الاندلس الرطيب (٤٨١/١).

(٤) الطروش: محمد بن الوليد بن محمد القرشي الأندلسي، أبو بكر: أديب فقيه مالكي، من أهل طروشة شرقي

وغيرهم.

إلا أننا لم نقف على سبب اختيار القرطبي رحمته الله لمصر مقراً لإقامته، ومن المحتمل أن يكون من دواعي اختياره لها وجود بعض العلماء الذين كان يتطلع إلى الأخذ عنهم، كشيخه أبي الحسن بن هبة الله، وشيخه أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي^(١) حيث أكثر المؤلف من ملازمة الأخير ومن الرواية عنه.

أما اختياره لمنية بني خصيب فقد يكون بسبب قرب طبيعة حياة أهلها من حياة أهل قرطبة، فأهل الصعيد - في جملتهم - فلاحون يعيشون حياة لا تكلف فيها، وهذه البيئة أقرب إلى حياة الزهد التي يفضلها القرطبي، وأهياً لتفرغه لتصنيف الكتب واستكمال تأليفها.



الأندلس، كان مجانباً للسلطان وأصحابه شديداً عليهم مع مبالغتهم في بره، امتحن في دولة العبيدين بالإخراج من الإسكندرية ومُنِع الناس من الأخذ عنه، شرح وألف تأليف منها: تعليقه في مسائل الخلاف وفي أصول الفقه وكتابه في البدع والمحدثات وفي بر الوالدين وغير ذلك، ت: ٥٢٠هـ. انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب (١/١٤٦).

(١) ستأتي ترجمتها عند ذكر شيوخ القرطبي.

مكانته العلمية:

كل من كتب عن الإمام القرطبي رحمته الله شهد له بمكانته العلمية الراسخة، ولم نلاحظ أن أحداً منهم قد غمز هذه المكانة أو أنقص منها. ولعل من الأمور التي أكسبته هذه المنزلة العلمية^(١):

أ- أن القرطبي رحمة الله عليه كان يلتزم الأصول العلمية، ويشترط الأمانة العلمية في المنقول من الأقوال، ومن أدلة ذلك: قوله في مقدمة تفسيره: (وشرطي في هذا الكتاب إضافة الأقوال إلى قائلها والأحاديث إلى مصنفها، فإنه يقال: من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله)^(٢).

ب- اجتهاده وكثرة اطلاعه، والتي ظهر أثرها في مصنفاته.

ت- عدم تعصبه للمذهب المالكي، بل كان منصفاً آخذاً بالدليل والقول الظاهر رجحانه أياً كان قائله، وقد تتلمذ على يد ابن الجُمَيَّري^(٣) وهو شافعي المذهب، لأنه كان حُرّاً في بحثه، متبعاً للدليل.

ث- تحريره للمسائل، وقد كان له رحمته الله أسلوباً متمعاً في النقد.

ج- عفة لسانه عن خصومه، وجودة مناظرته للرأي الآخر.

ح- تصدره في علم التفسير مع تفننه في العلوم الأخرى، فقد كان محدثاً فقيهاً أصولياً مؤرخاً عالماً بالقراءات وحروفها، كما كان داعياً مصلحاً.



(١) انظر: التفسير والمفسرون (٢/٣٣٧).

(٢) تفسير القرطبي (١/٨).

(٣) سيرد آنفاً عند ذكر شيوخ القرطبي.

🏠 ثناء العلماء عليه :

تبوأ القرطبي رحمه الله مكانة عالية بين علماء عصره، وكان علماً شامخاً بين أعلام وقته، ولهذا كثر الثناء ممن عرف شخصه أو جالس كتبه.

و من أبرز الأقوال المحفوظة في مدحه والثناء عليه:

- قول الذهبي^(١): (إمام متفنن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور علمه)^(٢).

- قول ابن العماد^(٣): (كان إماماً علماً، من الغواصين في معاني الحديث، حسن النقل، جيد التصنيف)^(٤).

- قول ابن فرحون: (كان من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين، الورعين الزاهدين في الدنيا، المشغولين بما يعينهم من أمور الآخرة)^(٥).

هذه بعض أقاويل أهل العلم فيه، وهي نزرٌ يسير أمام هذا الطود العظيم في العلم والفضل والصلاح.

(١) الذهبي: محمد بن أحمد بن قايماز، شمس الدين، أبو عبد الله: ، تركهاني الأصل ومولده ووفاته في دمشق،، كُفَّ بصره سنة ٧٤١هـ، قال عنه الكتبي: (حافظ لا يُجاري، ولا فظ لا يُبارى، أتقن الحديث ورجاله، ونظر عله وأحواله، وعرف تراجم الناس، وأبان الإبهام في تواريخهم والإلباس، جمع الكثير، ونفع الجم الغفير، وأكثر من التصنيف، ووفر بالاختصار مؤونة التطويل في التأليف) تصانيفه كبيرة كثيرة تقارب المائة، منها: تاريخ الإسلام، سير أعلام النبلاء، العبر في خبر من غير، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، وغيرها. ت: ٧٨٤هـ. انظر: فوات الوفيات (٣١٥/١).

(٢) تاريخ الإسلام (٧٥/٥٠).

(٣) ابن العماد الحنبلي: عبد الحي بن أحمد بن محمد، أبو الفلاح، مؤرخ فقيه عالم بالأدب، ولد بدمشق وأقام بالقاهرة وتوفي بمكة حاجاً سنة ١٠٨٩هـ، قال عنه المحبي: (كان من أدب الناس وأعلمهم بالفنون المتكاثرة وأغزرهم إحاطةً بالآثار وأجودهم مساجلة وأقدرهم على الكتابة والتحرير) أشهر كتبه: شذرات الذهب في أخبار من ذهب في ثمانية أجزاء. انظر: السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة (٤٦٠/٢) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (٣١/٢).

(٤) شذرات الذهب (٣٣٥/٥).

(٥) الديباج المذهب في تراجم أعيان علماء المذهب (٣١٧/١).

عقيدته ومذهبه الفقهي (١):

كان لمنهج القرطبي الحر المتجرد المتبع للدليل أثر كبير في سلامة عقيدته، فهو يُعدّ من أهل السنة والجماعة (٢)، لكن نشأته في بيئة أشعرية (٣) أدت إلى تأثره ببعض أفكار هذا المذهب (٤).

ففي باب الصفات (٥) كان يقدم العقل على النقل، فيؤوّل بعضها كغالب علماء الأندلس آنذاك.

ففي صفة العين مثلاً نجده يقول في قوله تعالى: ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ هود: ٣٧ (وذلك كله عبارة عن الإدراك والإحاطة وهو سبحانه منزّه عن الحواس والتشبيه والتكييف) (٦).

(١) انظر: منهج الإمام القرطبي في أصول الدين، رسالة ماجستير، أحمد المزيّد، و: البيئته وأثرها على المفسرين، دراسة تطبيقية على الإمام القرطبي ص ٤٦.

(٢) أهل السنة والجماعة: مصطلح يقابل أهل البدعة، وهم المتبعون للنبي ^٨ والسلف الصالح في الاعتقاد والعبادة، وهم الفرقة الناجية، وظهر هذا المصطلح في أول القرن الثاني لما كثرت الأهواء والفرق، فكان لا بد من التمييز بين أهل البدعة وبين أهل السنة لحفظ الدين والرواية، وسمّوا بذلك لاتباعهم سنة النبي عليه الصلاة والسلام وحرصهم على جماعة المسلمين. انظر: دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها (١/١٢٣).

(٣) الأشعرية: فرقة كلامية إسلامية، تنسب لأبي الحسن الأشعري، تتخذ من الدليل العقلي والكلامي وسيلة لإثبات العقائد ومحاجة الخصوم، ويقدمون العقل على النقل عند التعارض، ولا يأخذون بحديث الآحاد في العقائد؛ لأنه لا يفيد العلم اليقيني، ولهم تأويل في بعض الصفات، وهو الآن منتشر في أغلب العالم الإسلامي، وأكثر أتباعه الشافعية والمالكية. انظر: الملل والنحل (١/٩٤) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (١/٢٨).

(٤) انظر: الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير ص ١٨٧

(٥) يعوّل في الحكم على عقيدة القرطبي على كتابه (الأسنى) لأنه وضعه أساساً لبيان مسائل الأسماء والصفات، ولأنه يحيل إليه كثيراً لمن أراد استقصاء المزيد من الأقوال في مسائل الصفات.

(٦) انظر: تفسيره (٩/٣٠).

لكنه يخالف الأشاعرة أحياناً في بعض الصفات، ففي صفة الاستواء نجده يقول:
(وقد كان السلف الأول رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك)^(١).
وقد زكاه شيخ الإسلام ابن تيمية^(٢) بِرَحْمَةِ اللهِ بأن تفسيره أقرب إلى الكتاب والسنة
وأبعد عن البدع^(٣)، وكتبه مشحونة بالرد على الفرق والمذاهب الزائغة، وله صولات
وجولات في الرد على الصوفية^(٤) والشيعية^(٥) وسائر المبتدعة.
أما عن مذهبه الفقهي:

فقد كان المذهب السائد في المغرب العربي وبلاد الأندلس هو المذهب المالكي^(٦)

(١) تفسيره (٢١٩/٧) وقال عنه ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (وقد ذهب فيها إلى رأي السلف الذي لا ينفي الجهة، بل قال بإثبات هذه الصفة لله تعالى) مجموع الفتاوى (٣/٢٦١).

(٢) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحلیم الحرّاني الدمشقي الحنبلي، شيخ الإسلام، كان عالماً كثير البحث، داعية إصلاح في الدين، قلمه ولسانه متقاربان. وفي الدرر الكامنة أنه ناظر العلماء واستدل وبرع في العلم والتفسير وأفتى ودرس وهو دون العشرين، وصار عجباً في سرعة الاستحضار وقوة الجنان. أما تصانيفه ففي الدرر أنها ربما تزيد على أربعة آلاف كراسة، وفي فوات الوفيات أنها تبلغ ثلاث مئة مجلد، وأشهرها: الفتاوى، السياسة الشرعية، نقض المنطق، وغيرها. توفي رَحِمَهُ اللهُ معتقلاً بقلعة دمشق سنة ٧٢٨هـ. انظر: الوافي بالوفيات (٣٧٤/٢) الدرر الكامنة (١/١٤٤).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٣/٣٨٧).

(٤) الصوفية: حركة دينية ظهرت في القرن الثالث الهجري كنزعات فردية تدعو إلى الزهد والعبادة وتركية النفس والتعلق بالله، ثم تطوّرت حتى صارت فرقاً وطرقاً ودخلتها الفلسفات والشطحات والعقائد المنحرفة عن منهج السلف. انظر: الفصل في الملل والنحل (٢/٤٩) الصوفية نشأتها وتطورها ص ٥.

(٥) الشيعة: فرقة من المسلمين ظهرت في أيام خلافة علي رضي الله عنه كحزب يزعم أن علياً أحق بالخلافة من الشيخين وعثمان رضي الله عنهم، ثم تطورت فأصبحت فرقة عقائدية سياسية لها معتقدات مستمدة من الديانات الأخرى كاليهودية والبوذية والوثنية، مركزهم في إيران ومنهم عدد كبير في العراق ولبنان وغيرها، ويكاد أن يكون التشيع ديناً مختلفاً عن الإسلام تماماً، ولهذا فإن مصطلح الشيعة مقابل لمصطلح أهل السنة والجماعة. انظر: الملل والنحل (١/٤٥) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (٢/١٠٨٤).

(٦) المذهب المالكي: هو أحد المذاهب الفقهية الأربعة المعروفة، يُنسب لإمام دار الهجرة مالك بن أنس أحد أئمة أهل السنة المتوفى سنة ١٧٩هـ، وهو اليوم منتشر في شمال أفريقيا وفي شمال السودان وصعيد مصر. انظر:

== ترجيحات القرطبي في التفسير من سورة الحجر إلى آية (٨٠) من سورة النحل == ٤٤ -

فتأثر بيئة العلماء التي تتبع هذا المذهب، فجاءت كثير من اختياراته على المذهب المالكي، إلا أنه كان مجتهداً غير متعصب، بل يدور مع الدليل حتى يصل إلى الصواب.

ف عند تعرضه لتفسير قوله تعالى: ﴿! " # \$ % & !﴾

البقرة: ١٨٧ ذكر خلاف العلماء في حكم من أكل في نهار رمضان ناسياً، فيذكر عن الإمام مالك^(١) أنه يفطر وعليه القضاء، ثم يقول: (وعند غير مالك ليس بمفطر كل من أكل ناسياً لصومه. قلت: وهذا هو الصحيح، وبه قال الجمهور)^(٢).



موسوعة الفقه الإسلامي (٤/١).

(١) هو مالك بن أنس الأصبحي، إمام دار الهجرة وإليه ينسب المذهب المالكي، وكان يقول: ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهلٌ لذلك، سأله الخليفة المنصور أن يضع كتاباً للناس يحملهم على العمل به فصنف (الموطأ)، وله مصنف في تفسير غريب القرآن، ت: ١٧٩ هـ. انظر: صفة الصفوة (٢١٦/١) الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب (٥٦/١) وما بعدها).

(٢) تفسير القرطبي (٣٢٢/٢).

شيوخه:

أخذ القرطبي العلم في فترتي حياته بقرطبة وبمصر عن ثلثة من العلماء والشيوخ، أشار في مصنفاته إلى بعض منهم، كما ذكرت المصادر التاريخية البعض الآخر. فأما شيوخه بالأندلس فهم:

- (١) أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود الأنصاري الحارثي، ولي قضاء قرطبة وغيرها من مدن الأندلس، وكان من العلماء المتفنين، قرأ أكثر من ستين ألف تأليف، سني متبع بجانب لأهل البدع، توفي سنة ٦١٢ هـ (١).
- (٢) أبو سليمان ربيع بن عبد الرحمن بن أحمد الأشعري، من أهل قرطبة، وقاضيها، وهو الذي سأله إمامنا القرطبي عن غسل والده (٢)، يقول عنه ابن الأبار (٣): (وكان رجلاً صالحاً عدلاً في أحكامه، نبيه القدر والبيت) توفي سنة ٦٣٣ هـ (٤).

(٣) أبو عامر يحيى بن عبد الرحمن بن أحمد بن ربيع الأشعري، الحافظ، واحد عصره وفريد دهره، كان ناصرًا للسنّة رادعاً لأهل الأهواء، متكلماً دقيق النظر، سديد البحث، سهل المناظرة، متواضعاً مع هيبة ووقار، أقرأ بغرناطة أكابر علمائها القرآن والحديث، وقد كان ينعته الإمام القرطبي بقوله: (شيخنا القاضي لسان

(١) انظر: الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب (١/٣٥٣).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٥/٤١٢).

(٣) ابن الأبار: محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلسي، أبو عبد الله، من أعيان المؤرخين، أديب، من أهل بلنسية بالأندلس، رحل عنها لما احتلها الإفرنج واستقر بتونس فقربه صاحبها السلطان أبو زكرياء، ولما مات أبو زكرياء خلفه ابنه المستنصر، فرفع مكانته، ثم علم المستنصر أن ابن الأبار كان يزري عليه في مجالسه، فأمر به فقتل رمياً بالرماح في تونس سنة ٦٥٨ هـ، من كتبه: التكملة لكتاب الصلة وهو في تراجم علماء الأندلس، والحلة السيرة وهو في تاريخ أمراء المغرب، وغيرها. انظر: فوات الوفيات (٣/٤٠٤).

(٤) انظر: تاريخ الإسلام (١٤٦/٤٦) التكملة لابن الأبار (١/٦٧).

المتكلمين)(١)(٢) توفي سنة ٦٣٨ هـ (٣).

(٤) ابن أبي حُجَّة: أبو جعفر أحمد بن محمد القَيْسِي، من أهل قرطبة، كان عالماً بالعربية، وعلوم القرآن، له اختصار للصحيحين، ومؤلفات عدة.

(٥) ولما سقطت قرطبة في أيدي النصارى سنة ٦٣٣ هـ أسرته الروم وامتنحن بالتعذيب، وتوفي على أثر ذلك سنة ٦٤٣ هـ (٤).

(٦) ابن قُطْرال: علي بن عبد الله بن محمد الأنصاري القرطبي، ولي قضاء عدة مدن من بلاد الأندلس، وكان من رجال الكمال علماً وعملاً، متفنناً متميزاً في البلاغة، تُوفِّي سنة ٦٥٤ هـ (٥).

(٧) أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم المالكي القرطبي، كان من كبار الأئمة، ودرس الفقه والحديث، وقد سمع منه بعض شرحه (المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم) وكان بارعاً في الفقه والعربية عارفاً بالحديث، وكان جامعاً لمعرفة الحديث والفقه والعربية وغيرها، توفي سنة ٦٥٦ هـ (٦).

و أما شيوخه بمصرَ فهم:

(١) أبو محمد عبد المعطي بن محمود اللَّخْمِي الإسكندراني المالكي الضريير، وكان له بالإسكندرية رباطٌ مشهور، وانتفع بصحبته جماعةٌ، وله فوائد ومجاميع، توفي

(١) المتكلمون: ويقال لهم أيضاً (أهل الكلام): هم الذين يبحثون في أصول الدين وإثبات العقائد بطرق عقلية،

كالوحدانية وإثبات النبوات والمعاد والقدر. انظر: مصطلحات في كتب العقائد ص ٩١.

(٢) انظر: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص ٦٤١.

(٣) الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب (١/١٧٦).

(٤) انظر: تاريخ الإسلام (١٥٥/٤٧) هدية العارفين (١/٤٩).

(٥) انظر: تاريخ الإسلام (٤٨/١٠٤).

(٦) انظر: تاريخ الإسلام (٤٨/٢٢٤).

بمكة سنة ٦٣٨هـ (١).

(٢) ابن رَوَاج: ظافر بن علي بن فُتُوح بن حسين الأَزْدِي القرشي الإسكندراني المالكي، مسند الإسكندرية ومحدثها، نسخ الأجزاء، وكان فقيهاً فظناً، ديناً، متواضعاً، صحيح السماع، قال عنه الإمام الذهبي: (انقطع بموته شيء كثير) (٢) توفي سنة ٦٤٨هـ (٣).

(٣) ابن الجُمَيْزِي: أبو الحسن علي بن هبة الله بن سلامة اللَّخْمِي، كان رئيس العلماء بالقاهرة في وقته، معظماً عند الخاصة والعامة، تفرد بالأسانيد العالية، وقرأ على الشاطبي عدة ختمات، وهو من طبقتة في بعض الروايات، وانتهت إليه رياضة العلم بالديار المصرية، وانقطع بموته إسناد عال.

(٤) قال الذهبي: (وأنا أتعجب من القراء كيف لم يزدحموا على الشيخ بهاء الدين؛ لأنه كان أعلى أهل زمانه إسناداً في القراءات، فلعله كان المانع من جهته) (٤) توفي سنة ٦٤٩هـ (٥).

(٥) ابن المَزِين: أحمد بن عمر الأنصاري المالكي المحدث، نزيل الإسكندرية، كان من كبار الأئمة، وسمع بالمغرب من جماعة، واختصر الصحيحين، وصنف كتاب المفهم في شرح مختصر مسلم، توفي سنة ٦٥٦هـ (٦).

- قال صاحب كتاب طبقات الحنفية: (هناك إمامان محدثان فقيهان مالكيان متعاصران قرطبيان متأخران، عمّ النفع بتصانيفهما الموافق والمخالف، أحدهما:

(١) انظر: تاريخ الإسلام (٣٧٠/٤٦).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٣٧/٢٣).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٣٧/٢٣) الوافي بالوفيات (٢٨٨/٦).

(٤) معرفة القراء الكبار (٦٥١/٢).

(٥) انظر: الوافي بالوفيات (٨٨/٧) معرفة القراء الكبار (٦٥١/٢).

(٦) انظر: شذرات الذهب (٢٧٢/٥) شجرة النور الزكية (١٩٤/١).

أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي^(١)، والآخر صاحبه ورفيقه وتلميذه أبو عبد الله القرطبي، صاحب التفسير^(٢).

واعتراف الأحناف للقرطبي وهو يخالف مذهبهم دليل على شهرته وتمكنه.
٦) أبو علي البكري، صدر الدين الحسن بن محمد بن عمرو^(٣) الدمشقي، المحدث الرّحال المحتسب، حدّث بالكتب الطوال، ولي حاسبة دمشق ومشیخة الشيوخ، أبتلي بالفالج قبل موته بسنوات ثم تحول في آخر عمره إلى مصر فمات سنة ٦٥٦هـ^(٤).

هؤلاء وغيرهم هم شيوخ القرطبي الذين التقى بهم وأخذ عنهم، شيوخ برزوا في نواح متعددة من فقه وحديث وتفسير وقراءات ولغة وأدب، فانعكس ذلك على القرطبي، وكان له أثر كبير في نضجه وتكوينه.
و لم يقتصر القرطبي على الأخذ من شيوخه فحسب؛ بل عمد إلى الكتب يغرف من معينها ويرتوي من ما أنتجت قرائح العلماء في مختلف العلوم، وقد أجازه غير واحد من مشايخه ببعضها^(٥).



-
- (١) أحمد بن عمر بن لبابة، أبو عمر: كان حافظاً للرأي متقدماً فيه، توفي من الغزاة التي فتحت بها سر قسطة سنة ٣٢٧هـ. انظر: تاريخ علماء الأندلس ص ٣٧
- (٢) الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية (١/٥٨٦).
- (٣) هكذا: (عمروك) وليس (عمرو).
- (٤) انظر: تذكرة الحفاظ (٤/١٤٤٤) الوافي بالوفيات (٤/٢٠٥).
- (٥) نجد في كتب القرطبي رَحْمَةُ اللَّهِ إِخْبَارَهُ عَنْ أَخْذِهِ كَثِيرٌ مِنَ الْعِلْمِ بِطَرِيقِ الْإِجَازَةِ، مِنْهَا قَوْلُهُ بَعْدَ إِيرَادِ أَحَادِيثٍ وَرَدَّتْ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلنَّحَاسِ وَالنَّكْتِ وَالْعِيُونَ لِلْمَاوَرِدِيِّ وَالْإِعْلَامِ لِلْسَهِيلِيِّ: (وقد روينا جميع ذلك بالإجازة والحمد لله). انظر: تفسير القرطبي (١٣/٢٦٩) ومواضع أخرى انظر على سبيل المثال: التذكرة (١/٤٨٧) و(٢/١٧٢).

تلاميذه:

تكاد تُجمع المصادر التاريخية التي ترجمت للإمام القرطبي على الاقتصار بذكر عدد من تلاميذه لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة، ونحن لا نشك أن عدد من تتلمذ على يديه أضعاف هذا العدد بكثير؛ لما هو معلوم من شهرته العلمية الذائعة، وجماله قدره، ولأن النواحي العلمية في العصر الذي عاش فيه كانت تعتمد على الدروس والمجالس العلمية، ولأن (منية بني خصيب) كانت موقلاً للعلم والعلماء والطلاب. ولعل من أسباب إغفال أسماء كثير من تلاميذ القرطبي رحمته الله إثاره البعد عن مخالطة عموم الناس بعد خروجه من قرطبة واستقراره بالمِنيا^(١)، وينضم إلى ذلك تفرغه للتصنيف والتأليف في أواخر حياته.

و تلاميذه الذين حفظت لنا الأسفار أسماءهم:

(١) ابنه شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر القرطبي، كان عالماً متفنناً، روى عن أبيه بالإجازة (٢)(٣).

(٢) ابن القسطلاني: أبو بكر محمد بن أحمد الميموني، نشأ بمكة وصحب فضلاءها وعلماها وأخذ عنهم الكثير وأجيز له، توفي سنة ٦٨٦هـ (٤).

(٣) السطريجي: أحمد بن أبي السعود بن أبي المعالي، ناوله (٥) القرطبي كتابه التذكرة

(١) المنيا: إحدى مدن الصعيد، تقع في وادي النيل وتحاذي حافة الصحراء الغربية من جهة الشرق، تشتهر بزراعة

قصب السكر والصناعات المحلية. انظر: موسوعة المدن العربية والإسلامية ص ٢٠٩

(٢) انظر: طبقات المفسرين للسيوطي (١/٧٩).

(٣) الإجازة: هي الإذن بالرواية، لفظاً أو كتابةً. الإيضاح في علوم الحديث والاصطلاح ص ٣٠٤

(٤) انظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (٢/٢٦٧).

(٥) المناولة: طريقة من طرق تحمّل الحديث من الشيخ، وذلك بأن يدفع الشيخ إلى الطالب أصل سماعه أو فرعاً

مقابلاً به ويقول له: هذا من حديثي أو سماعي من فلان ونحوه، وقد يجيزه بروايته عنه وهو أعلى أنواع

الإجازة. انظر: معجم مصطلحات المحدثين (٢/٢٢٥).

وأذن له أن يناوله من شاء (١).

- (٤) أبو جعفر أحمد بن الزبير الثقفي الغرناطي الأندلسي، الحافظ الحجة، شيخ القراء والمحدثين بالأندلس، تلا القرآن بالسبع، وعمل كتاباً للأندلسيين وصل به الصلة لابن بشكّوال (٢)، وله كتاب مستقل في أعلام الأندلس سماه: الإعلام بمن ختم به القطر الأندلسي من الأعلام (٣)، ساد الناس في القراءات والعربية، وممن أخذ عنه: أبو حيان المفسر (٤)، توفي بغرناطة سنة ٧٠٨ هـ (٥).
- (٥) إسماعيل بن محمد بن عبد الكريم الخراساني، نصّ ابن حجر (٦) أنه سمع من

(١) ذكره الشيخ مشهور حسن في كتابه: الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير ص ٩٤ ولم أجد له ترجمة في كتب التراجم.

(٢) ابن بشكّوال: خَلَفَ بن عبد الملك الأنصاري الأندلسي، مؤرِّخٌ بَحَّاثٌ من أهل قرطبة، كان موصوفاً بالصلاح وسلامة الباطن وصحة التواضع وصدق الصبر للراجلين إليه، ومن صفاته: لين الجانب وطول الاحتمال في الكثرة للإسراع رجاء المثوبة، وله نحو خمسين مؤلفاً أشهرها (الصلة) في تاريخ رجال الأندلس، وكتاب تاريخ في أحوال الأندلس، ت: ٥٧٨ هـ. انظر: الوفيات ص ٢٩٠، الديباج المذهب في أعيان المذهب (١٨٤/١).

(٣) انظر: كشف الظنون (٢٨٦/١).

(٤) أبو حيان: محمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي، من كبار علماء التفسير والنحو واللغة في القرن الثامن، ولد ونشأ بغرناطة ثم انتقل إلى القاهرة وبها توفي سنة ٧٤٥ هـ، قال عنه الأدهوي: (شيخ النحاة العلم الفرد، والبحر الذي لم يعرف الجزر بل المد، سبويه الزمان والمبرد إذا حمي الوطيس بتشاجر الأقران) كتب مصنفات كثيرة أشهرها: البحر المحيط وهو تفسير للقرآن كاملاً ثم اختصره في النهر، وارتشاف الضرب من لسان العرب، وغيرها. انظر: طبقات المفسرين للأدهوي (٢٧٨/١) الدرر الكامنة (٣٠٢/٤).

(٥) انظر: الإحاطة بأخبار غرناطة (٢٤/١) تذكرة الحفاظ (١٤٨٤/٤).

(٦) ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني، أصله من عسقلان بفلسطين ومولده ووفاته بالقاهرة، ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما، وعَلَّتْ شهرته وكان حافظ الإسلام في عصره، قال السخاوي: (انتشرت مصنفاًته في حياته وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر) كان راويةً للشعر، عارفاً بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين. تصانيفه كثيرة جلييلة منها: فتح الباري شرح صحيح البخاري، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ولسان الميزان، ت: ٨٥٢ هـ. انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع

== ترجيحات القرطبي في التفسير من سورة الحجر إلى آية (٨٠) من سورة النحل == ٥١ -

القرطبي^(١)، كان يخدم في الدواوين مع جودة وحسن خلق، توفي سنة
٧٠٩ هـ^(٢).



(١) (٨١/١) الأعلام (١٧٨/١).

(٢) انظر: الدرر الكامنة (٣٧٩/١).

(٣) انظر: المصدر السابق.

مؤلفاته ونتاجه العلمي:

ترك الإمام القرطبي رحمته الله للأمة مؤلفات ذات نوعية فريدة، فقارئ كتبه يلحظ فيها قوة الفهم، وجودة الأسلوب، وتحقيق المسائل، وإطراح الإعادة والتكرار ولذلك كثرت الإحالة في مصنفاته جميعاً.

كما امتازت مؤلفاته بتسجيل كثير من الأحداث التاريخية، والقضايا الاجتماعية التي كانت في عصره، مصحوبة بنظراته الشخصية^(١).

و مؤلفاته رحمته الله منها المطبوع المتداول، ومنها المخطوط الذي لم يرَ النور.

فأما المطبوع منها فهو:

١ - (الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي الفرقان):

وهو تفسيره الذي أكسبه الشهرة العلمية الذائعة، والذي يعتبر أفضل وأكبر

مؤلفات الشيخ، وله مكانته العلمية المعروفة بين كتب التفسير.

وقد كثر ثناء العلماء عليه؛ فهذا ابن تيمية رحمته الله يصفه بأنه أقرب إلى طريقة أهل

الكتاب والسنة وأبعد عن البدع^(٢)، ووصفه الذهبي بأنه تفسير عظيم الشأن، وقد

سارت به الركبان، وأنه كامل في معناه^(٣)، ويرى ابن العماد الحنبلي أن هذا السفر قد

حوى مذاهب السلف كلها^(٤).

ومن أدلة مكانة هذا الكتاب في الأوساط العلمية:

أن نُسَخه الخطية بلغت أربعاً وعشرين نسخة، منها أكثر من نسخة كاملة، وأن كاتبها

هذه النسخ مذاهبهم مختلفة فمنهم الشافعي ومنهم الحنفي، مما يدل على أن له درجة

(١) انظر: الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير ص ٩٧.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣٨٧/١٣).

(٣) انظر: تاريخ الإسلام (٧٥/٥٠).

(٤) انظر: شذرات الذهب (٣٣٥/٥).

عالية عند جميع المشتغلين بطلب العلم.

وقد طُبِعَ عدة طبعات كانت أولها سنة ١٣٥٢ هـ بدار الكتب المصرية في عشرين مجلداً، ثم أعادت طبعه الدار القومية سنة ١٣٨١ هـ، ثم طُبِعَ في دار الكتاب العربي سنة ١٣٨٧ هـ مصوراً عن الطبعة الأولى، وصُوِّرَ أكثر من مرة في بيروت^(١) في عدد من دور النشر والتوزيع^(٢)، وطُبِعَ في دار إحياء التراث العربي سنة ١٣٧٢ هـ ودار الحديث سنة ١٤٢٣ هـ ودار ابن حزم سنة ١٤٢٥ هـ^(٣)، وكانت آخر طبعاته طبعة دار الرسالة سنة ١٤٢٧ هـ المحققة بإشراف الشيخ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي^(٤) في أربعة وعشرين مجلداً، وهي أفضل طبعات الكتاب.

٢- (التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة):

وهو الذي يلي التفسير شهرةً في مؤلفات الإمام القرطبي، ويقع في مجلدين، قيل عنه: ليس له مثل في بابهِ^(٥)، وله عدة طبعات، وحُقِّقَ مرتان^(٦).

(١) بيروت: عاصمة لبنان، تقع في منتصف الساحل اللبناني، فتحها المسلمون في زمن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، خرج منها كثير من العلماء والأدباء، تشتهر بكونها مركزاً للنشاطات التجارية والعلمية، وبأنها عاصمة الكتاب العربي إذ فيها عشرات دور النشر والمطابع. انظر: موسوعة المدن العربية والإسلامية ص ١٢٢.

(٢) انظر: الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير ص ١٠٢

(٣) انظر: ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير من أول سورة المؤمنين إلى الآية العاشرة من سورة النور، للباحثة: أميرة قنق، إشراف أ.د. عبد العزيز عزت، ص ٤٠.

(٤) عبد الله بن عبد المحسن التركي: من العلماء والدعاة المعاصرين، ولد عام ١٣٥٩ هـ، متخصص في أصول الفقه، تولى العديد من المناصب الأكاديمية والإدارية، وله مشاركات كثيرة في المؤتمرات والندوات والمحاضرات، ومؤلفات علمية قيمة، وتحقيقات للكتب العلمية، وعضويات في المجالس والهيئات الوطنية والدولية، وإسهامات علمية ودعوية عالمية.

انظر: موقع رابطة العالم الإسلامي - السبت ١٢/٣/١٤٣٣ هـ - س ٣,٥٤م -

<http://www.themwl.org/Profile/default.aspx?l=AR&md=٤٢&mid=١>

(٥) انظر: شجرة النور الزكية ص ١٩٧

(٦) الأولى بتحقيق عصام الدين الصَّبَّاطي، والثانية بتحقيق فواز زَمْرُي.

١٤٠٩ هـ في ٢١٤ صفحة.

٥ - (الإعلام بما في دين النصارى من المفاسد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام):

وهو كتاب موضوعه: درء الشبهات عن الإسلام، مطبوع في مجلد واحد بدار التراث العربي سنة ١٣٩٨ هـ.

٦ - (الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى)^(١):

طبعته دار الصحابة، ثم المكتبة العصرية سنة ١٤٢٦ هـ في حوالي ٤٣٠ صفحة. هذه هي الكتب المطبوعة من تراث الإمام القرطبي رحمه الله، أما كتبه التي لا تزال مخطوطة فهي:

١ - (الإعلام في معرفة مولد المصطفى عليه الصلاة والسلام):

وقد ذكره القرطبي في تفسيره في موضعين^(٢)، ويوجد منه نسخة خطية بمكتبة طوب قاي بإستنبول^(٣).

٢ - (الانتهاز في قراءة أهل الكوفة والبصرة والشام وأهل الحجاز):

أحال إليه القرطبي في كتابه التذكار، عند حديثه عن ترك البسملة في أول سورة براءة^(٤).

(١) وقد عدّه الشيخ مشهور حسن في كتابه (الإمام القرطبي شيخ ائمة التفسير ص ١٤٦) ضمن كتب القرطبي المخطوطة والصحيح أنه مطبوع.

(٢) الأول عند قوله تعالى: " وفديناه بذبح عظيم " (الصفافات: ١٠٧) والثاني عند قوله تعالى: " واذكر عبدنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار " (ص: ٤٥).

(٣) استنبول: من أكبر المدن التركية، تقع على جانبي نهر البسفور وتعتبر همزة الوصل بين آسيا وأوروبا، كانت عاصمة الدولة العثمانية حتى مطلع القرن العشرين، وكانت تسمى: الأستانة أيام البيزنطيين وقسطنطينية نسبة إلى قسطنطين ملك الروم، بها كثير من الآثار والقلاع التاريخية والمتاحف والقصور والمساجد ذات الفن المعماري الهندسي. انظر: موسوعة المدن العربية والإسلامية ص ٣٠٦

(٤) انظر: التذكار ص ٢٩

٣- (منهج العباد ومحجة السالكين والزهاد):

أحال إليه القرطبي في تفسيره في معرض الكلام عن المفاضلة بين الغني والفقير، عند تفسير قوله تعالى: ﴿4 5 8 6 9 : > ص: ٤٤.

٤- (المقتبس في شرح موطأ مالك بن أنس):

ذكره القرطبي في عدة مواضع من تفسيره، منها قوله عند ذكر خلاف العلماء في مسألة تعيين الصلاة الوسطى: (وقد أتينا على هذا زيادة في المقتبس في شرح موطأ مالك بن أنس^(١))، وقوله عند مسألة مصير أولاد المشركين: (وقد زدنا هذه المسألة بياناً في كتاب التذكرة وذكرنا في كتاب المقتبس في شرح موطأ مالك بن أنس ما ذكره أبو عمر من ذلك والحمد لله^(٢)).

٥- (اللُّمَع اللُّؤلُؤِيَّة في شرح العشرينيات النبوية):

ذكره في تفسيره، عند قوله تعالى: ﴿k j i h g f e d c b

l s r q p o n m l الإسراء: ٤٤ في مسألة إثبات تسبيح الأشجار

والأحجار لله تعالى، فقال: (والأخبار في هذا كثيرة وقد أتينا على جملة منها في اللمع اللؤلؤية شرح العشرينيات النبوية^(٣)).

٦- (أرجوزة في أسماء النبي^(٤)):

ذكرها ابن فرحون في ترجمته^(٤))، جمع فيها أسماء النبي^(٤) وشرحها، وعدد أبياتها يزيد على ثلاثمائة بيت^(٥).

(١) انظر: (٢١٠/٣).

(٢) انظر: (٣٠/١٤).

(٣) انظر: (٩١/١٣).

(٤) انظر: الديباج المذهب (١٦٤/١).

(٥) انظر: كشف الظنون (٦٢/١).

٧- (شرح التَّقْصِي):

ذكره الداوودي^(١) في طبقات المفسرين^(٢)، وابن فرحون في الديباج المذهب^(٣)،
والبغدادي في هدية العارفين^(٤).

٨- (المصباح في الجمع بين الأفعال والصحاح):

وهو كتاب لغوي، اختصر فيه كتابي (الأفعال) لابن القَطَّاع^(٥) و(الصحاح)
للجوهرى^(٦).

٩- (رسالة في ألقاب الحديث):

انفرد بذكرها صاحب تاريخ الأدب العربي، وذكر أن لها نسخة خطية في مكتبة
الجزائر^(٧).

(١) الداوودي: محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي: مصري، شيخ أهل الحديث في عصره،
من تلاميذ السيوطي، توفي بالقاهرة سنة ٩٤٥هـ، له كتب منها: طبقات المفسرين، ذيل طبقات الشافعية
للسبكي، وغيرها. انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٨/٢٦١).

(٢) انظر: (٦٦/٢).

(٣) انظر: (١٦٤/١).

(٤) انظر (١٢٩/٢).

(٥) ابن القَطَّاع: علي بن جعفر بن محمد السعدي الصقلي ثم المصري، لغوي بارع، صنف كتاب الأفعال، له شعر
جيد، وكان متساهلاً في الرواية، ت: ٥١٥هـ. انظر: البداية والنهاية (٢٣٣/١٢) الوافي بالوفيات (١/٥٠٠).

(٦) انظر: تاريخ الأدب العربي (٣٣٧/١)، والجوهرى: إسماعيل بن حمّاد أبو نصر: من بلاد الترك، إمام في اللغة
والأدب، أشهر كتبه (الصحاح) في مجلدين. دخل العراق فقرأ علم العربية على شيخي زمانه: أبي علي الفارسي
وأبي سعيد السيرافي، وسافر إلى أرض الحجاز، وشافه باللغة العرب العاربة، وطوف بلاد ربيعة ومضر،
وأجهد نفسه في الطلب، ولما قضى وطره من الطواف عاد راجعاً إلى خراسان. توفي سنة ٣٩٣هـ. انظر: معجم
الأدباء (٢٦٩/٢) الأعلام (١/١٣١).

(٧) الجزائر: دولة عربية في شمال أفريقيا على ساحل البحر المتوسط، تشتهر بتربية المواشي وصناعة الآلات وزراعة
التمور، وبها، فتحها المسلمون في ٦٣هـ، ثم احتلها الفرنسيون سنة ١٢٤٦هـ، ثم اندلعت الثورة الجزائرية من
أجل التحرير، فنالت البلاد استقلالها. انظر: فتوح البلدان (٣/٣١٧) موسوعة المدن العربية والإسلامية

١٠ - (التقريب لكتاب التمهيد):

انفرد بذكره الزُّركلي (١) في الأعلام (٢)، وذكر أنه مجلدين ضخمين، وأنه بخزانة القرويين بفاس (٣).



ص ١٥٩.

(١) الزُّركلي: خير الدين بن محمود بن محمد، من دمشق، نشأ مولعاً بكتب الأدب وأخذ عن علماء دمشق، ودرس بمدارسها النظامية، قصد مصر فأنشأ بها المطبعة العربية، ثم انتقل إلى الحجاز وأولته الحكومة السعودية أعمالاً عدة منها: تعيينه مستشاراً للوكالة العربية السعودية بمصر وتمثيل الحكومة في عدة مؤتمرات دولية، وانتدابه للتوقيع على ميثاق جامعة الدول العربية، ثم اختار الإقامة في بيروت، له عدد من الكتب المطبوعة أشهرها (الأعلام) توفي سنة ١٣٩٦ هـ. انظر: الأعلام (٢٧٦/٨) معجم المؤلفين المعاصرين (٢١٦/١).

(٢) انظر: (٣٢٢/٥).

(٣) فاس: مدينة تاريخية من أكبر مدن المغرب، تشتهر بمركزها التجاري والصناعي والثقافي والعلمي، وبها عدد من الجامعات والمعاهد العلمية، وإليها ينسب جماعة من أهل العلم، أشهر معالمها جامع القرويين. انظر: معجم البلدان (٣٠٦/٣) موسوعة المدن العربية والإسلامية ص ٢١٦.

🕌 وفاته:

بعد أن أمضى الإمام القرطبي حياته عالماً داعيةً مؤلفاً، متنقلاً في بلاد الإسلام وبين كبار الأعلام من مسقط رأسه بالأندلس غرباً إلى مستقره بمصر شرقاً، توفي رحمته الله ليلة الإثنين التاسع من شوال سنة ٦٧١ هـ بمنية بني خصيب، ودفن بها (١)، وقد بُني بها سنة ١٣٣٦ هـ مسجد كبير يحمل اسمه (٢).



(١) انظر: تاريخ الإسلام (٧٠/٥) نفع الطيب (٢١١/٢) الوافي بالوفيات (٨٧/٢).

(٢) انظر: القرطبي ومنهجه في التفسير ص ٤٨

القسم الأول

منهج الإمام القرطبي في التفسير والترجيح

الفصل الأول

منهج الإمام القرطبي في تفسيره

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: المنهج العام لتفسيره.

المبحث الثاني: المنهج الوصفي التفصيلي:

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تفسيره القرآن بالمأثور.

المطلب الثاني: موقفه من التفسير بالرأي.

المطلب الثالث: عنايته ببيان أنواع علوم القرآن.

المطلب الرابع: عنايته بالرد على الفرق المخالفة.

المبحث الأول: المنهج العام لتفسيره

يُعتبر (الجامع لأحكام القرآن) أشهر كتب الإمام القرطبي وأعظمها نفعاً، وقد أوضح رحمه الله سبب تأليفه بقوله: (فلما كان كتاب الله هو الكفيل بجميع علوم الشرع، الذي استقل بالسنة والفرض، ونزل به أمين السماء إلى أمين الأرض؛ رأيت أن أشتغل به مدى عمري، وأستفرغ فيه مُتّتي) (١).... وعملته تذكراً لنفسه، وذخيرة ليوم رمسي (٢)، وعملاً صالحاً بعد موتي (٣).

كما بين طريقة تأليفه بقوله:

(.... بأن أكتب تعليقاً وجيزاً يتضمن نكتاً من التفسير واللغات، والإعراب والقراءات، والرد على أهل الزيغ والضلالات، وأحاديث كثيرة شاهدة لما نذكره من الأحكام ونزول الآيات، جامعاً بين معانيهما، ومبيناً ما أشكل منهما، بأقوال السلف، ومن تبعهم من الخلف) (٤).

وقد بين رحمه الله شرطه ومنهجه في تفسيره أوضح بيان فقال:

(وشرطي في هذا الكتاب: إضافة الأقوال إلى قائلها، والأحاديث إلى مصنفها؛ فإنه يقال: من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله.... وأضرب كثيراً عن قصص المفسرين وأخبار المؤرخين إلا ما لا بد منه، ولا غنى عنه للتبيين، واعتضت عن ذلك ببيان آي الأحكام بمسائل تسفر عن معناها، وترشد الطالب إلى مقتضاها، فضمنت كل آي تتضمن حكماً - أو حكماً فيما زاد - مسائل يتبين فيها ما تحتوي من أسباب النزول، والتفسير الغريب، والحكم، فإن لم تتضمن حكماً ذكرت ما فيها من التفسير

(١) المنة بالضم: القوة. انظر: معجم مقاييس اللغة (٥/٢٦٧) المعجم الوسيط (٢/٨٨٩)

(٢) الرسم: الدفن والقبر. انظر: الصحاح (٤/٧٤).

(٣) تفسير القرطبي (١/٦).

(٤) المصدر السابق.

والتأويل) (١).

و بهذا الإيضاح من الإمام القرطبي نستطيع أن نُجمل المنهج العام للقرطبي في تفسيره في النقاط الآتية، إذ المقصود بيان منهجه دون بسط (٢):

(١) بيان معاني الآيات، بتوضيح الغريب من الألفاظ، والإعراب، مع الاستشهاد بأشعار العرب (٣).

(٢) بيان القراءات الواردة في الآية وتوجيهها (٤).

(٣) الرد على أهل البدع والضلالات (٥).

(٤) ذكر أسباب النزول (٦).

(٥) الجمع بين معاني الآيات المشكلة، ودفع التعارض الظاهر بأقويل السلف والخلف.

(١) تفسير القرطبي (٨/١).

(٢) قد بسط الكلام في منهج القرطبي رَحْمَةُ اللَّهِ فِي مَوْالِفَاتٍ وَرَسَائِلٍ عِلْمِيَّةٍ بِاسْتِقْلَالٍ، مِنْهَا: (القرطبي ومنهجه في التفسير - محمود القصبي)، (الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير - مشهور حسن سلمان)، (منهج القرطبي في تفسير آيات الأحكام في كتابه الجامع لأحكام القرآن دراسة تحليلية - عامر بن عيسى اللهو) وغيرها.

(٣) سيأتي تفصيله في الأمر الأول (تفسيره القرآن باللغة، وعنايته بالإعراب) من المطلب الثاني (موقفه من التفسير بالرأي) من المبحث الثاني (المنهج الوصفي التفصيلي) من هذا الفصل.

(٤) سيأتي تفصيله في الأمر الثالث (عنايته بتوجيه القراءات) من المطلب الثاني (موقفه من التفسير بالرأي) المندرج تحت المبحث الثاني (المنهج الوصفي التفصيلي) من هذا الفصل.

(٥) انظر على سبيل المثال: رده على المعتزلة والقدرية في مسألة أفعال العباد عند تفسير قوله تعالى " كذلك نسلكه في قلوب المجرمين " (الحجر: ١٢) وقوله: " إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون " (النحل: ٤٠) (٣٢٦/١٢).

(٦) انظر على سبيل المثال: إيراده لسبب نزول قوله تعالى: (وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين) (النحل: ٢٤) (٣١١/١٢) وقوله: " الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فألقوا السلم... " (النحل: ٢٨) (٣١٦/١٢) وقوله: " والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئهم في الدنيا حسنة... " (النحل: ٤١) (٣٢٦/١٢).

- ٦ إضافة الأقوال إلى قائلها والأحاديث إلى مصنفها^(١).
- ٧ الإضراب عن كثير من قصص المفسرين وأخبار المؤرخين^(٢) إلا ما لا بد منه، وما لا غنى عنه للتبيين.
- ٨ تبين آيات الأحكام بمسائل تُسفر عن معناها، وترشد الطالب إلى مقتضاها^(٣).
- ٩ بيان تفسير الآية العام إن لم تتضمن حكماً.
- و الذي يقرأ تفسير القرطبي يجد أنه قد التزم خِطَّته، ووفى بشرطه في الغالب؛ فهو يعرض لأسباب النزول، ويكشف عن الغريب من الألفاظ، ويحتكم إلى اللغة كثيراً، ويردُّ على الفرق المخالفة وأهل الأهواء والأفكار الباطلة^(٤).



-
- (١) وأمثله كثيرة جداً، قل أن تخلو منها صفحة من تفسيره.
- (٢) انظر على سبيل المثال: تعليقه على خبر ابن عباس في قصة إبليس عند تفسير قوله تعالى: "والجان خلقناه من قبل من نار السموم" (الحجر: ٢٧).
- (٣) سيأتي تفصيله في في الأمر الثاني (عنايته بالأحكام الفقهية) من المطلب الثاني (موقفه من التفسير بالرأي) المدرج تحت المبحث الثاني (المنهج الوصفي التفصيلي).
- (٤) انظر: التفسير والمفسرون (٢/٣٣٧ وما بعدها) منهج القرطبي في تفسير آيات الأحكام ص ٣.

المبحث الثاني: المنهج الوصفي التفصيلي

و فيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تفسيره القرآن بالمأثور. و فيه ستة أمور:

الأمر الأول: تفسيره القرآن بالقرآن

الأمر الثاني: تفسيره القرآن بالسنة.

الأمر الثالث: تفسيره القرآن بأقوال الصحابة.

الأمر الرابع: تفسيره القرآن بأقوال التابعين.

الأمر الخامس: عنايته بأسباب النزول.

الأمر السادس: موقفه من الإسرائيليات.

المطلب الثاني: موقفه من التفسير بالرأي، وفيه أربعة أمور:

الأمر الأول: تفسيره القرآن باللغة، وعنايته بالإعراب.

الأمر الثاني: عنايته بالأحكام الفقهية.

الأمر الثالث: عنايته بتوجيه القراءات.

الأمر الرابع: عنايته بالاستنباط.

المطلب الثالث: عنايته ببيان أنواع علوم القرآن.

المطلب الرابع: عنايته بالرد على الفرق المخالفة.

المطلب الأول: تفسيره القرآن بالمأثور^(١)

و فيه ستة أمور:

الأمر الأول: تفسيره القرآن بالقرآن:

تفسير القرآن بالقرآن له إطلاقان^(٢):

الأول: بيان معنى آية بآية أخرى، وهذا الإطلاق مطابق لمصطلح تفسير القرآن بالقرآن.

الثاني: ربط آية بآية أخرى لعلاقة في المعنى أو اللفظ، وهذا مصطلح موسّع. ويدخل في تفسير القرآن بالقرآن: النظائر القرآنية^(٣)، والمتشابه اللفظي^(٤)، والآيات ذات الموضوع الواحد، وغيرها.

(١) المأثور: ما أثر عن السابقين. والتفسير بالمأثور في اصطلاح المتأخرين: (هو ما جاء في القرآن أو السنة أو أقوال الصحابة أو أقوال التابعين بياناً لمراد الله من كلامه) انظر: مناهل العرفان (١٢/٢) التفسير والمفسرون (١١٢/١)، ولم يرد عن المتقدمين نص في تعريف المأثور حسب علمي بعد البحث والسؤال، ولكنهم كانوا يعتمدون في بيان معاني القرآن على السنة وأقوال الصحابة والتابعين وأتباعهم.

(٢) ذهب إلى هذا التقسيم في مصطلح تفسير القرآن بالقرآن: الدكتور مساعد الطيار حفظه الله في كتابه مقالات في علوم القرآن وفصول في أصول التفسير، والدكتور أحمد البريدي في بحثه المنشور في مجلة معهد الإمام الشاطبي بعنوان: تفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية. وهذا التقسيم هو الأقرب للصواب؛ حيث إن تفسير القرآن بالقرآن يختلف قرباً وبعداً، وظهوراً وخفاءً، ومطابقةً ومقاربة، ومتى استفدنا من بيان آية بآية من أي وجه فهو داخلٌ في تفسير القرآن بالقرآن، يدل على ذلك صنيع السلف والمفسرين. انظر: تفسير القرآن بالقرآن جمعاً ودراسة - رسالة علمية، ص ٥٠.

(٣) النظائر القرآنية: المواضع القرآنية المتعددة للمعنى الواحد. انظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم ص ٩٤، وسيأتي الحديث عن الترجيح بالنظائر القرآنية في المطلب الأول من المبحث الثاني.

(٤) المتشابه اللفظي: هي الآيات التي تكررت في القرآن الكريم بألفاظ متشابهة. انظر: المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسواره البلاغية ص ٤، يقول الزركشي في تعريفه للمتشابه اللفظي: (وهو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة، ويكثر في إيراد القصص والأنباء، وحكمته التصرف في الكلام وإتيانه على ضروب ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك؛ مبتدئاً به ومتكرراً) البرهان (٩٠/١).

== ترجمات القرطبي في التفسير من سورة الحجر إلى آية (٨٠) من سورة النحل == ٦٦ -

وهذه الطريقة - أعني تفسير القرآن بالقرآن - أحسن طرق التفسير؛ لأنه لا أحد أعلم بكلام الله منه عز وجل، فما جاء مجملًا في موضع جاء بيانه وتفصيله في موضع آخر.

وقد اهتم القرطبي بهذه الطريقة في التفسير وأولاها عناية واضحة، ومن أمثلة (١) اهتمامه بها:

١- قوله ﷺ عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ Q P O N M L ﴾ \vee U T S R الحجر: ٢١:

(أي: ولكن لا ننزله إلا حسب مشيئتنا وعلى حسب حاجة الخلق إليه، كما قال: ﴿ z y x ﴾ | { ~ الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزَّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ } © بَصِيرٌ ﴿ الشورى: ٢٧) (٢).

٢- وقوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ μ η ρ النحل: ١٤:

(قوله تعالى: ﴿ μ η ﴾ يعني به اللؤلؤ والمرجان؛ لقوله تعالى: ﴿ ρ : : < ﴾ الرحمن: ٢٢) (٣).

٣- وقوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَفْدَةً ﴾ النحل: ٧٢:

(أي: من جنسكم وعلى خلقتكم، كما قال: ﴿ | } ~ مِنْ

(١) جميع الأمثلة التطبيقية في هذا الفصل من سورتي الحجر والنحل إلى آية ٨٠، وهو الجزء المخصص للدراسة في هذه الرسالة.

(٢) تفسير القرطبي (١٢/١٩٣).

(٣) المصدر السابق (١٢/٢٩٧).

== ترجمات القرطبي في التفسير من سورة الحجر إلى آية (٨٠) من سورة النحل == ٦٧ -

أَنْفُسِكُمْ ﴿ التوبة: ١٢٨ أي: من الآدميين (١).



(١) المصدر السابق (١٢/٣٧٦).

الأمر الثاني: تفسيره القرآن بالسنة:

معنى تفسير القرآن بالسنة:

أي بيان معنى الآية بقول النبي عليه الصلاة والسلام.

و تفسير القرآن بالسنة يأتي في المرتبة الثانية المعتمدة في التفسير؛ حيث إن السنة من التنزيل، لقوله عليه الصلاة والسلام: «ألا إني أوتيتُ القرآن ومثله معه»^(١)، وهي وحيٌّ من العزيز الجليل لقوله تعالى: ﴿ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ﴾ النجم: ٤(٢).

وهي المبيّنة للقرآن؛ استنباطاً من قوله تعالى: ﴿ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ﴾

; < النحل: ٤٤.

قال الخازن^(٣): (و بيان الكتاب يُطلب من السنة، والمبيّن لذلك المجمل هو الرسول (٤) (٨).

وقد ظهرت عناية القرطبي رحمته الله بهذا النوع من التفسير، وهذه بعض المواضع التي تدل على ذلك:

(١) أخرجه أحمد في المسند - مسند الشاميين - حديث المقداد بن معد يكرب (٤١٠/٢٨) برقم ١٧١٤٧، وأبو داود في السنن: كتاب السنة - باب في لزوم السنة (٢٠٨/١٢) برقم ٣٩٨٨، وقال العجلوني: (صحيح). انظر: كشف الخفاء (٤٢٣/٢).

(٢) قال السعدي: (ودلّ هذا على أن السنة وحي من الله لرسوله ^٨، كما قال تعالى: " وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة " وأنه معصوم فيما يخبر به عن الله تعالى وعن شرعه، لأن كلامه لا يصدر عن هوى، وإنما يصدر عن وحي يوحى) تيسير الكريم الرحمن (٨١٨/١).

(٣) الخازن: علي بن محمد بن إبراهيم الشَّيْخِي المعروف بالخازن: عالم بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعية، بغدادي الأصل، نسبه إلى شيحة من أعمال حلب. وكان خازن الكتب بالمدرسة السمساطية في دمشق. له تصانيف منها: لباب التأويل في معاني التنزيل، ويعرف بتفسير الخازن، وعدة الأفهام في شرح عمدة الأحكام في فروع الشافعية، ومقبول المنقول في الحديث، ت: ٧٤١ هـ. انظر: الدرر الكامنة (٣٧٦/٢).

(٤) لباب التأويل في معاني التنزيل (٤/ ١٨٠).

١. عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿﴾ X Y Z [\] ^

الحجر: ٢٢ أورد حديثاً رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١) عن النبي ^: «الرياح الجنوب من الجنة، وهي الريح اللوآق التي ذكرها الله في كتابه، وفيها منافع للناس»^(٢).

٢. وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿﴾ ; < = > ? الحجر: ٧٥ قال:

(روى الترمذي الحكيم^(٣) في نوارد الأصول من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٤) عن رسول الله ^ أنه قال: «للمتفرسين»^(٥) وروى أبو عيسى

(١) أبو هريرة: عبد الرحمن بن صخر الدوسي: صحابي، كان أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له، قدم المدينة ورسول الله ^ بخير، فأسلم سنة ٧ هـ ولزم صحبة النبي عليه الصلاة والسلام، فروى عنه أكثر من ٥٠٠٠ حديثاً، ولي إمرة المدينة مدة، ولما صارت الخلافة إلى عمر استعمله على البحرين، ثم رآه لين العريكة مشغولاً بالعبادة فعزله. ت: ٥٩ هـ. انظر: الإصابة (٤١٦/٣) الأعلام (٣٠٨/٣).

(٢) تفسير القرطبي (١٩٦/١٢) والحديث أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب المطر والرعد والبرق - باب في الريح ص ١٤٠ برقم ١٣٧، والطبري في تفسيره (٤٦/١٤) وأبو الشيخ الأصبهاني في العظمة - باب ذكر الرياح (٤/١٣٠٥) وأورده المتقي الهندي في كنز العمال - كتاب الأخلاق - باب في الأخلاق والأفعال المذمومة - الفصل الثالث في أخلاق وأفعال مذمومة تختص باللسان (٦٠٣/٣) برقم ٨١١٧. وضعف إسناده ابن كثير. انظر: تفسير القرآن العظيم (٣١٥/٤) وقال السيوطي: (وهو ضعيف). انظر: الفتح الكبير - حرف الراء (١٣١/٢) برقم ٦٦٤٤.

(٣) الترمذي الحكيم: محمد بن علي بن الحسن، أبو عبد الله: باحث، صوفي، عالم بالحديث وأصول الدين، من أهل ترمذ، نفي منها بسبب تصنيفه كتاباً خالف فيه ما عليه أهلها، فشهدوا عليه بالكفر. وقيل: أنهم باتباع طريقة الصوفية في الإشارات ودعوى الكشف. وقيل فضل الولاية على النبوة، ورد بعض العلماء هذه التهمة عنه. من كتبه: نوارد الأصول في أحاديث الرسول، والرياضة وأدب النفس، والصلاة ومقاصدها. ت: نحو ٣٢٠ هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى (١٧٩/٢) الأعلام (٢٧٢/٦).

(٤) أبو سعيد الخدري: سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري الخزرجي، صحابي، كان من ملازمي النبي ^ وروى عنه أحاديث كثيرة. غزا اثنتي عشرة غزوة، أورد ابن سعد في الطبقات: وروى ابن سعد من طريق حنظلة بن سفيان الجمحي عن أشياخه قال: لم يكن أحد من أحداث أصحاب رسول الله ^ أفقه من أبي سعيد الخدري. ت: ٧٤ هـ. انظر: الإصابة (٤٣٣/١) الأعلام (٨٧/٣).

(٥) أورده الترمذي الحكيم في نوارد الأصول - الأصل السابع والعشرون والمائتان: في حقيقة الفراسة ودواعيها

== ترجيحات القرطبي في التفسير من سورة الحجر إلى آية (٨٠) من سورة النحل == ٧٠ -

الترمذي^(١) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله [^]: «اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله» ثم قرأ: ﴿ > = < ; ﴾ (٢)(٣).

٣. و عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ V U T S R ﴾ الحجر:

قال: ٩٩

(فيه مسألة واحدة، وهو أن اليقين الموت، أمره بعبادته إذ قصر عباده في خدمته، وأن ذلك يجب عليه)
ثم قال:

(١) (٨٧/٣) وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني الحلية - ذكر طوائف من النساك والعباد - ترجمة الجنيد بن محمد بن الجنيد (٢٨١/١٣) والخطيب البغدادي في تاريخه - حرف الكاف - ترجمة محمد بن كثير أبو إسحاق الكوفي (٣١٣/٤) برقم ٥٩٥، وابن خسرو في مسند أبي حنيفة - حرف العين (٦٦٤/٢) برقم ٨٢٩.

(١) الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمى البوغي الترمذي، أبو عيسى: من أئمة علماء الحديث وحفاظه، تتلمذ للبخاري، وشاركه في بعض شيوخه. وعمي في آخر عمره. وكان يضرب به المثل في الحفظ، من تصانيفه: الجامع الكبير، باسم: سنن الترمذي، والشمال النبوية، والتاريخ، والعلل. ت: ٢٧٩هـ. انظر: الوافي بالوفيات (٥٤/٢) الأعلام (٣٢٢/٦).

(٢) أخرجه الترمذي في السنن - كتاب تفسير القرآن - باب سورة الحجر (٢٩٨/٥) برقم ٣١٢٧، وأبو الشيخ الأصبهاني في أمثال الحديث (١٦٤/١) برقم ١٢٦ مقتصرًا على «اتقوا فراسة المؤمن»، وأبو عبد الرحمن السلمى في الأربعين في التصوف - باب ما جاء في تصحيح الفراسة (١٤/١)، والماليني في الأربعين في شيوخ الصوفية - ذكر الجنيد بن محمد (٩٠/١)، والطبراني في المعجم الكبير - باب الصاد - راشد بن سعد المقرائي - برقم ٧٤٩٧ وفي مسند الشاميين عن راشد أيضاً (١٨٣/٣) برقم ٢٠٤٢ وفي الأوسط - باب الباء - من اسمه بكر (٣١٢/٣) برقم ٣٢٥٥، وأبو نعيم في الطب النبوي - باب في استعمال الفراسة والاستدلال في صناعة الطب (٢٠٤/١) برقم ٦٣، وفي الحلية - ذكر طوائف من النساك والعباد - ترجمة الجنيد بن محمد بن الجنيد (٢٨١/١٣)، وابن خسرو في مسند أبي حنيفة - حرف العين (٦٦٤/٢) برقم ٨٢٩. قال الشوكاني: (في إسناده: محمد بن كثير الكوفي، وهو ضعيف جداً) الفوائد المجموعة (٢٤٣/١). ويغني عنه قوله [^]: «إن لله عبداً يعرفون الناس بالتوسم» قال عنه الهيثمي: (إسناده حسن) مجمع الزوائد (٤٧٣/١٠) برقم ١٧٩٣٩.

(٣) تفسير القرطبي (٢٣٣/١٢).

(والدليل على أن اليقين الموت حديث أم العلاء الأنصارية^(١) رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - وكانت من المبايعات - وفيه: فقال رسول الله [^]: «أما عثمان - أعني عثمان بن مظعون^(٢) - فقد جاءه اليقين، وإني لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يُفعل به»^(٣)(٤).



(١) أم العلاء الأنصارية: بنت الحارث بن ثابت، من الخزرج. يقال إنها زوجة زيد بن ثابت، من اللاتي بايعن النبي [^]، أخرج لها الشيخان في صحيحيهما. انظر: الإصابة (١٠٨/٤) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة (٥٢٦/٢).

(٢) عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب الجمحي، أبو السائب: صحابي، كان من حكماء العرب في الجاهلية، يجرّم الخمر، وأراد التبتل والسياسة في الأرض زهداً في الحياة، فمنعه رسول الله [^]، فاتخذ بيتاً يتعبد فيه، فأتاه النبي [^] فأخذ بعضادتي البيت وقال: «يا عثمان إن الله لم يبعثني بالرهبانية - مرتين أو ثلاثاً - وإن خير الدين عند الله الحنفية السمحة» شهد بدماء، ولما مات سنة ٢ هـ جاءه النبي [^] فقبله ميتاً حتى رؤيت دموعه تسيل على خد عثمان. وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين وأول من دفن بالبقيع منهم. انظر: الإصابة (٢٤٠/٢) الأعلام (٢١٤ /٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الإيمان - باب الجنائز (١٠٦/٢) برقم ١٢٤٣.

(٤) تفسير القرطبي (٢٦٤/١٢).

الأمر الثالث: تفسيره القرآن بأقوال الصحابة:

الصحابي:

هو من لقي النبي [^] مؤمناً به ومات على الإسلام (١).

والصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ هم أعلم الناس بأمور الدين بعد النبي [^]، وأعلمهم بمعاني القرآن، فهم الذين شاهدوا الوحي ينزل على رسول الله [^]، وحضروا الوقائع والأحداث التي نزل فيها، وهم أعلم الناس باللسان العربي؛ إذ أنهم عرب فصحاء لم تتغير ألسنتهم.

أضف إلى ذلك: أن طريقتهم الفريدة في تعلم القرآن والعمل به لها الأثر الكبير في معرفة معانيه، فقد كانوا يقترئون من رسول الله [^] عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما فيهن من العلم والعمل (٢).

و من الشواهد الدالة على تمكنهم في تفسير القرآن وبيان معانيه:

• قول علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (سلوني عن كتاب الله؛ فإنه ليس من آية إلا وقد عرفتُ بليل نزلت أم بنهار، في سهل أم في جبل) (٣).

• قول عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٤): (والذي لا إله غيره ما من كتاب الله

(١) نخبة الفكر (١/٢٣٠).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده - باقي مسند الأنصار - حديث رجل من أصحاب النبي [^] (٤٦٤/٤٧) برقم ٢٢٣٨٤، والحاكم في المستدرک - كتاب فضائل القرآن - باب أخبار في فضائل القرآن جملة (١/٧٤٣) برقم ٢٠٤٧.

(٣) طبقات ابن سعد (٢/٣٣٨).

(٤) عبد الله بن مسعود: بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن: من أكابر الصحابة من أهل مكة، أول من جهر بقراءة القرآن بمكة. وكان خادماً رسول الله الأمين، وصاحب سره، ورفيقه في حله وترحاله وغزواته، يدخل عليه كل وقت ويمشي معه. ولي بعد وفاة النبي [^] بيت مال الكوفة ثم قدم المدينة في خلافة عثمان، فتوفي فيها عن نحو ستين عاماً. وكان يحب الإكثار من التطيب. فإذا خرج من بيته عرف جيران الطريق أنه مرَّ

سورة إلا أنا أعلم حيث نزلت، وما من آية إلا وأنا أعلم فيم نزلت، ولو أعلم أحداً هو أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لركبتُ إليه (١).

• أن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٢) كان يلقب بـ (ترجمان القرآن) يقول ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فيه: (نعم ترجمان القرآن ابن عباس (٣)، وهذا الأعمش (٤) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: (خطب ابن عباس وهو على الموسم (٥)، فجعل يقرأ ويفسر، فجعلتُ أقول: لو سمعته فارس (٦)

من طيب رايحه. ت: ٣٢ هـ. انظر: الإصابة (١٧١/٢) الأعلام (١٣٧/٤).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وأمه (٢٣٠/١٢) برقم ٤٥٠٣.

(٢) عبد الله بن عباس: بن عبد المطلب القرشي الهاشمي: ابن عم رسول الله [^]، صحابي جليل، حبر الأمة، لازم رسول الله [^]، ودعا له النبي [^] بقوله: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل». له في الصحيحين وغيرهما ١٦٦٠ حديثاً. قال عطاء: كان ناس يأتون ابن عباس في الشعر والأنساب، وناس يأتونه لأيام العرب ووقائعهم، وناس يأتونه للفقه والعلم، فما منهم صنف إلا يقبل عليهم بما يشاؤون. ينسب إليه كتاب في تفسير القرآن جمعه بعض أهل العلم من مرويات المفسرين عنه، وأخباره كثيرة. ت: ٦٨ هـ. انظر: الإصابة (١٣٠/٢) الأعلام (٩٥/٤).

(٣) الإصابة في معرفة الصحابة (١٤٤/٢).

(٤) الأعمش: سليمان بن مهران الأسدي بالولاء، أبو محمد الملقب بالأعمش: تابعي، أصله من بلاد الري، ومنشأه ووفاته في الكوفة. كان عالماً بالقرآن والحديث والفرائض، يروي نحو ١٣٠٠ حديث، قال الذهبي: كان رأساً في العلم النافع والعمل الصالح، ومع جلالته في العلم والفضل صاحب ملح ومزاح. قال أبو حفص الفلاس: كان يُسمّى المصحف من صدقه. ت: ١٤٨ هـ. انظر: الوافي بالوفيات (١٤١/٥) الأعلام (١٣٥/٣).

(٥) أي: موسم الحج.

(٦) فارس: وتسمى الآن (إيران) تقع شمال شرق شبه الجزيرة العربية، تأسست الإمبراطورية الفارسية في القرن السادس قبل الميلاد، وتعتبر دولة الفرس من أعظم الدول التي سادت المنطقة قبل الإسلام، وكانت الديانة الرسمية لهم قبل الفتح الإسلامي هي المجوسية، أما الآن فيشكل المسلمون معظم السكان وهناك أقليات دينية أخرى من بينها: البهائيين، الزرداشتيين، اليهود، والمسيحيين. إضافة لعرقيات مختلفة كالأكراد والتركمانيين والبلوشو الأرمن والعرب وغيرهم. انظر: المسالك والممالك ص ١٠٠ - الموسوعة الحرة ويكيبيديا - الأحد

فإذا رأوا شيئاً مما قالوا قد كان صدقوهم بكل ما جاؤوا به من كذبهم (١).

(٢) وقوله في تفسير قول الله تعالى: ﴿ h g f e d ﴾ الحجر: ٤١:

قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: معناه هذا صراطٌ يستقيم بصاحبه حتى يهجم به على الجنة (٢).

(٣) وقوله في تفسير قول الله تعالى: ﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٣٦) ! " # \$ % & ' () *
+ , - . / 0 1 2 3 4 5 6 النحل: ٢٦-٢٧:

(﴿ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ قال ابن عباس: يعني البعوضة التي

أهلك الله بها نمروداً (٣) ﴿ / O قال ابن عباس: أي الملائكة (٤).



(١) تفسير القرطبي (١٢/١٨٩) وقول ابن عباس أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/٧٨).

(٢) تفسير القرطبي (١٢/٢١٢) أورده البغوي في تفسيره (٣/٥٩).

(٣) نمرود بن كوش بن كنعان بن حام ابن نوح، كان ملكاً جباراً كافراً في أرض بابل في عهد إبراهيم عليه السلام، ويقال: لم يجتمع الناس على ملكٍ واحد إلا على ثلاثة ملوك: نمرود بن أرغوا، وذي القرنين، وسليمان بن داود. وروي إن أول جبار كان في الأرض نمرود، وهو الذي قال لإبراهيم عليه السلام: "أنا أحبي وأميت" فعذبه الله ببعوضة دخلت في منخره، فمكث أربعمئة سنة يُضرب رأسه بالمطارق، وكان جباراً أربعمئة عام فعذبه الله أربعمئة سنة كملكه ثم أماته. انظر: تاريخ الرسل والملوك (١/٢٠٧).

(٤) تفسير القرطبي (١٢/٣١٥) والأثر أورده ابن الجوزي في زاد المسير (٤/٨٩).

الأمر الرابع: تفسيره القرآن بأقوال التابعين:

التابعون:

جمع تابعي، وهو من لقي الصحابة من المسلمين حال إسلامه، وليس منهم (١). فهم عاشوا في فترة القرون المفضلة التي تعتبر العصور الذهبية في تاريخ الأمة علماً وعملاً، وذلك لقربهم من عصر النبوة المبارك، تلك العصور التي صفت كثيراً عن من بعدهم من أهل الأهواء، وكثر فيها أهل العلم والصلاح، ويكفي في ذلك قول النبي ﷺ: «خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» (٢).

والتفسير المأثور عن التابعي إما أن يكون رواه عن الصحابة، وإما أن يكون من اجتهاده ورأيه، والمقصود هنا هو ما قاله باجتهاده ورأيه.

فقد كانوا أصحاب فهم وبصيرة بكتاب الله؛ إذ تلقوا العلم على أيدي صحابة رسول الله ﷺ، وعاشوا في عصر الاحتجاج اللغوي فلم تعرف ألسنتهم العجمة، وهذه الأسباب كفيلة بأن تكون أقوالهم في التفسير ذات قيمة علمية عالية.

ولهذه القيمة العلمية اهتم المفسرون بإيراد أقوالهم في التفسير، ومنهم القرطبي رحمه الله في كتابه الجامع؛ حيث لا يكاد يخلو تفسير جملة من الآيات إلا وضمَّن لها قولاً أو أكثر من أقوال التابعين رحمهم الله، الأمر الذي رفع من أهمية هذا الكتاب.

و من شواهد عناية القرطبي رحمه الله بأقوال التابعين في تفسيره:

١- قوله عند تفسير قول الله تعالى: ﴿جاءت السحابة﴾

q r s t ﴿الحجر: ٤٢﴾

(١) معجم مصطلحات المحدثين ص ٢٣٠

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الشهادات - باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد (١٣٢/٩) برقم

قال ابن عيينة^(١): أي في أن يلقيهم في ذنب يمنعهم عفوي ويضيقه عليهم، وهؤلاء الذين هداهم الله واجتباهم واختارهم واصطفاهم^(٢).

٢- وقوله عند تفسير قول الله تعالى: ﴿السَّاعَةَ لَأُنِيقُهَا فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ الحجر: ٨٥:

(والصفح: الإعراض؛ عن الحسن^(٣) وغيره)^(٤).

٣- وقوله عند تفسير قول الله تعالى: ﴿Z Y X﴾ [Z Y X] ﴿النحل: ١:

و ﴿Z Y﴾ عقابه لمن أقام على الشرك وتكذيب رسوله؛ قاله الحسن وابن جريج^(٥)^(٦).



(١) ابن عيينة: سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد: محدث الحرم المكي في القرن الثاني، من الموالي. كان حافظاً ثقة، واسع العلم كبير القدر، قال الشافعي: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز، له (الجامع) في الحديث، وكتاب في التفسير. ت: ١٩٨ هـ. انظر: حلية الأولياء (٧/٢٧٠) الأعلام (٣/١٠٥).

(٢) تفسير القرطبي (١٢/٢١٣) والأثر أورده البغوي في معالم التنزيل (٤/٣٨٢).

(٣) الحسن بن يسار البصري: أبو سعيد، تابعي، كان إمام أهل البصرة، وأحد العلماء الفقهاء النُّسَّاك. وكان أبوه مولى لبعض الأنصار، شبَّ في كنف علي بن أبي طالب، وسكن البصرة، وعظمت هيئته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم لا يخاف في الحق لومة لائم. قال الغزالي: (كان الحسن البصري أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء، وأقربهم هدياً من الصحابة). أخباره كثيرة، وله كلمات سائرة. ت: ١١٠ هـ. انظر: طبقات ابن سعد (٧/١٥٦) الأعلام (٢/٢٢٥).

(٤) تفسير القرطبي (١٢/٢٥٠) والأثر أورده الماوردي في النكت والعيون (٣/١٧٠).

(٥) ابن جريج: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج: فقيه الحرم المكي. كان إمام أهل الحجاز في عصره. وهو أول من صنف التصانيف في العلم بمكة. رومي الأصل، من موالي قريش. قال الذهبي: كان ثبناً، لكنه يدلّس. ت: ١٥٠ هـ. انظر: صفة الصفوة (١/٢٢٥) الأعلام (٤/١٦٠).

(٦) تفسير القرطبي (١٢/٢٦٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/١٥٨).

الأمر الخامس: عنايته بأسباب النزول:

سبب النزول:

هو ما نزلت الآية أيام وقوعه (١).

قال شيخ الإسلام: (معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب) (٢).

وقال الإمام السيوطي (٣): (وقد أشكل على جماعة من السلف معاني آيات حتى وقفوا على أسباب نزولها فزال عنهم الإشكال) (٤).

اعتنى المفسرون بإيراد أسباب النزول ضمن تفاسيرهم، ومنهم من أفرد لها في مؤلفٍ خاص (٥)، وما ذاك إلا لمنزلتها من التفسير، إذ هي بابٌ من أبواب فهم معنى الآية.

و قد كان إمامنا القرطبي رحمته الله يورد في تفسيره أسباب النزول، وكان لا يخرج عن

(١) الإتيان في علوم القرآن (٢٠٨/١).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٣٩/١٣).

(٣) السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، جلال الدين: إمام حافظ مؤرخ أديب. له نحو ٦٠٠ مصنف. نشأ في القاهرة يتيماً، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وخلا بنفسه فألف أكثر كتبه. من كتبه (الإتيان) في علوم القرآن و(الأشباه والنظائر) في العربية، و(الألفية) في مصطلح الحديث و(الألفية) في النحو واسمها (الفريدة) وله شرح عليها، و(بغية الوعاة) في طبقات اللغويين والنحاة و(تاريخ أسيوط) وكان أبوه من سكانها، و(الدر المنثور) في التفسير بالمأثور و(جمع الجوامع، ويعرف بالجامع الكبير) في الحديث في ستة أجزاء، وغيرها. ت: ٩١١ هـ. انظر: النور السافر عن أخبار القرن العاشر (٢٩/١) الأعلام (٣٠١/٣).

(٤) لباب النقول (١٣/١).

(٥) قال السيوطي: (أفرده بالتصنيف جماعة، أقدمهم: علي بن المديني شيخ البخاري، ومن أشهرها: كتاب الواحدي على ما فيه من إعواز، وقد اختصره الجعبري فحذف أسانيده ولم يزد عليه شيئاً، وألف فيه شيخ الإسلام أبو الفضل بن حجر كتاباً مات عنه مسودة فلم نقف عليه كاملاً، وقد ألفت فيه كتاباً حافلاً موجزاً محرراً لم يؤلف مثله في هذا النوع سميته لباب النقول في أسباب النزول) الإتيان (٨٧/١).

أقوال الصحابة والتابعين في السبب إذا اتفقت، أما إذا اختلفت فإنه يجمع بينها إن أمكن أو يرجح أحدها بالأدلة والقرائن المحتمة به، وربما خرج على أقوال الفريقين (١).

و دليلاً على اهتمامه بذكر أسباب النزول والتفسير بمقتضاها أورد الشواهد الآتية:

١- قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ 3 21 0 / . الحجر: ٩٤:

(أي: بلغ رسالة الله جميع الخلق لتقوم الحجة عليهم.... ﴿ 3 21 ﴾ أي:

عن الاهتمام باستهزائهم وعن المبالاة بقولهم، فقد برأك الله عما يقولون.... وقال

عبد الله بن عبيد (٢): ما زال النبي [^] مستخفياً حتى نزل قوله تعالى: ﴿ . /

﴿ O ﴾ فخرج هو وأصحابه (٣).... والمعنى: اصدع بما تؤمر ولا تحف غير الله، فإن الله

كافيك من أذاك كما كفاك المستهزئين، وكانوا خمسة من رؤساء أهل مكة.... (٤).

٢- و قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ z y xiv u t s ﴾

﴿ ~ وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ النحل: ٣٨:

﴿ v u t s ﴾ هذا تعجيب من صنعهم، إذ أقسموا بالله وبالغوا

في تغليظ اليمين بأن الله لا يبعث من يموت. ووجه التعجيب: أنهم يُظهرون تعظيم الله

فيقسمون به ثم يُعجزونه عن بعث الأموات. وقال أبو العالية (٥): كان لرجل من

(١) انظر: القرطبي ومنهجه في التفسير ص ٢٠٤.

(٢) عبد الله بن عبيد بن عمير بن قتادة الليثي: تابعي، من أفصح الناس بمكة، ذكره ابن حبان في الثقات وقال

كان مستجاب الدعوة، كان ثقة صالحاً له أحاديث، ت: ١١٣ هـ. انظر: طبقات ابن سعد (٤٧٤/٥) تهذيب

التهذيب (٢٦٩/٥).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤٣/١٤).

(٤) تفسير القرطبي (٢٦٠/١٢).

(٥) أبو العالية: رفيع بن مهران الرياحي البصري، من كبار التابعين، أسلم بعد وفاة النبي [^] بستين وصلى خلف

عمر، أخذ القرآن عرضاً عن أبي بكر بن كعب وزيد بن ثابت وابن عباس رضي الله عنهم، قال أبو بكر بن

أبي إدريس: ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبي العالية وبعده سعيد بن جبير وبعده السدي وبعده

المسلمين على مشرك دين فتقاضاه، وكان في بعض كلامه: والذي أرجوه بعد الموت إنه لكذا، فأقسم المشرك بالله: لا يبعث الله من يموت، فنزلت الآية^(١).

٣- وقال في تفسير قول الله تعالى: ﴿ 98 : > = < : ؟ ﴾

النحل: ٥٧:

(نزلت في خزاعة^(٢) وكنانة^(٣))، فإنهم زعموا أن الملائكة بنات الله، فكانوا يقولون: ألحقوا البنات بالبنات^(٤).



سفيان الثوري. ت: ٩٠ هـ. انظر: معرفة القراء الكبار (٦٠/١) طبقات الحفاظ (٣/١).

(١) تفسير القرطبي (٣٢٤/١٢) والأثر أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠٣/١٧).

(٢) خزاعة: قبيلة من الأزد من القحطانية، كانوا بأنحاء مكة في مَرَّ الظهران وما يليه من الأبواء. ولها بطون كثيرة. كانت لهم ولاية الكعبة قبل قريش، في بني كعب بن عمرو بن لحي، فرغبت قيس بن عيلان في البيت وانتزعه منهم بعد قتال طويل. كانوا يحيطون بعلم العرب العاربة، والفراعين العتاهية، وأخبار أهل الكتاب، وكانوا يدخلون البلاد للتجارة فيعرفون أخبار الناس. انظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة (١/٣٣٨).

(٣) كنانة: قبيلة عظيمة، من العدنانية، وهم: بنو كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. كانت ديارهم بجهات مكة، وتنقسم إلى عدة بطون، منها: قريش، عبد مناة، بنو مالك، بنو الليث، بنو ضمرة، بنو فراس بن غنم. من أشهر أيامهم: يوم الفجار الأول والثاني والثالث، فأما الأول فكان بينهم وبين عجز هوازن بسوق عكاظ، واليوم الثاني كان بسبب فتیان من غزية قريش وكنانة؛ وأما امرأة وضيئة من بني عامر بن صعصعة بسوق عكاظ، فسألوها أن تسفر لهم فأبت، فخل أحدهم ذيلها إلى ظهر درعها بشوكة، فلما قامت انكشفت. فقالوا: منعتنا رؤية وجهك وأريتينا دبرك، فصاحت بقومها، وجرت بين الفريقين دماء يسيرة وأما اليوم الثالث، فكان بسبب دين كان لأحد بني نصر على أحد كنانة. انظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة (٣/٩٩٦).

(٤) تفسير القرطبي (٣٣٩/١٢).

الأمر السادس: موقفه من الإسرائيليات:

الإسرائيليات:

جمع إسرائيلية، وهي الروايات والقصاص المنقولة عن أهل الكتاب، وغالبها من جهة اليهود^(١).

وقد كان من آثار تساهل بعض المفسرين والأخباريين في نقل الروايات الدخيلة على الإسلام في كتبهم أن راجت سوق الإسرائيليات وانتشرت في كتب العلوم: كالتفسير والتاريخ والوعظ وغيرها، كما انتشرت على ألسنة الناس وأذاعوها، فكانت بلاءً على الإسلام والمسلمين، وثغرةً للمرجفين والمنافقين.

وكان لشيخنا القرطبي رحمته الله موقفٌ محمود، حيث صان كتابه عن الإكثار من ذكر الإسرائيليات، فإن ذكّر بعضها مما يخلّ بعصمة الأنبياء أو يخلّ بالاعتقاد فإنه يكرّ عليها بالإبطال ويبين ضعفها، إما بنقدها أو بإيراد أقوال من أبطالها من العلماء^(٢).

وبالبحث في القسم المخصص للدراسة التطبيقية في هذه الرسالة لم أجد سوى شاهدٍ واحدٍ من ما قد يدخل ضمن الإسرائيليات:

فقد قال عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا

طَرِيًّا ۗ ۝ ١٤ ۝ النحل: ١٤:

(فالحلية حق، وهي نحلة الله تعالى لآدم وولده، خلّق آدم وتوّج وكُلّل بإكليل الجنة، وختم بالخاتم الذي ورثه عنه سليمان بن داود صلوات الله عليهم، وكان يقال له: خاتم

(١) انظر: الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير ص ٧١ وما بعدها.

(٢) انظر: الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير ص ١٢٥

== ترجيحات القرطبي في التفسير من سورة الحجر إلى آية (٨٠) من سورة النحل == ٨٢ -

العز، فيما روي (١).

فخلو هذه القطعة من تفسيره من إيراد الإسرائيليات - مع كون غالب سورة الحجر في قصص الأنبياء؛ يُعدُّ دليلٌ كافٍ في إعراض القرطبي عن إيرادها وعدم اهتمامه بها.



(١) تفسير القرطبي (٢٩٨/١٢).

المطلب الثاني - موقفه من التفسير بالرأي^(١)

وفيه أربعة أمور:

الأمر الأول: تفسيره القرآن باللغة، وعنايته بالإعراب:

تفسير القرآن باللغة:

أي بلغة العرب؛ إذ نزل القرآن بلُغَتِهِم واعتمد أساليبهم في الخطاب^(٢). قال الإمام مالك رحمته الله: (لا أوتى برجلٍ يفسّر كلام الله وهو لا يعرف لغة العرب إلا جعلته نكالا)^(٣).

وقال أبو بكر بن الأنباري^(٤): (جاء عن النبي [^] وعن أصحابه وتابعيهم - رضوان الله عليهم - من تفضيل إعراب القرآن والحث على تعليمه وذم اللحن وكراهيته ما وجب به على قراء القرآن أن يأخذوا به أنفسهم بالاجتهاد في تعلمه)^(٥).

(١) التفسير بالرأي: يُقصد به الرأي المحمود، وهو بيان معنى القرآن بالاجتهاد مستنداً إلى النقل الصحيح أو اللغة، وخلافه الرأي المذموم: وهو القول في القرآن بجهل أو هوى. انظر: مناهل العرفان (٤٩/٢) ويُنظر أيضاً: فصول في أصول التفسير ص ٤٧ وما بعدها، والقرطبي رحمته الله - وهو من أهل السنة - يميز الأول ويمنع الثاني فقد قال في مقدمة تفسيره: (فإن من قال فيه بما سنع في وهمه وخطر على باله من غير استدلال عليه بالأصول فهو مخطئ، وإن من استنبط معناه بحمله على الأصول المحكمة المتفق على معناها فهو ممدوح) تفسير القرطبي - المقدمة - باب ما جاء من الوعيد في تفسير القرآن بالرأي والجرأة على ذلك (٥٨/١).

(٢) فصول في أصول التفسير ص ٤٣

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان - باب تعظيم القرآن - فصل في ترك التفسير بالظن (٥٤٣/٣) برقم ٢٠٩٠

(٤) ابن الأنباري: محمد بن القاسم بن محمد، أبو بكر: من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة، ومن أكثر الناس حفظاً للشعر والأخبار، قيل له: قد أكثر الناس من محفوظاتك فكم تحفظ؟ فقال: أحفظ ثلاثة عشر صندوقاً. كان صدوقاً ثقة ديناً خيراً من أهل السنة، صنف كتباً كثيرة في علوم القرآن وغريب الحديث والمشكل والوقف والابتداء والرد على من خالف مصحف العامة، وكان يتردد إلى أولاد الخليفة الراضي بالله، يعلمهم. ت: ٣٢٨هـ. انظر: وفيات الأعيان (٤/٣٤١) الأعلام (٦/٣٣٤).

(٥) إيضاح الوقف والابتداء (١/١٤)، ثم أورد بعد كلامه هذا أحاديث مرفوعة وجميعها ضعيفة.

وقد نصّ الله تعالى على وصف كتابه بأنه عربيّ في عدة مواضع، وإذا كان الأمر كذلك فإنه لا يمكن العدول عن هذه اللغة التي نزل بها القرآن - عند إرادة تفسير آياته - إلى غيرها؛ لأن معرفة معاني ألفاظه لا تُؤخذ إلا منها^(١).

اهتم الإمام القرطبي رحمته الله في تفسيره ببيان معاني الألفاظ في لغة العرب، وإرجاعها إلى أصولها واشتقاقاتها، وإيراد أقوال أهل اللغة والاحتجاج بها، وبيان الإعراب وتعلقه بالمعنى.

كما حث على طلب معاني ألفاظ القرآن، حيث عقد ضمن مقدمة التفسير باب (ما جاء في إعراب القرآن وتعليمه والحث عليه، وثواب من قرأ القرآن معرباً)^(٢).

و من شواهد عنايته بالتفسير اللغوي وبيان الإعراب:

١ - قوله عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ h g f e d c ﴾

الحجر: ٨٢:

(النحت في كلام العرب: البرّي والنّجر، نَحْتَه يَنْحِتُهُ - بالكسر - نَحْتًا: أي بَرَاه. والنّحاتة: البرّاية. والمنحِتُ: ما يُنحِتُ به^(٣). وفي التنزيل ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾ الصافات: ٩٥ أي: تَنْجُرُونَ وتصنعون. فكانوا يتخذون من الجبال بيوتاً لأنفسهم بشدة قوتهم^(٤)).

٢ - قوله عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ 3 2 1 0 / . ﴾

الحجر: ٩٤:

(والصّدُعُ: الشَّقُّ. وَتَصَدَّعَ القوم: أي تفرّقوا، ومنه ﴿ @ ﴾ A الروم:

(١) انظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم ص ٤٠

(٢) تفسير القرطبي (٢٣/١).

(٣) انظر: الصحاح - مادة نَحَتَ (٢/٢٩٠).

(٤) تفسير القرطبي (١٢/٢٤٩).

== ترجيحات القرطبي في التفسير من سورة الحجر إلى آية (٨٠) من سورة النحل == ٨٥ -

٤٣ أي: يتفرقون. وصدعته فانصدع: أي انشق. وأصل الصدع: الفرق والشق... فقوله:

﴿ / ٥ ﴾ قال الفراء: أراد فاصدع بالأمر، أي أظهر دينك^(١).

٣- قوله عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ ١ ٢ ٣ ٤ ﴾

٥ ٩٨٧ :﴿ النحل: ٨:

(قوله تعالى ﴿ ٥ ﴾ منصوب بإضمار فعل؛ المعنى: وجعلها زينةً. وقيل: هو

مفعول من أجله)^(٢).



(١) تفسير القرطبي (١٢/٢٦٠).

(٢) تفسير القرطبي (١٢/٢٨٧).

الأمر الثاني: عنايته بالأحكام الفقهية:

اشتهر تفسير القرطبي رحمه الله بالتفصيل في آيات الأحكام، والعناية بالمسائل الفقهية.

ولعل عنوان الكتاب يشير إلى ذلك من الوهلة الأولى، فقد اختار أن يسميه:
(الجامع لأحكام القرآن)

و يعدّ هذا التفسير - بحق - من أفضل التفاسير الفقهية؛ لمراعاته الدليل وعدم التعصب أو التحيز لمذهبه المالكي، بل يسير مع النص حتى يصل إلى ما يراه أنه الحق. وهذا التجرد منه رحمه الله زاد من قيمة الكتاب العلمية، ويضاف إليه إنصافه لمخالفيه وعدم تجريح رأي أحد منهم.

ونرى أنه كان يعتني بإيراد أقوال الإمام مالك وبعض فقهاء مذهبه ويفاضل بينها ويختار منها، إلا أنه لا يقتصر - في كثير من الأحيان - على الفقه المالكي؛ بل يضم إليه آراء المذاهب الأخرى وأدلتها، وهذه الطريقة أشبه ما تكون بالفقه المقارن^(١).
ومما يلاحظ: أنه يستطرد في ذكر الأحكام الفقهية المتعلقة بالآية استطراداً مطناً - في كثير من الأحيان - ويناقش قضايا فرعية للمسألة.

(١) الفقه المقارن: علم يبحث فيما اختلف فيه أهل العلم من الأحكام، بجمع أقوال الفقهاء في المسألة الواحدة، مع أدلتها ومقابلة بعضها ببعض، ثم مناقشتها لمعرفة أقوى الأقوال دليلاً وأقربه لقواعد الشريعة، للوصول إلى حكم الله في المسألة، وكان يسمى قديماً بعلم الخلافات. انظر: مسائل في الفقه المقارن ص ٩ وما بعدها.
وانتقد الشيخ بكر أبو زيد رحمة الله هذا المصطلح بقوله: (اصطلاح حقوقي وافد يُراد به: مقارنة فقه شريعة رب الأرض والسماء بالفقه الوضعي المصنوع المختلق الموضوع من آراء البشر وأفكارهم.
وهو مع هذا لا يساعد عليه الوضع اللغوي للفظ (قارن) إذ المقارنة هي المصاحبة، فليست على ما يريده منها الحقوقيون من أنها بمعنى (فاضل) التي تكون وازن، إذ الموازنة بين الأمرين: الترجيح بينهما، أو بمعنى (وازن) لفظاً ومعنى. أو بمعنى (قايس) إذ المقايسة بين الأمرين: التقدير بينهما). انظر: معجم المناهي اللفظية ص ٤٢٠

و من المواضع الشاهدة بهذه العناية من القرطبي رحمته الله:

١ - قوله في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا

مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ۗ وَتَرَكَ الْفُلْكَ مَوَآخِرَ فِيهِ
وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ النحل: ١٤:

(فيه تسع مسائل: الأولى - قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ ﴾ تسخير البحر هو تمكين البشر من التصرف فيه وتذليله بالركوب والإرفاء وغيره، وهذه نعمة من نعم الله علينا، فلو شاء سلطه علينا وأغرقنا).

ثم استطرده من منطلق قوله ﴿ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ إلى مسألة فرعية، وهي أجناس اللحوم وأحكامها فقال:

(سماه هنا لحماً، واللحوم عند مالك ثلاثة أجناس: فلهم ذوات الأربع جنس، ولحم ذوات الريش جنس، ولحم ذوات الماء جنس، فلا يجوز بيع الجنس من جنسه متفاضلاً....)(١).

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ۗ وَتَرَكَ الْفُلْكَ مَوَآخِرَ فِيهِ ۗ ﴾ يقول:

(يعني به اللؤلؤ والمرجان، لقوله تعالى: ﴿ ۗ وَتَرَكَ الْفُلْكَ مَوَآخِرَ فِيهِ ۗ ﴾ الرحمن: ٢٢، إخراج الحلية إنما هي فيما عرف من الملح فقط.....)

ثم استطرده منه إلى بيان أحكام لبس الذهب والحرير للرجال، فقال:

(الخامسة - امتن الله سبحانه على الرجال والنساء امتناناً عاماً بما يخرج من البحر، فلا يحرم عليهم شيء منه، وإنما حرم الله تعالى على الرجال الذهب والحرير....)(٢).

٢ - وقوله عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ ۗ وَتَرَكَ الْفُلْكَ مَوَآخِرَ فِيهِ ۗ ﴾ ٦ ٥ ٤ ٣

(١) تفسير القرطبي (١٢/٢٩٥).

(٢) تفسير القرطبي (١٢/٢٩٥ وما بعدها).

(تضمنت هذه الآية جواز الانتفاع بالأصواف والأوبار والأشعار على كل حال، ولذلك قال أصحابنا: صوف الميتة وشعرها طاهر يجوز الانتفاع به على كل حال.... لأنه مما لا يجله الموت، سواء كان شعر ما يؤكل لحمه أو لا، كشعر ابن آدم والخنزير، فإنه طاهر كله، وبه قال أبو حنيفة^(١)، ولكنه زاد علينا فقال: القرن والسن والعظم مثل الشعر، قال: لأن هذه الأشياء كلها لا روح فيها لا تنجس بموت الحيوان. وقال الحسن البصري والليث بن سعد^(٢) والأوزاعي^(٣): إن الشعور كلها نجسة ولكنها تطهر بالغسل. وعن الشافعي^(٤) ثلاث روايات: الأولى - طاهرة لا تنجس بالموت. الثانية -

(١) أبو حنيفة: النعمان بن ثابت، الكوفي: إمام الحنفية، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. ولد ونشأ بالكوفة. أراد عمر بن هبيرة - أمير العراقيين - على القضاء فامتنع ورعاً. وأزاده المنصور العباسي بعد ذلك على القضاء ببغداد فأبى، فحلف عليه ليفعلن فحلف أبو حنيفة أنه لا يفعل، فحبسه إلى أن مات. كان قويّ الحجة، حسن المنطق والصورة، إذا حدث انطلق في القول، وعن الإمام الشافعي: (الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة). له: مسند مطبوع في الحديث، جمعه تلاميذه، وتنسب إليه رسالة الفقه الأكبر، ولم تصح النسبة. وأخباره كثيرة. ت: ١٥٠ هـ. انظر: طبقات الفقهاء (٨٦/١) الأعلام (٣٦/٨).

(٢) الليث بن سعد: من التابعين، إمام أهل مصر في عصره حديثاً وفقهاً، أصله من خراسان ووفاته في القاهرة. وكان من الكرماء الأجواد. قال الإمام الشافعي: الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به. أخباره كثيرة، وله تصانيف. ت: ١٧٥ هـ. انظر: وفيات الأعيان (١٢٧/٤) الأعلام (٢٤٨/٥).

(٣) الأوزاعي: عبد الرحمن بن عمرو بن يحمّد الأوزاعي، أبو عمرو: إمام الديار الشامية في الفقه والزهد، وأحد الكتاب المترسلين. سكن بيروت وتوفي بها. أفتى وعمره ثلاث عشرة سنة. عرض عليه القضاء فامتنع. قال صالح بن يحيى في تاريخ بيروت: (كان الأوزاعي عظيم الشأن بالشام، وكان أمره فيهم أعز من أمر السلطان، وقد جعلت له كتاب يتضمن ترجمته). له كتاب (السنن) في الفقه، والمسائل) ويقدر ما سئل عنه بسبعين ألف مسألة أجاب عليها كلها. ت: ١٥٧ هـ. انظر: طبقات الفقهاء (٧٦/١) الأعلام (٣٢٠/٣).

(٤) الشافعي: محمد بن إدريس الهاشمي القرشي، أبو عبد الله: أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه نسبة الشافعية. ولد في غزة بفلسطين، وحمل منها إلى مكة وهو ابن ستين. وقصد مصر وتوفي بها. كان من أحذق قريش بالرمي، يصيب من العشرة عشرة، كما برع في الشعر واللغة وأيام العرب، ثم أقبل على الفقه والحديث،

تنجس. الثالثة - الفرق بين شعر ابن آدم وغيره؛ فشعر ابن آدم طاهر وما عداه نجس. ودليلنا عموم قوله تعالى: ﴿ 3 4 ﴾ الآية. فمنّ علينا بأن جعل لنا الانتفاع بها، ولم يخصّ شعر الميتة من المذكاة، فهو عموم إلا أن يمنع منه دليل. وأيضا فإن الأصل كونها طاهرة قبل الموت بإجماع، فمن زعم أنه انتقل إلى نجاسة فعليه الدليل (١).



وأفتى وهو ابن عشرين سنة. وكان ذكيا مفرداً. له تصانيف كثيرة، أشهرها كتاب (الأم) في الفقه سبع مجلدات، (المسند) في الحديث، و(أحكام القرآن) و(السنن) و(الرسالة) في أصول الفقه. ت: ٢٠٤ هـ. انظر: تذكرة الحفاظ (١/٢٦٥) الأعلام (٦/٢٦). (١) تفسير القرطبي (١٢/٣٩٤ وما بعدها).

الأمر الثالث: عنايته بتوجيه القراءات:

إن تعدد القراءات القرآنية في الآية يثير معاني جديدة للفظ، ويكثر المعاني في الآية الواحدة، ولهذا اعتنى ببيان القراءات وتوجيهها المفسرون، ومنهم إمامنا القرطبي رحمته الله الذي أدرك أهمية هذا العلم فطلبه في شبابه، وقرأ القراءات السبع على يد شيخه ابن أبي حجة في قرطبة، وكان من منهجيته التي وضع عليها تفسيره تضمينه نكتاً من القراءات فقال:

(....يتضمن نكتاً من التفسير واللغات والإعراب والقراءات....) فوقى بما قال، فلا تجد آية لها أكثر من وجه في القراءة إلا ذكره وما دلّ عليه من المعاني.
ولما كتب مقدمات لتفسيره جعل إحدى تلك المقدمات في بيان معنى الأحرف السبعة فقال: (باب معنى قول النبي ^أ: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه» (١)(٢).

و غالب طريقته في بيان القراءات الواردة في الآية:

أنه يستقصي القراءات في الكلمة القرآنية، ثم ينسب كل قراءة إلى قارئها، ثم يبين درجة القراءة من حيث التواتر والشذوذ، ثم يوجه القراءات خصوصاً إن كان لها علاقة بالمسائل الفقهية^(٣).

و من المواضع الدالة على عناية القرطبي ببيان القراءات وتوجيهها:

١ - قال عند تفسير قول الله تعالى: ﴿

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب فضائل القرآن - باب أنزل القرآن على سبعة أحرف (٣٩٢/١٥) برقم

٤٦٠٨

(٢) تفسير القرطبي (٧١/١).

(٣) انظر: منهج القرطبي في تفسير آيات الأحكام في كتابه الجامع لأحكام القرآن - دراسة تحليلية، عامر بن عيسى

اللهو، ص ١٣.

^ _ ` ba c ﴿الحجر: ٢٢﴾

(قوله تعالى: ﴿Z Y X﴾ قراءة العامة: "الرياح" بالجمع. وقرأ حمزة (١) بالتوحيد؛ لأن معنى الريح الجمع أيضاً وإن كان لفظها لفظ الواحد، كما يقال: جاءت الريح من كل جانب.... وأما وجه قراءة العامة: فلأن الله تعالى نعتها بـ "لواقح" وهي جمع، ومعنى "لواقح": حوامل، لأنها تحمل الماء والتراب والسحاب والخير والنفع (٢).

٢- وقال عند تفسير قول الله تعالى ﴿j i hg f ed c b﴾

k l m n o p q r ﴿النحل: ٤٨﴾

(قرأ حمزة والكسائي (٣) وخلف (٤) ويحيى (٥) والأعمش "تروا" بالتاء، على أن

(١) حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل التيمي، الزيّات: كوفي، أحد القراء السبعة، كان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان، أدرك الصحابة بالسنن فيحتمل أن يكون رأى بعضهم، كان إماماً حجةً ثقةً ثبتاً، بصيراً بالفرائض عارفاً بالعربية عابداً خاشعاً، وكان شيخه الأعمش إذا رآه أقبل يقول (هذا حبر القرآن) انعقد الإجماع على تلقي قراءته بالقبول. ت: ١٥٦ هـ. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء ص ١١٥، الأعلام (٢/ ٢٧٧).

(٢) تفسير القرطبي (١٢/ ١٩٤).

(٣) الكسائي: علي بن حمزة الأسدي، أبو الحسن: الكوفي المقرئ النحوي، سئل عن نسبه فقال: أحرمت في كساء. أحد أئمة القراءات السبع، أخذ العربية عن الخليل بن أحمد، وخرج إلى البوادي فغاب مدة طويلة وكتب الكثير من اللغات والغريب عن الأعراب بنجد وتهامة. وهو مؤدب الرشيد العباسي وابنه الأمين، وأخبره مع علماء الأدب في عصره كثيرة. له تصانيف منها (معاني القرآن) و(الحروف) (ما يلحن فيه العوام). ت: ١٨٩ هـ. انظر: معرفة القراء الكبار (١/ ١٢٠) الأعلام (٤/ ٢٨٣).

(٤) خلف بن هشام بن ثعلب، أبو محمد الأسدي البزار: أحد القراء العشرة، وأحد الرواة عن حمزة، ابتدأ في الطلب وهو ابن ثلاث عشرة، كان ثقة كبيراً زاهداً عابداً عالماً، روي عنه أنه كان يكره أن يقال له البزار ويقول: ادعوني المقرئ، توفي وهو مختف من الجهمية سنة ٢٢٩ هـ. غاية النهاية في طبقات القراء (ص: ١٢٠) الأعلام (٢/ ٣١١).

(٥) يحيى بن مبارك اليزيدي، أبو محمد البصري: النحوي المقرئ. جود القرآن على أبي عمرو وحدث عنه، وله اختيار كان يقرئ به أيضاً خالف فيه أبا عمرو في أماكن يسيرة. اتصل بالرشيد وأدب المأمون، وكان ثقةً علامةً فصيحاً مفوهاً بارعاً في اللغات والآداب أخذ عن الخليل وغيره. وله عدة تصانيف منها: النوادر،

=

الخطاب لجميع الناس، الباقون بالياء خبراً عن الذين يمكرون السيئات(١).

٣- وقال عند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ

أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ ۖ جَرَّمَ أَنْ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ النحل: ٦٢:

(وقرأ نافع في رواية ورش (٢) "مفراطون" بكسر الراء وتخفيفها، وهي قراءة

عبد الله بن مسعود وابن عباس، ومعناه: مسرفون في الذنوب والمعصية، أي: أفرطوا

فيها. يقال: أفرط فلان على فلان إذا أربى عليه وقال له أكثر مما قال من الشر، وقرأ أبو

جعفر القارئ (٣) "مفراطون" بكسر الراء وتشديدها، أي مضيعون أمر الله، فهو من

التفريط في الواجب(٤).



المقصور، الشكل، نوادر اللغة. وله عدة أولاد علماء فضلاء أخذوا عنه. وله نظمٌ حسن. ت: ٢٠٢ هـ. انظر:

معرفة القراء الكبار (١ / ١٥١) غاية النهاية في طبقات القراء (٢ / ٣٧٥).

(١) تفسير القرطبي (١٢ / ٣٣٣).

(٢) ورش: عثمان بن سعيد المصري، أبو سعيد: المقرئ، أصله من القيروان، ومولده ووفاته بمصر، مولى آل

الزبير بن العوام، أحد راويي الإمام نافع، وهو الذي لقبه بورش لشدة بياضه، وإليه انتهت رئاسة الإقراء

بالديار المصرية في زمانه، وكان ثقة حجة في القراءة. ت: ١٩٧ هـ. انظر: معرفة القراء الكبار (١ / ١٥٢) غاية

النهاية (١ / ٢٢٤).

(٣) أبو جعفر: يزيد بن القعقاع المخزومي بالولاء، المدني: أحد القراء "العشرة" من التابعين، وكان إمام أهل

المدينة في القراءة وعرف بالقارئ. وكان من المفتين المجتهدين، قرأ القرآن على أبي هريرة وابن عباس رضي

الله عنهم عن قراءتهم على أبي بن كعب وصلى بآب عمر وحدث عن أبي هريرة وابن عباس وهو قليل

الحديث. ت: ١٣٢ هـ. معرفة القراء الكبار (١ / ٧٢) غاية النهاية (١ / ٤٤٦).

(٤) تفسير القرطبي (١٢ / ٣٤٦).

الأمر الرابع: عنايته بالاستنباط:

الاستنباط:

هو استخراج المعاني من النصوص بفَرْطِ الذهن وقوة القرينة (١).
اعتنى القرطبي رحمته الله باستخراج لطائف المعاني، وبَعَثَ جميل الفوائد، واستلال دقائق الأحكام من الآيات، وهذا ينم عن فكرٍ وقادٍ وتدبّرٍ في كلام الله تعالى.
قال رحمته الله في معرض حديثه عن القرآن:

(ثم جعل إلى العلماء بعد رسول الله [^] استنباط ما نبّه على معانيه، وأشار إلى أصوله ليتوصلوا بالاجتهاد فيه إلى علم المراد، فيمتازوا بذلك عن غيرهم، ويختصوا بثواب اجتهادهم. قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ ءَاوَلُوا بِكُفْرِهِمْ يَلْعَنُ اللَّهُ أُولَٰئِكَ﴾ المجادلة: ١١ فصار الكتاب أصلاً، والسنة له بياناً، واستنباط العلماء إيضاحاً وتبياناً) (٢).
و من المواضع الناطقة بعناية القرطبي رحمته الله بالاستنباط:

١ - قال في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا

بِمُخْرَجِينَ﴾ الحجر: ٤٨:

(بِمُخْرَجِينَ﴾ دليل على أن نعيم الجنة دائم لا يزول، وأن أهلها فيها باقون) (٣).

٢ - وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿! " # \$ % & ' (

) * + النحل: ١٥:

(قلت: وفي هذه الآية أدل دليل على استعمال الأسباب، وقد كان قادراً على سكونها

(١) التعريفات للجرجاني ص ٢٢.

(٢) تفسير القرطبي (٧/١).

(٣) تفسير القرطبي (٢٢٠/١٢).

دون الجبال(١).

٣- وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا لَشَيْءٌ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ النحل: ٤٠:

(وفي الآية دليل على أن القرآن غير مخلوق، لأنه لو كان قوله ﴿كُنْ﴾ مخلوقاً لاحتاج إلى قول ثانٍ، والثاني إلى ثالث وتسلسل، وكان محالاً. وفيها دليل على أن الله سبحانه مرید لجميع الحوادث كلها خيرها وشرها نفعها وضرها)(٢).

٤- وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ النحل: ٧١:

(ودل هذا على أن العبد لا يملك)(٣).



(١) تفسير القرطبي (٣٠٤/١٢).

(٢) تفسير القرطبي (٣٢٦/١٢).

(٣) تفسير القرطبي (٣٧٦/١٢).

المطلب الثالث - عنايته ببيان بعض أنواع علوم القرآن

و من المواضع التي تدل على عناية الإمام القرطبي ببيان بعض أنواع علوم القرآن:
بيان الناسخ والمنسوخ:

١- قال في تفسير قوله تعالى: ﴿U V W X Y Z﴾

~ السَّاعَةَ لِأَنَّهُ فَاَصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿الحجر: ٨٥﴾

(﴿فَاَصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ مثل ﴿C B A ^ _`﴾ المزمّل:

١٠ أي: تجاوز عنهم يا محمد، واعفُ عفواً حسناً، ثم نُسخ بالسيف. قال قتادة: نسخه قوله: ﴿فَاخَذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقَّفْتُمُوهُمْ﴾ (١) ﴿النساء: ٩١﴾ (٢).

٢- و قال في تفسير قوله تعالى: ﴿L K J I H G F﴾

U T S R Q P N M ﴿النحل: ٦٧﴾

(قلت: فعلى أن السَّكَّرَ الخمر أو العصير الحلو لا نسخ، وتكون الآية محكمة) (٣).

بيان العام والخاص:

١. قال في تفسير قوله تعالى: ﴿V U T S R Q P O﴾

W ﴿النحل: ٦٩﴾

(اختلف العلماء في قوله تعالى ﴿W V U﴾ هل هو على عمومه أم لا، فقالت طائفة: هو على العموم في كل حال ولكل أحد.... وقالت طائفة: إن ذلك على الخصوص ولا يقتضى العموم في كل علة وفي كل إنسان، بل إنه خبر عن أنه يشفي كما يشفي غيره من الأدوية في بعض وعلى حال دون حال.... وليس هذا بأول لفظ خصص

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠٦/١٤).

(٢) تفسير القرطبي (٢٤٩/١٢).

(٣) تفسير القرطبي (٣٥٨/١٢).

فالقرآن مملوء منه، ولغة العرب يأتي فيها العام كثيراً بمعنى الخاص والخاص بمعنى العام. ومما يدل على أنه ليس على العموم أن "شفاءً" نكرة في سياق الإثبات، ولا عموم فيها باتفاق أهل اللسان ومحققي أهل العلم ومختلفي أهل الأصول. لكن قد حملته طائفة من أهل الصدق والعزم على العموم، فكانوا يستشفون بالعسل من كل الأوجاع والأمراض، وكانوا يُشفون من عللهم ببركة القرآن وبصحة التصديق والإيقان^(١).

٢. وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ > ? @ A CB D E

WU S RP ONMLK JIH GF

[ZY X ﴿ النحل: ٧٥:

﴿ X Y ﴾ أي: أكثر المشركين ﴿ Z ﴾ أن الحمد لي، وجميع النعمة

مني. وذكر الأكثر وهو يريد الجميع، فهو خاص أريد به التعميم^(٢).



(١) تفسير القرطبي (٣٦٨/١٢).

(٢) تفسير القرطبي (٣٨٦/١٢).

المطلب الرابع - عنايته بالرد على الفرق المخالفة، وأصحاب المعتقدات الضالة

و من ذلك:

رده على القدرية^(١):

١- قال عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ j i hg fe dc ﴾

﴿ n ml k ﴾ النحل: ٢٢:

﴿ k ﴾ أي: لا تقبل الوعظ ولا ينجع فيها الذكر، وهذا ردُّ على

القدرية^(٢).

٢- و قال عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ K J I HG FE D ﴾

﴿ X WV UT SR QP N M L ﴾ النحل: ٣٦:

﴿ X WV UT ﴾ أي: بالقضاء السابق عليه حتى مات على

كفره، وهذا يرُدُّ على القدرية؛ لأنهم زعموا أن الله هدى الناس كلهم ووقفهم للهدى،

والله تعالى يقول: ﴿ X WV UT SR QP ﴾^(٣).

رده على الصوفية:

قال عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ v u t s r q p o ﴾

﴿ ~ } | { z y w v ﴾ النحل: ٦٩:

(١) القدرية: فرقة ضالة تنفي القدر، ظهرت في أواخر عهد الصحابة، أول من أظهر الكلام في القدر هو

معبد الجهني في البصرة، وغيلان الدمشقي في دمشق، زعموا أن العبد مستقل بإرادته وقدرته، ليس لله في

فعله مشيئة ولا خلق، وهذا نفي لعلم الله تعالى السابق، واعتقاد أن الله لا يعلم الأشياء إلا بعد حدوثها.

انظر: الفرق بين الفرق (٩٣/١) معجم ألفاظ العقيدة ص ٣٢٠.

(٢) تفسير القرطبي (٣١٠/١٢).

(٣) تفسير القرطبي (٣٢٢/١٢).

(في قوله تعالى: ﴿W V U﴾ دليلٌ على جواز التعالج بشرب الدواء وغير ذلك خلافاً لمن كره ذلك من جلة العلماء، وهو يَرُدُّ على الصوفية الذين يزعمون أن الولاية لا تتم إلا إذا رضي بجميع ما نزل به من البلاء، ولا يجوز له مداواة^(١).
ردّه على الطبيعيين^(٢):

قال عند تفسير قول الله تعالى: ﴿إِذَا لَشَىٰ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ النحل: ٤٠:

(وقد قام الدليل على أنه خالق لاكتساب العباد، ويستحيل أن يكون فاعلاً لشيءٍ وهو غير مریدٍ له، لأن أكثر أفعالنا يحصل على خلاف مقصودنا وإرادتنا، فلو لم يكن الحق سبحانه مریداً لها لكانت تلك الأفعال تحصل من غير قصد، وهذا قول الطبيعيين، وقد أجمع الموحدون على خلافه وفساده^(٣).
ردّه على زنادقة الأطباء:

قال عند تفسير قول الله تعالى: ﴿v u t s r q p o﴾ { z y m v } | ~ } : النحل: ٦٩:

(١) تفسير القرطبي (٣٧١/١٢).

(٢) الطبيعيون: وهم الدهريون الذين ينكرون وجود الصانع أو الخالق المدبر، ويزعمون أن العالم وجد بنفسه دون حاجة إلى علة خارجة عنه، أو إلى افتراض قوى فائقة للطبيعة، فالطبيعة علة فاعلة لذاتها، والمذهب الطبيعي لا يجحد فكرة الألوهية تماماً، ولكنه يقوم على إحلال الإله الطبيعي محل الإله فوق الطبيعي، ويعود نشوء هذه المعتقدات إلى الإغريق في القرن السابع قبل الميلاد حينما تساءلوا عن حقيقة الكون والمبدأ الذي صدر منه والمصير الذي ينتهي إليه، فحصرُوا أجوبتهم في أسباب طبيعية. انظر: موقع الموسوعة العربية - ١٢/١٤٣٢هـ، س ٤،٥ مساءً.

http://www.arabency.com/index.php?module=pnEncyclopedia&func=display&m=١٠٢٧٧vay_term&id=

(٣) تفسير القرطبي (٣٢٦/١٢).

(....) على أن النبي ^٨ قد حسم داء الإشكال وأزاح وجه الاحتمال حين أمر الذي يشتكي بطنه بشرب العسل، فلما أخبره أخوه بأنه لم يزد إلا استطلاقاً أمره بعود الشراب له فبرئ، وقال: «صدق الله وكذب بطن أخيك».... اعترض بعض زنادقة الأطباء على هذا الحديث فقال: قد أجمعت الأطباء على أن العسل يُسهل فكيف يوصف لمن به الإسهال، فالجواب أن ذلك القول حقٌّ في نفسه لمن حصل له التصديق بنبيه عليه السلام، فيستعمله على الوجه الذي عيَّنه وفي المحل الذي أمره بعقد نية وحسن طويّة، فإنه يرى منفعته ويدرك بركته، كما قد اتفق لصاحب هذا العسل وغيره(١).

ردّه على خرافات العرب في الجاهلية:

قال عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ النحل: ٧٢:

(أي: من جنسكم ونوعكم وعلى خلقتكم، كما قال: ﴿

مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ التوبة: ١٢٨ أي: من الآدميين. وفي هذا ردّ على العرب التي كانت تعتقد أنها كانت تزوّج الجن وتباضعها(٢).



(١) تفسير القرطبي (١٢/٣٧٠).

(٢) تفسير القرطبي (١٢/٣٧٦).

الفصل الثاني

منهج القرطبي في الترجيح في التفسير

و فيه مبحثان:

المبحث الأول: طرق الترجيح عند القرطبي في تفسيره:

و فيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: التنصيص على القول الراجح.

المطلب الثاني: التفسير بقول، مع النص على ضعف غيره.

المطلب الثالث: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرير.

المطلب الرابع: إيراد قول جمهور المفسرين؛ إشارة إلى موافقتهم.

المطلب الخامس: الاقتصار على ذكر قول أحد المفسرين دون تعقب؛ إشارة إلى موافقته.

المبحث الثاني: وجوه الترجيح عند القرطبي في تفسيره:

و فيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: الترجيح بالنظائر القرآنية.

المطلب الثاني: الترجيح بالحديث النبوي.

المطلب الثالث: الترجيح بأقوال السلف.

المطلب الرابع: الترجيح بأسباب النزول.

المطلب الخامس: الترجيح بالسياق.

المطلب السادس: الترجيح بظاهر القرآن.

المطلب السابع: الترجيح بدلالة الأصل المعتبر في كلام العرب.

المطلب الثامن: الترجيح بدلالة تصريف الكلمة واشتقاقها.

المبحث الأول - طرق الترجيح عند القرطبي في تفسيره

من أطال النظر وأدمن القراءة في كتاب القرطبي رحمته الله؛ خلُص إلى أن له منهجاً واضحاً في الترجيح بين أقوال المفسرين، وأن له طرقاً يفهم القارئ منها ما الذي اختاره القرطبي من الأقوال ورجحه على غيره، كما يقف على صيغ متنوعة استعملها عند الترجيح، متثورة في طيات تفسيره.

و مما يُلاحظ أن استعمال القرطبي لهذه الطرق ليس على درجة واحدة من الكثرة والقلة؛ فقد أكثر من استعمال بعض الصيغ والطرق عند الترجيح، بينما لم يستعمل بعض الصيغ إلا قليلاً.

و من الطبيعي أن ما أكثر من استعماله منها توفرت أمثله وتعددت مواضعه، وأن ما كان مقللاً من استعماله لها قلت شواهد وندر وجوده.



المطلب الأول: التنصيص على القول الراجح

للقرطبي رحمه الله عند التنصيص على القول الراجح ثلاث طرق:

الأولى - تصدير القول الراجح بلفظ (قلت): (١):

و من المواضع التي استعمل فيها القرطبي هذا الأسلوب:

(١) قوله في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنْ سَمَوَاتِنَا لَمَا كَانُوا مُعْتَدِلِينَ﴾

يَعْرِجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٤﴾ الحجر: ١٤-١٥:

(ومعنى "سُكِّرَتْ" سُدَّتْ بالسحر.... وقال الحسن: سُحِرَتْ. الكلبي (٢): أُغْشِيَتْ أَبْصَارُنَا، وعنه أيضاً: عَمِيَتْ. قتادة: أُخِذَتْ.... جويبر: خُدَعَتْ. وقال أبو عمرو بن العلاء: "سُكِّرَتْ" غُشِيَتْ وَغُطِيَتْ.... وقال مجاهد: "سُكِّرَتْ" حُبِسَتْ.... قلت: وهذه أقوال متقاربة يجمعها قولك: مُنَعَتْ (٣).

فالقول الراجح عند القرطبي في معنى "سُكِّرَتْ" هو: مُنَعَتْ، وصدّره بلفظ (قُلْتُ) نصاً منه على ما يرجحه.

الثانية - النص على تصحيح أحد الأقوال وتصويبه:

و ذلك باستعمال ألفاظ التصحيح والتصويب، مثل:

(١) انظر أمثلة للمواضع: (٦٩/٣) (١٨/٥) (٥٢/٥) (٣١٧/٥) (١٨٤/١٢) (٢٥٨/١٢).

(٢) الكلبي: محمد بن السائب بن بشر، أبو النضر: نسبة، راوية، عالم بالتفسير والأخبار وأيام العرب. من أهل الكوفة. وهو من (كلب بن وبرة) من قضاة. صنّف كتاباً في تفسير القرآن، وهو ضعيف الحديث، قال النسائي: حدث عنه ثقات من الناس ورضوه في التفسير، وأما في الحديث ففيه مناكير. وقيل: كان سبئياً، من أصحاب عبد الله بن سبأ. ت: ١٤٦ هـ. انظر: تهذيب التهذيب (١٧٨/٩).

(٣) تفسير القرطبي (١٨٤/١٢).

١. (و الصحيح) (١)، (وهو أصح) (٢)، (وهذا القول أصح) (٣).

٢. (والصواب) (٤).

٣. (وهو المراد في الآية) (٥).

ومن المواضع الشاهدة على ذلك:

(١) قوله في تفسير قول الله تعالى: ﴿Z Y X﴾ الحجر: ٢٢:

(ومعنى "لواقح": حوامل؛ لأنها تحمل الماء والتراب والسحاب والخير والنفع....
وقيل: لواقح بمعنى ملقحة وهو الأصل.... قيل: ذوات لقح، وكل ذلك صحيح) (٦).
فالقول الذي يرجحه القرطبي هو كون الرياح لاقحة ملقحة وأنها ذوات لقح في
نفسها، ونصّ عليه بقوله: (وكل ذلك صحيح).

(٢) وقوله في تفسير قول الله تعالى: ﴿O / .﴾ الحجر: ٧٣:

(وأشرق القوم أي دخلوا في وقت شروق الشمس. مثل أصبحوا وأمسوا، وهو
المراد في الآية. وقيل: أراد شروق الفجر. وقيل: أول العذاب كان عند الصبح وامتد إلى
شروق الشمس) (٧).

فالقول الذي يرجحه القرطبي هو أن معنى "مشرقين": داخلين في وقت شروق
الشمس، ونصّ عليه بقوله: (وهو المراد في الآية).

(١) انظر على سبيل المثال: (٣٥٦/٤) (٦/٥) (٢٥٢/١٢) - (٣٥٨).

(٢) انظر على سبيل المثال: (٢٦٤/١٢).

(٣) انظر على سبيل المثال: (٣٢١/٤).

(٤) انظر على سبيل المثال: (٨٢/٢).

(٥) انظر على سبيل المثال: (٢٣٢/١٢) - (٢٨٢) (٢٩٩/٤).

(٦) تفسير القرطبي (١٩٥/١٢).

(٧) تفسير القرطبي (٢٣٢/١٢).

الثالثة - النص على تفضيل أحد الأقوال على غيره:

فيستعمل صيغ تفيد تقديم معنى على بقية المعاني إما لظهوره أو أولويته عنده، نحو:

١. (الأظهر) (١).

٢. (الأولى) (٢).

٣. (وهذا حسن) (٣).

٤. (وهذا أئبن) (٤).

٥. (الأشبه) (٥).

٦. (الأشهر) (٦).

٧. (أعرف) (٧).

٨. (أجود) (٨).

ومن الأمثلة على استعمال القرطبي لهذا الأسلوب في الترجيح:

(١) قوله في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ﴾

سُرُرٍ مُّنتَقِلِينَ ﴿٤٧﴾ الحجر: ٤٧:

(قال ابن عباس: أول ما يدخل أهل الجنة الجنة تعرض لهم عينان، فيشربون من إحدى العينين فيذهب الله ما في قلوبهم من غل، ثم يدخلون العين الأخرى فيغتسلون فيها فتشرق ألوانهم وتصفو وجوههم، وتجري عليهم نضرة النعيم، ونحوه عن علي

(١) انظر على سبيل المثال: (٢١٩/١٢).

(٢) انظر على سبيل المثال: (٢٥٨/١٢).

(٣) انظر على سبيل المثال: (٣٥٩/٤).

(٤) انظر على سبيل المثال: (٨٣/١٣).

(٥) انظر على سبيل المثال: (٣٤٠/١٩).

(٦) انظر على سبيل المثال: (٣١٧/٨).

(٧) انظر على سبيل المثال: (١٥٩/١٢).

(٨) انظر على سبيل المثال: (٣٣١/٢٠).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال علي بن الحسين (١): نزلت في أبي بكر وعمر وعلي والصحابة (٢)، يعني ما كان بينهم في الجاهلية من الغل. والقول الأول أظهر (٣).

فالقرطبي بصدد تعيين الراجح من المراد بالغل وموطن نزعه من صدور المؤمنين، فرجح أن المراد بالغل هو ما يقع بين المؤمنين من غل القلب في الدنيا، ويكون نزعه في الآخرة، وفهم هذا الترجيح من وصفه له بأنه الأظهر.

(٢) وقوله عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ *) + ﴾

النحل: ٨٠:

(أي: من الأنطاع (٤) والأدم (٥). "بُيُوتًا" يعني: الخيام والقباب يحفُّ عليكم حملها في الأسفار.... وقيل: يحتمل أن يعمَّ به بيوت الأدم وبيوت الشعر وبيوت الصوف؛ لأن هذه من الجلود لكونها ثابتة فيها، نحا إلى ذلك ابن سلام (٦)، وهو احتمال حسن (٧).

(١) علي بن الحسين: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب زين العابدين أبو الحسين الهاشمي المدني رضي الله عنه: روى عن أبيه وعمه الحسن وعائشة وأبي هريرة وابن عباس وعدة، قال الزهري: (ما رأيت أحداً كان أفقه من علي بن الحسين لكنه قليل الحديث وكان من أفضل أهل بيته وأحسنهم طاعة) وقال مالك: (بلغني أنه كان يصلي في اليوم واللييلة ألف ركعة إلى أن مات) قال: (وكان يسمى زين العابدين لعبادته). ت: ٩٤ هـ. انظر: تذكرة الحفاظ (١/٥٩).

(٢) أورده ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/٢٢٦٧).

(٣) تفسير القرطبي (١٢/٢١٩).

(٤) الأنطاع: جمع نطع، بالكسر وبالفتح وبالتحريك كعنب، وهو: بساط من الأديم معروف. انظر: تاج العروس (٢٢/٢٦١).

(٥) الأدم - بفتحتين - : الجلد المدبوغ. انظر: تاج العروس (١/٧٦٠١).

(٦) يحيى بن سلام بن التيمي بالولاء، البصري ثم الإفريقي: مفسرٌ فقيه، عالمٌ بالحديث واللغة، أدرك نحو عشرين من التابعين وروى عنهم. نشأ بالبصرة، وسكن أفريقية دهراً وسمع الناس بها كتابه في تفسير القرآن. حج في آخر عمره فتوفي في عودته من الحج بمصر سنة ٢٠٠ هـ. قال أبو العرب: له مصنفات كثيرة في فنون العلم. انظر: ميزان الاعتدال (٣/٢٩٠) الأعلام (٨/١٤٨).

(٧) تفسير القرطبي (١٢/٣٩٣).

== ترجيحات القرطبي في التفسير من سورة الحجر إلى آية (٨٠) من سورة النحل == ١٠٦ -

فيرجح القرطبي أن المراد بالبيوت المتخذة من جلود الأنعام: (بيوت الأدم والشعر والصوف) ودلنا على ترجيحه قوله: (وهو احتمال حسن).



المطلب الثاني: التفسير بقول، مع النص على ضعف غيره

و من شواهد استعمال الإمام القرطبي لهذا الأسلوب في الترجيح:

قوله في تفسير قول الله تعالى: ﴿Z Y X﴾ [Z Y X] \ ﴿النحل: ١:

﴿Z Y X﴾ عقابه لمن أقام على الشرك وتكذيب رسوله.... الضحاك: إنه ما جاء به القرآن من فرائضه وأحكامه. وفيه بُعد؛ لأنه لم ينقل أن أحداً من الصحابة استعجل فرائض الله من قبل أن تُفرض عليهم، وأما مستعجلو العذاب والعقاب فذلك منقول عن كثير من الكفار؛ قريش وغيرهم^(١).

فتضعيف القرطبي للقول الثاني - أن المراد بأمر الله فرائض القرآن وأحكامه - قرينة

على ترجيحه للقول الأول: أن المراد بـ ﴿Z Y﴾: عقابه لمن أقام على الشرك وتكذيب رسوله عليه الصلاة والسلام.



(١) تفسير القرطبي (٢٦٧/١٢).

المطلب الثالث: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمريض

و هذه الصيغة واضحة الدلالة على الترجيح والاختيار.

- يقول الشيخ عبد الكريم الخضير حفظه الله: (ومعلوم أن أهل العلم إذا جزموا بشيء ثم أتبعوه بقولٍ آخر ممرضٍ - يعني مُصَدَّرٍ بصيغة التمريض - أن اختيارهم ما جزموا به)^(١).

إلا أنها ليست في قوة الصيغ التي يَنْصُّ فيها المفسِّر على القول الراجح؛ لأن الأقوال الأخرى تكون محتملةً في الآية أيضاً بوجهٍ من الوجوه.

و هذه الصيغة معروفة مطروقة عند المحدثين والأصوليين في كتبهم.

أما المفسرين - الذين أكثروا منها في تفاسيرهم عند إيراد الأقوال - فمنهم من نصَّ على استخدامه هذه الصيغة لترجيح قول وتضعيف ما سواه، ومنهم من لم ينصَّ، إلا أنه استعملها على هذا الوجه في تفسيره كثيراً، ودرج عليها عند حكاية الأقوال، وقد يقرن مع القول المحكي بالجزم دليلاً نقلياً أو عقلياً؛ مما يؤكد لنا أنه يقصد هذا الاستعمال.

و من أمثلة استعمال القرطبي لهذا الأسلوب في الترجيح:

(١) قوله في تفسير قول الله تعالى: ﴿m l k j i h g﴾

الحجر: ٩:

﴿j i h g﴾ يعني القرآن ﴿m l k﴾ من أن يزداد فيه أو ينقص

منه.... وقيل: ﴿m l k j i h g﴾ أي: لمحمد ^ من أن يتقول علينا

أو نتقول عليه. أو من أن يُكاد أو يُقتل^(٢).

فالقرطبي يرجح عود الضمير في " له " على الذَّكر، لذا عبَّر عن هذا المعنى بالجزم،

(١) شرح الورقات (٤/ ١٧).

(٢) تفسير القرطبي (١٢/ ١٨٠).

ثم عبّر عن المعنى الثاني بالتمريض.

(٢) قوله في تفسير قول الله تعالى: ﴿ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠ / ﴾

الحجر: ١٨:

(شهاب: كوكب مضيء.... وسُمِّي الكوكب شهاباً لبريقه؛ يشبه النار. وقيل:

شهاب: شعلة من نار تبتين لأهل الأرض، فتحرقهم ولا تعود إذا أحرقت) (١).

فالراجح عند القرطبي أن الشهاب هو كوكبٌ مضيء، فهم ذلك عنه حين عبّر عنه

بصيغة الجزم، وذكر غيره بصيغة التمرريض.



(١) تفسير القرطبي (١٢/١٨٧).

المطلب الرابع: إيراد قول جمهور المفسرين، إشارة إلى موافقتهم

مثاله:

(١) قوله في تفسير قول الله تعالى: ﴿ } - الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴾

الحجر: ٢٦:

﴿ مِنْ صَلْصَالٍ ﴾ أي: من طين يابس.... وهو قول أكثر المفسرين.... وقال مجاهد: هو الطين المتين، واختاره الكسائي. قال: وهو من قول العرب: صل اللحم وأصل إذا أنتن.... فكان أول تراباً - أي متفرق الأجزاء - ثم بُل فصار طيناً، ثم ترك حتى أنتن فصار حمأ مسنوناً - أي متغيراً - ثم ييس فصار صلصالاً، على قول الجمهور^(١).

(٢) وقوله في تفسير قول الله تعالى: ﴿ > ? @ A CB D E F ﴾

G H I J K L M N O P R S النحل: ٧٥:

﴿ B A ﴾ أي: كما لا يستوي عندكم عبد مملوك لا يقدر من أمره على شيء ورجل حرٌّ قد رُزق رزقاً حسناً، فكذلك أنا وهذه الأصنام.... وقال قتادة: هذا المثل للمؤمن والكافر^(٢)، فذهب قتادة إلى أن العبد المملوك هو الكافر؛ لأنه لا ينتفع في الآخرة بشيء من عبادته، وإلى أن معنى ﴿ G H I J K ﴾ المؤمن. والأول عليه الجمهور من أهل العلم والتأويل^(٣).

فالقرطبي في الموضوعين السابقين لم يُنصَّ على ترجيحه في المسألة، ولكن نصَّ على ترجيح جمهور أهل التفسير دون تعقيب أو تعليق، مما يدل على موافقتهم لهم ودخوله في زميرتهم.

(١) تفسير القرطبي (١٢/٢٠٣).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/٢٦٠).

(٣) تفسير القرطبي (١٢/٣٨٢).

المطلب الخامس: الاقتصار على ذكر قول أحد المفسرين دون تعقب، إشارة إلى موافقته

مثاله:

قوله في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمْ

الْكُذِبَ أَنْ ﴾ النحل: ٦٢:

(﴿ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذِبَ ﴾ قال مجاهد: هو قولهم: إن لهم البنين والله البنات (١).



(١) تفسير القرطبي (٣٤٧/١٢).

المبحث الثاني - وسائل الترجيح عند القرطبي في تفسيره

و فيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: الترجيح بالنظائر القرآنية

النظير في اللغة: المثل والشبيه^(١).

و النظائر القرآنية: المواضع القرآنية المتعددة للمعنى الواحد^(٢).

و هذا الوجه من أقوى وجوه الترجيح؛ لأمر منها:

• أنه نوعٌ من أنواع تفسير القرآن بالقرآن^(٣)، وقد أجمع العلماء على أن تفسير القرآن بالقرآن أفضل طرق التفسير.

• أن اعتماد المفسرين لهذه الطريقة في الترجيح مستفيض ومشتهر، بدءاً بالصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم إلى هذا العصر^(٤)، بل اعتمدها المحدثون أيضاً كوجه من أوجه الترجيح بين الأحاديث المختلفة في الظاهر.

و المعتبر في الترجيح بالنظير القرآني:

هو صحة النظر وقوة الاستنباط، والتجرد من الهوى والبدعة، والسلامة من معارضٍ أقوى منه^(٥)، فإذا توفر ذلك قوي الترجيح ونفذ.

و للقرطبي رحمته الله عناية بالنظير القرآني في الترجيح، تظهر بجلاء من وفرة الشواهد المنشورة في تفسيره.

(١) انظر: تاج العروس (١/٣٥٥٢).

(٢) انظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم ص ٩٤

(٣) انظر: مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير ص ١٣٠، وتفسير القرآن بالقرآن جمعاً ودراسة ص ٤٨.

(٤) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (١/٣١٤ وما بعدها).

(٥) انظر: المصدر السابق.

من هذه الشواهد:

قوله في تفسير قول الله تعالى: ﴿لِكَيْ يَلْقَى الرَّوحَ مِنْ﴾
l k j i h g f e d c ﴿t s r q p o n m﴾ النحل: ٢:

﴿e﴾ أي: بالوحي وهو النبوة، قاله ابن عباس. نظيره: ﴿يَلْقَى الرَّوحَ مِنْ﴾
﴿مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ غافر: ١٥، الربيع بن أنس (١): بكلام الله وهو
القرآن. وقيل: هو بيان الحق الذي يجب اتباعه. وقيل: أرواح الخلق، قاله مجاهد، لا ينزل
ملك إلا ومعه روح.... وقيل: بالرحمة، قاله الحسن وقتادة. وقيل: بالهداية لأنها تحيا بها
القلوب كما تحيا بالأرواح الأبدان.... وقال أبو عبيدة: الروح هنا جبريل (٢).
فرجح هنا القول الأول على غيره مستنداً على وجود نظير له في القرآن.



(١) الربيع بن أنس ابن زياد البكري الخراساني، تابعي من أهل البصرة، لقي ابن عمر وجابر وأنس بن مالك رضي
الله عنهم، وحديثه في السنن الأربعة، ت: ١٣٩ هـ. انظر: طبقات ابن سعد (٧/ ٣٦٩) وسير أعلام النبلاء
(١٦٩/٦).

(٢) تفسير القرطبي (١٢/ ٢٦٩).

المطلب الثاني: الترجيح بالحديث النبوي

عقد القرطبي في مقدمة تفسيره باباً سماه: (باب تبيين الكتاب بالسنة، وما جاء في ذلك)، وهذا الصنيع برهاناً على اهتمامه بهذا النوع من العلم. وحيث إنه مجتهدٌ متَّبِعٌ للدليل - كما عرفناه من خلال كتبه رَحِمَهُ اللهُ - فهو يقدم من الأقوال ما أيده حديثٌ مقبول؛ فيرجح ما عُرف تفسيره من جهة النبي ^٨، أو ما ورد في معناه حديث يؤيده ويقويه. و من أمثلة ذلك:

قوله في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ﴾ الحجر: ٨٧ (اختلف العلماء في السبع المثاني، فقليل: الفاتحة، قاله علي بن أبي طالب^(١) وأبو هريرة^(٢) والربيع بن أنس^(٣) وأبو العالية^(٤) والحسن^(٥) وغيرهم، ورُوي عن النبي ^٨ من وجوه ثابتة.... وخرَّج الترمذي من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ^٨: «الحمد لله أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني^(٦)». قال: هذا حديث حسن صحيح.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٣٣) والطحاوي في شرح مشكل الآثار- باب بيان مشكل ما روي عن النبي ^٨ في تأويل قوله تعالى " ولقد آتيناك سبعاً من المثاني " (٣/ ٢٤٧) وأورده ابن أبي حاتم (٨/ ٢٢٧٢).

(٢) أورده السيوطي في الدر (٨/ ٦٤٥).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٣٤) وأورده ابن أبي حاتم (٨/ ٢٢٧٢) وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٧٣) وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٦٤٨).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٣٣).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٣٣).

(٦) أخرجه أحمد في المسند - مسند الكثيرين من الصحابة - مسند أبي هريرة (١٥/ ٤٩١) برقم ٩٧٩٠، والدارمي في السنن - كتاب فضائل القرآن - باب فضل فاتحة الكتاب (١٠/ ٢٦١) برقم ٣٤٣٧، وأبو داود في السنن - كتاب الصلاة - باب فاتحة الكتاب (٤/ ٢٥١) برقم ١٢٤٥، والترمذي في السنن - كتاب التفسير - باب تفسير سورة الحجر (١٠/ ٣٩٦) برقم ٣٠٩٤، والدارقطني في السنن - كتاب الصلاة - باب وجوب قراءة الفاتحة (٣/ ٣١٣) برقم ١٢٠٢، والبيهقي في شعب الإيمان - كتاب تعظيم القرآن - فصل في فضائل السور الآيات - ذكر فاتحة الكتاب

وهذا نص. وقال ابن عباس: هي السبع الطُّول: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف، والأنفال والتوبة معاً؛ إذ ليس بينهما التسمية^(١). عن ابن عباس في قوله عز وجل: ﴿سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ قال: السبع الطُّول^(٢)، وسميت مثنائي لأن العبر والأحكام والحدود ثنيتها... وممن قال إنها السبع الطول: عبد الله بن مسعود^(٣) وعبد الله بن عمر^(٤) وسعيد بن جبير^(٥) ومجاهد^(٦).... وقيل: المثنائي القرآن كله، قال

(٢٥/٤) برقم ٢١٧٣، وقال الترمذي: (حسن صحيح) انظر: سنن الترمذي (٣٩٦/١٠).

(١) أخرجه أبو داود في باب من قال هي من الطُّول (٢٥٤/٤)، والنسائي في الكبرى - كتاب المساجد - باب تأويل قول الله تعالى " ولقد آتيناك سبعاً من المثاني " (٣١٨/١) برقم ٩٩٠، وفي الصغرى - كتاب الافتتاح - باب تأويل قول الله تعالى " ولقد آتيناك سبعاً من المثاني " (٤٧٥/٣) برقم ٩١٦، والطبري في تفسيره (١٢٩/١٧)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار - باب بيان مشكل ما روي عن النبي ^٨ في تأويل قوله تعالى " ولقد آتيناك سبعاً من المثاني " (٢٤٦/٣)، والبيهقي في شعب الإيمان - فصل في فضائل السور والآيات - ذكر فاتحة الكتاب وباب ذكر السبع الطول (٧٢/٤) برقم ٢١٤٣، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (١٩١/١٠) برقم ١٩٣.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢٧/١٧).

(٣) أوردته السيوطي في الدر (٦٤٨/٨).

(٤) أوردته السيوطي في الدر (٦٤٨/٨)، وعبد الله بن عمر: بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أبو عبد الرحمن: صحابي، من أعز بيوتات قريش في الجاهلية، وهاجر إلى المدينة مع أبيه، ثم شهد فتح مكة، ومولده ووفاته فيها. وهو آخر من توفي بمكة من الصحابة. من المكثرين من رواية الحديث. قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: (مات ابن عمر وهو مثل عمر في الفضل، وكان عمر في زمان له فيه نظراء، وعاش ابن عمر في زمان ليس له فيه نظير). ت: ٥٧٣. انظر: الإصابة (١٥٥/٢) الأعلام (٤٠٨/٤).

(٥) أخرجه عنه البيهقي في شعب الإيمان - باب في تعظيم القرآن - ذكر السبع الطول (٤٦٦/٢) برقم ٢١٤٨، وأوردته السيوطي في الدر (٦٤٨/٨). وسعيد بن جبير: أبو عبد الله الأسدي بالولاء، الكوفي: تابعي، حبشي الأصل، ولما خرج عبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث على عبد الملك بن مروان كان سعيد معه إلى أن قتل عبد الرحمن، فذهب سعيد إلى مكة فقبض عليه واليها خالد القسري وأرسله إلى الحجاج، فقتله بواسط. قال الإمام أحمد بن حنبل: (قتل الحجاج سعيداً وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه). ت: ٩٥. انظر: الأعلام (٩٣/٣).

(٦) انظر: تفسير مجاهد ص ١٢٩، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧٣/٤) وأوردته السيوطي في

الله تعالى: ﴿ > = < ﴾ الزمر: ٢٣.... وقيل له: مثاني لأن الأنباء والقصص
ثبت فيه.... وقيل: المراد بالسبع المثاني أقسام القرآن من الأمر والنهي والتبشير والإنذار
وضرب الأمثال وتعدد نعم وأنباء قرون.... والصحيح الأول لأنه نص. وقد قدمنا في
الفاتحة أنه ليس في تسميتها بالمثاني ما يمنع من تسمية غيرها بذلك، إلا أنه إذا ورد عن
النبي [^] وثبت عنه نص في شيء لا يحتمل التأويل كان الوقوف عنده (١).

فرجح بِحجج الله القول بأن المراد بالسبع المثاني: الفاتحة على بقية الأقوال - مع وجود ما
يعضدها - معللاً هذا الاختيار بورود النص النبوي فيه.



الدر (٨/٦٥٠).

(١) تفسير القرطبي (٢٥٠/١٢).

المطلب الثالث: الترجيح بأقوال السلف (١)

السلف: هم الصحابة والتابعين وأتباعهم بإحسان. والصحابة هم أعلم الناس بمعاني القرآن بعد النبي عليه الصلاة والسلام، والتابعون هم أعلم الناس بالقرآن بعد الصحابة، وتابعوا التابعين هم أعلم الناس بالقرآن بعد التابعين.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ونحن نعلم أن القرآن قرأه الصحابة والتابعون وتابعوهم، وأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه، كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله ^٨، فمن خالف قولهم وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميعاً^(٢)).

ولهذا كان لأقوال السلف قيمة علمية عالية في تفضيل بعض المعاني على بعض. فمعنى يعتضد بقول صحابي مقدم على غيره من الأقوال الخالية عنه، أو عن عاضد أقوى.

و معنى يتقوى بقول تابعي، فلا ريب أنه يرجح بثقله العلمي على غيره من الأقوال الخالية عنه.

بل إن ابن تيمية رحمه الله عدّ من عدل عن معنى قرّره السلف إلى معنى مخالف له في التفسير؛ عدّ ذلك من الابتداع.

قال رحمه الله: (فإن الصحابة والتابعين والأئمة إذا كان لهم في تفسير الآية قول، وجاء قوم فسروا الآية بقول آخر لأجل مذهب اعتقدوه، وذلك المذهب ليس من مذاهب

(١) السلف في اللغة: من تقدمك من آبائك وذوي قرابتك الذين هم فوقك في السن والفضل، واحدهم سالف، ولهذا سمي الصدر الأول بالسلف الصالح. انظر: تاج العروس (١/٥٩٢٠).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/٣٦٢).

الصحابة والتابعين لهم بإحسان، صاروا مشاركين للمعتزلة^(١) وغيرهم من أهل البدع في مثل هذا. وفي الجملة؛ من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئاً في ذلك بل مبتدعاً^(٢).

و من شواهد ترجيح القرطبي بأقوال السلف:

قوله في تفسير قول الله تعالى: ﴿ R Q P N M L H G F ﴾

﴿ U T S ﴾ النحل: ٦٧:

(السَّكْر: ما يُسَكِّر، هذا هو المشهور في اللغة. قال ابن عباس: نزلت هذه الآية قبل تحريم الخمر. وأراد بالسَّكْر: الخمر، وبالرزق الحسن: جميع ما يؤكل ويُشرب حلالاً من هاتين الشجرتين. وقال بهذا القول ابن جبير والنخعي^(٣) والشعبي^(٤) وأبو ثور^(٥). وقد

(١) المعتزلة: فرقة إسلامية نشأت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي، اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة. وقد أطلق عليها أسماء مختلفة منها: المعتزلة والقدرية والعدلية وأهل العدل والتوحيد والمقتصدية والوعيدية. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/٦٤).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/٣٦١).

(٣) النخعي: إبراهيم بن يزيد بن قيس، أبو عمران: فقيه العراق، تابعي، دخل على عائشة وهو صبي، قيل: إنه لما احتضر جزع جزعاً شديداً، فقيل له في ذلك فقال: (وأي خطر أعظم مما أنا فيه؟ أتوقع رسولاً يرد علي من ربي إما بالجنة وإما بالنار والله لو ددت أنها تلجلج في حلقي إلى يوم القيامة) فقال له الشعبي: (أنا أفقه منك حياً وأنت أفقه مني ميتاً) روى له الجماعة، ت: ٩٦هـ. انظر: الوافي بالوفيات (٢/٢٧٧) تذكرة الحفاظ (١/٧٣).

(٤) الشعبي: عامر بن شراحيل، الحميري، أبو عمرو: من التابعين، يضرب المثل بحفظه. اتصل بعبد الملك بن مروان فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم. وسئل عما بلغ إليه حفظه، فقال: (ما كتبت سوداء في بيضاء، ولا حدثني رجل بحدث إلا حفظته) وهو من رجال الحديث الثقات، استقضاه عمر بن عبد العزيز. وكان فقيهاً شاعراً. ت: ١٠٣هـ. انظر: الوافي بالوفيات (٥/٣٢٢) سير أعلام النبلاء (٤/٢٩٤).

(٥) أبو ثور: إبراهيم بن خالد الكلبي البغدادي، أبو عبد الله، الإمام الحافظ الحجة المجتهد، سمع من: سفيان بن عيينة، وعبيدة بن حميد، ووكيعة بن الجراح وابن علية، وطبقتهم. قال أبو بكر الأعين: (سألت أحمد بن حنبل عنه فقال: أعرفه بالسنة منذ خمسين سنة، وهو عندي في مسالخ سفيان الثوري) قال الخطيب: (كان أبو ثور

قيل: إن السُّكَّرَ الخَلُّ بلغة الحبشة، والرزق الحسن: الطعام. وقيل: السكر العصير الحلو الحلال، وُسِّمِيَ سَكْرًا لأنه قد يصير مُسَكِّرًا إذا بقي، فإذا بلغ الإسكار حُرْمٌ... إلا أن الجمهور على أن السُّكَّرَ الخمر، منهم ابن مسعود وابن عمر وأبو رزين^(١) والحسن ومجاهد وابن أبي ليلى^(٢) والكلبي وغيرهم ممن تقدم ذكرهم، كلهم قالوا: السُّكَّرُ ما حرّمه الله من ثمريهما^(٣).

فرجّح بِحجج الله أن السُّكَّرَ الخمر؛ حيث هو مروى عن السلف، من صحابةٍ وتابعين.



يتفقه أولاً بالرأي ويذهب إلى قول العراقيين، حتى قدم الشافعي فاختلف إليه، ورجع عن الرأي إلى الحديث). ت: ٢٤٠ هـ. انظر: الوافي بالوفيات (٣٢٣/٥) سير أعلام النبلاء (١٢ / ٧٢).

(١) أبو رزين: مسعود بن مالك الأسدي، تابعي كوفي ثقة، روى عن جمع من الصحابة منهم: علي بن أبي طالب وابن عباس وأبو هريرة وابن مسعود. انظر: تهذيب التهذيب (١٠ / ١٠٦).

(٢) ابن أبي ليلى: محمد بن عبد الرحمن ابن بلال الأنصاري الكوفي: قاض، فقيه، من أصحاب الرأي. ولي القضاء والحكم بالكوفة لبني أمية، ثم لبني العباس. واستمر ٣٣ سنة. له أخبار مع الإمام أبي حنيفة وغيره. مات بالكوفة سنة ١٤٨ هـ. انظر: طبقات ابن سعد (٦ / ٣٥٨) وفيات الأعيان (٤ / ١٧٩).

(٣) تفسير القرطبي (١٢ / ٣٥٧).

المطلب الرابع: الترجيح بأسباب النزول

إذا تعددت أقوال المفسرين في معنى آية من كتاب الله وتنازعا فيها، فأحق الأقوال بتفسيرها ما وافق سبب النزول الصحيح الصريح في السببية. و يظهر أن أول من أوما إلى الصراحة في السببية واعتبارها مرجحة من المفسرين هو صاحب الجامع: الإمام القرطبي.

فقد قال في تفسير قول الله تعالى: ﴿...﴾
(& % \$ # " ')
B 7 6 5 4 3 2 1 0 / . ; + *
G F E D C B @ ? > = < ; :
P O N M L K U I H النساء: ٢٤:

(عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ^ يوم حنين^(١) بعث جيشاً إلى أوطاس^(٢)، فلقوا العدو فقاتلوهم وظهروا عليهم وأصابوا لهم سبايا، فكان ناس من أصحاب النبي ﷺ ^ تَحَرَّجُوا من غشيانهم من أجل أزواجهن من المشركين، فأَنْزَلَ اللهُ عز وجل في ذلك ﴿...﴾ أي: فهن لكم حلال إذا انقضت عدتهن. وهذا نصٌ صحيح صريح في أن الآية نزلت بسبب تخرج أصحاب النبي ﷺ ^ عن وطء المسبيات ذوات الأزواج^(٣).

فهذا تنبيه منه ﷺ على أن من الأسباب ما تكون صيغته صريحة في السببية، ومنها

(١) يوم حنين: معركة قامت بين المسلمين و قبيلة هوازن وثقيف - والتي لا تزال تقيم في الطائف وأجزاء من مكة - في وادي حنين بين مكة والطائف، وذلك في أول شوال سنة ٨ هـ بعد فتح مكة بخمسة عشر يوماً. وسبب هذه الواقعة: أن قبيلة هوازن قررت محاربة المسلمين مدفوعة بعبادة الإسلام والعصبية، وانتصر فيها المسلمون بعد كر وفر وشدة. انظر: غزوات الرسول وسراياه (٧٣/١).

(٢) أوطاس: واد في ديار هوازن فيه كانت وقعة حنين. انظر: معجم البلدان (٢٨١/١).

(٣) تفسير القرطبي (١٢١/٥).

ما تكون غير صريحة.

ثم حُدّد هذا المفهوم بشكل أكثر وضوحاً ودقّة بعد ذلك (١).

وقد فصّل العلماء في صيغ أسباب النزول الصريحة والمحتملة بما يكفي في كتب علوم القرآن (٢).

و من أمثلة ترجيح القرطبي لقولٍ موافقٍ لسبب النزول:

قوله في تفسير قول الله تعالى: ﴿r q p o n m l﴾

الحجر: ٢٤:

(فيه ثمان تأويلات) وذكرها، ثم قال: (وكل هذا معلوم لله تعالى، فإنه عالم بكل موجود ومعدوم، وعالم بمن خلق وما هو خالقه إلى يوم القيامة. إلا أن القول الثامن هو سبب نزول الآية، لما رواه النسائي (٣) والترمذي عن أبي الجوزاء (٤) عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: (كانت امرأة تصلي خلف رسول الله [^] حسناء من أحسن النساء، فكان بعض القوم يتقدم حتى يكون في الصف الأول لئلا يراها، ويتأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر، فإذا ركع نظر من تحت إبطه، فأنزل الله عز وجل: ﴿m l﴾

(١) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (٢٤٥/١).

(٢) انظر على سبيل المثال: مقدمة في أصول التفسير ص ٤٨، البرهان (٣١/١) وما بعدها) مناهل العرفان (١١٤/١).

(٣) النسائي: أحمد بن علي بن شعيب، أبو عبد الرحمن: صاحب السنن، القاضي الحافظ، أصله من نسا بخراسان، جال في البلاد واستوطن مصر، ثم خرج إلى الرملة بفلسطين فسئل عن فضائل معاوية فأمسك، فضربوه في الجامع، وأخرج عليلاً فمات، ودفن ببيت المقدس، وقيل: خرج حاجاً فامتحن بدمشق وأدرك الشهادة فطلب أن يحملوه إلى مكة، فحملوه فتوفي بها. له: السنن الكبرى، والمجتبى وهو السنن الصغرى، والضعفاء والمتروكون، وغيرها. ت: ٣٠٣هـ. انظر: شذرات الذهب (١٦/٤).

(٤) أبو الجوزاء: أوس بن خالد الربعي، تابعي، لقي ابن عباس رضي الله عنهما وأخذ عنه العلم، وفيه يقول: (جاورت بن عباس في داره اثنتي عشرة سنة ما في القرآن آية إلا وقد سألته عنها) خرج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقتل أيام الجاهم سنة ٨٣هـ. انظر: الطبقات الكبرى (٢٢٣/٧).

q p o n
r (١).

فذكر سبب ترجيحه للقول الثامن، وهو أنه موافق لسبب نزول الآية.



المطلب الخامس: الترجيح بالسياق^(١)

السياق في اصطلاح المفسرين:

هو تتابع الكلام في المعنى واتصاله في غرض واحد، فيتراطبط النظم مع ما قبله وما بعده^(٢).

و معنى مراعاة السياق في التفسير:

بيان لفظ أو جملة من الآية بما لا يخرجها عن المعنى السابق واللاحق^(٣).

و في ذلك يقول ابن دقيق العيد^(٤): (السياق طريقٌ إلى بيان المجملات وتعيين

(١) السياق في اللغة: أصله سِوَاق، قلبت الواو ياءً لكسرة السين، والمساوقة: المتابعة، تساوقت الإبل تساوقاً: إذا

تبع بعضها بعضاً كأن بعضها يسوق بعضاً، وسياق الكلام: تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه. انظر: لسان

العرب (١٠/١٦٦) المعجم الوسيط (١/٩٦٥).

(٢) انظر: رسالة علمية (أثر دلالة السياق القرآني في توجيه المتشابه اللفظي في القصص القرآني - دراسة نظرية

تطبيقية على آيات قصص نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام) ص ٤٢.

(٣) انظر: دلالة السياق القرآني ص ٦٢، ولعل أول من استعمل مصطلح (السياق) بهذا المعنى هو الإمام

الشافعي رَحِمَهُ اللهُ؛ حين عقد باباً في الرسالة سماه: (باب الصنف يبين سياقه معناه) وبالرغم من أنه لم يُعرِّفه إلا

أنه ساق أمثلةً من القرآن الكريم فيه، منها: " وسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في

السبت إنما تأتيهم حيثانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يستون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون "

(الأعراف: ١٦٣) وقال: (فابتدأ جل ثناؤه ذكر الأمر بمسألتهن عن القرية الحاضرة البحر فلما قال " إذ

يعدون في السبت " دل على أنه إنما أراد أهل القرية؛ لأن القرية لا تكون عادية ولا فاسقة بالعدوان في السبت

ولا غيره وأنه إنما أراد بالعدوان أهل القرية الذين بلاهم بما كانوا يفسقون) ص ٦٢، وانظر: دلالة السياق

ص ٤٢.

(٤) ابن دقيق العيد: محمد بن علي بن وهب القشيري، المعروف كأبيه وجده بابن دقيق العيد: من أكابر العلماء

بالأصول، من منفلوط بمصر، يقال إن جد أبيه كان عليه طيلسان شديد البياض في يوم عيد، فقيل: كأنه دقيق

العيد، فلقب به، قال عنه الذهبي: (كان إماماً متفنناً مجوداً محرراً فقيهاً مدققاً أصولياً مدركاً أديباً نحوياً ذكياً

غواصاً في المعاني وافر العقل كثير السكينة تام الورع مديم السنن مكباً على المطالعة والجمع)، له تصانيف

منها: إحكام الأحكام - في الحديث، والإمام بأحاديث الأحكام، وشرح الأربعين حديثاً للنووي، وغيرها،

المحتملات وتنزيل الكلام على المقصود منه، وفهم ذلك قاعدة كبيرة من قواعد أصول الفقه (١).

ويقول الزركشي: (ليكن مَحَطَّ نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له، وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز، ولهذا ترى صاحب الكشاف يجعل الذي سيق له الكلام متعمداً حتى كأن غيره مطروح (٢).

وكبار المفسرين ومحرروهم يهتمون بدلالة السياق عند الترجيح، ويعتنون عنايةً فائقةً بسباق الكلام ولحاقه (٣) في تحرير معنى اللفظ أو الجملة، وممن ظهرت منه هذه العناية: إمامنا القرطبي.

و من شواهد عنايته بذلك:

قوله في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ﴾ ۞ سُرِّرٍ مُّتَقَبِّلِينَ ﴿ الحجر: ٤٧:

(قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أول ما يدخل أهل الجنة الجنة تَعْرِضُ لهم عينان، فيشربون من إحدى العينين فيذهب الله ما في قلوبهم من غل، ثم يدخلون العين الأخرى فيغتسلون فيها فتشرق ألوانهم وتصفو وجوههم، وتجري عليهم نضرة النعيم، ونحوه عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال علي بن الحسين: نزلت في أبي بكر وعمر وعلي والصحابة، يعني ما كان بينهم في الجاهلية من الغل. والقول الأول أظهر، يدل عليه

وكان مع غزارة علمه ظريفاً، له أشعار وملح وأخبار. ت: ٧٠٢هـ. انظر: الدرر الكامنة (٤٨/٢) الأعلام (٢٨٣/٦).

(١) إحكام الأحكام (٤٢٤/١).

(٢) البرهان في علوم القرآن (٣١٧/١).

(٣) السَّبَاق: هو أول الكلام، أو: ما قبل الكلام. واللَّحَاق: آخر الكلام، أو: ما بعد الكلام. دلالة السياق عند الأصوليين ص ٩٩، وقد ذكر المؤلف أنه لم يقف على تعريف محدد للسباق واللحاق عند العلماء، وأن هذا التعريف نتاج النظر في كلام الأصوليين واللغويين والمفسرين وغيرهم، والله أعلم.

== ترجمات القرطبي في التفسير من سورة الحجر إلى آية (٨٠) من سورة النحل == ١٢٥ -

سياق الآية (١).

فرجّح القول الأول على غيره من الأقوال، وذكر سبب الترجيح وهو موافقته لسياق الآية.



(١) تفسير القرطبي (٢١٩/١٢).

المطلب السادس: الترجيح بظاهر القرآن

الظاهر عند الأصوليين: المعنى المتبادر إلى الذهن مع احتمال غيره احتمالاً ضعيفاً بسبب خفائه (١).

و الأصل في النص أن يُحمل على ظاهره، ولا يصح العدول عن الظاهر إلى معنى أبعد منه إلا بدليل قوي (٢).

و الإمام القرطبي كان مقررّاً لهذه القاعدة في تفسيره، ونصّ عليها بقوله وفعله. فأما قوله، فقد قال ﷻ:

(و الأصل التمسك بظاهر القرآن حتى يرد نصّ يدفعه (٣).

و أما فعله، فمن المواضع التي رجح فيها بظاهر القرآن:

قوله في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ ﴾ النحل: ٧٢:

(روى ابن القاسم (٤) عن مالك قال: وسألته عن قوله تعالى: ﴿بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ قال:

الحفدة: الخدم والأعوان في رأيي. ورؤي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾

(١) انظر: شرح الكوكب المنير (٢/٢٤٤) مثاله: الأسد، فإنه ظاهر في الحيوان المفترس ويحتمل أن يراد به الرجل الشجاع مجازاً، لكنه احتمال ضعيف.

(٢) انظر: أضواء البيان (٤/١٥٩) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/١٣٧).

(٣) تفسير القرطبي (١٤/٣٤٨).

(٤) ابن القاسم: عبد الرحمن بن القاسم بن خالد المصري، أبو عبد الله، يعرف بابن القاسم: فقيه، جمع بين الزهد والعلم. وتفقه بالإمام مالك ونظرائه. مولده ووفاته بمصر. قال الدارقطني: رجل صالح مقلّ صابر متقن حسن الضبط. أشهر كتبه: المدونة، في ستة عشر جزءاً، وهي من أجل كتب المالكية، رواها عن الإمام مالك. ت: ١٩١ هـ. انظر: الديباج المذهب (١/٨٥) الأعلام (٣/٣٢٣).

قال: هم الأعوان، من أعانك فقد حَفَدَكَ.... وقال الخليل بن أحمد^(١): الحفدة عند العرب الخدم^(٢)، وقاله مجاهد^(٣). وقال الأزهري^(٤): قيل: الحفدة أولاد الأولاد^(٥). ورؤي عن ابن عباس^(٦). وقيل: الأختان.... وروى زرّ^(٧) عن عبد الله قال: الحفدة الأصهار، وقاله إبراهيم^(٨)، والمعنى متقارب. قال الأصمعي^(٩): الحتن: مَنْ كان من

(١) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليمودي، أبو عبد الرحمن: من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، وهو أستاذ سيويه النحوي. ولد ومات في البصرة. قال النضر بن شميل: (ما رأى الرأون مثل الخليل ولا رأى الخليل مثل نفسه) له كتاب (العين) في اللغة و(معاني الحروف) وكتاب (العروض) وغيرها. ت: ١٧٠ هـ. انظر: معجم الأدباء (٣/١٢٦٠) الأعلام (٢/٣١٤).

(٢) العين (٣/١٨٥).

(٣) انظر: تفسير مجاهد ص ١٣٣، تفسير الطبري (١٧/٢٥٦).

(٤) الأزهري: محمد بن أحمد بن المهروي، أبو منصور: أحد الأئمة في اللغة والأدب، مولده ووفاته في هراة بخراسان. عني بالفقه فاشتهر به أولاً، ثم غلب عليه التبحر في العربية، فرحل في طلبها وقصد القبائل وتوسع في أخبارهم. أدرك الزجاج ونفطويه وابن دريد وطبقتهم، وأسرتهم العرب وبقي بينهم مدة مديدة، فحفظ من لغاتهم وأملى وحدّث، وصنف في اللغة والتفسير وعلل القراءات والنحو كتباً نفيسة. وهو حجة فيما يقوله وينقله. ت: ٣٧٠ هـ. انظر: الأعلام (٥/٣١١) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ص: ٢٥٢.

(٥) تهذيب اللغة (٤/٤٢٨) وعزاه إلى (بعضهم).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٧/٢٥٧) تفسير ابن أبي حاتم (٧/٢٢٩١).

(٧) زر بن حبيش بن حباشة الأسدي، أبو مريم: تابعي، من جلتهم. أدرك الجاهلية والإسلام ولم ير النبي^٨. كان عالماً بالقرآن، فاضلاً. عن عاصم قال: كان زر بن حبيش أعرب الناس وكان ابن مسعود يسأله عن العربية. سكن الكوفة. وعاش مئة وعشرين سنة. ت: ٨٣ هـ. انظر: الطبقات الكبرى (٦/١٠٤) الأعلام (٣/٤٣).

(٨) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (١٧/٢٥٤) وإبراهيم: هو النخعي، وقد تقدم.

(٩) الأصمعي: عبد الملك بن قريب بن أصمع الباهلي، أبو سعيد: راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. مولده ووفاته في البصرة. كان كثير التطواف في البوادي يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، ويتحرف بها الخلفاء فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة. أخباره كثيرة جداً. وقال أبو الطيب اللغوي: كان أتقن القوم للغة، وأعلمهم بالشعر، وأحضرهم حفظاً. وكان الأصمعي يقول: أحفظ عشرة آلاف أرحوزة. وتصانيفه كثيرة، من أشهرها: الإبل، الأضداد، المترادف، خلق الإنسان، وغيرها. ت: ٢١٦ هـ. انظر: وفيات الأعيان

=

قَبِلَ المرأة، مثل أبيها وأخيها وما أشبههما، والأصهار منها جميعاً^(١). يقال: أصهر فلان إلى بني فلان وصاهر.... وقال عكرمة^(٢): الحفدة: من نفع الرجل من ولده^(٣)، وأصله: من حفد يحفد - بفتح العين في الماضي وكسرهما في المستقبل - إذا أسرع في سيره.... قلت: ما قاله الأزهري من أن الحفدة أولاد الأولاد هو ظاهر القرآن بل نصّه؛ ألا ترى أنه قال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ فجعل الحفدة والبنين منهن^(٤).

فبني ترجيحه في هذه المسألة على ظاهر القرآن.



(٣/١٧٠) الأعلام (٤/١٦٢).

(١) أورده الأزهري في تهذيب اللغة (٢/٢٧٧).

(٢) عكرمة بن عبد الله البربري المدني، أبو عبد الله: مولى عبد الله بن عباس، تابعي، كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي. طاف البلدان، وروى عنه زهاء ثلاثمائة رجل، منهم أكثر من سبعين تابعي، ت: ١٠٥ هـ.

انظر: حلية الأولياء (٣/٣٢٦) الأعلام (٤/٢٤٤).

(٣) انظر: تفسير عبد الرزاق (١/٣٧٨) تفسير الطبري (١٧/٢٥٣).

(٤) تفسير القرطبي (١٢/٣٧٧).

المطلب السابع: الترجيح بدلالة الأصل المعتبر في كلام العرب

قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: (التفسير على أربعة أوجه: وجهٌ تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحدٌ بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله^(١)).
فقوله (وجهٌ تعرفه العرب من كلامها) هو ما فهم عن العرب من أساليب مخاطباتها، ووجوه تصريفها للكلام، والتوسع في استخدام الألفاظ.
و القرآن الكريم عربي اللسان، وقد نزل على عرب، فلزم أن يكون استعماله للألفاظ وتعبيره عن المعاني جارياً مجرى العرب في الاستعمال.
كما يلزم أن يكون هذا الأسلوب العربي حاكماً على تعيين المعنى الصحيح المراد من الآية.

وقد أدرك جلة المفسرين هذه الحقيقة، وعملوا بمقتضاها في تفاسيرهم، ومنهم الإمام القرطبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ومن أمثلة ترجيحه بالرجوع إلى دلالة الأصل المعتبر في كلام العرب:

قوله في تفسير قول الله تعالى: ﴿ l k j i h g f e d c b ﴾

﴿ r q p o n m ﴾ النحل: ٤٨:

(ووحّد اليمين في قوله: ﴿ n m l ﴾ وجمع الشمال؛ لأن معنى اليمين

وإن كان واحداً الجمع. ولو قال: عن الأيمان والشمال، واليمين والشمال، أو اليمين

والشمال لجاز؛ لأن المعنى للكثرة. وأيضاً فمن شأن العرب إذا اجتمعت علامتان في شيء

واحد أن تجمع إحداهما وتفرد الأخرى، كقوله تعالى: ﴿ 32 1 0 / . - ﴾

﴿ 9 8 7 6 5 4 ﴾ البقرة: ٧ وكقوله تعالى: ﴿ % & ﴾

(') ﴿ البقرة: ٢٥٧، ولو قال على أسمعهم، وإلى الأنوار لجاز.... وقيل:

(١) تفسير الطبري (٧٥/١).

== ترجيحات القرطبي في التفسير من سورة الحجر إلى آية (٨٠) من سورة النحل == ١٣٠ -

وَحَدَّ الْيَمِينِ لِأَنَّ الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ وَأَنْتَ مَتَوَجِّهٌ إِلَى الْقِبْلَةِ انْبَسَطَ الظِّلُّ عَنِ الْيَمِينِ، ثُمَّ فِي حَالٍ يَمِيلُ إِلَى جِهَةِ الشَّمَالِ، ثُمَّ حَالَاتٍ، فَسَاهَا شَمَائِلٌ (١).

فرجّح القول الأول لأنه موافق لطريقة العرب في التعبير عن العلامتين إذا اجتمعتا

في شيء واحد.



(١) تفسير القرطبي (١٢/٣٣٤).

المطلب الثامن: الترجيح بدلالة تصريف اللفظ واشتقاقه (١)

معنى تصريف اللفظ:

تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة - كاسمَي الفاعل والمفعول، واسم التفضيل والجمع وغيرها - بغرض الوصول إلى المعنى (٢).

و معنى اشتقاقه:

رَدُّه إلى لفظ آخر موافق له في الحروف الأصلية، مناسب له في المعنى (٣).
و معرفة اشتقاق اللفظ وأصله الذي يُردُّ إليه من أقوى الحجج في تعيين المعنى الصحيح ورجحانه على غيره.
و القرطبي رحمته الله من المعتنين بهذه الطريقة في ترجيح بعض المعاني على بعض، فمن المواضع الدالة على ذلك:

قوله في تفسير قول الله تعالى: ﴿ ! " # \$ ﴾ الحجر: ٩١:
(و واحد العُضِينِ عِضَّةً، من عَضَّيْتُ الشَّيْءَ تَعْضِيَةً أَي: فَرَّقْتَهُ، وكل فرقة عِضَّةٌ....
قال ابن عباس: آمنوا ببعض وكفروا ببعض. وقيل: فرقوا أقاويلهم فيه فجعلوه كذباً
وسحراً وكهانةً وشعراً. عَضُوْتُهُ أَي فرقته.... وأصله عِضْهَةٌ، لأن العِضَّهَ والعِضِينَ في
لغة قريش: السُّحْر. وهم يقولون للساحر: عاضِهْ وللساحرة عاضِهة. قال الشاعر:
أعوذ بربي من النافثا ت في عَقْدِ العاضِهِ المَعْضِهِ (٤)

(١) التصريف في اللغة: ردُّ الشيء من حالة إلى حالة، ومنه: تصريف الرياح، وهو ردها من جهة إلى جهة. انظر: مفردات الراغب (٢٧٩/١). وأصل اشتقاق الكلام: الأخذ فيه يميناً وشمالاً. انظر: لسان العرب (١٨١/١٠).

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين (٥١٢/٢).

(٣) انظر: شرح الكوكب المنير (٩٦/١).

(٤) أورده الأزهرى في تهذيب اللغة (عضه) دون نسبة (١٣٠/١) ومثله الجوهرى وابن منظور.

وفي الحديث: (لعن رسول الله [^] العاضة والمستعضة)^(١)، وفُسر: الساحرة والمستسحرة. والمعنى: أكثروا البهت على القرآن ونوعوا الكذب فيه فقالوا: سحر وأساطير الأولين وأنه مفترى إلى غير ذلك.... وقيل: هو من العَضه وهي النميمة. والعضيئة البهتان، وهو أن يعضه الإنسان ويقول فيه ما ليس فيه.... ويقال: عَضوهُ أي: آمنوا بما أحبوا منه وكفروا بالباقي، فأحبط كفرهم إيمانهم. وكان الفراء^(٢) يذهب إلى أنه مأخوذ من العِضاه، وهي شجر الوادي ويخرج كالشوك^(٣). فكان معتمده في ترجيح القول الأول - أن عضين من العَضه وهو التفريق - هو رجوعه للاشتقاق اللغوي للكلمة وتصريفها، وهو المعنى الملائم لسباق الآية؛ في قوله "المقتسمين".



(١) قال الشيخ عبد الرؤوف المناوي: (أخرجه أبو يعلى في مسنده، وابن عدي في الكامل من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفي إسناده زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام؛ قال ابن حجر: وهما ضعيفان. وله شاهد عند عبد الرزاق من روايته عن ابن جريج عن علي) الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي (٧٥٢/٢) برقم ٦٣٨.

(٢) الفراء: يحيى بن زياد بن عبد الله بن الديلمي، أبو زكريا، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. كان يقال له الفراء ولم يعمل في صناعة الفراء قيل: لأنه كان يفري الكلام. عهد إليه المأمون بتربية ابنه. وكان مع تقدمه في اللغة فقيهاً متكلماً، عالماً بأيام العرب وأخبارها، عارفاً بالنجوم والطب، يميل إلى الاعتزال. من كتبه: المقصور والممدود ومعاني القرآن وما تلحن فيه العامة وغيرها. ت: ٢٠٧ هـ. انظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ص: ٣١٣، الأعلام (٨/ ١٤٥).

(٣) تفسير القرطبي (٢٥٦/١٢).

القسم الثاني

دراسة المسائل الترجيحية من أول سورة الحجر إلى آخر الآية (٨٠)
من سورة النحل

أولاً— دراسة المسائل الترجيحية في سورة الحجر.

ثانياً— دراسة المسائل الترجيحية في سورة النحل من أول السورة إلى آخر الآية
(٨٠).

أولاً - دراسة المسائل الترجيحية في سورة الحجر

قَالَ تَعَالَى: ﴿n m l k j i h g﴾^(١).

في هذه الآية مسألة واحدة، هي:

﴿مَرَجِعُ الضَّمِيرِ فِي «وَإِنَّا لَهُ لِحَافُونَ»﴾.

يقول القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: ﴿i h g﴾ يعني القرآن ﴿m l k﴾ من أن يُزاد فيه أو يُنقص منه. قال قتادة^(٢) وثابت البناني^(٣): حفظه الله من أن تزيد فيه الشياطين باطلاً أو تُنقص منه حقاً، فتولى سبحانه حفظه فلم يزل محفوظاً، وقال في غيره: ﴿a b﴾ المائة: ٤٤، فوكل حفظه إليهم فبدّلوا وغيروا... وقيل: ﴿m l k﴾ أي لمحمد [^] من أن يتقول علينا أو نتقول عليه. أو ﴿m l k﴾ من أن يُكاد أو

(١) قال أبو حيان رَحِمَهُ اللهُ: (وحفظه إياه دليل على أنه من عنده تعالى، إذ لو كان من قول البشر لتطرق إليه ما تطرق لكلام البشر) وقال الحسن: حفظه بإبقاء شريعته إلى يوم القيامة. وقيل: يحفظه في قلوب من أراد بهم خيراً حتى لو غير أحد نقطة لقال له الصبيان: كذبت، وصوابه كذا، ولم يتفق هذا لشيء من الكتب (سواه) البحر المحيط (٧/ ١٨٤).

(٢) انظر: تفسير عبد الرزاق (٣/ ٤٠٤). وفتادة: هو بن دعامة بن فتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري: مفسر حافظ ضريير أكمه. قال الإمام أحمد ابن حنبل: فتادة أحفظ أهل البصرة. وكان مع علمه بالحديث رأساً في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب. وقد يدلّس في الحديث. مات بواسط في الطاعون سنة ١١٨ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٩٦).

(٣) انظر: تفسير عبد الرزاق (٣/ ٤٠٤). وثابت البناني: هو ثابت بن أسلم البناني، أبو محمد: الإمام، القدوة، شيخ الإسلام. قال العجلي: ثقة، رجل صالح. وقال أبو حاتم الرازي: أثبت أصحاب أنس بن مالك: الزهري، ثم ثابت، ثم فتادة. وقال ابن عدي: هو من تابعي أهل البصرة وزهادهم ومحدثهم. ت: ١٢٧ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٢٠).

يُقتل. نظيره: ﴿ Z \ [] المائدة: ٦٧ (١).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرير.

للمفسرين في تعيين الاسم الذي يرجع إليه الضمير قولان:

القول الأول- إن الضمير في (له) يرجع إلى الذكر، وهو القرآن.

فيكون المعنى: وإنا للذكر الذي أنزلناه لحافظون من الزيادة فيه والتقص منه والتغيير

والتبديل والتحريف.

وقد روي هذا القول عن مجاهد (٢)، وقتادة، وثابت البناني، ومقاتل (٣).

وهذا ما رجحه القرطبي، ووافقه الفخر الرازي وأبو حيان والنظام النيسابوري وابن

عادل (٤) رحمهم الله.

وقال به من أهل اللغة: الزجاج، والنحاس (٥).

ومن المفسرين: الطبري وابن أبي زمنين (٦) ومكي بن أبي طالب والواحدي والبغوي

والزنجشيري وابن عطية وابن جزري وابن رجب والسمرقندي والسيوطي والبقاعي وأبو

السعود والشوكاني (٧).

(١) تفسير القرطبي (١٢/١٨٠).

(٢) انظر: تفسير مجاهد ص ١٢٨.

(٣) انظر: تفسير مقاتل (٢/١٩٨).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب (٩/٢٨٤) البحر المحيط (٧/١٨٤) تفسير النيسابوري (٤/٤٧٦) اللباب (١٠/٢٣).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/١٧٤) معاني القرآن (٤/١١).

(٦) محمد بن عبد الله الألبيري، أبو عبد الله، المعروف بابن أبي زمنين. كان عارفاً بمذهب مالك بصيراً به، متفنناً في

الأدب والشعر، مقتنياً لآثار السلف، مع الزهد والنسك وصدق اللهجة والإقبال على الطاعة، ومجانبة

السلطان، وله مختصر المدونة ومختصر تفسير ابن سلام وكتاب أصول السنة وكتاب قدوة القارئ وكتاب

الوثائق وكتاب حياة القلوب في الزهد وغير ذلك. ت: ٣٩٩ هـ. انظر: طبقات المفسرين للسيوطي ص ١٠٤.

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٧/٦٨) تفسير ابن أبي زمنين (٢/٣٨٠) الهداية (٦/٣٨٦٥) الوجيز (١/٤٠٠) معالم

التنزيل (٣/٥١) الكشف (٣/٣٠٢) المحرر الوجيز (٤/١١٨) التسهيل (٢/٥٧) روائع التفسير

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن لفظ (الذكر) هو المصرح به في الآية.

* أنه قول أكثر السلف والمفسرين، ذكره أبو حيان.

* أنه الأوفق بسياق الآية.

* أن من نظائر هذا المعنى في القرآن: قوله تعالى: ﴿ج i h g f e d c﴾

﴿p o n m k﴾ فصلت: ٤٢.

القول الثاني - إن الضمير في (له) يرجع إلى محمد ^٨.

فيكون المعنى: وإنا لمحمد حافظون ممن أراده بسوء من أعدائه، أو من أن يتقوّل علينا.

وهذا القول مروى عن ابن السائب^(١)، وقال به: العز بن عبد السلام^(٢).

وقوى ابن الأباري هذا القول فقال: (لما ذكر الله الإنزال والمنزل دل ذلك على المنزل

عليه فحسنت الكناية عنه، لكونه أمراً معلوماً كما في قوله تعالى: ﴿! " # \$ %﴾

القدر: ١، فإن هذه الكناية عائدة إلى القرآن مع أنه لم يتقدم ذكره، وإنما حسنت الكناية للسبب

المعلوم، فكذا ههنا)^(٣).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أنه رد على ماسبق من قول المشركين: ﴿R Q﴾ الحجر: ٦.

* أن له نظيراً في القرآن هو قوله تعالى: ﴿Z [\]﴾ المائة: ٦٧

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

(١) عزاه إليه ابن الجوزي. انظر: زاد المسير (٤/ ٥١).

(٢) انظر: فتح القدير (٤/ ١٦٦).

(٣) ذكر ذلك الفخر الرازي. انظر: مفاتيح الغيب (٩/ ٢٨٤).

يتبين من عرض أقوال المفسرين الآتي:

§ أن أكثر السلف والمفسرين وأهل اللغة على القول الأول.

§ أن إرجاع الضمير إلى (القرآن) أوفق بسياق الآية.

- قال الخازن عن هذا القول أنه: (أصح وأشهر، وهو قول الأكثرين لأنه أشبه بظاهر التنزيل، ورد الكناية إلى أقرب مذكور أولى)^(١).

- وقال الأمين الشنقيطي بعد ذكر القولين: (والأول هو الحق كما يتبادر من ظاهر السياق)^(٢).

§ أن معنى القول الثاني صحيح إلا أنه ليس هو الظاهر المتبادر من الآية، إذ لم يكن هو المذكور الأقرب للضمير.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو (أن الضمير يرجع إلى الذكر، أي: وإنما للقرآن لحافظون)

يدعم هذا الرأي:

* الأدلة التي احتج بها أصحاب القول الأول.

* القواعد الترجيحية التي تنص على أن:

§ الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه^(٣).

§ إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره^(٤).

§ إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك^(٥).

(١) لباب التأويل (٤/ ١٣٤).

(٢) أضواء البيان (٢/ ٢٥٥).

(٣) انظر: قواعد الترجيح (٢/ ٢٤٨).

(٤) المصدر السابق (٢/ ٢٣٢).

(٥) المصدر السابق (١/ ١١١).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله:

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن الضمير يرجع إلى الذكر وهو القرآن)^(١) ترجيح صحيح - حسب ما ظهر لي - لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، ولقواعد الترجيح التي نص عليها العلماء.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) فائدة: إن قيل: فلم اشتغلت الصحابة بجمع القرآن في المصحف وقد وعد الله تعالى بحفظه وما حفظه الله فلا خوف عليه؟ فالجواب: أن جمعهم للقرآن كان من أسباب حفظ الله تعالى إياه فإنه تعالى لما أن حفظه قيصهم لذلك. مفاتيح الغيب (٩ / ٢٨٤).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ z yx wv u t sr qp o ﴾

﴿ ١١ ﴾ كَذَلِكَ نَسَلُكُمْ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿ ١٢ ﴾

في هذه الآية مسألة واحدة، هي:

﴿ عود الضمير في قوله تعالى: ﴿ نسلكم ﴾ (١) ﴾:

يقول القرطبي رحمته الله: ﴿ كَذَلِكَ نَسَلُكُمْ ﴾ أي: الضلال والكفر والاستهزاء والشرك ﴿ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ من قومك، عن الحسن (٢) وقتادة (٣) وغيرهما.... وروى ابن جريج عن مجاهد (٤) قال: نسلك التكذيب.... وقيل: المعنى نسلك القرآن في قلوبهم فيكذبون به. وقال الحسن ومجاهد وقتادة القول الذي عليه أكثر أهل التفسير، وهو ألزم حجة على المعتزلة، وعن الحسن أيضاً: نسلك الذكر إلزاماً للحجة، ذكره الغزنوي (٥) (٦).

طريقة الترجيح: إيراد قول أكثر المفسرين إشارة إلى موافقتهم، إضافة إلى وصفه للقول بأنه ألزم حجة على المعتزلة.

في تعيين المعنى الذي يعود إليه الضمير قولان:

القول الأول - أنه يعود إلى الكفر والتكذيب والاستهزاء.

فيكون معنى الآية: كما سلطنا الكفر في قلوب الأولين بالاستهزاء بالرسول، كذلك

(١) السَّلَكُ: مصدر سَلَكَتُ الشيء في الشيء أي أدخلته فيه كما تطعن الطاعن فتسلك الرمح فيه إذا طعنته. انظر: لسان العرب (١٠ / ٤٤٢).

(٢) أورده ابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢٢٥٨)، والسيوطي في الدر (٨ / ٥٩٤).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١ / ٣٥٤) وأورده السيوطي في الدر (٨ / ٥٩٤).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧ / ٧٠).

(٥) ذكرت كتب التراجم أن الإمام القرطبي أخذ عن عالي بن إبراهيم بن إسماعيل أبي علي الغزنوي: إماماً في التفسير، وله تفسير القرآن العظيم في مجلدين ضخمين، وتفسيره مخطوط. ت: ٥٨٢هـ. انظر: طبقات المفسرين (١ / ٢٠٩) الأعلام (٣ / ٢٤٩).

(٦) تفسير القرطبي (١٢ / ١٨٢).

نفعل في قلوب مشركي قومك، فإنهم إذا كذبوا سلك الله في قلوبهم أن لا يؤمنوا^(١).
وهو ما رجحه القرطبي موافقاً للنحاس ومكي بن أبي طالب وابن الجوزي، ووافقه
الرازي وأبو حيان والألوسي^(٢).
وهذا القول مروى عن أنس^(٣) ومجاهد وقتادة وابن زيد^(٤) ومقاتل^(٥) والحسن
البصري رحمهم الله جميعاً.
وقال به من أهل اللغة: الفراء والزجاج^(٦).
ومن المفسرين: الطبري والواحدي والبخاري وابن كثير والسمرقندي والبقاعي
والسيوطي والسعدي^(٧).
واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:
* أنه قول أهل اللغة وجمهور المفسرين.
- قال أبو جعفر النحاس: (وهذا القول هو الذي عليه أهل التفسير وأهل اللغة إلا من
شد منهم)^(٨).

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧ / ٧٠).

(٢) انظر: معاني القرآن (٤ / ١٢) الهداية (٦ / ٣٨٦٧) زاد المسير (٤ / ٥٤)، مفاتيح الغيب (٩ / ٢٨٦) البحر
المحيط (٧ / ١٨٦) روح المعاني (٩ / ٤٥٣).

(٣) أورده ابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢٢٥٨)، والسيوطي في الدر (٨ / ٥٩٤).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١ / ٣٥٤) وأورده ابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢٢٥٨) والسيوطي في الدر
(٨ / ٥٩٤).

(٥) انظر: تفسير مقاتل (٢ / ١٩٩).

(٦) انظر: معاني القرآن للفراء (٢ / ٨٥)، معاني القرآن وإعرابه اج (٣ / ١٤٧).

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٧ / ٧٠)، الوجيز (١ / ٤٠٠)، معالم التنزيل (٣ / ٥١)، تفسير القرآن العظيم (٤ /
٥٢٧)، بحر العلوم (٢ / ٤٤٢)، نظم الدرر (٤ / ٤٠٣)، تفسير الجلالين (٤ / ٣١٣)، تفسير السعدي (١ /
٤٢٩).

(٨) انظر: معاني القرآن (٤ / ١٢).

* أنه ألزم حجة للمعتزلة (١).

* أن متقدمي المفسرين كابن عباس وتلامذته أطبقوا على تفسير هذه الآية بأنه تعالى يخلق الكفر والضلال فيها، والتأويل الذي ذكره المعتزلة تأويل مستحدث لم يقل به أحد من المتقدمين، فكان مردوداً (٢).

* أن لهذه الآية نظير في القرآن هو قوله تعالى: ﴿ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ﴾

H G F E D C B A @ ? = < ; :

. ١٢٥ R Q P O N M L K J I التوبة: ١٢٤.

. ١٢٥

القول الثاني— أنه يعود إلى الذكر الذي سبق في قوله ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له

لحافظون﴾.

وهو قول الحسن البصري (٣).

فيكون المعنى: (كذلك نلقي القرآن في قلوبهم مكذباً مستهزئاً به غير مقبول، كما لو أنزلت بلئيم حاجة فلم يجبك إليها فقلت: كذلك أنزلها باللئام، تعني مثل هذا الإنزال أنزلناها بهم مردودة غير مقضية) (٤).

والمراد من هذا السلك: هو أنه تعالى يُسمعهم هذا القرآن ويخلق في قلوبهم العلم

(١) وذلك أن المعتزلة يقولون: إن أفعال العباد مخلوقة لهم ليست من خلق الله، وشبهتهم: أن الكفر والضلال أفعال قبيحة والله منزه عن فعل القبيح فلا تكون فعلاً له. والحق هو مذهب أهل السنة والجماعة: وهو أن الله خالق كل شيء وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه هو الذي خلق العبد وأفعاله، وأن العبد فاعل حقيقة وله مشيئة كما قال تعالى: " لمن شاء منكم أن يستقيم - وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين ". انظر: مجموع الفتاوى (١١٨ / ٨) وشرح العقيدة الطحاوية (١ / ١٠٦).

(٢) ذكره الفخر الرازي. انظر: مفاتيح الغيب (٩ / ٢٨٦).

(٣) انظر: النكت والعيون (٣ / ١٥٠).

(٤) الكشف (٣ / ٣٠٤).

بمعانيه، ثم إنهم لا يؤمنون به عناداً وجهلاً، فكان هذا موجباً لِلْحُقُوقِ الذم الشديد بهم.
وهو قول الزمخشري وأبي السعود والقاسمي وابن عاشور^(١)، ورجحه السمين الحلبي
وابن عادل والشوكاني^(٢).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن الضمير في " نسلكه " إن كان عائداً إلى الاستهزاء لزم أن يكون الضمير في ﴿ لَا
يُؤْمِنُونَ ﴾^(٣) عائداً إلى الاستهزاء أيضاً، لأنهما ضميران متعاقبان يجب عودهما إلى شيء واحد،
فيكون المعنى: (لا يؤمنون بالاستهزاء) وهذا معني ليس له وجه من الصحة^(٣).

وأجاب عنه أصحاب القول الأول بما يلي:

§ أن قوله " الذكر " بعيد عن الضمير، وقوله " يستهزئون " قريب منه، وعود الضمير
إلى أقرب المذكورات هو الواجب^(٤).

§ أن تفريق الضمائر المتعاقبة على الأشياء المختلفة ليس بقليل في القرآن، ولا يلزم من
تعاقب الضمائر عودها إلى شيء واحد، بل الأمر فيه موقوف على الدليل^(٥).

* أن قوله " كذلك " معناه: مثل ما عملنا كذا وكذا نعمل هذا السلك فيكون هذا
تشبيهاً لهذا السلك بعمل آخر ذكره الله تعالى قبل هذه الآية من أعمال نفسه، ولم يَجْرِ ذِكْرُ
لعمل من أعمال الله ذكر في سابقة هذه الآية إلا قوله: ﴿ لَ i h g ﴾ الحجر:
٩ فوجب أن يكون هذا معطوفاً عليه ومشبهاً به^(٦).

(١) انظر: الكشف (٣/٣٠٤)، إرشاد العقل السليم (٤/٦٦)، محاسن التأويل (٩/٣٧٤٩)، التحرير والتنوير
(٢٤/١٤).

(٢) انظر: الدر المصون (٧/١٤٧)، اللباب (١١/٤٣٥)، فتح القدير (٣/١٤٨).

(٣) ذكره الرازي. انظر: مفاتيح الغيب (٩/٢٨٦).

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض القولين السابقين ما يلي:

§ أن الخلاف بينهما لفظي، فإن مؤدى المعنيين (نسلك التكذيب) و(نسلك القرآن مكذباً به) واحد، وهو التكذيب بالله.

- قال ابن القيم: (فدخل — أي: القرآن — في قلوبهم مكذباً به كما دخل في قلوب المؤمنين مصداقاً به، وهذا مراد من قال: إن الذي سلكه في قلوبهم مكذبين به، فقد دخل التكذيب والضلال في قلوبهم.... فإن قيل ما معنى إدخاله في قلوبهم وهو لا يؤمنون به، قيل: لتقوم عليهم بذلك حجة الله) ثم قال (فتأمله فإنه من فقه التفسير)(١).

- و قال ابن عطية: (والمعنى في ذلك كله ينظر بعضه إلى بعض)(٢).

§ أن هذه الآية يستدل بها كل من أهل السنة والمعتزلة نفاة القدر على مذهبهم، كل بطريقته في الاستدلال والاستنباط، وبما قد تقرر في أصول مذهبه.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو (صحة عود الضمير على التكذيب والكفر وعلى القرآن مكذباً به).

فيكون معنى الآية: كما سلكتنا التكذيب في قلوب المكذبين، فكذلك نفعل مع مكذبي قومك.

يؤيد هذا الرأي القاعدة الترجيحية الآتية:

§ إذا كان في الآية ضمير يُحتمل عوده إلى أكثر من مذكور وأمكن الحمل على الجميع حمل عليه(٣).

(١) بدائع التفسير (١٠١/٢).

(٢) المحرر الوجيز (١٢٠/٤).

(٣) انظر: قواعد التفسير (٤٠٠/٢).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله:

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن الضمير في نسله يعود إلى الكفر والتكذيب والاستهزاء) هو جزء من الرأي الذي ظهر لي رجحانه، لما ذكرته عند مناقشة الأقوال، وللقاعدة الترجيحية التي نص عليها أهل العلم.
والله تعالى أعلم بالصواب

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ ۞ ﴿١٥﴾ مَسْجُودًا مَّسْحُورُونَ﴾
﴿فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ
أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾
في هذه الآية مسألتان.

المسألة الأولى: مرجع الضمير في قوله ﴿فَظَلُّوا﴾.

قال القرطبي رحمه الله: (أي لو صعدوا إلى السماء وشاهدوا الملكوت والملائكة لأصروا على الكفر، عن الحسن (١) وغيره. وقيل: الضمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ للمشركين. وفي ﴿فَظَلُّوا﴾ للملائكة، تذهب وتجيء (٢).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرّض.

في مرجع الضمير في هذه الآية قولان:

القول الأول - أنه يرجع إلى المشركين.

فيكون معنى الآية: ولو فتحنا على هؤلاء المشركين من قومك يا محمد باباً من السماء

فظلوا هم فيه يعرجون ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾.

وهذا القول مروى عن الحسن ومقاتل (٣).

وهو ما رجحه القرطبي موافقاً للزمخشري وابن عطية، ووافقه أبو حيان والسمين

الحلبي والألوسي والشوكاني (٤).

وقال به: مكّي ابن أبي طالب والواحدي وابن كثير والبقاعي وابن عاشور والقاسمي

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧ / ٧٢).

(٢) تفسير القرطبي (١٢ / ١٨٤).

(٣) انظر: تفسير مقاتل (٢ / ١٩٩).

(٤) انظر: الكشف (٣ / ٣٠٥) المحرر الوجيز (٤ / ١٢٠) البحر المحيط (٧ / ١٨٧) الدر المصون (٧ / ١٤٨) روح

المعاني (٩ / ٤٥٦) فتح القدير (٤ / ١٦٧).

والسعدي (١).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أنه قول أكثر المفسرين (٢).

* أن هذا المعنى أبلغ في وصف عنادهم وإصرارهم على الكفر أن ينكروا ما هو محسوس مشاهد بالأعين مماس بالأجساد.

* أن له نظيراً في القرآن هو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَابٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ

هَذَا إِلَّا لَأَسْحَرُ مِنْهُمْ﴾ الأنعام: ٧، فيرجع الضمير في " فلمسوه " إلى المشركين.

القول الثاني - أنه يرجع إلى الملائكة.

وهذا القول مروى عن ابن عباس (٣) والضحاك (٤) ومقاتل (٥).

وقال به من أهل اللغة: الفراء والنحاس (٦)، ومن المفسرين: الطبري وابن أبي زمنين

والسمرقندي (٧).

ورجحه البغوي وابن عادل (٨).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

(١) انظر: الهداية (٦/٣٨٦٨) الوجيز (١/٤٠٠) تفسير القرآن العظيم (٤/٥٢٨) نظم الدرر (٤/٤٠٤)

التحرير والتنوير (١٤/٢٦) محاسن التأويل (١٠/٣٧٥٠) تفسير السعدي (١/٤٣٠).

(٢) ذكره البغوي في تفسيره (٤/٣٧٠).

(٣) أخرجه عبد الرزاق (ص ٣٤٦) والطبري (١٧/٧٢) وأورده ابن أبي حاتم (٧/٢٢٥٩) والسيوطي في الدر

(٨/٥٩٥).

(٤) انظر: تفسير الضحاك (١/٥٠٤).

(٥) انظر: تفسير مقاتل (٢/١٩٩).

(٦) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٨٦) معاني القرآن للنحاس ص ١١.

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٧/٧٢) تفسير ابن أبي زمنين (٢/٣٨١) بحر العلوم (٢/٤٤٢).

(٨) انظر: معالم التنزيل (٤/٣٧٠)، اللباب (١٠/٢٦).

* أنه مروى عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

* أنه ورد قبله قولهم ﴿ Z Y XW V UT ﴾ [الحجر: ٧ فرجع إليه.

§ وجوز كلا المعنيين ثلثة من اللغويين والمفسرين منهم: الزجاج والثعلبي وابن الجوزي والرازي والعز بن عبد السلام والنسفي وأبو السعود^(١).

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض القولين السابقين ما يلي:

§ أن القول الأول أبلغ في المعنى وتقويه أمور:

١. من حيث السياق: سياق الآيات السابقة هو في الحديث عن المشركين ووصف

عنادهم وتمردهم على الحق بعد ما تبين: ﴿ Q P O N M L K ﴾

﴿ R ﴾، ﴿ z y x w ﴾ | { } ~ ، ﴿ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿ وَقَدْ خَلَّتْ سُنَّةُ

الْأَوَّلِينَ ﴾ فالأولى أن يكون الخبر عنهم.

٢. من حيث اللغة: أن معنى " يعرجون " أي: يصعدون^(٢)، وهو أنسب أن يكون مسنداً إلى البشر لكونهم في الأرض أما الملائكة فمستقر في الأذهان أنهم في السماء، ولكون الصعود في السماء أمر غير معهود للبشر، فالأبلغ في وصف عناد المشركين وإصرارهم على الكفر أن يكونوا هم الذين يصعدون بين السماء والأرض ثم لا يؤمنون بعد معاينة الآيات، وهذا هو الذي يوافق حالهم من الاستكبار عن الحق بعدما تبين، ومن المجادلة بالباطل.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١٧٥/٣) الكشف والبيان (٣٣١/٥) زاد المسير (٤/ ٥٥) مفاتيح الغيب

(٢) تفسير ابن عبد السلام (١٠٩/٣) مدارك التنزيل (١٣٥/٢) إرشاد العقل السليم (٤/ ٦٧).

(٢) غريب القرآن للسجستاني (١/ ٥١٢) وقال الراغب الأصفهاني: (العروج: ذهب في صعود، قال " تعرج

الملائكة والروح - فظلوا فيه يعرجون " وليلة المعراج سميت لصعود الدعاء فيها إشارة إلى قوله: " إليه يصعد

الكلم الطيب " مفردات غريب القرآن (١/ ٣٢٩).

٣. من حيث النظائر القرآنية: حيث ورد في القرآن وصف عناد المشركين بأنهم ينكرون ما هو محسوس مشاهد بالأعين مماس بالأجساد، في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قُرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ۖ أَلَمْ يَأْتُواكُم بِبُحْثٍ ۚ وَمَا يَزِيدُكُمُ الْكُفْرَ إِلَّا حَرَابًا ۗ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ الأنعام: ٧.

٤. أن الضمائر في الآيات السابقة جميعها ترجع إلى المشركين (وقالوا، وما يأتيهم، يستهزئون، لا يؤمنون به)، وقد نصت قواعد الترجيح على أن توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها^(١).

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو (أن الضمير في " فظلوا " يرجع إلى المشركين)

يشهد بصحة هذا قواعد الترجيح التي تنص على:

- * أن إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك^(٢).
- * أن الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه^(٣).
- * أن القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك^(٤).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن الضمير في " فظلوا " يرجع إلى المشركين) صحيح - من وجهة نظري - لما سبق بيانه من مناقشة الأقوال وإيراده من قواعد الترجيح.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٢٤١).

(٢) قواعد الترجيح (١/١١١) وانظر: قواعد التفسير (١/٢٤٩).

(٣) قواعد الترجيح (٢/٢٤٨).

(٤) المصدر السابق (١/٢٨١).

المسألة الثانية : معنى ﴿سُكَّرَتْ﴾.

يقول القرطبي رحمته الله: (ومعنى "سُكَّرَتْ" سُدَّتْ بالسُّحْر، قاله ابن عباس (١) والضحاك (٢). وقال الحسن: سُحِرَتْ (٣). الكلبي: أُغْشِيَتْ أَبْصَارُنَا (٤)، وعنه أيضاً: عَمِيَتْ (٥). قتادة: أُخِذَتْ (٦). وقال المؤرج (٧): دِيرُ بِنَا (٨)، من الدوران، أي صارت أَبْصَارُنَا سَكْرَى. جويبر (٩): خُدَعْتُ (١٠). وقال أبو عمرو بن العلاء (١١): "سُكَّرَتْ" غُشِيَتْ

(١) أخرجه عنه عبد الرزاق في تفسيره (٣٤٦/١).

(٢) انظر: تفسير الضحاك (٥٠٥/٢).

(٣) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن (١٤/٤).

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٧٥ / ١٧).

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٧٥ / ١٧).

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٧٥ / ١٧).

(٧) مؤرج السدوسي: أبو فيد النحوي البصري، أخذ العربية عن الخليل بن أحمد، وروى الحديث عن شعبة بنالحجاج وأبي عمرو ابن العلاء وغيرهما، وكان الغالب عليه اللغة والشعر، وله عدة تصانيف منها: (غريب القرآن) و(جواهر القبائل) وغير ذلك، توفي سنة ١٩٥ هـ. انظر: وفيات الأعيان (٣٠٤/٥) الأعلام (٣١٨/٧).

(٨) نسبه إليه الثعلبي في الكشف والبيان (٣٢٣/٥).

(٩) لعله جويبر صاحب الضحاك إذ مروياته في التفسير كثيرة. وهو: جويبر بن سعيد الأزدي، أبو القاسم: سكن بغداد، ويقال: اسمه جابر وجويبر لقب. جل روايته عن الضحاك بن مزاحم، قال سفيان بن سعيد: (لولا جويبر لمات علم الضحاك بن مزاحم) وله رواية ومعرفة بأيام الناس، وحاله حسن في التفسير، وهو لين في الرواية، قال إبراهيم بن يعقوب السعدي: حدثني من سمع أحمد بن حنبل قال: (جويبر لا يشتغل بحديثه) وقال عبد الله بن علي ابن المديني: (سألت أبي عن جويبر فضعفه جدا). انظر: تهذيب الكمال (١٦٧ / ٥) وإكمال تهذيب الكمال (٢٥٧ / ٣).

(١٠) انظر: النكت والعيون (١٥١/٣).

(١١) أبو عمرو بن العلاء: زَبَّانُ بن عمار التميمي المازني البصري، أبو عمرو، ويلقب أبوه بالعلاء: من أئمة اللغة والأدب، وأحد القراء السبعة. ولد بمكة، ونشأ بالبصرة، ومات بالكوفة. قال الفرزدق:

مازلتُ أغلق أبوابا وأفتحها حتى أتيت أبا عمرو ابن عمار

وَعُطِيَتْ. ومنه قول الشاعر:

وطلعت شمسٌ عليها مغفراً وجعلت عين الحُرور تَسْكُرُ (١)

وقال مجاهد: "سُكَّرَتْ" حُبِسَتْ (٢). ومنه قول أوس بن حجر (٣):

فصرتُ على ليلةٍ ساهرةٍ فليست بطلقٍ ولا ساكرةٍ

قلت: وهذه أقوال متقاربة يجمعها قولك: مُنَعْتُ (٤).

طريقة الترجيح: التنصيص على القول الراجح بلفظ (قلت).

Ø في معنى هذه الآية ثمانية أقوال:

القول الأول - مُنَعْتُ.

وهو ما رجحه القرطبي رحمه الله موافقاً للفراء والنحاس ومكي بن أبي طالب وابن

عطية والرازي (٥)، ووافقه: الألويسي والشوكاني (٦).

قال أبو عبيدة: (كان أعلم الناس بالأدب والعربية والقرآن والشعر). له أخبار وكلمات مأثورة. ت: ١٥٤ هـ.

انظر: غاية النهاية في طبقات القراء (٢٨٨/١) الأعلام (٤١/٣).

(١) اجثأل: اجتمع وتقبض. انظر: مادة جثل من لسان العرب (٣٧٢، ٣٨٠/٤)، والقنبر: اسم طائر. انظر: لسان

العرب (١١٧/٥)، ونسب ابن منظور هذا البيت إلى جندل ابن المثنى وهو شاعر راجز من تميم ت ٩٠ هـ.

انظر: سمط اللآلي ص ٦٤٤.

(٢) انظر: النكت والعيون (١٥١/٣).

(٣) أوس بن حجر التميمي، شاعر تميم في الجاهلية، أو من كبار شعرائها، وهو زوج أم زهير بن أبي سلمى، عمر

طويلاً، ولم يدرك الإسلام، في شعره حكمة ورقة، وكانت تميم تقدمه على سائر شعراء العرب، كانت وفاته

قبل عامين من الهجرة، له ديوان شعر مطبوع. انظر: طبقات فحول الشعراء (٩٧/١) الشعر والشعراء

(٢٠٢/١) الأعلام (٣١/٢).

(٤) تفسير القرطبي (١٨٤/١٢).

(٥) انظر: معاني القرآن للفراء (٨٦/٢) معاني القرآن للنحاس (١٤/٤) الهداية (٣٨٦٨/٦) المحرر

الوجيز (١٢٠/٤) مفاتيح الغيب (٢٩١/٩).

(٦) انظر: روح المعاني (٤٥٧/٩) فتح القدير (١٦٧/٤).

و احتجوا بالآتي:

- * أن هذا القول يجمع جميع الأقوال الصحيحة التي تحملها الآية.
- قال النحاس بعد عرض الأقوال في تفسيره: (و هذه الأقوال متقاربة^(١)).
- و قال مكّي بن أبي طالب: (وكل هذه الأقوال متقاربة المعاني^(٢)).
- و قال الرازي: (فهذه أقوال أربعة في تفسير "سُكَّرَتْ" وهي في الحقيقة متقاربة، والله أعلم^(٣)).

* أن تعدد الأقوال إنما هو تنوع في الألفاظ يرجع إلى تنوع الاشتقاق؛ إلا أن أصل المعنى واحد.

- قال ابن فارس: (السين والكاف والراء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على حَيْرَة)^(٤).
- القول الثاني - سُدَّتْ.**

وهذا القول مروى عن ابن عباس ومجاهد^(٥) والضحاك ومقاتل^(٦)، وهو قول أهل اللغة^(٧)، واعتمده ابن أبي زمنين^(٨) والواحدي^(٩) والسمين الحلبي^(١٠) والبقاعي^(١١)

(١) معاني القرآن (٤/١٤).

(٢) الهداية (٦/٣٨٦٨).

(٣) مفاتيح الغيب (٩/٢٩١).

(٤) معجم مقاييس اللغة (٣/٨٩).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره عنها (١٧/٧٥) وأورده ابن أبي حاتم (٧/٢٢٥٩).

(٦) انظر: تفسير مقاتل (٢/١٩٩).

(٧) نسبه إلى أهل اللغة الرازي في مفاتيح الغيب، ينظر: (٩/٢٩١).

(٨) انظر: تفسير ابن أبي زمنين (٢/٣٨١).

(٩) انظر: الوجيز (١/٤٠١).

(١٠) انظر: الدر المصون ص ١٤٨.

(١١) انظر: نظم الدرر (٤/٤٠٤).

والسيوطي (١).

واستدل أصحاب هذا القول بأصل كلمة (سُكَّرَتْ) في اللغة:

* فقال الراغب الأصفهاني: (والسُّكَّرُ حبس الماء، وذلك باعتبار ما يعرض من السد بين المرء وعقله، والسُّكْر - بكسر السين - الموضع المسدود (٢).

* وقال الرازي: (وأصله من السُّكْر وهو سَدُّ الشَّقِّ لئلا ينفجر الماء، فكأن هذه الأبصار مُنعت من النظر كما يَمنع السُّكْر الماء من الجري، والتشديد يوجب زيادة وتكثيراً (٣).

القول الثالث - أُغْشِيَتْ وَغُطِّيَتْ.

وهذا القول مروى عن مجاهد (٤) وابن زيد (٥) وهو قول الكلبي، وقاله الفراء (٦) والزجاج (٧) وأبو عمرو بن العلاء (٨) وأبو عبيدة (٩) وهو ظاهر عبارة ابن عطية (١٠) ووافقه الثعالبي (١١).

(١) انظر: تفسير الجلالين (٣١٦/٤).

(٢) مفردات غريب القرآن (١/٢٣٦).

(٣) مفاتيح الغيب (٢٩١/٩) وعزا الرازي هذا القول إلى أهل اللغة.

(٤) انظر: تفسير مجاهد ص ١٢٨.

(٥) أسنده عنه الطبري في تفسيره (٧٥ / ١٧).

(٦) انظر: معاني القرآن له (٨٦/٢).

(٧) انظر: معاني القرآن له (١٧٥/٣).

(٨) حكاه عنه الطبري في تفسيره فقال: (سُكَّرَتْ بتشديد الكاف بمعنى: غُشِيَتْ وَغُطِّيَتْ، هكذا كان يقول أبو

عمرو بن العلاء فيما ذكر لي عنه) (١٧ / ٧٤)، ونسبه القرطبي إليه (١٨٤/١٢).

(٩) انظر: مجاز القرآن (٣٤٧/١).

(١٠) قال ابن عطية: (ومعنى هذه المقالة منهم: أي غيرت أبصارنا عما كانت عليه، فهي لا تنفذ وتعطينا حقائق

الأشياء كما كانت تفعل) المحرر الوجيز (٤ / ١٢١).

(١١) انظر: الجواهر الحسان (٢ / ٣١٥).

واستدل أصحاب هذا القول باللغة؛ حيث استعملت كلمة (سَكَّرَ) في التغطية:
- قال أبو عبيدة: (سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا: أَي غُشِّيَتْ سَمَادِيرُ) (١) فذهبت وخبأ نظرها (٢) ثم
أنشد:

جاء الشتاء واجثأَلَّ القُنْبِرُ واستخفت الأفعى وكانت تظهرُ
وظلعت شمسٌ عليها مغفرُ وجعلت عين الحَرور تسكُرُ
- وقال الطبري: (وقد حُكي عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يقول: هو مأخوذ من
سُكِّرِ الشراب، وأن معناه: قد غَشَّى أَبْصَارَنَا السُّكْرَ) (٣).
القول الرابع - سُحِرَتْ وَأُخِذَتْ.

وهذا القول مروى عن ابن عباس (٤) والحسن، وقتادة، و(سُحِرَتْ) هي قراءة أبان بن
تغلب (٥).

- قال الطبري: (وكان هؤلاء وجَّهوا معنى قوله "سُكِّرَتْ" إلى أن أبصارهم سُحِرَتْ،
فُشِبَهُ عليهم ما يبصرون، فلا يميزون بين الصحيح مما يرون وغيره، من قول العرب: سُكِّرَ
على فلان رأيه: إذا اختلط عليه رأيه فيما يريد، فلم يدر الصواب فيه من غيره، فإذا عزم على

(١) السَّمَادِيرُ: ضَعْفُ البصر، وقد اسْمَدَرَ بَصْرُهُ، وقيل هو الشيء الذي يَتَرَاءَى لِلإِنْسَانِ من ضعف بصره عند
السكر من الشراب وغَشِّي النَّعَاسِ والدُّوَار. انظر: مادة سمدر من لسان العرب (٤/٣٨٠، ٣٧٢).

(٢) مجاز القرآن (١/٣٤٧).

(٣) تفسير الطبري (١٧/٧٤).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/٣٤٦) والطبري في تفسيره (١٧/٧٥).

(٥) ذكر ذلك ابن عطية المحرر الوجيز (٤/١٢٠)، وقال الألويسي: (وحملت - لمخالفتها سواد المصحف - على

التفسير) روح المعاني (٩/٤٥٧)، وأبان بن تغلب: بن رباح البكري الجريري بالولاء، أبو سعيد: قارئ
لغوي. من أهل الكوفة. كان جده رباح مولى لجريير بن عباد البكري فنسب إليه. من كتبه (غريب القرآن)
ولعله أول من صنّف في هذا الموضوع، و(القراءات) و(معاني القرآن) وغيرها. ت: ١٤١ هـ. انظر: غاية
النهاية في طبقات القراء (١/٤) الأعلام (١/٢٦).

الرأي قالوا: ذهب عنه التسكير^(١).

القول الخامس - حُبِسْتُ.

وهذا القول مروى عن مجاهد وقاله الفراء وهو قول الزمخشري وابن الجوزي والنسفي^(٢).

واستدل أصحاب هذا القول باللغة:

- قال الفراء: (فأما سُكِّرْتُ فحُبِسْتُ، العرب تقول: قد سَكَّرَتِ الرِّيحُ إِذَا سَكَنَتْ وَرَكَدَتْ)^(٣).

القول السادس - دِيرَ بِنَاءٍ؛ مِنَ الدُّورَانِ، أَي: صَارَتْ أَبْصَارُنَا سَكْرَى.

قاله المؤرِّج.

- قال أبو حيان: (شبهوا رؤية أبصارهم برؤية السكران لقلته تصوره ما يراه)^(٤).

- وقال الألويسي: (من السُّكْر بالضم ضد الصَّحْو، وفسروه بأنه حالة تعرض بين المرء وعقله.... وأرادوا بذلك أنه فسدت أبصارنا واعتراها خلل في إحساسها كما يعتري عقل السكران ذلك فيختل إدراكه، ففي الكلام على هذا استعارة)^(٥).

القول السابع - عَمِيَّتْ.

قاله الكلبي^(٦).

(١) تفسير الطبري (١٧ / ٧٥).

(٢) راجع: معاني القرآن (٨٦ / ٢) الكشاف (٣ / ٣٠٥) زاد المسير (٤ / ٥٥) مدارك التنزيل (٢ / ١٣٥).

(٣) معاني القرآن (٨٦ / ٢).

(٤) البحر المحيط (٧ / ١٨٧).

(٥) روح المعاني (٩ / ٤٥٧)، ومن هذا المعنى: سكرات الموت قال تعالى (وجاءت سكرة الموت بالحق). انظر:

مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٢٦٣

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٧٥).

القول الثامن - خُدعتُ.

قاله جويبر.

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض أقوال المفسرين وأهل اللغة أن الخلاف بينهم إنما هو خلاف تنوع؛ فكل قول عبّر عن معنى من المعاني التي تجيء بها كلمة (سُكِّرت) في اللغة:

• فتجيء بمعنى (سُدَّت) كما في القول الأول أو (حُبست) كما في القول الثالث: إذا مُنعت من النظر.

• وتجيء بمعنى (أغشيت و غُطِّيت) كما في القول الثاني: إذا غشيها ما منعها من النظر.

• وتجيء بمعنى (سُحرت وأُخذت) كما في القول الرابع: إذا تراءى لها غير ما هو كائن في الحقيقة.

• وتجيء بمعنى (صارت سَكْرِي) كما في القول الخامس أو (عَمِيَتْ) كما في القول السادس أو (خُدعتُ) كما في القول السابع: إذا شَبَّ عليها ما ترى فلا تميّز بين الصحيح وغيره.

والآية تحتمل كل هذه المعاني ولا تضاد بينها.

الرأي الراجح:

- يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو: أن جميع هذه الأقوال متقاربة في المعنى، ومؤدّاها واحد وهو: (امتناع رؤية الحقيقة).

- قال القاضي أبو محمد: (وعبر بعض المفسرين عن هذه اللفظة بقوله: غشي على

أبصارنا وقال بعضهم عميت أبصارنا، وهذا ونحوه تفسير بالمعنى لا يرتبط باللفظ^(١)).

وبناءً على ما سبق؛ فيما أن تكون (سُكِّرت):

• من سَكْر الماء، أي: مُنعت أبصارنا من النظر كما يمنع السُّكْر الماء من الجري.

(١) المحرر الوجيز (٤/ ١٢٠).

• أو من سُكَّر الشراب، أي: حارت أبصارنا ووقع بها من فساد النظر كفساد عقل السكران وتغيُّره.

• أو من سكور الريح، وهو سكونها وركودها، أي: تحيرت أبصارنا وسكنت عن النظر.

وبناءً على هذا، فُتْحَمَل الآية على جميع الأقوال السابقة؛ حيث إن قواعد الترجيح نصت على أنه إذا ورد أكثر من تفسير لغوي صحيح تحمله الآية بلا تضاد جاز تفسير الآية بها^(١).

- قال الطوفي^(٢) رَحِمَهُ اللهُ في تعدد التفسير للآية الواحدة: (وإن لم يشتمل على التناقض بل كان مجرد اختلاف وتعدد أقوال فإن احتمل اللفظ جميعها وأمكن أن تكون مرادةً منه وجب حمله عليها جميعاً ما أمكن)^(٣).

الحكم على ترجيح القرطبي رَحِمَهُ اللهُ

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللهُ وهو: الجمع بين الأقوال وإرجاعها إلى معنى واحد هو: (مُنْعَتٌ) صحيح — من وجهة نظري — لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، ولما قدمته من أدلة تؤيد القول الراجح.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) التفسير اللغوي للقرآن ص ٥٩١.

(٢) الطوفي: سليمان بن عبد القوي الأصولي المتفطن، لقي الشيخ تقي الدين ابن تيمية والمزي وقرأ على أبي حيان النحوي مختصره لكتاب سيبويه، وصنف تصانيف كثيرة منها الإكسير في قواعد التفسير والرياض النواضر في الأشباه والنظائر وبغية الواصل إلى معرفة الفواصل وغير ذلك، ت: ٧١٦ هـ. شذرات الذهب (٦/٣٩).

(٣) الإكسير في قواعد التفسير ص ١٢.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠ / . - , & % \$ # " ! ' () * +

في هذه الآية ثلاث مسائل.

المسألة الأولى: معنى ﴿رجيم﴾ (١).

يقول القرطبي رحمته الله: (أي مرجوم. والرجم الرمي بالحجارة. وقيل: الرجم اللعن والطرْد. وقال الكسائي: (كل رجيم في القرآن فهو بمعنى الشتم) (٢)(٣).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرّض.

Ø في معنى (رجيم) خمسة أقوال:

القول الأول - المرجوم بالحجارة.

فيكون المعنى: وحفظنا السماء من كل شيطان مرجوم بالنجوم والشهب.

وهذا المعنى هو الذي رجحه القرطبي.

وهو قول أبي عبيد والواحدي وأبي السعود (٤) رحمهم الله.

وحجة أصحاب هذا القول:

* أن الله تعالى أخبر عن الشياطين أنها مرجومة بالنجوم والشهب والكواكب:

§ كقوله تعالى: ﴿ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠ / . - , & % \$ # " ! ' () * + CB A @ ? > = < ; : 9 8 7 6

U T S R Q P O M L K J I H G F E D

(١) أصل الرجم: مأخوذ من الرّجام وهي الحجارة، والرّجم: الرمي بالرّجام، يقال رُجِمَ فهو مرجوم، ويستعار الرجم للرمي بالظن والتوهم نحو قوله تعالى: "رجما بالغيب"، قال الشاعر: وما هو عنها بالحدِيث المرّجَم، وللشتم والطرْد كقوله تعالى: "لأرجمنك واهجرني ملياً" أي: لأقولن فيك ما تكره، والمراجمة: المسابّة الشديدة، استعارة كالمقاذفة. انظر: مفردات الراغب الأصفهاني ص ١٩٠.

(٢) معاني القرآن للكسائي ص ١٧٥

(٣) تفسير القرطبي (١٢/١٨٧).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/٦١) الوجيز (١/٤٠١) إرشاد العقل السليم (٤/٦٧).

W V X Y Z الصافات: ١٠-٦.

§ وقوله: ﴿ Z Y X ﴾ [\] ^ _ ba c

d الملك: ٥.

القول الثاني - الملعون.

فيكون المعنى: وحفظنا السماء من كل شيطان ملعون، مرجوم باللعنة، مطرود من رحمة الله ومن منازل الملائكة الأعلى ومن الخير كله.

وهذا القول مروى عن قتادة^(١) ومقاتل^(٢) رحمهما الله.

وهو قول النحاس وابن عادل ومحمد الأمين الهرري^(٣) ورجحه ابن جزي الكلبي وابن كثير^(٤).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أنه مروى عن السلف.

* أن الرجم من لوازم الطرد، فلذلك جعل الرجم كناية عن الطرد.

القول الثالث - الذميمة المحقّرة^(٥).

فيكون المعنى: وحفظنا السماء من كل شيطان ذميمة محقّرة.

و حجته:

* أن العرب كانوا إذا احتقروا أحدا رجموه بالحصباء، وكانوا يرمون قبر أبي رغال

(١) أورده ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٢٥٩/٧) والسيوطي في الدر (٥٩٧/٨).

(٢) انظر: تفسير مقاتل (٢٠٠ / ٢).

(٣) انظر: معاني القرآن (١٣٩ / ٦)، اللباب (٣٩٢ / ١٣)، حقائق الروح والريحان (١٥ / ١).

(٤) انظر: التسهيل (٥٧ / ١)، تفسير القرآن العظيم (١١٦ / ١)،

(٥) ذكره ابن عاشور ولم ينسبه لأحد. انظر: التحرير والتنوير (٣٠ / ١٤).

الثقفي^(١) الذي كان دليل جيش الحبشة إلى مكة. قال جرير^(٢):

إذا مات الفرزدق^(٣) فارجموه كما ترمون قبر أبي رغال

* أن الرجم عادة قديمة، كانوا يرمون من هان عليهم أمره:

§ كقول قوم شعيب عليه السلام له: ﴿ P Q R ﴾ هود: ٩١.

§ وقول أصحاب الكهف عن قومهم: ﴿ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ

يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ ﴾ الكهف: ٢٠.

§ وقول أبي إبراهيم عليه السلام له: ﴿ } ~ تَنْتَه لِأَرْجَمَنَّكَ ﴾ مريم: ٤٦.

§ وقول قوم نوح عليه السلام له: ﴿ < = > ? @ BA C ﴾

(١) أبو رغال الثقفي: قسي بن منبه بن النبيت بن يقدم، من بني إباد: صاحب القبر الذي يُرجم بين مكة والطائف. وهو جاهلي، اختلفوا في اسمه ونسبه ومنشأه، حتى ذهب كاتب ترجمته في دائرة المعارف الإسلامية إلى أنه "شخصية أسطورية". وكان في الطائف، وهي ديار ثقيف، وكانت ثقيف تعير به، قال حسان بن ثابت:

إذا الثقفي فاخركم فقولوا هلم نعد شأن أبي رغال

وذلك لما ذكر عنه من أنه كان دليل الحبشة لما غزوا الكعبة، فهلك فيمن هلك منهم، ودفن في (المغمس) وقبره معروف. ت: نحو ٥٠ ق هـ. انظر: الأغاني (٣٠٢/٤) الأعلام (١٩٨/٥).

(٢) جرير بن عطية الخطفي من تميم، كان من فحول شعراء الإسلام، ومن أحسن الناس تشبيهاً، ومن أشدهم هجاءً، عاش عمره كله يناضل شعراء زمنه ويساجلهم فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل، وقد جمعت نقائضه مع الفرزدق في ثلاثة أجزاء وديوان شعره - مطبوع في جزأين. وأخباره مع الشعراء وغيرهم كثيرة جداً، توفي عام ١١٠ هـ. انظر: الشعر والشعراء (٩٦/١) الأعلام (١١٩/٢).

(٣) الفرزدق: همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، أبو فراس، الشهير بالفرزدق: من شعراء العصر الإسلامي، من أهل البصرة، عظيم الأثر في اللغة حتى كان يقال: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس، وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل، ومهاجته لها أشهر من أن تذكر. كان شريفاً في قومه، عزيز الجانب، أبوه من الأجواد الأشراف - وكذلك جده، لقب بالفرزدق لهامة وجهه وغلظه، جمع بعض شعره في ديوان مطبوع. ت: ١١٠ هـ في بادية البصرة وقد قارب المئة. انظر: الشعر والشعراء (٩٨/١) معجم الشعراء (١٦٤/١) الأعلام (٩٣/٨).

الشعراء: ١١٦.

§ و كما فعل أهل الطائف^(١) بالرسول [^] لما خرج يدعوهم إلى الله فأذوه وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم فقاموا له سِماطين^(٢) يرمونه بالحجارة حتى أدموا كعبيه الشريفة، وحتى اختضب نعلاه بالدماء^(٣).

القول الرابع - مشتوم.

فيكون المعنى: وحفظنا السماء من كل شيطان مشتوم، وكل مشتوم فهو مَرْجُوم بالقول^(٤).

ومعتمد أصحاب هذا القول: أن الشتم أحد معاني الرجم في اللغة، ومنه قول أبي إبراهيم لإبراهيم صلوات الله عليه: ﴿ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾ مريم: ٤٦، وقول الجعدي^(٥):

تَراجِمْنَا بِمُرِّ القَوْلِ حَتَّى نَصِيرَ كَأَنَّا فِرْسَارِ هَانِ

القول الخامس - راجم، يرمم الناس بالوساوس والخبائث^(٦).

(١) الطائف: مدينة جبلية في منطقة الحجاز، جميلة طيبة المناخ، تقع إلى الجنوب الشرقي من مكة، فتحها النبي [^] سنة تسع من الهجرة صلحاً، وتعتبر الآن من أهم طرق المواصلات في المملكة العربية السعودية، وهي مركز لقبائل ثقيف. انظر: موسوعة المدن العربية والإسلامية ص ٣٧.

(٢) سِماطين: سِماط القوم: صفهم. ويقال: قام القوم حوله سِماطين أي: صفين، وكل صف من الرجال سِماط. والسايطان: الجانبان. انظر: لسان العرب (٧/ ٣٢٥).

(٣) انظر: الروض الأنف (٢/ ٢٢٨) زاد المعاد (١/ ٩٤).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١/ ١١٢).

(٥) النابغة الجعدي: هو قيس بن عبد الله الجعدي العامري، صحابي: من المعمرين، وشاعر فحل، وسمي النابغة لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله، كان ممن هجر الأوثان ونهى عن الخمر قبل ظهور الاسلام، ووفد على النبي صلى الله عليه وآله فأسلم، ثم شهد صفين مع علي، ومات فيها عام ٥٠ هـ، وقد كُفَّ بصره وجاوز المئة. له ديوان مطبوع. انظر: الشعر والشعراء (١/ ٢٨٩) الأعلام (٥/ ٢٠٧).

(٦) ذكره ابن كثير ولم ينسبه لأحد. انظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ١١٦).

فيكون المعنى: وحفظنا السماء من كل شيطان يوسوس للناس ويرجمهم بخبيث نزغاته وهمزاته.

و حجة أصحاب هذا القول: صحة مجيء فعيل بمعنى فاعل في اللغة^(١).

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض أقوال المفسرين ما يلي:

§ أن جميع معاني "رجيم" السابقة صحيحة في اللغة.

§ أن الآية تحمل كل المعاني التي فسّر بها لفظ "رجيم"، وبناءً عليه فالاختلاف بين المفسرين هو اختلاف تنوع.

- أن القول الثاني عليه اعتراض؛ وهو أن الله تعالى قال: ﴿ ٩ ٨ ٧ ٦ ﴾

؛ < = > @ ? A ﴿ الحجر: ٣٤-٣٥ فلو كان الرجم كناية عن الطرد لكان

قوله ﴿ < = > ﴾ تكراراً.

و أُجيب عنه بوجهين:

الوجه الأول - أن يُحمل الرجم على الطرد من الجنة، ويُحمل اللعن على الطرد من رحمة

الله.

الوجه الثاني - أن يُحمل الرجم على الطرد، ويُحمل قوله ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾

ص: ٧٨ على أنه الطرد إلى يوم القيامة، فيكون على هذا فيه فائدة زائدة ولا يكون تكراراً.

§ خلاصة ما قيل في معنى "رجيم":

- إما أن يكون بمعنى فاعل أي: راجم، لأنه يرجم بالوسوسة والشر.

- أو يكون بمعنى مفعول أي: مرجوم، والرجم إما أن يكون:

رجماً حسياً: أي مقدوفاً بالشهب عند استراق السمع.

(١) انظر: المفتاح في فن الصرف (١/٥٨).

أورجماً معنوياً: أي مطروداً عن الرحمة وعن الخيرات وعن منازل الملأ الأعلى.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو أن معنى "رجيم": (مرجوم بالشهب، مطرود عن الرحمة، حقير مشتوم مذموم، يرمم الناس بنزغاته ووسوسته).

وقد ذهب إلى صحة القول بكل هذه المعاني جمع من المفسرين (١).

- يقول الأمين الهرري: (وله في القرآن أسماء مشؤمة وصفات مذمومة، وأجمع مساويه

الرجيم لأنه جامع لجميع ما يقع عليه من العقوبات (٢).

يؤيد هذا الرأي قواعد الترجيح الآتية:

* إذا ورد أكثر من تفسير لغوي صحيح تحتمله الآية بلا تضاد جاز تفسير الآية بها (٣).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو أن معنى "رجيم": (مرجوم

بالحجارة) جزء من القول الراجح - والله أعلم - لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال، ولما قدمته

من قواعد تؤيد القول الراجح.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) كالزجاج والزمخشري وابن عطية والفخر الرازي والشوكاني والأمين الهرري. انظر: معاني القرآن (١٧٦/٣)

الكشاف (٨٩/٤) المحرر الوجيز (١٢٢/٤) مفاتيح الغيب (٢٩٢/٩) فتح القدير (٤/١٧٠) حدائق

الروح والريحان (٣٩٢/١٣).

(٢) انظر: حدائق الروح والريحان (٣٩٢/١٣).

(٣) انظر: التفسير اللغوي للقرآن ص ٥٩١

المسألة الثانية - نوع الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إلا من استرق السمع﴾ (١).

يقول القرطبي رحمته الله: (أي لكن من استرق السمع، أي الخطفة اليسيرة، فهو استثناء منقطع. وقيل: هو متصل، أي إلا من استرق السمع) (٢).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرير.

Ø في نوع الاستثناء قولان:

القول الأول - أن الاستثناء منقطع، فيكون المعنى: حفظنا السماء من الشياطين جميعها ومن جملتهم مسترقي السمع.

وهذا القول مروى عن ابن عباس رضي الله عنهما (٣) والضحاك (٤) وقتادة (٥) وابن جريج (٦) ومقاتل بن سليمان (٧) رحمهم الله.

وهو ما رجحه القرطبي رحمته الله.

(١) استراق السمع: الاستماع بخفية من المتحدث كأن المستمع يسرق من المتكلم كلامه الذي يخفيه عنه، وهو تحكك مسترق السمع على السماوات لتحصيل انكشافات جبل المسترق على الحرص على تحصيلها. انظر: التحرير والتنوير (٣١/١٤).

(٢) تفسير القرطبي (١٨٧/١٢)، وهل كان انقضاؤا الشهب على مسترقي السمع في الجاهلية، أم بعد مولد النبي ^أ، أم عند بدء الوحي إليه؟ فيه أقوال للعلماء تراجع في مظانها من كتب السير والتفسير، والصحيح منها: أن ذلك كان معروفا في الجاهلية قبل مبعثه عليه الصلاة والسلام ولكن زاد مبعثه، معتمد هذا: ما جاء في صحيح مسلم أن عبد الله بن عباس قال أخبرني رجل من أصحاب النبي ^أ من الأنصار أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله ^أ رمى بنجم فاستنار فقال لهم رسول الله ^أ «ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمى بمثل هذا»... الحديث (٣٦/٧) وأخرجه النسائي في الكبرى (٣٧٤/٦) برقم (١١٢٧٢).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٧٧/١٧) وأورده ابن أبي حاتم (٢٢٥٩/٧) والسيوطي في الدر (٥٩٧/٨).

(٤) انظر: تفسير الضحاك ص ٥٠٥، تفسير ابن أبي حاتم (٢٢٥٩/٧) الدر المشور (٥٩٧/٨).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٧٧/١٧).

(٦) انظر: تفسير الطبري (٧٧/١٧).

(٧) انظر: تفسير مقاتل (٢٠٠/٢).

وقال به من اللغويين: الزجاج، والسمين الحلبي (١).

ومن المفسرين: الطبري والواحدي وابن الجوزي والبغوي وابن كثير والسمرقندي
والثعالبي والإمام السيوطي والسعدي (٢).
وجوزه الشوكاني، والأمين الهري (٣).
واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* قوله ^٨: «إِذَا فَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتْ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَالسَّلْسَلَةِ عَلَى صَفْوَانٍ - قَالَ عَلِيٌّ: وَقَالَ غَيْرُهُ: صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ - فَإِذَا فُرِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ، قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الْحَقُّ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُو السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُو السَّمْعِ هَكَذَا وَاحِدٌ فَوْقَ آخَرَ - وَوَصَفَ سُفْيَانٌ بِيَدِهِ، وَفَرَجَ بَيْنَ أَصَابِعِ يَدِهِ الْيُمْنَى، نَصَبَهَا بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ - فَرَبَّمَا أَدْرَكَ الشَّهَابُ الْمُسْتَمِعَ قَبْلَ أَنْ يَرْمِيَ بِهَا إِلَى صَاحِبِهِ فَيُحْرِقُهُ، وَرَبَّمَا لَمْ يَدْرِكْهُ حَتَّى يَرْمِيَ بِهَا إِلَى الَّذِي يَلِيهِ، إِلَى الَّذِي هُوَ [ص: ٨١] أَسْفَلَ مِنْهُ، حَتَّى يُلْقَوْهَا إِلَى الْأَرْضِ - وَرَبَّمَا قَالَ سُفْيَانٌ: حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْأَرْضِ - فَتُلْقَى عَلَى فَمِ السَّاحِرِ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُصَدِّقُ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ يُخْبِرْنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، يَكُونُ كَذَا وَكَذَا، فَوَجَدْنَاهُ حَقًّا؟ لِلْكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ» (٤).

* قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في تفسيره (* +) - الحجر: ١٧:

(١) انظر: معاني القرآن (٧٤/٣) الدر المصون (١٥١/٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٧٧/١٧) الوجيز (٤٠١/١) زاد المسير (٥٧/٤) معالم التنزيل (٣٧٢/٤) تفسير القرآن العظيم (٥٢٨/٤) بحر العلوم (٤٤٣/٢) الجواهر الحسان (٣١٦/٢) تفسير الجلالين (٣١٩/٤) تيسير الكريم المنان (٤٣٠/١).

(٣) انظر: فتح القدير (١٧٠/٤) حدائق الروح والريحان (٢٨/١٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير - باب قوله تعالى "إلا من استرق السمع" (٢٦٣/٦) برقم

﴿ TS U V ﴾ الصافات: (١٠) (١).

* النظائر القرآنية:

﴿ C D E F G H I J K L M O P ﴾ كقوله تعالى:

﴿ Q R S T U V W X Y ﴾ الصافات: ٨-١٠.

﴿ m n o p q r s t u v w ﴾ وقوله تعالى:

﴿ x y z ﴾ { ~ } الآن يَجِدُّهُ، شَهَابًا رَّصَدًا ﴿ الجن: ٨-٩.

القول الثاني— إن الاستثناء متصل، فيكون المعنى: حفظنا السماء من الشياطين إلا

مسترقي السمع فإنها لم تُحفظ منهم (٢).

وقال به: الزمخشري والقاضي البيضاوي وابن جزري الكلبي والألوسي (٣).

و اختاره: ابن عطية وأبو حيان (٤).

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يظهر من عرض الأقوال ما يلي:

﴿ أن الخلاف بين المفسرين خلاف لفظي، وعند التحقيق يتبين أن مؤدى القولين

واحد، وهو أن الله حفظ السماء بالحرس الشديد من الملائكة والكواكب والنجوم، فإذا

اجترأ على هذا الحفظ من يسترق السمع فإن النجوم تستحيل إلى شهب ثاقبة ترجمه وتخرقه.

﴿ أنه يصح أن تكون أدلة القول الأول أدلة للقول الثاني؛ إذ المعنى متفق.

﴿ أن حفظ الله السماء من الشياطين إما أن يكون:

(١) تفسير الطبري (٧٨/١٧).

(٢) واستراق الشياطين السمع كائن لأخبار السماء سوى الوحي، فأما الوحي فلا تسمع منه شيئاً؛ لقوله تعالى:

"إنهم عن السمع معزولون".

(٣) انظر: الكشاف (٣/٣٠٦) أنوار التنزيل (٣/٢٩٠) التسهيل (٢/٥٩) روح المعاني (٩/٤٦٢).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٤/١٢٢) البحر المحيط (٧/١٨٩).

• بمعنى: منع الشياطين من التعرض للسما على الإطلاق والصعود فيها، وهذا لم يقل به أحد؛ إذ النصوص على خلافه.

• أو بمنعهم من استراق السمع إن صعدوا إلى السماء بالرجم والإحراق، وهذا هو مؤدى القولين.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو (أن الاستثناء يجوز أن يكون متصلاً وأن يكون منقطعاً).

يؤيد هذا الاختيار ما تقرر عند العلماء من:

* أن الآية إن كانت تحتل معاني كلها صحيحة، تعين حملها على الجميع (١).

* إذا ورد أكثر من تفسير لغوي صحيح تحتمله الآية بلا تضاد جاز تفسير الآية بها (٢).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله:

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن الاستثناء منقطع) هو جزء من القول الصحيح.

وذلك لما ذكرته أثناء المناقشة، ولما قدمته من قواعد تؤيد القول الراجح.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) انظر: أضواء البيان (٢/ ٢٥٩) وقد حققه بأدلته شيخ الإسلام بن تيمية في رسالته في أصول التفسير رحمهما الله.

(٢) انظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم ص ٥٩١

المسألة الثالثة: معنى ﴿شهاب﴾ (١).

يقول القرطبي رحمته الله: (قوله تعالى: ﴿ 3 4 5 ﴾ الحجر: ١٨ أتبعه: أدركه ولحقه. وشهاب: كوكب مضيء. وكذلك شهاب ثاقب. وقوله: ﴿ a b ﴾ النمل: ٧ بشعلة نار في رأس عود، قاله ابن عَزِيز (٢). وقال ذو الرُّمَّة (٣):
كأنه كوكبٌ في إثر عفريتٍ مسوِّمٌ في سواد الليل مُنْقَضِبٍ (٤)
وسمي الكوكب شهاباً لبريقه، يشبه النار. وقيل: شهاب شعلة من نار، تبين لأهل الأرض فتحرقهم، ولا تعود إذا أحرقت، كما إذا أحرقت النار لم تعد، بخلاف الكوكب فإنه إذا أحرق عاد إلى مكانه (٥).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرير.

Ø في معنى (شهاب) قولان:

القول الأول - إن الشهاب كوكب مضيء.

وهو ما رجحه القرطبي.

(١) قال الراغب: (الشَّهْبَةُ: البياض المختلط بالسواد تشبيها بالشهاب المختلط بالدخان، ومنه قيل كتيبة شهباء،

اعتباراً بسواد القوم وبياض الحديد) مفردات غريب القرآن (١/ ٢٦٧).

(٢) غريب القرآن له ص ٢٩٣، وابن عَزِيز: هو محمد بن عَزِيز السجستاني، أبو بكر العَزِيزي: مفسر، كان رجلاً

فاضلاً خيراً، اشتهر بكتابه (غريب القرآن) على حروف المعجم، صنفه في ١٥ سنة. وكان مقياً ببغداد. ت: ٣٣٠هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٥٦).

(٣) ذو الرُّمَّة: عَيْلان بن عُقْبَةَ بن مُهَيْس بن مسعود العدوي، من مضر، أبو الحارث: شاعر، من فحول الطبقة

الثانية في عصره. قال أبو عمرو بن العلاء: (فُتِح الشعر بامرئ القيس وختم بذي الرمة) له ديوان شعر مطبوع

في مجلد ضخيم. توفي بأصبهان سنة ١١٧هـ. انظر: الشعر والشعراء (١/ ١١٤) طبقات فحول الشعراء

(١/ ٧٠) الأعلام (٥/ ١٢٤).

(٤) عفريت: شيطان مريد. مسوِّمٌ: مَخْلَى عنه. منْقَضِبٌ: منْقَضٌ. والمعنى: كأنه كوكب انقض من موضعه ليرجم

شيطاناً مريداً. ديوان ذي الرمة وشرحه ص ١٩.

(٥) تفسير القرطبي (١٢/ ١٨٨).

وهذا القول مروى عن مقاتل (١).

وقال به ابن قتيبة والزجاج وابن قطلوبغا (٢) وابن جزى والسمرقندي وجلال الدين السيوطي (٣).

واستدل أصحاب هذا القول بأمرين:

* شعر العرب، حيث جاء في وصف الشهاب:

قول أوس بن حجر:

وانقَضَ كالدَّرِيِّ يَتْبَعُهُ نَفْعٌ يثورُ تخالُهُ طُنْبًا (٤)

وقول بشر بن أبي خازم (٥):

والعَيْرُ يُرْهَقُهَا الخَبَارُ وَجَحْشُهَا يَنْقُضُ خَلْفَهَا انْقِضَاضَ الكوكِبِ (٦)

(١) انظر: تفسير مقاتل (٢/ ٢٠٠).

(٢) ابن قطلوبغا: قاسم بن قطلوبغا، زين الدين، أبو العدل السوداني - نسبة إلى معتق أبيه سودون الشبخوني - الجمالي: عالم بفقته الحنفية، مؤرخ، باحث. مولده ووفاته بالقاهرة. قال السخاوي في وصفه: (إمام علامة، طلق اللسان، قادر على المناظرة، مغرم بالانتقاد ولو لمشايخه) له مصنفات عدة، منها: تاج التراجم في علماء الأحناف، وغريب القرآن، ونزهة الرائيض في أدلة الفرائض، وغير ذلك. ت: ٨٧٩هـ. انظر: البدر الطالع (٤٢/٢) الأعلام (٥/ ١٨٠).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٦٧) حكاه عن ابن قتيبة ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٥٧) غريب القرآن لابن قطلوبغا (٢١/ب) التسهيل (١/ ٤١) بحر العلوم (٢/ ٤٤٣) تفسير الجلالين (٤/ ٣١٩).

(٤) ديوان أوس بن حجر (٣/١) والبيت يصف فيه صياد ينقض على فريسته. النقع: الغبار الساطع. تخاله طنبا: أي: تظنه فسقاطاً مضرراً من شدة ارتفاعه. انظر: شرح ديوان أوس بن حجر ص ٣.

(٥) بشر بن أبي خازم: اسمه عمرو بن عوف الاسدي، أبو نوفل: شاعر جاهلي فحل. من الشجعان. من أهل نجد، وله قصائد في الفخر والحماة جيدة. توفي قتيلاً بسهم في غزوة أغار بها على بني صعصعة بن معاوية نحو ٢٢ ق هـ. له ديوان شعر مطبوع ومحقق. انظر: الشعر والشعراء (١/ ٥١) الأعلام (٢/ ٥٤).

(٦) ديوان بشر بن أبي خازم ص ٤١، والبيت يصف فيه حماراً وحشياً يعدو في الصحراء، شبهه بالكوكب وقد انقض من السماء. العير: حمار الوحش. الخبار: أرض لينة رخوة.

وقول ذو الرمة:

كأنه كوكبٌ في إثر عفريتٍ مسومٌ في سواد الليل مُنقضبٍ

* أن لهذا المعنى نظائر في القرآن:

§ كقوله تعالى: ﴿ ٦ ٧ ٨ ٩ : ; < = > ? @ A ﴾

الصفات: ٧-٦.

§ وقوله تعالى: ﴿ X Y Z [\] ^ _ ﴾ الملك: ٥.

و اعترض على هذا القول: بأن هذه الشهب لو كانت هي النجوم والكواكب المركوزة في الفلك لظهر نقصان كثير في زينة السماء وهذا لم يقع.

وأجيب عنه: بأن النجوم والكواكب منها ما هو باقٍ آمنٌ من التغير والفساد، ومنها ما لا يكون كذلك، والشهب من هذا القسم.

- قال الألويسي: (وإطلاق الرجوم على النجوم يحتمل أن يكون مبنياً على الظاهر

للرائي كما في قوله تعالى في الشمس: ﴿ 5 6 7 8 ﴾ الكهف: ٨٦)(١).

القول الثاني- إن الشهاب شعلة من نار تُحرق ثم لا تعود.

وهو قول النحاس والراغب الأصفهاني والواحدي والبغوي والرازي والبيضاوي

والسمين الحلبي وابن عادل وأبي السعود والألويسي والقاسمي والأمين الهري (٢).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* الأصل في الشهاب عند العرب أنه النار، وبهذا قال أئمة اللغة:

(١) روح المعاني (٩/٤٦٦).

(٢) انظر: معاني القرآن (٥/١١٥) مفردات غريب القرآن ص ٢٦٧، الوجيز (١/٤٠١) معالم التنزيل (٤/٣٧٢)

مفاتيح الغيب (٩/٢٩٣) أنوار التنزيل (٣/٢٩٠) الدر المصون (٧/١٥١) اللباب (١٠/٢٩) إرشاد العقل

السليم (٤/٦٨) روح المعاني (٩/٤٦٢) محاسن التأويل (١٠/٣٧٥١) حدائق الروح والريحان (١٥/٤٧).

- فقال الخليل بن أحمد: (والشَّهابُ: شُعلةٌ من نارٍ، والجميعُ: الشُّهب والشُّهبان^(١)).
- وقال الجوهري: (والشهاب: شعلة نار ساطعة)^(٢).
- وقال ابن سيده^(٣): (الطائفة المشتعلة من النار شهاب، والجمع شهب)^(٤).
- وقال المرتضى الزبيدي: (وفي حديث استراق السمع: «فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقبها» يعني الكلمة المسترقة، وأراد بالشهاب الذي ينقض بالليل شبه الكوكب، وهو في الأصل الشعلة من النار)^(٥).
- وذكرت بنت الشاطيء^(٦) أن تفسير الشهاب بشعلة تقريباً يُلاحظ فيه دلالة السطوع والتوهج^(٧).

(١) العين (٢٥٧/١).

(٢) الصحاح (١٧٨ / ٢).

(٣) ابن سيده: علي بن إسماعيل، أبو الحسن: إمام في اللغة وآدابها. ولد بالأندلس وتوفي بها. كان ضريراً، واشتغل بنظم الشعر مدة، ونبغ في آداب اللغة ومفرداتها، فصنف (المخصص) في سبعة عشر جزءاً، وهو من أئمن كنوز العربية، قال عنه أبو الحسن الففطي: (لم يُر مثله في فنه، ولا يعرف قدره إلا من وقف عليه) وله أيضاً (شرح ما أشكل من شعر المتنبي) و(الأنيق) في شرح حماسة أبي تمام، وغير ذلك. ت: ٤٤٨ هـ. انظر: إنباه الرواة (٢٢٧/٢) الأعلام (٢٦٣ / ٤).

(٤) المخصص (٣٤٢ / ٢).

(٥) تاج العروس (١ / ٦٤٤).

(٦) بنت الشاطيء: عائشة عبد الرحمن الشهيرة ببنت الشاطيء: نشأت في بيت عرف بالعلم والتصوف، حفظت القرآن الكريم كاملاً في سن مبكرة، تزوجت أثناء دراستها الجامعية من أستاذها أمين الخولي، أمضت ٢٠ عاماً في دراسة الأدب قبل أن تخوض مجال الدراسات الإسلامية، تدرجت في المناصب الجامعية حتى أصبحت أستاذة التفسير والدراسات العليا بجامعة القرويين بالمغرب، حاضرت في عدد من الجامعات بالعالم العربي، لها إنتاج علمي وأدبي كبير اقترب من أربعين كتاباً شملت الدراسات الفقهية والحديثية والقرآنية والأدبية، حصلت على عدة جوائز تقديرية عربية، ت: ١٤١٩ هـ. انظر: المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين (١ / ١٣٩).

(٧) انظر: الإعجاز البياني للقرآن الكريم ص ٣٢٣.

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

من خلال عرض القولين السابقين يظهر ما يلي:

§ ظاهر الاختلاف بين القولين أنه اختلاف تضاد، حيث إن جنس الكوكب مغاير لجنس النار.

§ أن القرآن أخبر في مواضع أن الشياطين تُرجم بالنجوم والكواكب، وفي مواضع أخرى أنها ترجم بالشهب.

§ أن مصادر اللغة^(١) ذكرت أن العرب:

• تسمي الشعلة من النار شهاباً.

• وتسمي الشهاب كوكباً.

وقد كشفت الدراسات العلمية الحديثة أن الشهب هي عبارة عن جسيمات صخرية تمر في الغلاف الجوي الأرضي بسرعة ٢٠ ألف كلم في الساعة، فتزداد مقاومة الهواء لها، فيتولد من جراء هذه المقاومة حرارة عالية تؤدي إلى احتكاكها وتطاير جسيماتها مولدةً ذبلاً متوهجاً على شكل بريق ناري^(٢).

وبالنظر إلى المعطيات الثابتة في القرآن الكريم وفي لغة العرب وما ظهر من نتائج الدراسات الحديثة نستنتج ما يلي:

(أن الشهاب جزء صخري ينفصل عن النجم أو الكوكب لرجم مسترقي السمع، يمرّ بالغلاف الجوي في سرعة هائلة تؤدي إلى اشتعاله).

وبهذا التفصيل يظهر لنا التضاد بين القولين الأول والثاني:

فالأول يقتضي أن الكوكب نفسه يحرق ثم يعود مكانه ولا ينفصل منه شيء، بينما يقتضي الثاني أن الكوكب كائن في مكانه ثم ينفصل منه جزء يُحرق، ولا يعود هذا الجزء إلى

(١) كالمعجم اللغوية ودواوين الشعر القديم.

(٢) انظر: المنظار الهندسي للقرآن الكريم ص ٣٤٣

الكوكب الذي انفصل منه.

وهذا ما أثبتته المفسرون رحمهم الله:

- قال الزمخشري: (ومعنى كونها مارجم للشياطين: أن الشهب التي تنقض لرمي المسترقة منهم منفصلة من نار الكواكب، لا أنهم يُرجمون بالكواكب أنفسها؛ لأنها قارة في الفلك على حالها. وما ذلك إلا كقبس يؤخذ من نار، والنار ثابتة كاملة لا تنقص)^(١).

- وقال ابن عطية: (وجعلناها رجوماً للشياطين معناه: وجعلناها منها، وهذا كما تقول: أكرمت بني فلان وصنعت بهم وأنت إنما فعلت ذلك ببعضهم دون بعض، ويوجب هذا التأويل في الآية أن الكواكب الثابتة والبروج، وكل ما يُهتدى به في البر والبحر فليست براجم)^(٢).

- وقال أبو حيان: (ونُسب الرجم إليها لأن الشهاب المتبع للمسترق منفصل من نارها، والكوكب قارٌّ في ملكه على حاله. فالشهاب كقبس يؤخذ من النار، والنار باقية لا تنقص)^(٣).

- وقال ابن كثير: (عاد الضمير في قوله: "وجعلناها" على جنس المصابيح لا على عينها؛ لأنه لا يُرمى بالكواكب التي في السماء، بل بشهب من دونها، وقد تكون مستمدة منها، والله أعلم)^(٤).

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو أن الشهاب هو (جزء مشتعل منفصل من كوكب).

فمن قال إن الشهاب كوكب فقله صحيح، ومن قال هو شعلة من نار فقله صحيح

(١) الكشاف (٧/١٠٢).

(٢) المحرر الوجيز (٦/٣٨٧).

(٣) البحر المحيط (١٠/٣٠٥).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٨/١٧٧).

أيضاً؛ لأن كلا القولين فسر (الشهاب) ببعض ما فيه.

يقوي هذا القول:

§ الدراسات العلمية الحديثة التي كشفت عن حقيقة الشهاب.

§ قواعد الترجيح التي نصت على أنه:

- إذا ورد أكثر من تفسير لغوي صحيح تحتمله الآية بلا تضاد جاز تفسير الآية بها^(١).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله:

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو أن الشهاب: (كوكب مضيء)

صحيح، حسبما ظهر من نتائج المناقشة وما قررته الدراسات الفلكية الحديثة.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) انظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم ص ٥٩١

﴿K J I H G F E D C﴾ قَالَ تَعَالَى:

في هذه الآية مسألتان.

﴿المسألة الأولى - المراد بقوله تعالى ﴿معاش﴾﴾ (١):

يقول القرطبي رحمته الله: (قوله: ﴿F E D C﴾ يعني: المطاعم والمشارب

التي يعيشون بها؛ واحدها معيشة بسكون الياء. ومنه قول جرير:

تُكَلِّفُنِي مَعِيشَةَ آلِ زَيْدٍ وَمَنْ لِي بِالْمُرَّقِ وَالصَّنَابِ (٢)

والأصل معيشة على مفعلة بتحريك الياء. وقد تقدم في الأعراف. وقيل: إنها الملابس؛

قاله الحسن (٣). وقيل: إنها التصرف في أسباب الرزق مدة الحياة (٤).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرير.

◊ للمفسرين في تعيين المراد بـ "معاش" ثلاثة أقوال:

القول الأول - المطاعم والمشارب التي يعيشون بها.

فيكون المعنى: وجعلنا لكم فيها مطاعم ومشارب تعيشون بها.

وهو ما رجحه القرطبي رحمته الله.

وهذا هو قول الطبري والواحدي وابن الجوزي والبغوي والعز بن عبد السلام

والنسفي وأبي حيان وابن عادل والألوسي والقاسمي وابن عاشور (٥).

(١) قال ابن فارس: (عيش: العين والياء والشين أصل صحيح يدل على حياة وبقاء) معجم مقاييس اللغة (١٩٤/٤).

(٢) انظر: ديوان جرير (٨١٢/٢) وفيه (الصلائق) بدل (المرقق) جمع صليقة وهي الخبز الرقيق واللحم المشوي (الصناب) صباغ يؤتد به من الخردل والزيب كما في لسان العرب (٢٠٥/١٠).

(٣) انظر: النكت والعيون (١٥٣/١).

(٤) تفسير القرطبي (١٩٢/١٢).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٣١٦/١٢) الوجيز للواحد ص ٤٠١، زاد المسير (٥٨/٤) معالم التنزيل (٢١٦/٣)

تفسير العز بن عبد السلام (٣٨٥/٢) مدارك التنزيل (١٣٦/٢) البحر المحيط (٢٧١/٤) اللباب

واحتج أصحاب هذا القول باللغة:

* قال الخليل بن أحمد: (والمعيشة: التي يعيش بها الإنسان من المطعم والمشرب) (١).
* وقال الفراء: (والمعاش: ما يُعاش به من المطاعم والمشارب وغيرهما من ما يتوصل به إلى ذلك) (٢).

* ومنه قول جرير:

تكلفني معيشة آل زيـدٍ ومَن لي بالمرقِّقِ والصَّنابِ
* أن أصل (معيشة) اسم مصدر من عاش، سمي به الشيء الذي يحصل به العيش تسميةً للشيء باسم سببه، على طريقة المجاز الذي غلب حتى صار مساوياً للحقيقة (٣).
القول الثاني - التصرف في أسباب الرزق، من الزراعة والتجارة وغيرها.

فيكون المعنى: وجعلنا لكم فيها أسباباً تتصرفون فيها وتتوصلون بها إلى المعيشة من زراعة وتجارة وكسب وغير ذلك.
وهذا قول ابن كثير (٤)، ورجحه الماوردي.

وحجة هذا القول باللغة:

* قال الأزهري في معنى " معاش " : (ويمكن أن يكون الوصلة إلى ما يعيشون به) (٥).

* أن في الآية مضافاً محذوفاً تقديره: أسباب معاش، وهي كالزرع والحصد والتجارة

(١) كتاب العين (١٨٩/٢).

(٢) حكاه عنه أبو حيان ولم أجده. انظر: البحر المحيط (٢٧١/٤).

(٣) ذكر ذلك ابن عاشور، راجع: التحرير والتنوير (٣٤/٨).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٣٩٠/٣).

(٥) تهذيب اللغة (٤٠/٣).

وما إلى ذلك، وإنما سميت " معايش " لأنها وصلة إلى ما يعاش به (١).

القول الثالث - الملابس .

وهذا القول مروى عن الحسن .

القول الرابع - الأنعام .

وهذا القول مروى عن الضحاك (٢)

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية :

* أما قول من قال بأن المراد بـ " معايش " الملابس أو الأنعام: فإنه من باب ذكر بعض أفراد اللفظ العام على سبيل التمثيل لا لقصر المعنى عليه أو تخصيصه به، وهذا أسلوب معهود عن السلف في التفسير (٣).

* وأما من قال بأن المراد التصرف في أسباب الرزق، من الزراعة والتجارة وغيرها: فإن قولهم صحيح في اللغة، ولا حاجة لتقدير مضاف محذوف من الآية - كما زعموا - إذ المعنى مستقيم بدون القول بالتقدير، ومعلوم من قواعد التفسير أنه يُقلّل المقدر مهما أمكن لتقل مخالفة الأصل (٤).

* وأما من قال بأن المراد ما يعيش به الإنسان من المطعم والمشرب: فإن قولهم صحيح في اللغة؛ ورد عن من يحتج بقولهم في اللغة من اللغويين والمفسرين، وله شاهد من شعر العرب، وقال به أكثر المفسرين.

إلا أن قولهم: إن لفظ (معيشة) هو من باب تسمية الشيء باسم سببه على طريقة المجاز

(١) ذكره أبو حيان. انظر: البحر المحيط (٤/٢٧١).

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٥/١٤٤١).

(٣) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في مقدمة أصول التفسير فقال: (أن يذكر كل منهم من الاسماء العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل وتنبه المستمع على النوع لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومته وخصوصه.... فإن التعريف بالمثال قد يسهل أكثر من التعريف بالحد المطلق) ص ١٢.

(٤) انظر: قواعد التفسير (٢/٣٧٦).

الذي غلب حتى صار مساوياً للحقيقة، هو قولٌ فيه ضعف؛ إذ أن أكثر ألفاظ القرآن الدالة على معنيين فأكثر هي من قبيل استعمال اللفظ في حقيقته الواحدة المتضمنة لهما، لا من قبيل استعماله في الحقيقة والمجاز (١).

* نستنتج من هذه المناقشة: أن لا تعارض بين الأقوال السابقة، فالاختلاف بينها إنما هو اختلاف تنوع لا تضاد.

الرأي الراجح:

يظهر أن الرأي الراجح هو أن المراد بـ "معايش": ما يُعاش به من المطعم والمشروب والملبوس، والأسباب التي تؤدي إليه (٢).

وإنما كان هذا المعنى هو الراجح - والله أعلم - لأنه:

١. يعم كل دلالات لفظ "معايش".

٢. يجمع الأقوال التي قيلت في تفسير الآية.

وحيث لا تضاد بين تلك الأقوال فيجوز حمل الآية على جميعها، وفقاً لقواعد التفسير التي قررها أهل هذا الفن (٣).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو أن المراد بمعايش: (المطاعم والمشارب التي يعيشون بها) جزء من القول الراجح، والأولى حمل الآية على العموم؛ لما

(١) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٤١١/٢) الخلاصة الجامعة لقواعد التفسير النافعة ص ٢٣.

(٢) وهو قول الفراء والزجاج وابن عطية وابن أبي زمنين والثعالبي والبقاعي والشوكاني والسعدي. انظر: معاني القرآن للفراء (٨٦/٢) معاني القرآن وإعرابه (٣٢٠/٢) تفسير ابن أبي زمنين (٣٨٢/٢) المحرر الوجيز (١٠/٣) الجواهر الحسان (٩/٣) نظم الدرر (٣٥/١١) فتح القدير (١٧١/٤) تيسير الكريم الرحمن (٤٣٠/٢).

(٣) من قواعد التفسير: إذا ورد أكثر من تفسير لغوي صحيح تحمله الآية بلا تضاد جاز تفسير الآية بها. التفسير اللغوي للقرآن الكريم ص ٥٩١.

== ترجمات القرطبي في التفسير من سورة الحجر إلى آية (٨٠) من سورة النحل == ١٧٨ -

ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، ولما قدمته من مبررات تؤيد القول
الراجح.

والله تعالى أعلم وأحكم

المسألة الثانية: المراد بـ ﴿من لستم له برازقين﴾.

يقول القرطبي رحمه الله: ﴿J I H G﴾ يريد الدواب والأنعام، قاله مجاهد (١).
وعنده أيضاً هم العبيد والأولاد الذين قال الله فيهم: ﴿R Q P﴾ الإسراء:
٣١ (٢)، ولفظ "من" يجوز أن يتناول العبيد والدواب إذا اجتمعوا، لأنه إذا اجتمع من يعقل
وما لا يعقل غلب من يعقل. أي: جعلنا لكم فيها معاش وعبيداً وإماءً ودواب وأولاداً
نرزقهم ولا ترزقونهم. ف"من" على هذا التأويل في موضع نصب، قال معناه مجاهد وغيره.
وقيل: أراد به الوحش. قال سعيد (٣): قرأ علينا منصور (٤) ﴿J I H G﴾ قال:
الوحش. ف"من" على هذا تكون لما لا يعقل، مثل ﴿8 7 6 5 4﴾ النور: ٤٥ (٥).
طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرير.

Ø في تعيين المراد بـ(من) قولان:

القول الأول- إن المراد بـ(من): العبيد والأولاد والدواب والأنعام.

فيكون المعنى: وجعلنا لكم فيها معاش وعبيداً ودواباً وأولاداً نرزقهم ولا ترزقونهم.
وهذا ما رجحه القرطبي موافقاً للطبري ومكي بن أبي طالب والواحدي (٦)، ووافقه
ابن جزى (٧).

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/٨٢).

(٢) لم أفق عليه عنه، وعزاه الماوردي إلى ابن بحر. انظر: النكت والعيون (٣/١٥٤).

(٣) مهمل، ولم يُذكر فيمن روى عن منصور بن المعتمر.

(٤) منصور بن المعتمر بن عبد الله بن ربيعة، أبو عتاب: من أتباع التابعين، قال العجلي: (كوفي، ثقة، ثبت في الحديث، كان أثبت أهل الكوفة، لا يختلف فيه أحد، متعبد، رجل صالح) وقال الذهبي: (كان من أوعية العلم، صاحب إتقان وتأله وخير) كان فيه تشيع قليل ولم يكن بغالٍ، وكان قد عمش من البكاء، ت: ١٣٢ هـ.
انظر: تهذيب الكمال (٢٨/٥٤٦).

(٥) تفسير القرطبي (١٢/١٩٢).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٧/٨٢) الهداية (٦/٣٨٧٤) الوجيز (١/٤٠١).

(٧) انظر: التسهيل (٢/٥٩).

و جاءت الرواية به عن مجاهد.

و هو قول الفراء، وتبعه أكثر أهل اللغة كالزجاج والنحاس وأبي حيان والسمين الحلبي (١).

و قال به من المفسرين: الزمخشري وابن عطية وابن كثير والبقاعي والسيوطي وأبو السعود والأوسى، والشوكاني (٢).
و حجة أصحاب هذا القول:

* أن لفظ (من) يجوز أن يتناول العبيد والدواب إذا اجتمعوا من باب التغليب، حيث إن العرب تفعل ذلك إذا أرادت الإخبار عن البهائم وبني آدم (٣).
القول الثاني - إن المراد ب(من): الدواب والأنعام وسائر البهائم.

وقال بعضهم: إنه الوحش خاصة.

فيكون المعنى: وجعلنا لكم فيها معاش، وجعلنا للدواب والبهائم معاش أيضاً، فلستم الذين ترزقونها بل الله يرزقها وإياكم.
روي ذلك عن مجاهد (٤) ومقاتل (٥) ومنصور (٦)، وهو قول السمرقندي وابن عاشور (٧).

(١) انظر: معاني القرآن (٨٦/٢) معاني القرآن وإعرابه (١٨/٤) البحر المحيط (١٩٠/٧) الدر المصون (١٥٨/٧).
(٢) انظر: الكشاف (٣٠٦/٣) المحرر الوجيز (١٢٢/٤) تفسير القرآن العظيم (٥٢٩/٤) نظم الدرر (٤٠٧/٤) تفسير الجلالين (٣٢١/٤) إرشاد العقل السليم (٦٨/٤) روح المعاني (٤٧٠/٩) فتح القدير (١٧١/٤).

(٣) انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٢٣٩/٣).

(٤) انظر: تفسير مجاهد ص ١٢٨.

(٥) انظر: تفسير مقاتل (٢٠٠/٢).

(٦) انظر: تفسير الطبري (٨٢/١٧) وتفسير ابن أبي حاتم (٢٢٦٠/٧) والدر المنثور (٣٢١/٤).

(٧) انظر: بحر العلوم (٤٤٣/٢) التحرير والتنوير (٣٥/١٤).

و حجة أصحاب هذا القول:

* أن (من) هنا بمعنى (ما) فتكون لما لا يعقل، وهذا صحيح لغةً وله نظائر في القرآن،
منها: قوله تعالى: ﴿ - / 10 2 5 4 6 7 8 9 : ; < =
> @ B A F E D I G H J K L M N ﴿النور: ٤٥.

* أن الله تعالى أثبت لجميع الدواب رزقاً على الله فقال: ﴿ " # \$ % & ' () * ﴿هود: ٦، فلكونها مرزوقة منه سبحانه مثلهم؛ صارت شبيهة بمن يعقل من هذه الجهة.

* أنه قد ورد في القرآن التعبير عن غير العاقل بالصيغة الموضوعة للعاقل في مواضع كثيرة، منها:

- قوله تعالى: ﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأْيُهُمْ لِي سَجْدِينَ ﴿يوسف: ٤.

- وقوله: ﴿ كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿الأنبياء: ٣٣.

- وقوله: ﴿ i h g f e d ﴿النمل: ١٨.

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض القولين السابقين ما يلي:

§ أن سبب اختلاف المفسرين هو: الخلاف بين اللغويين في معنى (من) هل هو للعاقل أم لغير العاقل.

§ أن الاختلاف في تعيين المراد ب(من) اختلاف تنوع لا تضاد، إذ يصح حمل الآية على كل منها.

§ أنه يصح الإخبار عن غير العاقل بصيغ موضوعة للعاقل ك(من) و(واو الجماعة) و(واو وياء جمع المذكر السالم) إذ جاءت شواهد القرآن بذلك (١).

(١) ومن أجاز استعمال (من) لغير العاقل السمين الحلبي. انظر: الدر المصون (٧/١٥٨) ومنعه الفراء. انظر:

§ أن القول الأول أعم، وهذا متفق مع كون (مَنْ) إحدى صيغ العموم التي نص عليها علماء الأصول وعلوم القرآن (١).

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو القول الأول، وهو أن المراد بـ(مَنْ): (العبيد والأولاد والدواب والأنعام).

ولهذا الرأي قواعد ترجيحية تؤيده، ومنها:

* يجب العمل بعموم اللفظ العام حتى يثبت تخصيصه؛ لأن العمل بنصوص الكتاب والسنة واجب على ما تقتضيه دلالتها، حتى يقوم دليل على خلاف ذلك (٢).

* إذا ورد أكثر من تفسير لغوي صحيح تحتمله الآية بلا تضاد جاز تفسير الآية بها (٣).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ما ذهب إليه الإمام القرطبي – ومن وافقه من المفسرين – من ترجيح أن المراد بـ(مَنْ): (العبيد والأولاد والدواب والأنعام) صحيح حسبما ظهر لي من خلال دراسة الأدلة ومناقشتها.

والله تعالى أعلم بالصواب

معانيه (٨٦/٢).

(١) انظر على سبيل المثال: إرشاد الفحول (٢٤٦/١) الإتيان في علوم القرآن (٤١/٢).

(٢) الأصول من علم الأصول (٣٦/١).

(٣) انظر: التفسير اللغوي للقرآن ص ٥٩١

﴿WV U TS RQ P ON ML﴾ قَالَ تَعَالَى:

في هذه الآية مسألة واحدة هي:

﴿المراد بقوله تعالى ﴿خزائنه﴾﴾^(١):

يقول القرطبي رحمته الله: (أي: وإن من شيء من أرزاق الخلق ومنافعهم ﴿﴾

﴿Q P﴾ يعني: المطر المنزل من السماء لأن به نبات كل شيء. قال الحسن: (المطر

خزائن كل شيء)^(٢) وقيل: الخزائن المفاتيح، أي: في السماء مفاتيح الأرزاق، قاله الكلبي^(٣).

والمعنى واحد)^(٤).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرير.

﴿ في معنى هذه الآية أربعة أقوال:

القول الأول - الخزائن هي: المطر.

وهذا ما رجحه القرطبي، وهو مروى عن الحسن^(٥) وابن جريج^(٦).

وقال به الطبري وابن أبي زمنين ومكي بن أبي طالب والواحدي والعز بن عبد السلام

وابن عادل^(٧)، ونسبه الرازي إلى عامة المفسرين^(٨).

(١) الخزائن: من خَزَنَ الشَّيْءَ يُخْزِنُهُ خَزْنًا وَخَتَرْتَنَهُ أَحْرَزَهُ وَجَعَلَهُ فِي خِزَانَةٍ، وَخَزَائِنٌ: جَمْعُ خِزَانَةٍ وَهِيَ اسْمُ الْمَوْضِعِ

الَّذِي يُخْزَنُ فِيهِ الشَّيْءُ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزُ "وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ" هُود: ٣١. قَالَ ابْنُ الْأَثَرِيِّ:

مَعْنَاهُ غُيُوبٌ عَلَّمَ اللَّهُ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ وَقِيلَ لِلْغُيُوبِ خَزَائِنٌ لِعَمُوضِهَا عَلَى النَّاسِ وَاسْتِتَارِهَا عَنْهُمْ.

انظر: لسان العرب (١٣ / ١٣٩).

(٢) انظر: النكت والعيون (٣ / ١٥٥).

(٣) انظر: النكت والعيون (٣ / ١٥٥).

(٤) تفسير القرطبي (١٢ / ١٩٣).

(٥) لم أجد من نسبه إلى الحسن سوى القرطبي في تفسيره.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٨٣).

(٧) راجع: تفسير الطبري (١٧ / ٨٣) تفسير ابن أبي زمنين (٢ / ٣٨٢) الهداية (٦ / ٣٨٧٦) الوجيز

(١ / ٤٠١) تفسير العز بن عبد السلام (٣ / ١١٦) اللباب (١٠ / ٣٢).

(٨) انظر: مفاتيح الغيب (٩ / ٢٩٧).

واستدل أصحاب هذا القول بالآتي:

* أنه مروى عن السلف.

* أن المطر هو سبب الأرزاق والمعاش لبنى آدم والطيور والوحش وغيرهم من المخلوقات.

* أن سياق الآية يؤيد هذا القول؛ حيث إنهم لما ذكر أنه يعطيهم المعاش بين أن خزائن المطر الذي هو سبب المعاش عنده، أي في أمره وحكمه وتديره.

- و اعترض عليه ابن خطيب الري^(١) بقوله: (وتخصيص قوله تعالى: ﴿P O﴾

﴿Q﴾ بالمطر تحكم محض؛ لأن قوله: ﴿N M L﴾ يتناول جميع الأشياء، إلا ما خصه الدليل^(٢).

- وقال الألوسي: (والاقتصار عليه قصور)^(٣).

وزعم الأخير أن من فسر الآية بالمطر إنما غرّه ظاهر قوله تعالى "نزله" فارتكب خلاف الظاهر، وإنما جاء التعبير بالتنزيل لأن إنزال الأرزاق إنما يكون بطريق التدرج^(٤).

القول الثاني - الخزائن هي: المواضع التي تحفظ فيها أرزاق العباد، وأن للريح مكاناً، وللمطر مكاناً، ولكل مكان مَلَك وحفظة.

وهذا القول حكاه جمع من المفسرين ولم يختره أحد.

واستدل أصحاب هذا القول:

* أنه حمل للفظ (خزائن) على معناه المعروف في اللغة.

(١) ابن خطيب الري: كنية الفخر الرازي. انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء (٤٦٢/١).

(٢) مفاتيح الغيب (١٣٤/١٩).

(٣) روح المعاني (٤٧١/٩).

(٤) راجع: روح المعاني (٤٧١/٩)، وقال الرازي: (والمراد من الإنزال الإحداث والإنشاء والإبداع كقوله تعالى:

"وأُنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج" وقوله "وأُنزلنا الحديد" والله أعلم) مفاتيح الغيب (٢٩٧/٩).

- قال ابن فارس: (الخاء والزاء والنون أصل يدل على صيانة الشيء) (١).

* أنه له شاهد من حديث النبي [^]: «بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب، فبينما أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض، فوضعت في يدي» (٢).

ورد الألويسي هذا المعنى بقوله: (ولا يخفى أنه لا يمكن مع تعميم الشيء) (٣).

القول الثالث - الخزائن هي: مفاتيح الأرزاق.

وهذا القول مروى عن مقاتل (٤) والكلبي.

وقال به البغوي والسمرقندي والسيوطي والسعدي (٥).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن له نظيراً في القرآن وهو قوله تعالى: ﴿K J I H G F E D

ML N O P Q R S T U V W X﴾ المنافقون:

.٧

* أنه حمل للآية على العموم، وهو مناسب للعموم المفهوم من النكرة الواقعة في سياق

النفى: ﴿N ML﴾.

القول الرابع - الخزائن هي: قدرته تعالى على كل شيء خلقاً وإيجاداً وإنعاماً، والتعبير

بالخزائن على سبيل التمثيل (٦).

(١) معجم مقاييس اللغة (٢/ ١٧٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الجهاد - باب قوله [^]: «نصرت بالرعب» (٤/ ٢٣١) برقم ٢٩٧٧.

(٣) روح المعاني (٩/ ٤٧١).

(٤) انظر: تفسير مقاتل (١/ ٣٤٧).

(٥) انظر: معالم التنزيل (٤/ ٣٧٥) بحر العلوم (٢/ ٤٤٣) تفسير الجلالين (١٠/ ٣٣) تيسير الكريم الرحمن

(١/ ٤٣٠).

(٦) أخرج البزار لهذا القول شاهداً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في مسنده (١٧/ ٣١٤) برقم ١٠٠٨١: قال

رسول الله [^]: «خزائن الله الكلام، فإذا أراد شيئاً قال له: كن فكان» قال الألباني: (ضعيف). انظر: ضعيف

وهذا القول مروى عن الكلبي (١).

وهو قول الراغب الأصفهاني والزنجشيري، وقال به: أبو السعود والألوسي والقاسمي وابن عاشور (٢).

ورجحه أبو حيان والشوكاني (٣).

وهو ظاهر عبارة الرازي (٤).

- قال الراغب الأصفهاني: (وقوله تعالى: ﴿ Q P ON ML ﴾، ﴿ Q

T S R ﴾ إشارة منه إلى قدرته تعالى على ما يريد إيجاده (٥).

- قال الألوسي: (شبه اقتداره تعالى على كل شيء وإيجاده لما يشاء بالخزائن المودعة

فيها الأشياء المعدّة لأن يخرج منها ما شاء، فذكر ذلك على سبيل الاستعارة التمثيلية (٦).

- وقال ابن عاشور: (شبهت هيئة إيجاد الأشياء النافعة بهيئة إخراج المخزونات من

الخزائن على طريقة التمثيلية المكنية، ورمز إلى الهيئة المشبه بها بما هو من لوازمها وهو الخزائن) (٧).

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض الأقوال وأدلتها أن منها القوي، الموافق لسياق الآيات، الذي تؤيده

الجامع الصغير (٥٩٩/٨) برقم ٢٨٢٥.

(١) نسبه إليه أبو حيان. انظر: البحر المحيط (٧/١٩١).

(٢) انظر: الكشاف (٣/٣٠٧) إرشاد العقل السليم (٤/٦٩) روح المعاني (٩/٤٧١) محاسن التأويل

(٣٧٥٣/١٠) التحرير والتنوير (١٤/٣٦).

(٣) انظر: البحر المحيط (٧/١٩١)، فتح القدير (٤/١٧١).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب (٩/٢٩٧).

(٥) مفردات غريب القرآن (١/١٤٦).

(٦) روح المعاني (٩/٤٧١).

(٧) التحرير والتنوير (١٤/٣٦).

قواعد الترجيح، ومنها ما يعتريه الضعف أو البعد في المعنى.

فمن الأقوال التي فيها ضعف:

* القول الثالث: إذ أنه رجوع بالضمير إلى معنى بعيد عن السياق، وتخصيص ليس له

وجه قوي، والأنسب بمعنى الآيات السابقة واللاحقة وبالنكرة المفيدة للعموم ﴿ ML

N﴾ أن تُحمل الآية على معنى عام لا خاص.

* القول الرابع: إذ أن فيه صرفاً للفظ عن ظاهره إلى معنى بعيد — وهو التأويل في

اصطلاح علماء علوم القرآن — وفيه حمل للآية على التمثيل والاستعارة المكنية^(١) بلا

موجب، ويظهر لي أن هذا المعنى هو من قبيل التفسير الإشاري^(٢)، والله أعلم.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو: أن المراد بـ "خزائنه" المواضع

التي تحفظ فيها الأرزاق، أو مفاتيح الأرزاق.

يشهد بصحة هذا:

* أن هذين القولين هما الأوفق بسياق الآيات التي فيها تعديد لنعم الله على عباده

بألفاظ تفيد التعميم ﴿ > ? @ ﴾ ﴿ F ﴾ ﴿ J I H G ﴾ :

ففي السياق:

﴿ 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D ﴾

E F G H I J K L M N O P Q R S T U

﴿ V ﴾ الحجر: ١٩-٢١.

(١) الاستعارة المكنية: هي نوع من التشبيه يقوم على حذف المشبه به وذكر شيء من لوازمه وخصائصه. انظر:

الإيضاح في علوم البلاغة ص ٣١٧.

(٢) التفسير الإشاري: هو تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر والمراد. انظر:

مناهل العرفان (٢/ ٧٨).

وفي اللحاق:

﴿c ba ` _ ^] \ [z y x ﴾

الحجر: ٢٢.

وقواعد الترجيح تعضد هذا؛ حيث نصت على أن إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك (١).

* أن إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره (٢)، والآية تتحدث عن عموم الأرزاق كما يفيد لفظ "شيء" النكرة المسبوق بالنفي، فيكون الضمير عائد على عام، وهي الأرزاق.

* أنه حمل للفظ (خزائن) على معناه الحقيقي في اللغة (٣).

يؤيد هذا القاعدة الترجيحية التي نص عليها العلماء: (يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة) (٤).

- قال ابن عبد البر رحمته الله: (وحمل كلام الله وكلام نبيه [^] على الحقيقة أولى بذوي الدين والحق، لأنه يقص الحق، وقوله الحق، تبارك وتعالى علواً كبيراً) (٥).

* أن له نظيراً في القرآن، وشاهداً من حديث النبي عليه الصلاة والسلام (٦).

* أن قواعد الترجيح نصت على أن:

- القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك (٧).

(١) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (١/١٢٥).

(٢) انظر: المصدر السابق (٢/٦٠٣).

(٣) وقد سبق ذكر قول ابن فارس في معنى مادة خ ز ن.

(٤) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٣٨٧).

(٥) التمهيد (٥/١٦).

(٦) سبق ذكرهما.

(٧) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (١/٣١٢).

- إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه (١).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو: (أن الخزائن: المطر (٢) فيه بُعد عن سياق الآية - من وجهة نظري - لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، ولما قدمته من أدلة تؤيد القول الراجح.

والله تعالى أعلم بالصواب (٣)

(١) انظر: المصدر السابق (٢٠٦/١).

(٢) حسبما أفاده قوله بعد ذكر الأقوال (والمعنى واحد).

(٣) ذكر ابن القيم لطيفة من هذه الآية فقال: (قوله تعالى " وإن من شيء إلا عندنا خزائنه " متضمن لكنز من الكنوز، وهو أن كل شيء لا يطلب إلا ممن عنده خزائنه، ومن مفاتيح تلك الخزائن بيديه، وإن طلبه ممن ليس عنده طلب ممن ليس عنده ولا يقدر عليه) التفسير القيم ص ٣٣٥.

قَالَ تَعَالَى: ﴿﴾ X Y Z [\] ^ _ ` ba
﴿d c﴾

في هذه الآية مسألة واحدة.

﴿لِوَأَقْح﴾ هل يرجع إلى كونها لاقح أم ملقح؟ (١).

يقول القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: (و معنى " لواقح " : حوامل؛ لأنها تحمل الماء والتراب والسحاب والخير والنفع. قال الأزهري: (وجعل الريح لاقحاً لأنها تحمل السحاب، أي: تُقَلِّه وتُصَرِّفه ثم تُمْرِيه (٢) فَتَسْتَدِرُّه) (٣) أي: تنزله، قال الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا﴾ الأعراف: ٥٧، أي: حملت. وناقة لاقحٌ ونوق لواقح إذا حملت الأجنة في بطونها. وقيل: لواقح بمعنى مُلْقِحة وهو الأصل، ولكنها لا تلقح إلا وهي في نفسها لاقح، كأن الرياح لقحت بخير. قيل: ذوات لقح، وكل ذلك صحيح) (٤).

طريقة الترجيح: التنصيص على القول الراجح بقوله: (وكل ذلك صحيح).

Ø في معنى هذه الآية ثلاثة أقوال:

القول الأول- إن وصف الرياح بـ" لواقح " هو كونها لاقح مُلْقِحة.

وهو ما رجحه القرطبي، وهذا القول جامع للقولين الآخرين.

روي عن عبد الله بن مسعود (٥) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقال به الفراء والزجاج من أهل اللغة (٦).

(١) الفرق بين كون الرياح لاقح أو ملقح هو: أن لاقح من لَقَحَ بمعنى حَمَلَ؛ واللواقح أي: التي تحمل السحاب أو الماء الذي فيه، وأما ملقح فهي: من أَلْقَحَ بمعنى عَمِلَ بالإنقاذ، فعلى هذا يكون اللاقح هو السحاب والشجر والملقح هي الريح. ووصف الرياح بذلك على التشبيه البليغ، ولقحها: حملها الماء وإلقاها السحاب والشجر: عملها فيه بالتلقيح.

(٢) تُمْرِيه: المُرِّي في اللغة: الحَلْب والاستدرار، ومنه: المرأيا؛ وهي العروق التي تمتلئ باللبن فتدرّ. انظر: معجم مقاييس اللغة (٣١٤/٥).

(٣) تهذيب اللغة (٥٥/٤).

(٤) تفسير القرطبي (١٩٥/١٢).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٨٦/١٧).

(٦) انظر: معاني القرآن للفراء (٨٧/٢) معاني القرآن وإعرابه (١٧٧/٣).

و وافقهم من المفسرين: الطبري والنحاس والواحدي وابن عطية وأبو حيان والبيضاوي والنسفي وابن جزي الكلبي والنظام النيسابوري وأبو السعود والشوكاني والقاسمي والمراغي وابن عاشور^(١).

و احتج أصحاب هذا القول بجواز ذلك في التصريف، ورأوا أن كلا الوصفين صادق في الرياح.

- قال الطاهر بن عاشور: (ومن بلاغة الآية إيراد هذا الوصف لإفادة كلا العاملين اللذين تعملهما الرياح، وقد فسرت الآية بهما)^(٢).

القول الثاني- أن وصف الرياح بـ "لواقح" هو كونها مُلقح.

وهذا القول مروى عن ابن عباس^(٣) والضحاك^(٤) وإبراهيم النخعي^(٥) والحسن البصري^(٦) وسفيان الثوري^(٧) وعبيد بن عمير^(٨) وقتادة^(٩).

(١) انظر: تفسير الطبري (٨٦/١٧) معاني القرآن (١٧/٢) الوجيز (٤٠٢/١) المحرر الوجيز (١٢٤/٤) البحر المحيط (١٩١/٧) أنوار التنزيل (٢٩٢/٣) مدارك التنزيل (١٣٦/٢) التسهيل (٥٩/٢) تفسير النيسابوري (٤٨٢/٤) إرشاد العقل السليم (٦٩/٤) فتح القدير (١٧٢/٤) محاسن التأويل (٣٧٥٣/١٠) تفسير المراغي (١٧/١٤) التحرير والتنوير (٣٧/١٤).

(٢) التحرير والتنوير (٣٨/١٤)، ومن بلاغة الآية أيضاً: تشبيه الريح التي تحيء بالخير بالحامل وتشبيه التي لا تنتج بالعقيم، وهذه استعارة تصريحية. انظر: حقائق الروح والريحان (٥١/١٥).

(٣) أخرجه الطبري عنه (٨٦/١٧) وذكره السيوطي في الدر (٦٠٢/٨).

(٤) تفسير الضحاك (٥٠٦/١) وأخرجه عنه الطبري (٨٦/١٧) وذكره ابن أبي حاتم (٢٢١٦/٧) والسيوطي في الدر (٦٠٢/٨).

(٥) أخرجه الطبري عنه (٨٦/١٧) وذكره السيوطي في الدر (٦٠٢/٨).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٨٦/١٧) وذكره ابن أبي حاتم (٢٢١٦/٧) والسيوطي في الدر (٦٠٢/٨).

(٧) انظر: تفسير سفيان الثوري ص ١٥٩.

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره (٨٦/١٧) وذكره ابن أبي حاتم (٢٢١٦/٧) والسيوطي في الدر (٦٠٢/٨).

(٩) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٨٧/٢) والطبري في تفسيره (٨٦/١٧) وذكره السيوطي في الدر (٦٠٢/٨).

وهو قول أبو عبيدة وتبعه الراغب الأصفهاني من اللغويين^(١)، والإمام البخاري من المحدّثين^(٢)، والثعلبي ومكي بن أبي طالب وابن الجوزي والسمرقندي والسيوطي والسعدي من المفسرين^(٣).

و استدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن أصل هذا في اللغة هو من قولهم: لقحت الناقة وألقحها الفحل إذا ألقى الماء فيها فحملت، فكذلك الرياح جارية مجرى الفحل للسحاب^(٤).

* أن الله وصف ريح العذاب بالعقم لكونها لا تُتَبَّجُ ﴿ n m l k j i ﴾

﴿ الذاريات: ٤١ ﴾، فكذلك هنا وصفها باللقح والإنتاج.

* أن (لواح) وُضعت موضع (ملاقح) على جهة النسبة، كما قال النابغة^(٥):

كَلِينِي لَهُمْ يَا أُمِيمَةَ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيَهُ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ^(٦)

يريد: مُنْصِبٍ أَوْ ذِي نَصَبٍ.

- قال الزجاج: (يجوز أن يقال لها لواح وإن ألقحت غيرها لأن معناها النسبة، وهو

(١) انظر: مجاز القرآن (١/٤٠٠)، مفردات غريب القرآن ص ٤٥٢.

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب التفسير - باب تفسير سورة الحجر (٤/١٧٣٥).

(٣) انظر: الكشف والبيان (٢/١٣٦) الهداية (٦/٣٨٧٧) زاد المسير (٤/٦٠) بحر العلوم (٢/٤٤٤) تفسير

الجلالين (٤/٣٢٣) تيسير الكريم الرحمن (١/٤٣٠).

(٤) ذكره الرازي. انظر: مفاتيح الغيب (٩/٢٩٨).

(٥) النابغة الذبياني: هو زياد بن معاوية، شاعر جاهلي من أهل الحجاز، لُقّب بالنابغة لنبوغه في صناعة الشعر،

كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها، وكان الأعشى

وحسان والخنساء ممن يعرض شعره عليه، توفي عام ١٨ قبل الهجرة، وُجّع شعره في ديوان مطبوع. انظر:

الشعر والشعراء (١/٢٥) الأعلام (٣/٥٤).

(٦) انظر: ديوان النابغة الذبياني ص ١٣، والشاهد من البيت قوله (ناصب) أي: منصب. كليني: من الكلاءة أي

احفظيني واحرسيني.

كما يقال: درهم وازن، أي ذو وزن، ورامح وسائف، أي ذو رمح وذو سيف^(١).
ولكن هذا الجواب تُعقَّب بأنه ليس بمغنٍ، لأنه كان يجب أن يصح اللاحق بمعنى ذات اللقاح وهذا ليس بشيء، لأن اللاحق هو المنسوب إلى اللقحة، ومن أفاد غيره اللقحة فله نسبة إلى اللقحة فصح هذا الجواب^(٢).

* أن (لواقح) جمع ملقح لأنه من ألقح يُلقح والجمع ملاقح، ثم حذفت الزوائد فجمعت كما تجمع لاقح، ومنه قول نهشل بن حري^(٣) يرثي أخاه:
لَيْبِكِ يَزِيدَ ضَارِعٌ لِحَصُومَةٍ وَمَخْتَبِطٌ مَّا تُطِيحُ الطَّوَائِحُ^(٤)
يريد: المطاوح.

وقرر أبو عبيدة ذلك فقال: (مجازها مجاز ملاقح لأن الريح ملقحة للسحاب، والعرب قد تفعل هذا فتلقي الميم لأنها تعيده إلى أصل الكلام)^(٥)
وهذا يدل على جواز ورود لاقح عبارة عن ملقح.

* أنه من باب استخدام فاعل لمفعول كقوله تعالى: ﴿ : الطارق: ٦ أي: مدفوق، وقول العرب: ليلٌ نائم، وسرٌّ كاتم. أي: منومٌ فيه ومكتوم.

(١) معاني القرآن وإعرابه (١٧٧/٣).

(٢) ذكره الرازي في مفاتيح الغيب (٢٩٩/٩).

(٣) نهشل بن حري بن ضمرة الدارمي: شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام وكان من خير بيوت بني دارم، أسلم ولم ير النبي [^] وصحب علياً في حروبه. ت ٤٥ هـ انظر: طبقات فحول الشعراء (٧٥/١) الأعلام (٨/٤٩).

(٤) البيت في الرثاء، ومعناه: عمّ المخاطبين بالتفجع على يزيد والبكاء عليه، ثم خص الضارع للخصومة المختبط الذي أصابته شدة السنين من جملة الباكين عليه لشدة احتياجهما إليه. انظر: خزنة الأدب (١٠٧/١).

(٥) مجاز القرآن (٣٨٤/١). لكن ابن قتيبة ردّ هذا القول منكراً على أبي عبيدة التعليل بحذف الزوائد، فقال: (ولست أدري ما اضطره إلى هذا التفسير بهذا الاستكراه وهو يجد العرب تسمي الرياح لواقح) غريب القرآن (٢٣٦/١)، ونفى الجوهري صحة التعبير عن الرياح ب(ملاقح) فقال: (ورياحٌ لواقح، ولا يقال ملاقح، وهو من النوادر) الصحاح (٤٠٢/١).

- * أنه قد روي في قراءة شاذة^(١): " وأرسلنا الرياح يلقحهن " (٢).
- * أن الرياح تلقح السحاب والشجر وإنما توصف باللقح الملقوحة لا الملقح.
- القول الثالث-** أن وصف الرياح بـ " لواقح " هو كونها حوامل.
- وهو قول مقاتل^(٣).
- وقال به ابن أبي زمنين والبعوي والخازن والبقاعي والألوسي، واختاره الشنقيطي^(٤).
- واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:
- * أن لهذا المعنى نظائر في القرآن منها:
- قوله تعالى: ﴿ وَالرِّيحُ بَشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا نِّقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ ﴾ الأعراف: ٥٧، أي: حملت.
 - وقوله تعالى: ﴿ فَالْحَمَلَتِ وَقْرًا ﴾ الذاريات: ٢ أي: السحاب التي تحمل وقرها من الماء^(٥).

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

- يتبين من عرض الأقوال أن منشأ الخلاف في " لواقح " هو: اختلافهم في أصل الاشتقاق اللغوي للكلمة: هل هو من اسم الفاعل فتكون " لواقح " جمع (لاقح) أم من اسم المفعول فتكون " لواقح " جمع (مُلَقَّح).
- فمن قال إنها جمع لاقح فهو من لقح، والمعنى أنها حوامل للسحاب وللقاح؛ لا أنها

(١) القراءة الشاذة: ما نقل قرآنًا من غير تواتر واستفاضة متلقاة بالقبول من الأمة. منجد المقرئين (١/٢٠).

(٢) قال الأعمش: (قراءة عبد الله). انظر: المحرر الوجيز (٤/١٢٤) ولم أجدها في كتب القراءات الشواذ كالمحتسب لابن جني والكشف لمكي بن أبي طالب ومختصر شواذ القرآن لابن خالويه.

(٣) انظر: تفسير مقاتل (٢/٢٠١).

(٤) انظر: تفسير ابن أبي زمنين (٢/٣٨٢) تفسير البغوي (٤/٣٧٥) لباب التأويل (٤/١٤١) نظم الدرر (٤/٤٠٧) روح المعاني (٩/٤٧٣) أضواء البيان (٢/٢٦٨).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٢٢/٣٩١).

تُلَقِّحُ بِنَفْسِهَا.

- ومن قال إنها جمع مُلَقِّح فهو من أَلَقَّحَ، والمعنى أنها تُلَقِّحُ السحاب والشجر بنفسها، أو أنها ذات لَقْح.
- ومن جَوَّزَ القولين فكلا المعنيين صحيحٌ عنده؛ فهي لاقحة للسحاب واللقاح، ملقحة للسحاب والشجر.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو: القول الأول (أن الرياح لاقحة ملقحة)، وذلك لكونه جامعاً للمعاني التي تحملها الآية.
يقوّي هذا الترجيح:

- القاعدة الترجيحية: إذا ورد أكثر من تفسير لغوي صحيح تحتمله الآية بلا تضاد جاز تفسير الآية بها (١).
- ما ظهر في الدراسات الطبيعية الحديثة من أن للرياح دَورين: الأول يُنتِج البرق والرعد، والثاني يُنتِج الثمار ويُحْصِبُ النبات بحمل حبوب اللقاح، وهذا من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (٢).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو: (أن الرياح لاقحة ملقحة) صحيح – من وجهة نظري – لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، ولما قدمته من أدلة تؤيد القول الراجح.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) انظر: التفسير اللغوي في القرآن الكريم ص ٥٩١.

(٢) انظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة ص ٢٥٦.

﴿s r q p o n m l﴾ قَالَ تَعَالَى:

في هذه الآية مسألة واحدة، هي:

﴿المراد بالمستقدمين والمستأخرين.﴾

يقول القرطبي رحمته الله: (قوله تعالى: ﴿﴾ q p o n m l

﴿﴾ فيه ثمان تأويلات:

الأول - "المستقدمين" في الخلق إلى اليوم، و"المستأخرين" الذين لم يخلقوا بعد، قاله قتادة^(١) وعكرمة^(٢) وغيرهما.

الثاني - "المستقدمين" الأموات، و"المستأخرين" الأحياء، قاله ابن عباس^(٣) والضحاك^(٤).

الثالث - "المستقدمين" من تقدم أمة محمد، و"المستأخرين" أمة محمد[^]، قاله مجاهد^(٥).

الرابع - "المستقدمين" في الطاعة والخير، و"المستأخرين" في المعصية والشر، قاله الحسن^(٦) وقتادة^(٧) أيضاً.

الخامس - "المستقدمين" في صفوف الحرب، و"المستأخرين" فيها، قاله سعيد بن المسيب^(٨).

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ص ٣٤٨، والطبري في تفسيره (٩٠ / ١٧).

(٢) المصدرين السابقين.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٩١ / ١٧) وأورده ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٢٦٢ / ٧) والسيوطي في الدر (٦٠٤ / ٨).

(٤) انظر: تفسير الضحاك ص ٥٠٦، وأخرجه الطبري في تفسيره (٩١ / ١٧).

(٥) انظر: تفسير مجاهد ص ١٢٨.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٩٣ / ١٧) وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٢٦١ / ٧) والسيوطي في الدر (٦٠٤ / ٨).

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (٩٢ / ١٧).

(٨) انظر: النكت والعيون (١٥٦ / ٣).

السادس - "المستقدمين" من قتل في الجهاد، و"المستأخرين" من لم يقتل، قاله القرطبي (١).

السابع - "المستقدمين" أول الخلق، و"المستأخرين" آخر الخلق، قاله الشعبي (٢).

الثامن - "المستقدمين" في صفوف الصلاة، و"المستأخرين" فيها بسبب النساء.

وكل هذا معلوم لله تعالى، فإنه عالم بكل موجود ومعدوم، وعالم بمن خلق وما هو خالقه إلى يوم القيامة، إلا أن القول الثامن هو سبب نزول الآية، لما رواه النسائي والترمذي عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال: (كَانَتْ امْرَأَةٌ حَسَنَاءُ تُصَلِّي خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ فَكَانَ بَعْضُ الْقَوْمِ يَسْتَقْدِمُ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ لِئَلَّا يَرَاهَا وَيَسْتَأْخِرُ بَعْضُهُمْ حَتَّى يَكُونَ فِي الصَّفِّ الْمُؤَخَّرِ فَإِذَا رَكَعَ نَظَرَ مِنْ تَحْتِ إِبْطَيْهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿٣﴾) $m \quad n \quad o \quad p \quad q \quad r$ ورؤي عن أبي الجوزاء ولم يذكر ابن

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/٩٠) وأورده ابن أبي حاتم (٧/٢٢٦٢).

(٢) انظر: النكت والعيون (٣/١٥٦).

(٣) رواه أحمد في مسنده - مسند عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٥/٥) برقم ٢٧٣٨، وابن ماجه في سننه - كتاب إقامة الصلاة - باب الخشوع في الصلاة (١/٢٢٣) برقم ١٠٤٦، وأبو داود في مسنده - مسند ابن عباس رضي الله عنهما (٤/٤٣٣) برقم ٢٨٣٥، والترمذي في سننه - كتاب تفسير القرآن - باب تفسير سورة الحجر (١٠/٣٩٤) برقم ٣١٢٢، والنسائي في الكبرى - كتاب المساجد - باب المنفرد خلف الصف (١/٤٥٥) برقم ٩٤٥، وابن خزيمة في صحيحه - كتاب الإمامة في الصلاة - باب التغليظ في قيام المأموم في الصف المؤخر إذا كان خلفه نساء (٣/٩٧) برقم ١٦٩٦، وابن حبان في صحيحه - باب الإخلاص وأعمال السر - ذكر الإخبار عما يجب على المرء من لزوم الرياضة والمحافظة على أعمال السر (٢/١٢٦) برقم ٤٠١، والطبراني في الكبير - باب العين - أحاديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (١٠/٣١٥) برقم ١٢٧٩١، والحاكم في المستدرک - كتاب التفسير - باب تفسير سورة الحجر (٢/٣٨٤) برقم ٣٣٤٥، والبيهقي في سننه - كتاب الصلاة - باب الرجل يقف في آخر صفوف الرجال لينظر إلى النساء (٣/١٣٩) برقم ٥١٦٩ وفي شعب الإيمان - كتاب تحريم الفروج وما يجب من التعفف عنها (٧/٣١٣) برقم ٥٠٥٩. ووصف ابن كثير الحديث بالغريب وقال (فيه نكارة شديدة)، وقال أيضاً: (فالظاهر أنه من كلام أبي الجوزاء فقط، ليس فيه لابن عباس ذكر) انظر: تفسير ابن كثير (٤/٥٣٢). وقال الترمذي: (هذا أشبه من رواية نوح بن قيس، والله أعلم) فلم =

عباس (١). وهو أصح (٢).

طريقة الترجيح: التنصيص على القول الراجح، وذلك بالنص على أن قولاً من الأقوال موافق لسبب نزول الآية.

Ø في المراد بهذه الآية ثمانية أقوال:

القول الأول- أن المتقدمين: المتقدمين في صفوف الصلاة، والمستأخرين: فيها.

وهذا القول هو الذي رجحه القرطبي رحمته الله.

وهو مروى عن ابن عباس (٣) وأبي الجوزاء ومروان بن الحكم (٤).

يصححه ولم يحسنه. و صححه الألباني وقال: (و أما النكارة الشديدة التي زعمها ابن كثير رحمته الله فالظاهر أنه يعني أنه من غير المعقول أن يتأخر أحد من المصلين إلى الصف الآخر لينظر إلى امرأة. وجوابنا عليه، أنهم قد قالوا: إذا ورد الأثر بطل النظر، فبعد ثبوت الحديث لا مجال لاستنكار ما تضمنه من الواقع، ولو أننا فتحنا باب الاستنكار لمجرد الاستبعاد العقلي للزم إنكار كثير من الأحاديث الصحيحة، وهذا ليس من شأن أهل السنة والحديث... ثم ما المانع أن يكون أولئك الناس المستأخرون من المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويطنون الكفر؟ بل وما المانع أن يكونوا من الذين دخلوا في الإسلام حديثاً، ولما يتهدبوا بتهديب الإسلام ولا تأدبوا بأدبه؟) ١. هـ. انظر: السلسلة الصحيحة (٥ / ٤٧١).

(١) انظر: الدر المنثور (٦٠٤ / ٨) ولأبي الجوزاء روايتان كلاهما بحمل الآية على صفوف الصلاة، إلا أن إحداهما تخص كون التقدم والتأخر في الصف بسبب النساء - وهي المذكورة أعلاه - والثانية لا تخصه بسبب، وقد أخرجها الطبري فقال: (حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا جعفر بن سليمان، قال: أخبرني عمرو بن مالك، قال سمعت أبا الجوزاء يقول في قول الله " ولقد علمنا المتقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين " قال: المتقدمين منكم في الصفوف في الصلاة والمستأخرين) تفسير الطبري (٩٣ / ١٧) ومستدرک الحاكم (٧ / ٤٨٩).

(٢) تفسير القرطبي (١٢ / ٢٠٠).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٩٢ / ١٧) وابن أبي حاتم (٧ / ٢٢٦١) والسيوطي في الدر (٨ / ٦٠٤).

(٤) انظر: الدر المنثور (٦٠٤ / ٨). ومروان بن الحكم: هو بن أبي العاص، أبو عبد الملك: خليفة أموي، وإليه ينسب بنو مروان. ولد بمكة، ونشأ بالطائف، وسكن المدينة فلما كانت أيام عثمان جعله في خاصته واتخذة كاتباً له. ولما قُتل عثمان خرج مروان إلى البصرة مع طلحة والزبير وعائشة، يطالبون بدمه في موقعة الجمل، وشهد صفين مع معاوية. ثم سكن الشام. فرحل إلى الجابية شمالي حوران ودعا إلى نفسه، فبايعه أهل الأردن،

واستدل أصحاب هذا القول بالواقعة التي نزلت الآية فيها، وأورد المفسرون لنزولها واقعتين:

الأولى - رواية ابن عباس قال: (كانت تصلي خلف رسول الله [^] امرأة - قال ابن عباس: لا والله ما إن رأيت مثلها قط - فكان بعض المسلمين إذا صلوا استقدموا، وبعض يستأخرون، فإذا سجدوا، نظروا إليها من تحت أيديهم، فأنزل الله ﴿ n m l ﴾ .(r q p o

- وقد تعقب ابن عطية هذا المعنى بأن سياق الآية يضعفه فقال: (وما تقدم الآية من قوله: ﴿ v u t ﴾ i h g f e ﴿ الحجر: ٢٣ وما تأخر من قوله: ﴿ w ﴾ يضعف هذه التأويلات؛ لأنها تذهب اتصال المعنى)(١).

- ونفى ابن عاشور صحة تفسير الآية بهذا الخبر فقال عنه: (وهو خبرٌ وإهلا يلاقي انتظام هذه الآيات ولا يكون إلا من التفاسير الضعيفة)(٢).

الثانية - رواية أبي صالح عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: (حَرَّضَ النَّبِيُّ [^] عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ فِي الصَّلَاةِ فَازْدَحَمَ النَّاسَ عَلَيْهِ، وَكَانَ بَنُو عَذْرَةَ دُورَهُمْ قَاصِيَةً عَنِ الْمَسْجِدِ فَقَالُوا: نَبِيْعٌ دُورُنَا وَنَشْتَرِي دُورًا قَرِيْبَةً مِنَ الْمَسْجِدِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى الْآيَةَ)(٣).

القول الثاني - أن المستقدمين: الأموات، والمستأخرين: الأحياء.

ثم دخل الشام فأحسن تدبيرها، ولكن لم يطل أمره، فقد كانت مدة حكمه تسعة أشهر و١٨ يوماً، وتوفي بالطاعون سنة ٦٥هـ. وقيل: غطته زوجته أم خالد بوسادة وهو نائم، فقتلته. انظر: سير أعلام النبلاء (٤٧٦/٣) الأعلام (٢٠٧/٧).

(١) المحرر الوجيز (٤/١٢٥).

(٢) التحرير والتنوير (١٤/٤٠).

(٣) ذكره ابن الجوزي (٤/٦١).

وهذا القول مروى عن ابن عباس والضحاك وابن زيد^(١) ومقاتل^(٢) وعكرمة ومجاهد^(٣).

واختاره الطبري، والبغوي ومكي بن أبي طالب والبقاعي وأبو السعود وابن عاشور^(٤).

وقال الألوسي عن هذا المعنى: (وهو من المناسبة بمكان)^(٥).

واستدل أصحاب هذا القول بالآتي:

* أن له نظيراً في القرآن هو قوله تعالى: ﴿ > = < ; ﴾ @ ق: ٤.

القول الثالث - أن المستقدمين: من خلقهم الله من خلقه إلى اليوم، والمستأخرين: الذين

في أصلاب آبائهم لم يخلقوا بعد.

وهذا القول مروى عن ابن عباس^(٦) وقتادة وعكرمة.

واختاره ابن عطية، وزعم أنه قول جمهور المفسرين^(٧).

واستدل أصحاب هذا القول بالآتي:

* أنه موافق لسياق الآية.

* أنه قول جمهور المفسرين.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٩١).

(٢) انظر: تفسير مقاتل (٢ / ٢٠١).

(٣) أورده عنهما السيوطي في الدر (٨ / ٦٠٤).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧ / ٩٢) معالم التنزيل (٤ / ٢٩٦) الهداية (٦ / ٣٨٨٢) نظم الدرر (٤ / ٤٠٩) إرشاد

العقل السليم (٤ / ٧١) التحرير والتنوير (١٤ / ٤٠).

(٥) روح المعاني (٩ / ٤٧٦).

(٦) أورده ابن أبي حاتم (٧ / ٢٢٦٢) والسيوطي في الدر (٨ / ٦٠٤).

(٧) انظر: المحرر الوجيز (٤ / ١٢٥) قال ابن عطية: (وإن كان اللفظ يتناول كل تقدم وتأخر على جميع وجوهه

فليس يطرد سياق معنى الآية إلا كما قدمنا).

القول الرابع- أن المتقدمين: من قُتل في الجهاد، والمستأخرين: من لم يقتل فيه.

وهذا القول مروى عن القرظبي.

- وتعقب الألويسي هذا المعنى فقال: (ليس في تفسير ذلك بالمستقدمين والمستأخرين

كحال مناسبة) (١).

القول الخامس- أن المتقدمين: من تقدم في صفوف الحرب، والمستأخرين: من تأخر فيها.

وهذا القول مروى عن سعيد بن المسيب وابن جبير (٢).

- وتعقب هذا القول معتمر بن سليمان (٣) فقال: (حدّثت أبي فقال: لقد نزلت هذه

الآية قبل أن يفرض القتال) (٤).

القول السادس- أن المتقدمين: من سبق في الطاعة والخير، والمستأخرين: من كان في

المعصية والشر.

وهذا القول مروى عن الحسن (٥) وقادة (٦).

القول السابع- أن المتقدمين: أول الخلق، والمستأخرين: آخر الخلق.

وهذا القول مروى عن الشعبي (٧)، وهو قول ابن جزى الكلبي (٨).

(١) روح المعاني (٩/ ٤٧٦).

(٢) ذكره أبو حيان، انظر: البحر المحيط (٧/ ١٩١).

(٣) معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي، أبو محمد، من موالى بني مرة: محدث البصرة في عصره. انتقل إليها من

اليمن. وكان حافظاً ثقة. حدّث عنه كثيرون منهم أحمد ابن حنبل. له كتاب في المغازي. نقل ابن حجر عن ابن

خراش أنه صدوق يخطئ من حفظه، وإذا حدث من كتابه فهو ثقة. ت: ١٨٧ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء

(٤٧٩/٨) الأعلام (٧/ ٢٦٥).

(٤) أورده ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٦١).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٩٣/١٧) وأورده ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٦١) والسيوطي في الدر (٨/ ٦٠٤).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٩٢).

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٩٢).

(٨) انظر: التسهيل (٢/ ٥٩).

القول الثامن - أن المتقدمين: من تقدم أمة محمد، والمستأخرين: هم أمة محمد ^٨.

وهذا القول مروى عن مجاهد.

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض الأقوال السابقة أن في تحديد المراد بـ (المستقدمين، المستأخرين) خلافاً بين السلف، ولعله من باب التفسير بالمثل وهو من أساليب السلف في التفسير، وغالب الأقوال له من الأدلة ما يعضده ويؤازره.

وللآية معنى عام يشمل أمثلة السلف جميعاً، وهو: أن علمه سبحانه وتعالى محيط بجميع خلقه مقدمهم ومتأخرهم، طائعهم وعاصيهم، لا يخفى عليه شيء من أحوال خلقه سبحانه (١).

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو: أن يراد بـ (المستقدمين، المستأخرين) العموم. فيكون التقدم والتأخر وصفاً للناس في أحوالهم المختلفة، لا يُخصَّ بحال أو مقام أو زمن (٢).

- قال أبو حيان: (والأولى حمل هذه الأقوال على التمثيل لا على الحصر) (٣).

يشهد بصحة هذا الرأي ما يلي:

١. مناسبة السياق لهذا المعنى:

(١) انظر: لباب التأويل (٤/ ١٤٣).

(٢) ومن ذهب إلى هذا التأويل: الطبري، والزنجشيري، وابن عطية، والرازي، والعز بن عبد السلام، والبيضاوي، والنسفي، وأبو حيان، وابن عادل، وأبو السعود، والألوسي، وابن عاشور. انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٩٢) الكشاف (٣/ ٣٠٩) المحرر الوجيز (٤/ ١٢٥) مفاتيح الغيب (٩/ ٣٠١) الهداية (٦/ ٣٨٨٢) أنوار التنزيل (٣/ ٢٩٢) تفسير النسفي (٢/ ١٣٧) البحر المحيط (٧/ ١٩١) اللباب (١٠/ ٣٦) إرشاد العقل السليم (٤/ ٧١) روح المعاني (٩/ ٤٧٦) التحرير والتنوير (١٤/ ٤٠).

(٣) انظر: البحر المحيط (٧/ ١٩١).

فلما ذكر تعالى في الآية السابقة اختصاصه بإحياء الأحياء وإماتتهم وبعثهم في قوله ﴿ل i h g f e﴾ ثم ذكر في الآية اللاحقة اختصاصه بحشرهم في قوله ﴿{ z y w v u t }﴾ ناسب أن يكون الكلام عن اختصاصه بالعلم المطلق الكامل بخلقه في جميع أحوالهم التي يتقدمون بها ويتأخرون: من ولادة وموت، وطاعة ومعصية، يعلم حتى متقدمهم ومتأخرهم في صفوف صلاتهم وقاتلهم، فيجازي كلاً بما هو أهله.

- قال الألوسي: (والآية لبيان كمال علمه جل وعلا بعد الاحتجاج على كمال قدرته، فإن القادر على كل شيء لا بد من علمه بكل شيء) (١).
٢. القاعدة الأصولية التي نصت على: أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (٢)، فيُحمل اللفظ على العموم ولا يُقصر على معنى أو سبب نزول.
٣. القاعدة الترجيحية التي نصت على: أن نصوص الشارع تحمل على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص (٣).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمه الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمه الله وهو: (أن المتقدمين: المتقدمين في صفوف الصلاة، والمستأخرين: فيها بسبب النساء) هو أحد الأقوال الصحيحة في الآية وله دليله، إلا أنه خاص بسبب النزول، والأصح أن تحمل الآية على العموم، لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، ولما قدمته من أدلة تؤيد القول الراجح.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) روح المعاني (٩/ ٤٧٦) بتصرف.

(٢) انظر: إرشاد الفحول (١/ ٢٨٤) والقواعد الحسان ص ١٠.

(٣) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٥٢٧).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ } - الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ ۞

في هذه الآية مسألة واحدة، هي:

﴿ ۞ ﴾ معنى ﴿صلصال﴾ (١):

يقول القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: ﴿ ۞ } - الْإِنْسَانَ ﴾ يعني آدم عليه السلام ﴿ مِنْ صَلْصَلٍ ﴾ أي: من طين يابس، عن ابن عباس (٢) وغيره. والصلصال: الطين الحر خلط بالرمل فصار يتصلصل إذا جف، فإذا طبخ بالنار فهو الفخار، عن أبي عبيدة (٣). وهو قول أكثر المفسرين، وأنشد أهل اللغة:

كعدو المصلصل الجوال (٤)

وقال مجاهد: هو الطين المنتن (٥)، واختاره الكسائي (٦). قال: وهو من قول العرب: صل اللحم وأصل إذا أنتن - مطبوخا كان أو نيئاً - يصلُّ صلواً. قال الخطيب (٧):
ذاك فتى ييذلُّ ذا قِدرِه لا يُفسد اللحمَ لديه الصُّلُولُ (٨)

(١) قال الراغب: (أصل الصلصال تردد الصوت من الشيء اليابس ومنه سمي الطين الجاف صلصالاً) مفردات غريب القرآن ص ٢٨٤.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٩٦/١٧) تفسير ابن أبي حاتم (٢٢٦٣/٧) الدر المنثور (٦١١/٨).

(٣) انظر: مجاز القرآن (٣٥٠/١).

(٤) هذا البيت للأعشى من قصيدة يمدح فيها الأسود بن المنذر، وتما البيت:

عنتر يسُّ تعدو إذا مسَّها السوطُ كعدو المصلصل الجوال

ويصف فيها الناقة بأنها شديدة العدو إذا مسها السوط كما يعدو الوحش السريع. انظر: ديوان الأعشى ص ٥٣.

(٥) انظر: تفسير مجاهد (٤١٦/١).

(٦) انظر: معاني القرآن للكسائي ص ١٧٥.

(٧) الخطيب: هو جرول بن أوس العبسي: شاعر مخضرم، كان هجاءً عنيفاً، لم يكذب يسلم من لسانه أحد حتى هجا أمه وأباه ونفسه. له ديوان شعر مطبوع، ت: ٤٥هـ. انظر: الشعر والشعراء (٣٢٢/١) الأعلام (١١٨/٢).

(٨) الصُّلُولُ: التتن. انظر: الصحاح (١٧٤٥/٥).

وطينٌ صَلَّالٌ ومِصْلَالٌ أي: يُصَوَّتُ إذا نقرته كما يصوَّت الحديد. فكان أول تراباً، أي: متفرق الأجزاء، ثم بُلَّ فصار طيناً، ثم تُرِكَ حتى أنتن فصار حمأً مسنوناً، أي: متغيراً، ثم يبس فصار صلصالاً، على قول الجمهور^(١).

طريقة الترجيح: النص على قول بأنه قول الجمهور، إشارةً إلى موافقته لهم.

Ø في معنى (صلصال) قولان:

القول الأول- أن الصلصال هو الطين اليابس^(٢).

وهذا ما رجحه القرطبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(٣) موافقاً لجمهور المفسرين.

فيكون المعنى: ولقد خلقنا الإنسان من طين يابس يُصَلِّصُ من يُيسه، أي: يُصَوِّت.

وهو مروى عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ومجاهد^(٤) والضحاك^(٥) وقتادة^(٦) رحمهم الله.

وقال به من اللغويين: أبو عبيدة وابن قتيبة والزجاج^(٧).

ومن المفسرين: البغوي وابن عطية والرازي والبيضاوي وابن جزي الكلبي والبقاعي

وجلال الدين السيوطي والألوسي وأبو السعود والشوكاني وابن عاشور والقاسمي^(٨)

(١) تفسير القرطبي (٢٠٣/١٢).

(٢) وأصله صَلَّالٌ ثم أبدلت إحدى اللامين صاداً انظر: لسان العرب (٣١٨/١١).

(٣) ووافقه الطبري وأبو جعفر النحاس ومكي بن أبي طالب وابن كثير والشنقيطي. انظر: تفسير الطبري

(٩٧/١٧) معاني القرآن (٢٣/٤) الهداية (٣٨٨٥/٦) تفسير القرآن العظيم (٥٣٣/٤) أضواء البيان (٢/

٢٧٤) التحرير والتنوير (٤١/١٤).

(٤) انظر: تفسير مجاهد ص ١٢٨-١٢٩.

(٥) انظر: تفسير الضحاك ص ٥٠٦.

(٦) انظر: تفسير الطبري (٩٦/١٧) تفسير ابن أبي حاتم (٢٢٦٣/٧).

(٧) انظر: مجاز القرآن (٣٥٠/١) تفسير غريب القرآن ص ٢٣٨، معاني القرآن وإعرابه (١٧٨/٣).

(٨) انظر: معالم التنزيل (٣٧٨/٤) المحرر الوجيز (١٢٥/٤) مفاتيح الغيب (٣٠٢/٩) أنوار التنزيل (٢٩٣/٣)

التسهيل (٤٢/١) نظم الدرر (٤٠٩/٤) تفسير الجلالين (٣٢٧/٤) روح المعاني (٤٧٨/٩) إرشاد العقل السليم

(٧١/٤) فتح القدير (١٧٦/٤) التحرير والتنوير (٤١/١٤) محاسن التأويل (٣٤٥٧/١٠).

وغيرهم كثير.

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن (صلصال) بمعنى مُصلصل؛ أي: له صوت. كما قال الأعشى (١) يصف ناقته (٢):

عنتريسٌ تعدو إذا مسَّها السوطُ كعدو المصلصل الجوالِ

و الطين لا يصلصل إلا إذا كان يابساً.

* أن لهذا المعنى نظيراً في القرآن وهو قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ

كَالْفَخَّارِ﴾ الرحمن: ١٤، فشبه الطين الذي خُلق منه الإنسان بالفخار بجامع اليُس في كلِّ.

* أنه قول أكثر المفسرين.

القول الثاني - أن الصلصال هو الطين المتن (٣).

وهذا القول مروى عن مجاهد، وهو قول الكسائي، وقال به من المفسرين:

الواحدى (٤).

واستدل أصحاب هذا القول بأن (صلصال) في اللغة من (صلصل) تضعيف (صلل)

إذا أنتن (٥).

(١) الأعشى: هو ميمون بن قيس المعروف بأعشى قيس، ويقال له أعشى بكر بن وائل والأعشى الكبير لضعف

بصره: أحد أصحاب المعلقات، كان كثير الوفود على الملوك من العرب والفرس، غزير الشعر، وكان يغني

بشعره فسمي (صناجة العرب) عمّر طويلاً وأدرك الإسلام ولم يسلم، توفي سنة ٧هـ بقرية منفوحة قرب

مدينة (الرياض) وديوانه مطبوع. انظر: الشعر والشعراء (٤٨/١) معجم الشعراء (١٠١/١) الأعلام

(٣٤١/٧).

(٢) العنتريس: الناقة الشديدة الصلبة الكثيرة اللحم، وانظر لسان العرب مادة عتريس (١٣٠/٦) والبيت من

ديوان الأعشى ص ٧.

(٣) من (صلل اللحم) إذا أنتن نيئاً كان أو مطبوخاً، و(صلل الماء) أجن. انظر: لسان العرب (٣٨١/١١).

(٤) انظر: معاني القرآن للكسائي ص ١٧٥، الوجيز (٤٠٣/١).

(٥) انظر: العين (٨٥/٧) مفردات غريب القرآن ص ٢٨٤

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض القولين السابقين ما يلي:

§ أن جمهور السلف والمفسرين على أن الصلصال من الصلصلة وهي الصوت.

§ أن القول الأول أوفق بسياق الآية لأنه يغيّر بين الصلصال وبين الحمأ المتين، ولو

كان معنى الصلصال المتين لوقع التكرار، وكلام الله منزّه عن تكرار بلا فائدة.

§ أن القول الأول سالم لم يعترض عليه أحد، بخلاف الثاني الذي تُعقّب بالتضعيف:

- فقد ضعّفه بعض المفسرين، محتجّين:

١. بأن الله تعالى شبّه الصلصال بأنه كالفخار في يُبسّه، ولو كان معناه المتين لم يشبهه

بالفخار، لأن الفخار ليس بمتين.

- قال مكّي بن أبي طالب: (وهذا التأويل ينقضه قوله ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ

صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾ الرحمن: ١٤، فشبهه بالفخار والفخار ليس بمتين (١)

٢. و بأنه تعالى قال ﴿مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ وظاهر الآية يدل على أن الصلصال

متولّد من الحمأ المسنون فوجب أن يكون مغايراً له، ولو كان الصلصال عبارة عن التين

والتغير لم يبق بينه وبين الحمأ المسنون تفاوت.

§ أن المفسرين اجتهدوا في علة حدوث الصلصلة:

- فقليل لأن الطين يابس، وهو قول الزجاج (٢).

- وقيل لأنه خلط برمل، وهو قول الفراء (٣).

- وقيل لأن الله لما خلق آدم من طين على صورة الإنسان فجف فكانت الريح إذا

(١) انظر: الهداية (٦/٣٨٨٦).

(٢) انظر: معانيه (٣/١٧٨).

(٣) انظر: معانيه (٢/٨٨).

مرّت به سُمع له صلصلة (١).

§ وقيل لأن إبليس كان يمرّ به - قبل أن تنفخ فيه الروح - فيضرب به فيصوّت الجسد كما يصوّت الفخار تكون له صلصلة، ذكره الطبري (٢).

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو: أن معنى صلصال (طين يابس).

وإنما كان راجحاً:

* لأنه مروى عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقول الصحابي مقدّم على قول غيره في التفسير (٣).

* لأنه أوفق بسياق الآية، والاسم إذا كان له معانٍ عدة حمل في كل موضع على ما يقتضيه ذلك السياق (٤).

* لأن له نظيراً في القرآن، والقول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدّم على ما عدم ذلك (٥).

الحكم على ترجيح القرطبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو: (أن الصلصال هو الطين اليابس) صحيح - من وجهة نظري - لما ذكرته أثناء المناقشة، ولما قدمته من مبررات تقتضي ترجيحه.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) ذكره الرازي في تفسيره (٩/ ٣٠٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١/ ٤٥٦) ونقله ابن كثير في تفسيره (١/ ٢٢٧) ثم قال: (هذا سياق غريب وفيه أشياء فيها نظر يطول مناقشتها).

(٣) انظر: قواعد التفسير (١/ ١٨٩).

(٤) المصدر السابق (٢/ ٤٢٢).

(٥) المصدر السابق (١/ ٢٨١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿S R Q﴾

﴿S R Q﴾

في هذه الآية مسألة واحدة، هي:

﴿المُرَادُ بِ﴿يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾﴾ (١):

يقول القرطبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ﴿M L K J﴾ يعني: من المؤجلين "إلى يوم الوقت المعلوم" قال ابن عباس: أراد به النفخة الأولى (٢). أي حين تموت الخلائق. وقيل: الوقت المعلوم الذي استأثر الله بعلمه ويجهله إبليس فيموت إبليس ثم يبعث (٣).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرّض.

Ø في المراد بـ "يوم الوقت المعلوم" أربعة أقوال:

القول الأول - يوم النفخة الأولى، وهي نفخة الصعق.

فيكون المعنى: قال إبليس لربه أنسى في أجلي ولا تمتني إلى يوم يبعث الخلق، فأجابه أنه سيؤخره إلى يوم ينفخ في الصور (٤).

وهذا ما رجحه القرطبي، ووافقه ابن عطية والثعالبي والألوسي (٥).

وهو مروى عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ومقاتل (٦) والسدي (٧).

(١) وسبب تسمية هذا اليوم بالوقت المعلوم لأن من المعلوم أن يموت كل الخلائق فيه. وقيل: إنها ساء الله تعالى بهذا الاسم لأن العالم بذلك الوقت هو الله تعالى لا غير كما قال تعالى: "إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو" (الأعراف: ١٨٧) وقال: "إن الله عنده علم الساعة" (لقمان: ٣٤).

(٢) انظر: الدر المنثور (٤/ ٣٣٩) وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٣) تفسير القرطبي (١٢/ ٢١١).

(٤) تفسير الطبري (١٢/ ٣٣٢).

(٥) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٣١) الجواهر الحسان (٢/ ٢٢) روح المعاني (٨/ ٩١).

(٦) انظر: تفسير مقاتل (٢/ ٢٠٣).

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٣١) تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٦٤) الدر المنثور (٤/ ٣٣٩).

وقال به: الطبري والنحاس وابن أبي زمنين والثعلبي ومكي بن أبي طالب والواحدي والبعوي والزمخشري وأبو حيان والجلال السيوطي وأبو السعود والأمين الهري (١).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أنه قول الجمهور وهو المشهور والمعول عليه (٢).

* أنه سمي معلوماً لأن العالم بذلك الوقت هو الله تعالى لا غير، ودليله: ﴿إِنَّمَا

عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّئُهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ﴾ الأعراف: ١٨٧، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ لقمان:

٣٤، أو لأن جميع الخلائق يموتون في هذا اليوم فإنه معلوم بهذا الاعتبار.

- قال الألويسي: ﴿M L K﴾ ظاهره ﴿F E D﴾ الأعراف: ١٤ حيث

وقع في مقابلة كلامه لكن في سورة الحجر وص التقييد بيوم الوقت المعلوم، واختلف في

المراد منه؛ فالمشهور أنه يوم النفخة الأولى دون يوم البعث لأنه ليس بيوم موت (٣).

القول الثاني - يوم النفخة الثانية، وهي نفخة البعث.

فيكون المعنى: قال إبليس أخرجني إلى يوم البعث، فأجاب الله سؤاله بأنه سيعيش إلى

النفخة الثانية وهو يوم البعث.

قال به ابن كثير والشوكاني والطاهر بن عاشور (٤).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧ / ١٠٢) معاني القرآن (٤ / ٢٤) تفسير ابن أبي زمنين (٢ / ٣٨٥) الكشف والبيان

(٢ / ٣٨٥) الهداية (٦ / ٣٨٩٣) الوجيز (١ / ٤٠٦) معالم التنزيل (٤ / ٣٨١) الكشاف (٣ / ٣١١) البحر

المحيط (٧ / ١٩٣) تفسير الجلالين (٤ / ٣٣٩) إرشاد العقل السليم (٤ / ٧٦) حدائق الروح والريحان

(١٥ / ٦٣).

(٢) ذكره الألويسي والثعلبي. انظر: روح المعاني (١٠ / ٤) الجواهر الحسان (٢ / ٢٢).

(٣) روح المعاني (٨ / ٩١).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤ / ٥٣٥) فتح القدير (٤ / ١٧٨) التحرير والتنوير (١٤ / ٤٩).

* أن السباق فيه قول إبليس: ﴿H G F E D C﴾ فيكون تفسير الوقت المعلوم بيوم البعث موافقاً للسياق.

* أن الله تعالى سماه بيوم الوقت المعلوم لأن إبليس لما عيَّنه وأشار إليه بعينه صار ذلك كالمعلوم.

واعترض عليه بما يلي:

أن إجابة الله تعالى لإبليس إلى مطلوبه يلزم منها أن لا يموت أبداً، لأنه سيعيش إلى وقت قيام الساعة وبعد قيام القيامة لا يموت أيضاً، فيلزم منه الخلود الذي لا فناء معه، وهذا يعارض قوله تعالى: ﴿q p o n﴾ آل عمران: ١٨٥، الأنبياء: ٣٥، العنكبوت: ٥٧.

القول الثالث- يوم معلوم عند الله، استأثر بعلمه، وهو مجهول عند إبليس.

فيكون المعنى: قال الله تعالى لإبليس إنك من المؤخرين إلى يوم معلوم عندي. وهذا القول غير منسوب لا رواية ولا رأياً^(١).

و مستند هذا القول: أن الله تعالى سماه بيوم الوقت المعلوم لأن معناه: المعلوم لدينا.

القول الرابع- يوم بدر.

فيكون المعنى: فإنك من المنظرين إلى اليوم الذي يكون فيه هلاكك، وهو يوم بدر. و حكى أهل التفسير هذا القول وليس له رواية ولا سند، ولم يقل به أحد، بل إن أكثر المفسرين استبعدوا هذا القول ووصفوه بالغرابة والضعف.

- حكى ابن عطية هذا القول ثم أردف: (وهذا وإن كان روي فهو ضعيف)^(٢).

- وقال الألويسي: (وأغرب منه ما قيل: أنه هلك في بعض غزواته[^]، وقد ذكرنا قبل

أن هذا مما لا يكاد يقبل بظاهره أصلاً)^(٣).

(١) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٤٩).

(٢) المحرر الوجيز (٤/ ١٣٠).

(٣) روح المعاني (٤/ ١٠).

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض أقوال المفسرين ما يلي:

§ أن القول الأول هو أقوى الأقوال لما يلي:

- أنه مروى عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا والتابعين، أما باقي الأقوال فلم يقل بها أحد من السلف.

- أنه قول الجمهور.

§ أن القول الثاني يعارض قوله تعالى: ﴿R O P O﴾ الرحمن: ٢٦، وقوله: ﴿n

o p o﴾ آل عمران: ١٨٥، الأنبياء: ٣٥، العنكبوت: ٥٧.

و قد أجاب بعض المفسرين عن هذا التعارض بحمل قوله: ﴿H G F﴾ إلى ما

يكون قريباً منه، ولكنه تحكّم لا يؤيده دليل.

§ أن القولين الأول والثاني اعترض عليهما بما يلي:

أن إبليس كان مكلفاً، والمكلف لا يجوز أن يعلم أن الله تعالى أخر أجله إلى الوقت الفلاني لأنه إذا علم وقت موته أقدم على المعصية بقلب فارغ، فإذا قرب وقت أجله تاب، فثبت أن تعريف وقت الموت بعينه يجري مجرى الإغراء بالقبيح، وذلك غير جائز على الله تعالى.

و أجيب:

بأن تعريف الله تعالى كونه من المنظرين إلى أجل مسمى لا يقتضي إغراءً؛ لأنه تعالى علم أنه يموت على الكفر سواء أعلم وقت موته أو لم يعلمه، فلم يكن ذلك الإعلام موجباً إغراءه بالقبيح.

كما أنه تعالى عرف أنبياءهم يموتون على الطهارة والعصمة، ولم يكن ذلك موجباً إغراءهم بالقبيح لأنه تعالى علم أنه سواء عرفهم تلك الحالة أم لم يعرفهم فإنهم يموتون على الطهارة والعصمة، فلما كان حالهم لا يتفاوت بسبب هذا التعريف، فليس فيه إذن إغراء

بالقيح.

§ أن القول الثالث يرجع إلى القول الأول؛ حيث إن يوم النفخة الأولى استأثر الله بعلمه.

§ أن القول الرابع ضعيف لأنه يحتاج في إثباته إلى نقل، ولم يثبت شيء فيه.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو الأول: (أن المراد بيوم الوقت المعلوم هو يوم النفخة الأولى).

وذلك لأن هذا القول ورد روايةً عن السلف، وتفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم (١).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله صحيح حسبما ظهر لي من المناقشة السابقة.

والله تعالى أعلم بالصواب (٢)

(١) انظر: قواعد الترجيح (١/٢٤٣).

(٢) سبب سؤال إبليس النظرة بطول الحياة إلى يوم البعث أنه كان يعلم قبل ذلك أنه من الحوادث الباقية لأنه من أهل العالم الباقي، فلما أهبط إلى العالم الأرضي ظن أنه صائر إلى العدم فلذلك سأل النظرة إبقاء لما كان له من قبل. التحرير والتنوير (٨/٤٥).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ Z Y X W V U T ﴾

n m l k j i h g f e d c b a`
﴿ u t s r q p o ﴾

في هذه الآيات مسألة واحدة، هي:

﴿ هذا صراطٌ عليٌّ مستقيمٌ ﴾ .

يقول القرطبي رحمه الله: (قال عمر بن الخطاب: (معناه هذا صراط يستقيم بصاحبه حتى يهجم به على الجنة (١). الحسن: " عَلِيٌّ " بمعنى إليّ (٢). مجاهد (٣) والكسائي (٤): هذا على

الوعيد والتهديد كقولك لمن تهدده: طريقك عليٌّ ومصيرك إليّ. وكقوله: ﴿

a ﴿ الفجر: ١٤. فكان معنى الكلام: هذا طريق مرجعه إليّ فأجازي كلا بعمله، يعني

طريق العبودية. وقيل: المعنى عليٌّ أن أدل على الصراط المستقيم بالبيان والبرهان. وقيل: بالتوفيق والهداية (٥).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرّض.

Ø في معنى هذه الآية قولان أقوال:

القول الأول- " عَلِيٌّ " بمعنى: موصلٌ إليّ (٦).

(١) انظر: النكت والعيون (٣/١٦١).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/١٠٤).

(٣) انظر: النكت والعيون (٣/١٦١).

(٤) انظر: معاني القرآن له ص ١٧٥

(٥) تفسير القرطبي (١٢/٢١٢).

(٦) وسر التعبير بـ (عليّ) وحقه التعبير بـ (إليّ) لطيف جداً، وهو الإشعار بكون السالك على هذا الطريق أنه على

هدى وحق، كقوله تعالى: " أولئك على هدى من ربهم " وقوله " فتوكل على الله إنك على الحق المبين "، وفيه

شهادة باستعلاء من ثبت عليه فهو أدل على التمكن من الوصول، وهذا بخلاف الضلال والكفر فإنه يؤتى

فيه بأداة تدل على انغماس صاحبه وانقماعه فيه كقوله تعالى: " والذين كذبوا بآياتنا صمّ وبكمّ في الظلمات "

أي: فأجازي عبادي المخلصين، وأجازي من اتبعك من الغاوين.
وتكون الإشارة هنا إلى الإخلاص المذكور في قوله "إلا عبادك منهم المخلصين".
وهو معنى قول عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الذي رجحه القرطبي، ووافقه ابن تيمية
وتبعه تلميذه^(١).

وروي عن مجاهد^(٢) والحسن^(٣) ومقاتل^(٤)، وقال به أبو حيان والسعدي^(٥).
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فتعبد العباد بإخلاص الدين له طريقٌ يدل عليه، وهو
طريقٌ مستقيم، ولهذا قال بعده: ﴿o n ml k j﴾^(٦).
وهذا التفسير يحتمل أن يكون من باب إقامة الأدوات بعضها مقام بعض، أو يكون
تفسيراً على المعنى وهي طريقة السلف في التفسير^(٧).
واحتج أصحاب هذا القول باللغة، فقد جاء استعمال (على) بمعنى (إلى) في قول
الشاعر:

فهـنّ المنايا أيّ وادٍ سلـكته
عليها طريقي أو عليّ طريقها^(٨)
القول الثاني - "عليّ" تفيد الوجوب^(٩)، أي: هذا صراطٌ عليّ بيانه ببعث الرسل وإقامة

-
- وقوله "فهم في ريبهم يترددون" وقوله "فذرهم في غمرتهم حتى حين"، وأدل منها قوله تعالى: "وإننا أو
إياكم لعلى هدىً أو في ضلال مبين". بدائع التفسير بتصرف يسير (١٠٣/٢).
(١) التفسير الكبير لابن تيمية ص ١٥٣، بدائع التفسير (١٠٤/٢).
(٢) انظر: تفسير مجاهد ص ١٢٩.
(٣) انظر: تفسير الطبري (١٠٤/١٧).
(٤) انظر: تفسير مقاتل (٢٠٣/٢).
(٥) انظر: البحر المحيط (٧/١٩٤) تيسير الكريم المنان (١/٤٣١).
(٦) مجموع الفتاوى (٢٠٧/١٥).
(٧) انظر: بدائع التفسير (١٠٢/٢).
(٨) ذكره ابن تيمية. انظر: مجموع الفتاوى (١٢٣/١٥).
(٩) ومعنى الوجوب هنا: أن ذلك وإن كان تفضلاً منه سبحانه إلا أنه شُبّه بالحق الواجب لتأكد ثبوته وتحقق

الأدلة، أو حقَّ عليَّ أن لا أجعل لك على عبادي سلطاناً إلا من اتبعك من الغاوين.
وتكون الإشارة هنا إلى الصراط المبيّن بقوله "إن عبادي ليس لك عليهم سلطاناً إلا من اتبعك من الغاوين".
وهو قول الأخفش، وقال به الزمخشري والجلال السيوطي وأبو السعود والألوسي والشوكاني (١).

و احتجوا بأن لهذا القول نظائر في القرآن منها:

§ قوله تعالى: ﴿لِلَّهِدَى﴾ الليل: ١٢.

§ وقوله: ﴿< = > ؟﴾ النحل: ٩.

قال الطاهر بن عاشور: (و "عليَّ" مستعملة في الوجوب المجازي، وهو الفعل الدائم الذي لا يتخلف كقوله تعالى: ﴿لِلَّهِدَى﴾ الليل: ١٢ أي: إنا التزمنا الهدى لا نحيد عنه لأنه مقتضى الحكمة وعظمة الإلهية) (٢).

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض الأقوال السابقة الآتي:

§ أن القول الأول هو قول جمهور السلف، وهو السالم من التعقب والاستدراك.

§ أن كون المشار إليه (هذا) هو الإخلاص المذكور في قوله تعالى: ﴿—

a b c d e f g h i﴾ أوفق بسياق الآية لوقوع

الإشارة إلى المذكور، بخلاف ما لو كانت الإشارة إلى محذوف فإن ذلك المحذوف يحتاج إلى

وقوعه بمقتضى وعده تعالى، لا كما تقوله المعتزلة من وجوب فعل الأصلح للعبد على الله. انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (١٠٦/١).

(١) انظر: معاني القرآن للأخفش (٤٠٦/١) الكشاف (٣١٢/٣) تفسير الجلالين (٤/٣٤٢) إرشاد العقل السليم (٧٩/٤) مفاتيح الغيب (٨/١٠) فتح القدير (٤/١٧٩).

(٢) التحرير والتنوير (٥١/١٤).

تقدير، والأولى تقليل المقدر مهما أمكن لتقل مخالفة الأصل (١).

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو القول الأول وهو: (أن معنى:

﴿g f e﴾ هذا الإخلاص صراط مستقيم موصلٌ إليّ).

وإنما ترجح هذا القول:

* لأن جمهور السلف على هذا المعنى، وتفسيرهم مقدمٌ على كل تفسير (٢).

- قال ابن تيمية: (القول الصواب هو قول أئمة السلف - مجاهد ونحوه - فإنهم أعلم بمعاني القرآن.... وما ذكروه عن مجاهد ثابت عنه رواه الناس) (٣).

* لأنه أوفق بسياق الآية، وإلحاق الكلام بما قبله وبما يليه أولى (٤).

* لأنه لا يحتاج إلى تقدير محذوف، وهو أولى من حمل التفسير على وجود محذوف مقدر (٥).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو: (أن معنى ﴿g f e﴾

﴿h﴾: هذا صراط مستقيم موصلٌ إليّ) صحيح - من وجهة نظري - لما ظهر من نتائج

المناقشة، ولما قدمته من قواعد ترجيحية تؤيد هذا القول.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) انظر: قواعد التفسير (٣٧٦/٢).

(٢) انظر: قواعد الترجيح (٢٥٨/١).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١١٦/١٥) التفسير الكبير ص ١٥٣

(٤) انظر: قواعد التفسير (٢٤٩/١).

(٥) انظر: قواعد الترجيح (٨٧/٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ ۖ سُرُرٍ مَّنْقَلِينَ ﴿٤٧﴾﴾

في هذه الآية مسألتان.

🏠 **المسألة الأولى - المراد بـ«الغل»** (١)، وموطن نزعها من صدور المتقين:

يقول القرطبي رحمه الله: (قال ابن عباس: (أول ما يدخل أهل الجنة الجنة تعرض لهم عينان، فيشربون من إحدى العينين فيذهب الله ما في قلوبهم من غل، ثم يدخلون العين الأخرى فيغتسلون فيها فتشرق ألوانهم وتصفو وجوههم، وتجري عليهم نضرة النعيم (٢) ونحوه عن علي رضي الله عنه (٣). وقال علي بن الحسين: (نزلت في أبي بكر وعمر وعلي والصحابة رضي الله عنهم (٤) يعني ما كان بينهم في الجاهلية من الغل. والقول الأول أظهر، يدل عليه سياق الآية) (٥).

طريقة الترجيح: التنصيص على القول الراجح، وذكر وجه الترجيح وهو أنه موافق

لسياق الآية.

Ø في تعيين المراد بـ(الغل) قولان:

القول الأول - المراد بالغل: هو ما يقع بين الناس من غل القلب في الدنيا، ويكون نزعها في

الآخرة.

وهو الذي رجحه القرطبي رحمه الله.

(١) معنى الغل: العداوة والشحناء، وقيل: الغل: الحسد. انظر: غريب القرآن للسجستاني ص ١٤٩. وأصل الغل: من تدرّج الشيء وتوسطه، ومنه الغلالة وهي ما يلبس بين الثوبين، والغلل: وهو الماء الجاري بين الشجر، والأغلال: هي ما تقيّد بها الأعضاء. انظر: مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٣٦٣. ومعنى نزع الغل: تصفية الطباع، وإسقاط الوسوس ومنعها من أن ترد على القلوب. انظر: اللباب (٣٤٩/٧)، وقال الألويسي: (والآية ظاهرة في وجود الغل في صدورهم قبل النزع فتأمل) روح المعاني (١٩ / ١٠).

(٢) انظر: زاد المسير (١٢١/٢).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٠٧ / ١٧).

(٤) انظر: أسباب النزول للواحدي ص ٢٨١

(٥) تفسير القرطبي (٢١٩/١٢).

وهذا القول مروى عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأبي أمامة (١).

وهو قول الطبري وابن عطية والواحدي وابن جزى والحازن وابن كثير وابن عادل والسعدي (٢) رحمهم الله.

و ظاهر عبارة الزمخشري (٣).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* رواية أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله [^] قال: «يخلص المؤمنون من النار فيحسبون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتصّ لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونُقوا أُذن لهم في دخول الجنة...» (٤).

* عن الحسن قال: بلغني أن رسول الله [^] قال: «يحبس أهل الجنة بعد ما يجوزون الصراط حتى يؤخذ لبعضهم من بعض ظلاماتهم في الدنيا ويدخلون الجنة وليس في قلوب بعضهم على بعض غل» (٥).

وذهب بعض أصحاب هذا القول إلى أن الغل الذي ينزعه الله من قلوب أهل الجنة هو: الحسد الذي قد يعترهم بسبب تفاوت الدرجات، فيكون حالهم مقابلاً لما ذكره الله -

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/١٠٧). وأبو أمامة هو: صدّي بن عجلان الباهلي أبو أمامة مشهور بكنتيته، صحابي، روى عن النبي [^] وعن عمر وعثمان وعلي وغيرهم، وروى أبو يعلى من طريق أبي غالب عن أبي أمامة قال: بعثني رسول الله [^] إلى قوم فانتهيت إليهم وأنا طاوٍ وهم يأكلون الدم فقالوا: هلم. قلت: إنما جئت أنهاكم عن هذا فنمت وأنا مغلوب فأتاني آت يأناء فيه شراب فأخذته وشربته فكظني بطني فشبع ورويت ثم قال لهم رجل منهم أتاكم رجل من سراة قومكم فلم تتحفوه فأتوني بلبن فقلت: لا حاجة لي به وأريتهم بطني فأسلموا عن آخرهم، ت٨٦هـ. انظر: الاصابة في معرفة الصحابة (٢/٣٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/١٠٨) المحرر الوجيز (٤/١٣٢) الوجيز (١/٢٢١) التسهيل (١/٣٩٤) لباب التأويل (٤/١٤٩) تفسير القرآن العظيم (٤/٥٣٧) اللباب (٧/٣٤٩) تفسير السعدي (١/٤٣١).

(٣) انظر: الكشاف (٣/٣١٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الرقاق - باب القصاص يوم القيامة (٨/١١١) برقم ٦٥٣٥.

(٥) أورده ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/٢٢٦٦) والسيوطي في الدر (٨/٦٢٦).

تعالى - من حال أهل النار؛ من تبرؤ بعضهم من بعض، ولعن بعضهم بعضاً، ليُعلم أنَّ حال أهل الجنة مفارقٌ لحال أهل النار (١).

وأجابوا عن مجيء قوله " ونزعنا " بصيغة الماضي والنزع إنما يكون مستقبلاً: بأن ذلك إنما هو لتحقق وقوعه في المستقبل حتى عبَّر عنه بما يعبر عن الواقع (٢).

القول الثاني- أن المراد بالغل هو غل الجاهلية، ويكون نزعها في الدنيا.

وهذا القول مروى عن علي بن أبي طالب (٣) وابن عباس (٤) والحسن (٥).
وهو قول أبي السعود (٦).

- قال الألويسي: (والمراد عدم اتصافهم بذلك من أول الأمر، إلا أنه عبر عن عدم الاتصاف به مع وجود ما يقتضيه - حسب البشرية أحياناً - بالنزع مجازاً، ولعل هذا بالنظر إلى كُمل المؤمنين كأصحاب رسول الله ^٨ فإنهم رحماء بينهم يحب بعضهم بعضاً كمحبته لنفسه، أو المراد إزالته بتوفيق الله تعالى قبل الموت بعد أن كان بمقتضى الطباع البشرية) (٧).
واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: (فِينَا وَاللَّهِ أَهْلُ بَدْرٍ نَزَلَتْ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ﴾ ١١ ۝ سُرُرٍ مُنْقَلَبِينَ ﴿٨﴾).

* عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: (نَزَلَتْ فِي ثَلَاثَةِ أَحْيَاءٍ مِنَ الْعَرَبِ: فِي بَنِي

(١) انظر: اللباب (٧/٣٤٩).

(٢) انظر: التسهيل (١/٣٩٤).

(٣) انظر: الدر المشثور (٨/٦٢٦) وما بعدها.

(٤) انظر: الدر المشثور (٨/٦٢٩).

(٥) انظر: الدر المشثور (٨/٦٢٦).

(٦) انظر: إرشاد العقل السليم (٤/٨٠).

(٧) روح المعاني (٦/١٧٢).

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/١٠٨).

هاشم وبني تيم وبني عدي^(١)، في وفي أبي بكر وعمر^(٢).

* عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: (ذاك عثمان وطلحة^(٣) والزبير^(٤) وأنا)^(٥).

* عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: (نزلت في علي وطلحة والزبير)^(٦).

* عن كثير النواء^(٧) قال: قلت لأبي جعفر إن فلاناً حدثني عن علي بن الحسين رضي

الله تعالى عنها أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر وعلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي

صُدُورِهِمْ﴾ قال: (والله إنها لفيهم أنزلت، وفيمن تنزل إلا فيهم؟) قلت: وأيُّ غل

(١) بنو هاشم وبنو تيم وبنو عدي: من بطون قريش. انظر: جمهرة أنساب العرب (١/٤٦٤).

(٢) ذكره السيوطي في الدر (٨/٦٢٨).

(٣) طلحة بن عبيد الله بن عثمان القرشي التيمي، أبو محمد، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى. شهد أحدا، وأبلى فيها بلاء حسنا، ووقى النبي [^] بنفسه، واتقى النبل عنه بيده حتى شلت إصبغه، فقال: حس حس، فقال عليه الصلاة والسلام: «لو قلت بسم الله لرأيت بناءك الذي بنى الله لك في الجنة وأنت في الدنيا». وأخرج أبو القاسم البغوي بسند صحيح قال: لما كان يوم الجمل نظر مروان إلى طلحة فقال: لا أطلب ثأري بعد اليوم، فنزع له بسهم فقتله. ت: ٣٦هـ. انظر: الإصابة (٣/٤٣٠).

(٤) الزبير بن العوام بن خويلد القرشي الأسدي، أبو عبد الله، حوارى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن عمته. أمه صفية بنت عبد المطلب، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، أسلم وله اثنتا عشرة سنة وقيل ثمان سنين. هاجر الزبير المهجرتين. كان طويلا تحط رجلاه الأرض إذا ركب. وقال عثمان بن عفان لما قيل له استخلف الزبير: (أما إنه لأخيرهم وأحبهم إلى رسول الله [^]. وهو أول رجل سل سيفه في سبيل الله، وذلك أن الشيطان نفخ نفخة فقال قتل رسول الله [^]، فأقبل الزبير يشق الناس بسيفه والنبي [^] بأعلى مكة). استشهد سنة ٣٦هـ، وكان الذي قتله رجل من بني تميم يقال له عمرو بن جرموز قتله غدرا بمكان يقال له وادي السباع. انظر: الإصابة (٢/٤٥٧).

(٥) المصدر السابق (٨/٦٣٠) وتوجيه ما وقع بين علي وطلحة والزبير مما ظاهره الغل: أن ذلك لم يكن إلا اجتهداً إعلاءً لكلمة الله.

(٦) المصدر السابق (٨/٦٢٩).

(٧) كثير بن إسماعيل أبو إسماعيل التيمي الكوفي، ويقال: ابن نافع النواء، مولى بني تيم الله. قال أبو حاتم: (ضعيف الحديث) وقال أبو أحمد بن عدي: (كان غاليا في التشيع مفرطاً فيه) وقال الجوزجاني: (زائغ). انظر: تهذيب الكمال (٢٤/١٠٤).

لا يعارض أن يكون قد نزع الله في الدنيا من قلوبهم غل الجاهلية، بمعنى أنه لم يكن من صفاتهم، ثم إذا أدخلوا الجنة في الآخرة نزع الله من قلوبهم الحسد الذي قد يعتريهم بسبب تفاوت الدرجات في الجنة، فيكونوا في الآخرة سالمي القلوب طاهريها متوادين متعاطفين، كما قال: ﴿ ٩١ سُرُرٍ مُنْقَلَبِينَ ﴾.

فكلا القولين إذن موافق للآية؛ إلا أن الأول أوفق بسباق الآية ولحاقها.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو القول الأول، وهو: (أن المراد بالغل هو ما يقع بين الناس من غل القلب في الدنيا، ويكون نزعه في الآخرة).
يشهد بصحة هذا:

* الحديث الصحيح الذي رواه أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ^٨.

* السياق، حيث إن الآية في سياق الإخبار عن حال المتقين في الجنة: ﴿ إِنَّ الْمُنْتَقِينَ

فِي جَنَّاتٍ ﴿٤٥﴾ أَدْخُلُوهَا سَلَامٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ ﴿٤٧﴾ سُرُرٍ مُنْقَلَبِينَ ﴿٤٨﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٩﴾ الحجر: ٤٥-٤٨.

* القواعد الترجيحية التي تنص على أن:

- إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك (١).
- إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه (٢).

الحكم على ترجيح القرطبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ للقول الأول صحيح - من وجهة نظري - لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، ولما قدمته من أدلة تؤيد القول الراجح.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) قواعد الترجيح (١/ ١١١).

(٢) المصدر السابق (١/ ١٨٣).

المسألة الثانية: معنى ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾.

يقول القرطبي رحمته الله: ﴿سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ أي: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض توأصلاً وتحابياً، عن مجاهد^(١) وغيره. وقيل: الأسرة تدور كيفما شاءوا، فلا يرى أحدٌ قفاً أحد. وقيل: "متقابلين" قد أقبلت عليهم الأزواج وأقبلوا عليهن بالود^(٢).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرّض.

Ø في معنى هذه الآية أربعة أقوال:

القول الأول - متقابلون بوجوههم، لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض^(٣).

فيكون المعنى: ونزعنا ما في صدورهم من بغضاء فهم إخوان يجلسون على سرر، متقابلون بوجوههم لا يتدابرون تحابياً وتأخياً.

وهذا القول مروى عن ابن عباس^(٤) وزيد بن أبي أوفى رضي الله عنه^(٥)، ومجاهد رحمهما

الله.

وهو ما رجحه القرطبي، ووافق ابن عطية^(٦)، وقال به جمهور المفسرين وعامتهم^(٧).

(١) انظر: مصنف ابن أبي شيبة (٨ / ٨٥) تفسير الطبري (١٧ / ١١٠).

(٢) تفسير القرطبي (١٢ / ٢١٩) والقول الثاني الذي ذكره القرطبي (تدور بهم الأسرة كيفما شاءوا) يرجع إلى الأول.

(٣) من التقابل والمقابلة أي: المواجهة، ضد التدابر. انظر: لسان العرب (١١ / ٥٣٤).

(٤) انظر: الدر المنثور (٨ / ٦٣٠).

(٥) انظر: الدر المنثور (٨ / ٦٣٠) وزيد بن أبي أوفى الأسلمي رضي الله عنه: صحابي، أخو عبد الله بن أبي أوفى.

من أهل المدينة. شهد النبي ^ﷺ يؤاخي بين أصحابه، وروى حديث المؤاخاة. انظر: الثقات لابن حبان (٣ / ١٤٠) الإصابة (٢ / ٤٨٩).

(٦) انظر: المحرر الوجيز (٤ / ١٣٢).

(٧) كالطبري والنحاس والواحدي والبغوي والزمخشري والرازي والجلال السيوطي والألوسي والشوكاني وابن

عاشور. انظر: تفسير الطبري (١٧ / ١١٠) معاني القرآن للنحاس (٤ / ٢٨) الوجيز (١ / ٤٠٧) معالم التنزيل

(٤ / ٣٨٣) الكشف (٣ / ٣١٣) مفاتيح الغيب (٩ / ٣١٦) تفسير الجلالين (٤ / ٣٤٨) روح المعاني (١٠ / ٢٠)

و استدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أنه مروى عن ابن عباس وزيد بن أبي أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمُ.

* أن (القُبْل) في اللغة هو الوجه، والإقبال والاستقبال هو المحاذاة بالوجه^(١).

* أنه قول جمهور المفسرين.

القول الثاني - مقبلون على بعضهم بالتوادم، أو مقبلون على أزواجهم مقبلاتٍ عليهم

بالود والحب.

فيكون المعنى: ونزعنا ما في صدورهم من البغضاء والعداوة، فهم إخوان مقبلون على

بعضهم بالتوادم، مقبلون على أزواجهم بالمحبة والود وهن مقبلات عليهم بمثل ذلك.

و هذا القول حكاه القاسم^(٢).

و احتج أصحاب هذا القول باللغة، فقالوا:

* إن المقابلة قد تكون معنوية بمعنى: المودة والمحبة فكأنها مقابلة بالقلوب والأرواح،

قال الراغب: (والمقابلة والتقابل: أن يُقبِلَ بعضٌ على بعضٍ إما بالذات وإما بالعناية والتوفر

والمودة^(٣)).

* إن المقابلة بالتوادم والمحبة يلزم منها تقابل الوجوه والذوات.

القول الثالث - متقابلون بالزيارة والتواصل.

فيكون المعنى: ونزعنا ما في صدورهم من غل فهم إخوان يجلسون على سرر ويتقابلون

مع بعضهم بالزيارة ويتواصلون فيما بينهم.

فتح القدير (١٨٢/٤) التحرير والتنوير (٥٦/١٤).

(١) انظر: لسان العرب (٥٣٤/١١).

(٢) ذكره الماوردي. انظر: النكت والعيون (٣٥١/٢).

(٣) مفردات غريب القرآن ص ٣٩٢

وهذا القول مروى عن قتادة^(١)، وقال به: ابن أبي زمنين والسمرقندي^(٢).

القول الرابع- أي مستوون في المنزلة لا يتفاضلون فيها^(٣).

وهو قول أبي بكر بن زياد^(٤).

و يحتمل أن يرجع هذا المعنى إلى القول الأول: أي لتساوي درجاتهم وتقارب مراتبهم يكونون في منزلة واحدة متقابلين يأنس بعضهم برؤية وجه بعض.

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض الأقوال السابقة ما يلي:

§ صحة حمل الآية على جميع المعاني؛ إذ لا تعارض بينها.

§ أن القول الأول أقوى الأقوال لأنه:

- مروى عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

- قول جمهور المفسرين متقدميهم ومتأخريهم، ولم يشذ عنه إلا قلة.

- هو الظاهر المتبادر إلى الفهم من لفظ التقابل.

§ أن القولان الثاني والثالث يتضمنان معنى الأول؛ حيث إن التوادد والتواصل

والتزاور يلزم منهما التقابل بالوجوه، وكذلك كونهم في منزلة واحدة لا يتفاضلون لتساوي

الأعمال يلزم منه التقابل بالوجوه والأبدان.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو القول الأول، وهو أن معنى

متقابلين أي: (بوجوههم، لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض) مع صحة حمل الآية على باقي

(١) ذكره الماوردي. انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٥١).

(٢) انظر: تفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٣٨٦) بحر العلوم (٢/ ٤٤٧).

(٣) ويظهر أن هذا المعنى منزل على من كان في منزلة واحدة من أهل الجنة، لا أن جميع أهلها في منزلة واحدة،

لثبوت التفاضل في الجنان بالقرآن والسنة الصحيحة.

(٤) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٥١).

المعاني.

يشهد بصحة هذا الترجيح القواعد الآتية:

- * قول الصحابي مقدم على غيره في التفسير (١).
- * تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم (٢).
- * تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير (٣).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو أن معنى متقابلين (أي: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض تواملاً وتحابياً) صحيح - من وجهة نظري - لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، ولما قدمته من أدلة وقواعد تؤيد القول الراجح.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) انظر: قواعد التفسير (١/١٨٦).

(٢) انظر: قواعد الترجيح (١/٢٤٣).

(٣) انظر: المصدر السابق (١/٢٥٨).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ut s r q p o n m l k j i ﴾

{ z y x w v } | { لَصَدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِبَ أَهْلَكَ يَقْطَعُ

﴿٦٥﴾ يَلْنَفْتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾

في هذه الآية مسألة واحدة، هي:

﴿ولا يلتفت﴾ (١).

يقول القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: ﴿﴿ يَلْنَفْتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾﴾ نُهَوَّ عَنْ

الالتفات لِيَجِدُوا فِي السَّيْرِ وَيَتْبَاعِدُوا عَنِ الْقَرْيَةِ قَبْلَ أَنْ يَفَاجِئَهُمُ الصَّبْحُ. وَقِيلَ: الْمَعْنَى لَا يَتَخَلَّفُ (٢).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرير.

Ø في معنى هذه الآية قولان:

القول الأول- "ولا يلتفت": لا ينظر وراءه (٣).

وهو ما رجحه القرطبي، ووافقه ابن عطية وأبو حيان رحمهم الله (٤).

(١) قال ابن فارس: (اللام والفاء والتاء كلمة واحدة تدل على اللي وصرف الشيء عن جهته) معجم مقاييس اللغة (٢٥٨/٥) وكان من صفته [^] أنه إذا التفت التفت جميعاً أي: لا يسارق النظر. وقيل أراد لا يلوي عنقه يمنة ويسرة إذا نظر إلى الشيء، وإنما يفعل ذلك الطائش الخفيف، ولكن كان يقبل جميعاً ويدبر جميعاً، واللَّفوت من النساء: التي تكثر التلفت. وقيل: هي التي يموت زوجها أو يطلقها وَيَدْعُ عَلَيْهَا صَبِياناً فهي تكثر التلفت إلى صبيانها. واللَّفوت: الناقة الصَّجور عند الحلب تلتفت إلى الحالب فتعضه. انظر: لسان العرب (٨٤/٢).

(٢) تفسير القرطبي (٢٢٦/١٢).

(٣) وعلّة نهي لوط وأهله عن الالتفات وراءهم: لثلاثاً يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم، ولتحقيق معنى الهجرة غضباً لحرّامات الله بحيث يقطع التعلق بالوطن ولو تعلق الرؤية، ولیمضوا قدماً غير ملتفتين إلى ما وراءهم كالذي يتحسر على مفارقة وطنه فلا يزال يلوي إليه، لأن الالتفات إلى الشيء يقتضي محبته وعدم مفارقتها فيتخلف عنده، وليجدوا في السير ويتباعدوا عن القرية قبل أن يفاجئهم الصبح.

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٤٥٤/٣) البحر المحيط (٤٣٨/٦).

وهذا القول مروى عن مجاهد^(١) ومقاتل^(٢)، ورجحه جلّ المفسرين^(٣).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن الالتفات في الحقيقة اللغوية هو ليّ الوجه إلى الورا.

- قال ابن فارس: (الالتفات هو أن تعدل بوجهك وكذا التلفت)^(٤).

- وقال ابن منظور: (لَفَتَ وَجْهَهُ عَنِ الْقَوْمِ: صَرَفَهُ، وَالتَّفَتَ التَّفَاتًا، وَالتَّلَفَّتْ: أَكْثَرُ

منه. وَتَلَفَّتْ إِلَى الشَّيْءِ وَالتَّفَتَ إِلَيْهِ: صَرَفَ وَجْهَهُ إِلَيْهِ)^(٥).

- قال الألويسي: (وهذا هو المعنى المشهور الحقيق للالتفات)^(٦).

القول الثاني - "و لا يلتفت" : لا يتخلف أحد منكم فيصيبه العذاب.

وهذا القول مروى عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا^(٧)، وقال به: السمرقندي^(٨)، وأورده جمع

من المفسرين ولم يختره أحد.

و حجة هذا القول:

(١) انظر: تفسير مجاهد ص ١٢٩، تفسير الطبري (١٥ / ٤٣٢).

(٢) انظر: تفسير مقاتل (٢ / ١٣٠).

(٣) ذكر السمرقندي صاحب (بحر العلوم) القول الثاني واعتمده، أما أقطاب التفسير وعمده فعلى القول الأول،

كالطبري والزجاج والنحاس وابن أبي زمنين والواحدي والبغوي والجلال السيوطي وأبو السعود والألويسي

والشوكاني وابن عاشور. انظر: تفسير الطبري (١٥ / ٤٣٢) معاني القرآن للزجاج (٣ / ١٨٢) معاني القرآن

لنحاس (٤ / ٣٠) تفسير ابن أبي زمنين (٢ / ٣٨٨) الوجيز (١ / ٤٠٩) معالم التنزيل (٤ / ٣٨٦) تفسير

الجلالين (٤ / ٥٣) إرشاد العقل السليم (٣ / ٣٧٥) روح المعاني (٨ / ٣٢١) فتح القدير (٣ / ٤٧٠) التحرير

والتنوير (١٢ / ١٣٢).

(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة (٥ / ٢٥٨).

(٥) انظر: لسان العرب (٢ / ٨٤).

(٦) انظر: روح المعاني (٨ / ٣٢١).

(٧) انظر: الدر المنثور (٨ / ١١٨).

(٨) انظر: بحر العلوم (٢ / ٣٤٨).

* أن التخلف انصرافٌ عن المسير، من اللَّفْت وهو في اللغة: الانصراف إلى الشيء عما سواه (١).

* أن لهذا المعنى اللغوي نظيراً في القرآن هو قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾ يونس: ٧٨، أي: تصرفنا.

* أن قوله ﴿إِلَّا أَمْرًا نَكَ﴾ هود: ٨١، العنكبوت ٣٣ قرئت بالرفع على البدل من أحد (٢)، فيكون الالتفات بمعنى التخلف لا بمعنى النظر إلى الخلف؛ كيلا يلزم التناقض بين القراءتين المتواترتين؛ فإن النصب يقتضي كونه عليه السلام غير مأمور بالإسراء بها والرفع كونه مأموراً بذلك.

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض القولين السابقين وأدلتها ما يلي:

§ أن كلا المعنيين صحيح في اللغة، ويصح أن تحمل عليه الآية.

§ أن كلا القولين وارد عن السلف.

§ أن أكثر المفسرين على المعنى الأول.

§ أن القول الأول هو المعنى الظاهر المتبادر للذهن من لفظ (الالتفات).

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الراجح هو حمل الآية على القولين معاً، فيكون

معنى ﴿وَلَا يَلْفَنُفْتٌ﴾ أي: (لا يلتفت أحد منكم وراءه ولا يتخلف عن المسير منكم أحد).

يشهد بصحة هذا:

قواعد الترجيح التي قضت بأن:

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٢٥٨/٥)

(٢) انظر: الحجة في القراءات السبع (١٩٠/١) النشر (٢٩٠/٢).

١. إذا ورد أكثر من تفسير لغوي صحيح تحتمله الآية بلا تضاد جاز تفسير الآية بها (١).

٢. فهم السلف للقرآن حجة يُحتكم إليه لا عليه (٢).

- قال الشنقيطي رحمته الله: (تقرر عند العلماء من أن الآية إن كانت تحتل معاني كلها

صحيحة، تعين حملها على الجميع) (٣).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله:

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو أن معنى (ولا يلتفت منكم أحد) أي:

(لا ينظر أحد منكم وراءه) هو جزء من القول الراجح لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال

الواردة في تفسير الآية، ولما قدمته من قواعد تؤيد القول الراجح.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) انظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم ص ٥٩١.

(٢) انظر: قواعد التفسير (١/٢٠٦).

(٣) أضواء البيان (٢/٢٥٩).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (٦٧) قَالَ إِنَّ هَذَا هُوَ صَيْفِي فَلَا نَفْصَحُونَ ﴿٦٨﴾
وَأَنْقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ ! " # \$ % & (') * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ [\] ^ _ ` { | } ~ ¡ ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © ª « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ · ¸ ¹ º » ¼ ½ ¾

في هذه الآية مسألة واحدة، هي:

﴿ تعيين وقت نزول العذاب بقوم لوط؛ هل كان ابتداء نزوله في الصباح أم عند الإشراق؟ ﴾ (١)

يقول القرطبي رحمته الله: (قوله تعالى: ﴿...﴾ نصب على الحال، أي: وقت شروق الشمس. يقال: أشرقت الشمس أي أضاءت، وشرقت إذا طلعت. وقيل: هما لغتان بمعنى. وأشرق القوم: أي دخلوا في وقت شروق الشمس. مثل أصبحوا وأمسوا، وهو المراد في الآية. وقيل: أراد شروق الفجر. وقيل: أول العذاب كان عند الصبح وامتد إلى شروق الشمس، فكان تمام الهلاك عند ذلك. والله أعلم (٢).

طريقة الترجيح: التنقيص على القول الراجح بلفظ (وهو المراد في الآية)

Ø في تفسير هذه الآية قولان:

القول الأول- أن ابتداء نزول العذاب بقوم لوط كان عند الإشراق.

وهو ما رجحه القرطبي رحمته الله.

وهذا القول مروى عن ابن جريج (٣).

وهو قول الزجاج والطبري والثعلبي والزخشي والبيضاوي والنسفي وابن جزى

الكلبي وأبي حيان والسمين الحلبي وابن كثير وأبي السعود (٤).

(١) سبب اختلاف المفسرين في تعيين وقت نزول العذاب: هو إخباره تعالى بأنه سينزل بهم (مصباحين) وفي

الموضع الآخر (مشرقين) والصبح والإشراق كلاهما من ساعات النهار، إلا أن بينها تفاوت زمني.

(٢) تفسير القرطبي (١٢/٢٣٢).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/١١٩).

(٤) انظر: معاني القرآن (٣/١٨٤) تفسير الطبري (١٧/١١٩) الكشف والبيان (٥/٣٤٦) الكشف (٣/٣١٨)

أنوار التنزيل (٣/٣١٢) مدارك التنزيل (٢/١٤٥) التسهيل (٢/٦٣) البحر المحيط (٧/٢٠٣) الدر المصون

و احتج أصحاب هذا القول:

بأن الله تعالى ذكر في الآية أن العذاب نزل بهم مشرقين، وذكر في موضع قبله أنه سينزل بهم مصبحين، والعرب تميز أن يُطلق الصبح على الشروق؛ لأن الصبح هو أول النهار والشروق من أول النهار، فيجوز استعمال لفظ الصبح أو الصباح للشروق بل وجميع ساعات النهار^(١).

القول الثاني - أن ابتداء نزول العذاب يقوم لوط كان عند الصبح، وكان إهلاكهم عند الإشراق.

وهو قول الواحدي والحاازن والنظام النيسابوري والثعالبي وابن عادل والألوسي وابن عاشور^(٢).

وحجة أصحاب هذا القول:

* أن بين الصبح وبين الشروق عند العرب تفاوتٌ زمني، فقد وضعت العرب لكل ساعة من ساعات النهار والليل مسمىً؛ فتسمي ساعات النهار: الفجر ثم الصبح ثم الصباح ثم الشروق ثم البُكور ثم الغدوة ثم الضُحى ثم الهاجرة ثم الظهر ثم الرواح ثم العصر ثم القصر ثم الأصيل ثم العشي ثم الغروب، وتسمي ساعات الليل: الشَّفَق ثم الغسق ثم العتمة ثم السُدفة ثم الفحمة ثم الزُّلَّة ثم الزُّلْفَة ثم البُهرة ثم السَّحر^(٣).
و طالما الأمر كذلك فيلزم منه أن يُفَرَّق بين الصبح والشروق في المعنى.

(١٧٦/٧) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٤٣) إرشاد العقل السليم (٤/ ٨٧).

(١) ذكره البقاعي وقال: (وقد يطلق على الغداة والزوال أيضاً) انظر: نظم الدرر (١١/ ٧٦). ويؤكد جواز إطلاق بعض مسميات ساعات النهار على بعض قول ابن دريد: (والضحى، مقصور: وقت الشروق) جمهرة اللغة (٢/ ٩٠).

(٢) انظر: الوجيز (١/ ٤٠٩) لباب التأويل (٤/ ١٥٢) تفسير النيسابوري (٤/ ٤٩٤) الجواهر الحسان (٢/ ٣٢٤) اللباب (١٠/ ٦٠) روح المعاني (١٠/ ٥٢) التحرير والتنوير (١٤/ ٦٥).

(٣) انظر: فقه اللغة للثعالبي ص ٣٨٤.

* أن الله تعالى ذكر أن العذاب سينزل بهم عند دخول وقت الصبح فقال عز وجل:
﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ۞ هَهُؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ الحجر: ٦٦ وقال في سورة
هود: ﴿إِنَّ ۞ ۞ ۞﴾ [٨١]، ثم ذكر أن العذاب نزل بهم عند
دخول وقت الإشراق: ﴿ ۞ / ۞ ۞ ۞﴾، والجمع بين الآيتين ممكن، وذلك بأن
يكون ابتداء نزول العذاب بقوم لوط عند الصبح، ويكون إهلاكهم واستئصالهم عند
الإشراق.

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض أقوال الفريقين أن سبب الخلاف الحاصل بينهما هو توهم وجود
اختلاف - في مقام الإخبار عن وقت نزول العذاب بقوم لوط عليه السلام - بين قوله تعالى
"مصبحين" و"مشرقين".

وبالرجوع إلى كتب اللغة وجدنا أن العرب:

§ تستعمل كل ساعة من ساعات الليل والنهار مسماها الخاص تارةً.

§ وتستعمل بعضها في مقام بعض إذا تقاربت الأزمنة تارةً أخرى.

ولما كان (الشروق) في أول النهار، جاز إطلاق (الصباح) عليه بهذا الاعتبار.

- قال ابن عاشور: (ومبدأ الصباح وقت شروق الشمس، ولذلك قال بعده:

﴿ ۞ / ۞ ۞ ۞﴾ (١).

ثم إننا إذا تدبرنا قصة لوط عليه السلام وجدنا أن الله تعالى ذكر أن وقت إنجاء لوط
ومن معه من المؤمنين كان ﴿يَقْطَعُ﴾ مِنَ اللَّيْلِ ﴿هُود: ٨١﴾ و ذكر في موضع آخر أن وقت
إنجائهم كان ﴿ ۞ / ۞ ۞ ۞﴾ القمر: ٣٤.

فاستعمل (الليل) للسحر عند الإخبار عن وقت إنجاء المؤمنين، كما استعمل (الصباح)

(١) التحرير والتنوير (٦٥/١٤).

للشروق عند الإخبار عن وقت إهلاك الكافرين، والله أعلم.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو القول الثاني (أن ابتداء نزول العذاب بقوم لوط كان عند الصبح، وكان إهلاكهم عند الإشراق) يؤيد ذلك:
* أن القول الأول يقضي بأن يكون للآيتين "مصبحين" و "مشرقين" معنىً واحداً، والأولى أن يكون للاسمين معنيين بدلاً من أن يكونا للمعنى واحد^(١) كما نصت على ذلك قواعد الترجيح.

* أن الجمع بين "مصبحين" و "مشرقين" باعتبار بداية العذاب ونهايته، فيكون لفظ (مقطوعٌ) على حقيقته؛ فإن دلالة اسمي الفاعل والمفعول على الحال، وحال القطع هو حال المباشرة لا حال انقضائه لأنه مجازٌ حيثُذ، وذلك بأن تقول: مقطوع بمعنى يُقطع عن قريب^(٢).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو: (أن نزول العذاب بقوم لوط كان عند شروق الشمس) له وجهه وأدلته إلا أنه ليس بالراجح، لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، ولقواعد الترجيح المؤيدة لذلك.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) انظر: قواعد التفسير (٢/٤٢٦).

(٢) انظر: حدائق الروح والريحان (١٥/١٠٣).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ > = < ; ﴾ ؟ @ (١)

في هذه الآية مسألة واحدة، هي:

﴿ معنى المتوسمين. ﴾

يقول القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: (روى الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «للمتفرسين»^(٢) وهو قول مجاهد^(٣). وروى أبو عيسى الترمذي عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» ثم قرأ: ﴿ > = < ; ﴾ الحجر: ٧٥. قال: هذا حديث غريب^(٤).

(١) قال السيوطي رَحِمَهُ اللهُ: (هذه الآية أصل في الفراسة) الإكليل في استنباط التنزيل ص ١٦٠. والتوسم والفتنة والفراسة بمعنى واحد، وقد نبه الله على صدق الفراسة بقوله "تعرفهم بسيماهم" وقوله "ولتعرفنهم في لحن القول" وهي ضربان: ضرب يحصل للإنسان عن خاطر لا يعرف سببه وذلك ضرب من الإلهام وإياه عنى النبي ﷺ بقوله «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» وقوله في المتلاعنين «إن أمرهما بين لولا حكم الله» وهو الذي يسمى صاحبه المروء أو المحدث، وضرب يكون بالتعلم بمعرفة الأفعال والأمزجة والأشكال والألوان. انظر: محاسن التأويل (٣٤١/٦). قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (وعلى حسب قوة البصيرة وضعفها تكون الفراسة) بدائع التفسير (١٠٦/٢).

(٢) نوادر الأصول - الأصل السابع والعشرون والمائتان في حقيقة الفراسة ودواعيها (٨٧/٣) وأخرجه أبونعيم في الحلية (٢٨١/١٣) وابن خسرو في مسند أبي حنيفة (٦٦٤/٢) برقم ٨٢٩. وروي في غالب كتب السنة مروياً عن بعض أهل العلم.

(٣) انظر: تفسير مجاهد ص ١٢٩، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٢٠/١٧) وذكره السيوطي في الدر (٦٣٨/٨).

(٤) أخرجه البخاري في تاريخه (٣٥٤/٧) والترمذي في سننه - أبواب تفسير القرآن - باب تفسير سورة الحجر (٣٩٩/١٠) برقم ٣١٢٧، والطبري في تفسيره (٩٦/١٤) والطبراني في المعجم الأوسط - باب الميم - باب من اسمه محمود (١٤٤/١٧) برقم ٧٨٤٣، السلمي ٤١٢ في الأربعين في التصوف - باب ما جاء في تصحيح الفراسة (١٦/١)، وأبو نعيم في الطب النبوي (٢٠٤/١) برقم ٦٣ وفي الحلية (٢٨١/١٣)، والخطيب البغدادي في تاريخه - حرف الكاف - محمد بن كثير (١٩١/٣)، وقال الألباني: (ضعيف) انظر: السلسلة الضعيفة برقم ١٨٢١. ويغني عنه قوله ﷺ: «إن لله عبادة يعرفون الناس بالتوسم» صححه الألباني. انظر: السلسلة الصحيحة برقم ١٦٩٣.

وقال مقاتل^(١) وابن زيد^(٢): للمتوسمين للمتفكرين. الضحاك: للنظارين^(٣). قال الشاعر^(٤):

أوكلمها وردت عكاظ^(٥) قبيلةً
بعثوا إليّ عريفهم يتوسموا
وقال قتادة: للمعتبرين^(٦)، قال زهير^(٧):

وفيهنّ ملهى للصديق ومنظرٌ
أنيق لعين الناظر المتوسم
وقال أبو عبيدة: للمتبصرين^(٨)، والمعنى متقارب^(٩).

طريقة الترجيح: التنصيص على القول الراجح بقوله (والمعنى متقارب).

Ø للمفسرين وأهل اللغة في معنى (المتوسمين) ستة أقوال:

-
- (١) انظر: تفسير مقاتل (٢/ ٢٠٥).
- (٢) أخرجه الطبري في تفسيره. انظر: (١٧/ ١٢١).
- (٣) انظر: تفسير الضحاك (١/ ٥٠٩).
- (٤) هو: طريف بن تميم العبدي، أبو عمرو: شاعر جاهلي مقل، من فرسان بني تميم، قتله أحد بني شيبان. انظر: سمط اللآلي في شرح أمالي القالي (١/ ٢٥١) الأعلام (٣/ ٢٢٦). والبيت ورد في البيان والتبيين (٣/ ١٠١) والأصمعيات ص ١٢٧.
- (٥) عكاظ: اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية، كانت قبائل العرب تجتمع فيه في كل سنة بشهر شوال ويتفاحرون فيها، ويحضره شعراؤهم ويتناشدون ما أحدثوا من الشعر ثم يتفرقون، وقال الأصمعي: عكاظ نخل في واد بينه وبين الطائف ليلة وبينه وبين مكة ثلاث ليال، سمي عكاظ عكاظاً لأن العرب كانت تجتمع فيه فيعكظ بعضهم بعضاً بالفخار، أي: يدعك، من تعكظ القوم تعكظاً إذا تحبسوا ينظرون في أمورهم، أو من عكظ الرجل صاحبه إذا فاخره وغلبه بالمفاخرة فسميت عكاظ بذلك. انظر: معجم البلدان (٤/ ١٤٢).
- (٦) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣٦٩) والطبري في تفسيره (١٧/ ١٢١).
- (٧) زهير بن ربيعة المزني، المعروف بابن أبي سلمى: شاعر جاهلي لم يدرك الإسلام، وأدركه ابنه كعب وبجير، كان سيداً في قومه، توفي عام ١٣ ق هـ، انظر: الشعر والشعراء (١/ ١٣٧) الأعلام (٣/ ٥٢) والبيت من ديوانه بشرح حمدو طماس ص ٦٦.
- (٨) انظر: مجاز القرآن (١/ ٤٠٦).
- (٩) تفسير القرطبي (١٢/ ٢٣٢).

القول الأول - معنى المتوسمين أي: المتفرسين.

وهذا القول مروى عن مجاهد.

وهو قول ابن قتيبة والطبري وابن عزيز السجستاني وابن أبي زمنين والواحدي والزمخشري والرازي والنظام النيسابوري وأبي السعود والشيخ محمد الأمين الهري (١).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله [^] أنه قال: «للمتفرسين».

* حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله [^] أنه قال: «اتقوا فراسة المؤمن

فإنه ينظر بنور الله» ثم قرأ ﴿ > = < ; ﴾ .

* قول عبد الله بن أبي رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للنبي [^] (٢):

إني توسمتُ فيك الخيرَ أعرفُهِ والله يعلمُ أيُّ ثابتُ البصرِ

وقال آخر (٣):

توسمتهُ لما رأيتُ مهابةً عليه وقلت المرء من آل هاشم

القول الثاني - معنى المتوسمين أي: المتفكرين.

(١) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة (٢٣٩/١) تفسير الطبري (١٢٠/١٧) غريب القرآن لابن عزيز ص ١٨٨،

تفسير ابن أبي زمنين (٣٨٩/٢) الوجيز (٤١٠/١) الكشف (٣١٨/٣) مفاتيح الغيب (٣٢٧/٩) تفسير

النيسابوري (٤٩٤/٤) إرشاد العقل السليم (٨٧/٤) حدائق الروح والريحان (١٠٤/١٥).

(٢) انظر: ديوانه ص ٩٤، وهو عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه، من شعراء الصحابة، كان

عظيم القدر في الجاهلية والإسلام، وكان أحد النقباء ليلة العقبة وشهد بدرًا وما بعدها، كان يكتب للنبي [^]،

وأرسله رسول الله إلى مؤتة ثالث ثلاثة أمراء: زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب فقتل يومئذ. انظر:

الإصابة (١٢٤/٢) طبقات فحول الشعراء (٣٠/١).

(٣) هو أعرابي أضاف عبید الله بن العباس، وكان عند الأعرابي شاة لا يملك غيرها فذبحها له، فأهداه خمس مائة

دينار، فقال فيه قصيدة هذا من مطلعها. انظر: خزانة الأدب (٢٨٢/٢٨).

وهذا القول مروى عن مقاتل (١)، وابن زيد (٢).

وهو قول الفراء، وممن قال به: الشوكاني والسعدي (٣).

واستدل أصحاب هذا القول باللغة:

* قال الفراء: (للمتوسمين: للمتفكرين) (٤).

القول الثالث - معنى المتوسمين أي: الناظرين.

وهذا القول مروى عن ابن عباس (٥)، والضحاك.

وقال به الإمام البخاري رحمته الله (٦).

* قال ابن فارس: (المتوسمين: الناظرين في السمة الدالة) (٧).

واستدل أصحاب هذا القول باللغة والشعر:

* أن حقيقة التوسم: النظر في الشيء نظر تثبت حتى تثبت حقيقة سمة الشيء (٨).

- قال الزجاج: (وحقيقته في اللغة المتوسمون: الناظر المتشبتون في نظرهم حتى يعرفوا

حقيقة سمة الشيء، تقول: توسمت في فلان كذا وكذا أي: عرفت وسم ذلك فيه) (٩).

* قول زهير بن أبي سلمى:

وفيهنَّ ملهى للصدیق ومنظرٌ أنيق لعين الناظر المتوسم

(١) انظر: تفسير مقاتل (٢/ ٢٠٥).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٢١).

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٩١) فتح القدير (٤/ ١٨٩) تفسير السعدي (١/ ٤٣٣).

(٤) معاني القرآن (٢/ ٩١).

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ١٢٠) وذكره ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٧٠) والسيوطي في الدر (٨/ ٦٣٨).

(٦) انظر: صحيح البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء - باب " ولو طأ إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون "

(٤/ ٤٦٢).

(٧) معجم مقاييس اللغة (٦/ ١١١).

(٨) ذكره أبو جعفر النحاس في معاني القرآن (٤/ ٣٣).

(٩) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٨٩).

* وقول العنبري:

أوكلما وردت عكاظ قبيلةً بعثوا إلى عريفتهم يتوسموا

القول الرابع - معنى المتوسمين أي: المعتبرين.

وهذا القول مروى عن قتادة.

وهو قول الراغب الأصفهاني، وقال به ابن عاشور^(١).

- قال ابن عطية: (فالمتوسم هو الذي ينظر في وسم المعنى فيستدل به على المعنى، وكان معصية هؤلاء أبقت من العذاب والإهلاك وسمًا، فمن رأى الوسم استدل على المعصية به واقتاده النظر إلى تجنب المعاصي لئلا ينزل به ما نزل بهم)^(٢).

واستدل أصحاب هذا القول بالنظائر القرآنية:

- كقوله تعالى: ﴿ k m l n o p q ﴾ العنكبوت: ٣٥.

- وقوله: ﴿ I J K L M N O ﴾ الذاريات: ٣٧.

- وقوله: ﴿ S T U V W X ﴾ النازعات: ٢٦.

القول الخامس - معنى المتوسمين أي: المتبصرين.

وهو قول أبي عبيدة.

القول السادس - معنى المتوسمين أي: أهل الصلاح والخير.

وهذا القول مروى عن ابن عباس^(٣).

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض الأقوال السابقة ما يلي:

§ أن القول الأول هو أقوى ما قيل في الآية؛ حيث إن دليله تفسير النبي^٨ (٤).

(١) انظر: مفردات غريب القرآن ص ٥٢٤، التحرير والتنوير (١٤ / ٦٩).

(٢) المحرر الوجيز (٤ / ١٣٩).

(٣) ذكره أبو حيان ولم أجده في كتب التفسير بالمأثور.

(٤) والحديث وإن كان في إسناده ضعف فإنه يعتبر مقدما على غيره من الأقوال، بل يكون مرجحاً له، وقد فعل

§ أن الأقوال من الأول إلى الخامس هي معانٍ متقاربة ترجع إلى حقيقة واحدة، ولا تعارض بينها.

§ أن القول السادس هو بيان للمراد بالمتوسمين وليس تفسير لمعنى اللفظ.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو: أن جميع الأقوال متقاربة وليس بينها تعارض، وعليه فيصح حمل الآية عليها جميعاً.

فيكون معنى المتوسمين: (المترسمين المعتبرين، الناظرين في آيات الله نظر تفكر واعتبار، وهم أهل البصيرة والصلاح)

وإن كان القول الأول أو لاهها في المعنى، لورود النص به.

- قال ابن القيم رحمته الله: (ولا تنافي بين هذه الأقوال؛ فإن الناظر متى نظر في آثار ديار المكذبين ومنازلهم وما آل إليه أمرهم أورثه فراسة وعبرة وفكرة)^(١).

- وقال الشنقيطي رحمته الله: (ولا يخفى أن الاعتبار والنظر والتفرس والتأمل معناها واحد، فمآل جميع الأقوال راجع إلى شيء واحد وهو أن ما وقع لقوم لوط فيه موعظة وعبرة لمن نظر في ذلك وتأمل فيه حق التأمل، وإطلاق التوسم على التأمل والنظر والاعتبار مشهور في كلام العرب)^(٢).

- وممن قال بتقارب المعاني: ابن عطية ومكي بن أبي طالب والألوسي والشوكاني والشنقيطي رحمهم الله^(٣).

ذلك أئمة التفسير كالطبري الذي قال في أكثر من موضع - بعد ترجيحه لأحد الأقوال -: (وقد روي عن رسول الله [^] بتصحيح ما قلنا في ذلك بما في إسناده نظر) ثم يسوق الحديث مؤيداً به اختياره. انظر: تفسير الطبري (٧٦/١)، (٢٧٦/١٠).

(١) بدائع التفسير (١٠٦/٢).

(٢) أضواء البيان (٢٨٦/٢) باختصار.

(٣) انظر: المحرر الوجيز (١٣٩/٤) الهداية (٣٩١٧/٦) روح المعاني (٥٤/١٠) فتح القدير (١٨٩/٤) أضواء

يشهد بصحة هذا الرأي:

* القواعد الترجيحية التي تنص على:

- أن غالب ما نقل عن السلف من الاختلاف في التفسير فهو من باب التنوع^(١).
- أنه إذا ورد أكثر من تفسير لغوي صحيح تحتمله الآية بلا تضاد جاز تفسير الآية بها^(٢).

- أنه لا تعارض بين التفسير اللفظي والتفسير على المعنى^(٣).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن المعاني الواردة في تفسير معنى " المتوسمين " متقاربة) صحيح - من وجهة نظري - لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، ولما قدمته من أدلة تؤيد القول الراجح.

والله تعالى أعلم بالصواب

البيان (٢/٢٨٦).

(١) انظر: قواعد التفسير (٢/٢٠٨).

(٢) انظر: التفسير اللغوي للقرآن ص ٥٩١

(٣) المصدر السابق ص ٦٥٢

Q P O N M L K J I H G F E ﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ V U T S R

في هذه الآية مسألة واحدة، هي:

﴿ تعيين المراد بالأيكة التي نُسب إليها قوم شعيب عليه السلام.

يقول القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: ﴿ O N M L K ﴾ يريد قوم شعيب، كانوا

أصحاب غياض ورياض وشجر مثمر. والأيكة: الغَيْضَة، وهي جماعة الشجر، والجمع الأيكة. ويروى أن شجرهم كان دَوْماً وهو المُقْل (١). قال النابغة:

تجلو بقادمتي حمامة أيكةٍ بَرْداً أُسِفَ لِثَأْتِهِ بِالْإِثْمِ (٢)

وقيل: الأيكة اسم القرية. وقيل: اسم البلدة. وقال أبو عبيدة: (الأيكة وليكة مدينتهم

بمنزلة بكة من مكة (٣)(٤).

(١) الدَّوْمُ: شجر عظام من الفصيلة النخيلية يكثر في صعيد مصر وفي بلاد العرب وثمرته في غلظ التفاحة ذات قشر صلب أحمر وله نواة ضخمة ذات لب إسفنجي، وفي الحديث: (رأيت النبي ^ وهو في ظل دومة) قال ابن الأثير: هي واحدة الدوم وهو ضخام الشجر، وذكر أبو زياد الأعرابي أن الدوم ضخام الشجر ومن العرب من يسمي النبق دَوْماً، وقال عمارة: الدوم العظام من السدر، ودومة الجنادل موضع، ويسميه أهل الحديث دومة بالفتح وهو خطأ، أما المُقْل: فهو حَمَلُ الدوم وثمره. انظر: لسان العرب - مادة دوم (١٢) / (٢١٢) ومادة مقل (١١ / ٦٢٧) المعجم الوسيط (١ / ٦٣٤).

(٢) انظر: ديوان النابغة الذبياني ص ٤٠، تجلو: تكشف، قادمتي: القوادم هي الريش المقدم في جناح الطائر، تسف: من أسففت الخوص إسفافا قاربت بعضه من بعض وكله من الإلصاق والقرب، واللثات: مفرز الأسنان. انظر: لسان العرب (٩ / ١٥٢) شبه شفتي محبوبته واللمى الذي فيها بقادمتي الحمامة، لأنه أشد سوادا من الخوافي فلذلك خص القوادم بالتشبيه، وذكر الأصمعي أنه عنى سواد لحم الأسنان، والعرب إذا وصفت بياض الثغر خلطت بذلك سواد اللثة. انظر: الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين (١ / ٤٠).

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون منسوباً إلى ابن شجرة. انظر: (٣ / ١٦٨) وابن منظور في لسان العرب دون نسبة. انظر: أيك (١٠ / ٣٩٥).

(٤) تفسير القرطبي (١٢ / ٢٣٦) وتعقب أبو جعفر النحاس قول أبي عبيدة هذا بأنه لا يعرف في اللغة ولا يصح. انظر: معانيه (٤ / ٣٦).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرّض.

Ø في المراد بـ(الأيكة) قولان:

القول الأول- أن (الأيكة) هي الغيضة، أي: أصحاب الغياض والشجر.

وهذا القول مروى عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا (١) وقتادة (٢) ومقاتل (٣) وسعيد بن جبیر (٤) والضحاك (٥).

وقال به: الفراء والزجاج والطبري والنحاس والبغوي وابن عطية والرازي وابن كثير والشوكاني والطاهر بن عاشور (٦).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن قوم شعيب نُسبوا إلى الأيكة لأنهم كانوا يقطنون مكاناً ذا غياض وشجر كثير.

- قال أبو حيان (هم قوم شعيب والأيكة التي أضيفوا إليها كانت شجر الدّوم) (٧).

- وقال ابن عاشور (وأطلقت هنا مراداً بها الجنس، إذ قد كانت منازلهم في غيضة من

الأشجار الكثيرة الورق) (٨).

* أنهم نُسبوا إلى الأيكة لأنهم كانوا يعبدونها (٩).

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٢٤) تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٧١) الدر المنثور (٨/ ٦٤١).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٢٤) تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٧٠) الدر المنثور (٨/ ٦٤١).

(٣) انظر: تفسير مقاتل (٢/ ٢٠٦).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٢٤).

(٥) انظر: تفسير الضحاك ص ٥٠٩.

(٦) انظر: معاني القرآن (٢/ ٩١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٨٥) تفسير الطبري (١٧/ ١٢٣) معاني القرآن

(٤/ ٣٦) معالم التنزيل (٤/ ٣٨٨) المحرر الوجيز (٤/ ١٤١) مفاتيح الغيب (٩/ ٣٢٨) تفسير القرآن العظيم

(٤/ ٥٤٤) فتح القدير (٤/ ١٩١) التحرير والتنوير (١٤/ ٧١).

(٧) البحر المحيط (٧/ ٢٠٤).

(٨) التحرير والتنوير (١٤/ ٧١).

(٩) ذكره ابن عادل. انظر: اللباب (١٥/ ٧٥).

القول الثاني- أن (الأيكة) عَلم لمكان أو قرية قوم شعيب، أي: أهل بلدة الأيكة.

حكاه ابن شجرة^(١)، وذكره المفسرون ولم يقل به أحد منهم.

و يحتاج لهذا القول بما يلي:

* أن معاجم البلدان ذكرت أن الأيكة اسم لبلد.

- قال ياقوت: (الأيكة التي جاء ذكرها في كتاب الله عز وجل قيل هي تبوك التي غزاها النبي ^٨ آخر غزواته، وأهل تبوك يقولون ذلك ويعرفونه ويقولون إن شعيباً عليه السلام أرسل إلى أهل تبوك، ولم أجد هذا في كتب التفسير، قلت: ومدين وتبوك متجاوران)^(٢).

- قال ابن جنيد^(٣): (الأيكة: هي بلاد مدين قوم شعيب)^(٤).

(١) ذكر ذلك الماوردي. انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٥٧) وابن شجرة: الحافظ القاضي أبو بكر أحمد بن كامل بن شجرة البغدادي، تلميذ ابن جرير الطبري، قال الخطيب: كان من العلماء بالأحكام وعلوم القرآن والنحو والشعر والتواريخ وله في ذلك مصنفات، وقال الدارقطني: كان يختار لنفسه ولا يقلد أحداً، ت ٣٥٠ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٥ / ٥٤٤).

(٢) معجم البلدان (١ / ٢٠١).

(٣) ابن جنيد: سعد بن عبد الله بن إبراهيم بن جنيد، رائد موسوعي محقق في تاريخ جزيرة العرب وجغرافيتها وأدائها، استفاد في مراحل تعليمه الأولى من مكتبة والده الذي كان مهتماً بالتاريخ، فكان لهذا أثره في تكوين اهتماماته الأولى نحو التاريخ والتراث والبلدانيات، جمعته الصحبة بالمؤرخ حمد الجاسر، وفضلاً رحلاتهما البلدانية في مسح المناطق جغرافياً وتاريخياً، واشترك معه في مشروع المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية. له عدد من المؤلفات أشهرها: (معجم الأمكنة الوارد ذكرها في القرآن الكريم) و(كتاب عالية نجد) و(معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري). ت: ١٤٢٧ هـ.

انظر: موقع جريدة الرياض - الثلاثاء ٢٢/٣/١٤٣٣ هـ - س: ٨، ٢٨ صباحا - <http://www.alriyadh.com/article/٢٥/٠٦/٢٠٠٦/١٦٦٢٢٥.html>

(٤) معجم الأمكنة الوارد ذكرها في القرآن الكريم ص ٤٤ وقال أيضاً ص ٣٢٨ - بعد استعراض أقوال المفسرين والمؤرخين - : (ويبدو من أقوال العلماء أن مدين منزل قوم شعيب كانت واقعة في شمال الحجاز بين المدينة والشام ويجدها بعضهم بمحاذاة تبوك على بحر القلزم وهذا هو أرجح الأقوال).

* أن (الأيكة) قُرئ ممنوعاً من الصرف للعلمية.

- قال أبو حيان: (ويقويه قراءة من قرأ في الشعراء وص "لَيْكَة" على أنه اسم للقريّة فيُمنع من الصرف)(١).

- وقال الألويسي: (وإطلاقها على ما ذكر إما بطريق النقل أو تسمية المحل باسم الحال فيه ثم غلب عليه حتى صار علماً)(٢).

ولكننا نجد من المفسرين من تعقّب هذا الاستدلال وأنكر صحته:

- فهذا أبو جعفر النحاس ينكر على أبي عبيد صاحب هذه المقالة بأن قوله هذا: (شيء لا يثبت ولا يُعرّف من قاله، ولو عُرف لكان فيه نظر؛ لأن أهل العلم جميعاً من المفسرين والعالمين بكلام العرب على خلافه، ولا نعلم خلافاً بين أهل اللغة أن الأيكة الشجر الملتف)(٣).

ونقل هذا التعقيب جمع من المفسرين.

- وذاك صاحب الكشاف يقول: (ومن قرأ بالنصب وزعم أن "ليكة" - بوزن ليلة - اسم بلد، فتوهمُ قاد إليه خط المصحف، حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي سورة ص بغير ألف. وفي المصحف أشياء كُتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه، وإنما كُتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ الالافظ، كما يكتب أصحاب النحو (لأن) و(لولى) على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف، وقد كتبت في سائر القرآن على الأصل، والقصة واحدة، على أن "ليكة" اسم لا يعرف)(٤).

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض القولين السابقين ما يلي:

(١) البحر المحيط (٧/ ٢٠٤).

(٢) روح المعاني (١٠/ ٥٧).

(٣) إعراب القرآن ص ٦٨٦

(٤) الكشاف (٤/ ٤١٢).

§ أن السلف وجمهرة المفسرين على القول الأول.

§ أنه لا تعارض بين القولين بل هو من باب اختلاف التنوع، وهو من باب تعريف المسمى بذكر شيء فيه.

§ أن الجمع بين القولين ممكن، بحيث تكون " الأيكة " أو " ليكة " اسم لمكان قوم شعيب، سمي به لوفرة أيكه.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو أن (الأيكة: اسم لمكان قوم شعيب، سمي به لوفرة شجره وأيكه).
يؤيد ذلك:

القاعدة الترجيحية التي نصت على أنه: إذا ورد أكثر من معنى صحيح تحتمله الآية بلا تضاد جاز تفسير الآية بجميعها (١).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن الأيكة: هي الغيضة، أي: أصحاب الغياض والشجر) جزء من القول الراجح - والله أعلم - لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية.

والله تعالى أعلم بالصواب (٢)

(١) التفسير اللغوي للقرآن الكريم ص ٦٠٥

(٢) لطيفة في مناسبة ذكر لفظ الأخوة في قوله تعالى " وإلى مدين أخاهم شعيبا " (هود: ٨٤) وحذفه من قوله " كذب أصحاب لئكة المرسلين - إذ قال لهم شعيب ألا تتقون " (الشعراء: ١٧٧): وهي أنه لما نسبهم إلى القبيلة ساغ وصفه بالأخ لهم، ولما وصفهم بعبادة الأيكة فلم يناسب ذكر الأخوة هنا.

﴿a ` _ ^] \ [Z Y X W﴾ قَالَ تَعَالَى:

في هذه الآية مسألتان.

المسألة الأولى: المراد بـ «المرسلين».

يقول القرطبي رحمه الله: (وقال "المرسلين" وهو صالح وحده ولكن من كذب نبياً فقد كذب الأنبياء كلهم لأنهم على دين واحد في الأصول فلا يجوز التفريق بينهم. وقيل: كذبوا صالحاً ومن تبعه ومن تقدمه من النبيين أيضاً. والله أعلم^(١)).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرّض.

Ø للمفسرين ثلاثة أقوال في تعيين المراد بـ "المرسلين":

القول الأول - المراد بـ "المرسلين": صالح عليه السلام وحده.

و على هذا القول يكون لفظ (المرسلين) عامّاً أريد به الخصوص^(٢).

وهو مروى عن الحسن البصري^(٣) ومقاتل^(٤)، وقال به جمهور المفسرين^(٥).

وإنما ذكر بصيغة الجمع لما يلي:

* أن التعريف للجنس فيصدق بالواحد^(٦)، كقولك: فلان يركب الخيل وإن لم يركب

(١) تفسير القرطبي (١٢/٢٣٧).

(٢) العام الذي أريد به الخصوص: هو اللفظ العام الذي يراد به بعض ما يتناوله، فهو لفظ مستعمل في بعض مدلوله، وهو مجاز قطعاً. انظر: الإبهام في شرح المنهاج (٢/١٣٢).

(٣) ذكره البغوي. انظر: معالم التنزيل (٦/١٢٠).

(٤) انظر: تفسير مقاتل (٢/٢٠٦).

(٥) كالواحدي والبغوي والزمخشري وابن عطية والرازي وأبي حيان وابن كثير والسيوطي وأبي السعود والألوسي والشوكاني. انظر: الوجيز (١/٤١٠) معالم التنزيل (٤/٣٨٩) الكشف (٣/٣٢٠) المحرر الوجيز (٤/١٤١) مفاتيح الغيب (٩/٣٢٩) البحر المحيط (٧/٢٠٥) تفسير القرآن العظيم (٤/٥٤٥) تفسير الجلالين (٤/٣٨١) إرشاد العقل السليم (٤/٨٨) روح المعاني (١٠/٥٩) فتح القدير (٤/١٩١).

(٦) يظهر أن مراد من ذكر هذا الدليل من المفسرين هو: أن يكون لفظ (المرسلين) من قبيل (اسم الجنس الإفرادي): وهو الذي يصدق على القليل والكثير من الماهية - أي: من الحقيقة الذهنية - من غير اعتبار للقلة

إلا فرساً واحداً.

* لا احتمال أن يكون قوم صالح من البراهمة^(١) الذين ينكرون الرسل^(٢).

القول الثاني - المراد بـ " المرسلين " : صالح عليه السلام وجميع الرسل.

و على هذا القول يكون لفظ " المرسلين " عامٌ لجميع الرسل^(٣).

وهذا القول ذكره بعض المفسرين على سبيل الحكاية ولم يُنسب لأحد، واستدل هبما

يلي:

* أن تكذيب الواحد من الرسل قدح في المرسل وهو الله تعالى، وذلك يقتضي تكذيب

الكل.

* أن تكذيب الأقسام لرسولهم لم يكن لذات الرسول وإنما كان تكديماً لأن يرسل الله

رسولاً، فيلزم أن يكون التكذيب لجميع الرسل والرسالات، دليل ذلك:

- قوله تعالى: ﴿ u t s r q p o n m l k ﴾

﴿ w v ﴾ الأعراف: ٦٣.

- وقوله: ﴿ z y x w v u t s r q p ﴾

﴿ a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z ﴾ ﴿ الأُولَئِكَ ﴾ المؤمنون: ٢٤.

* أن دعوة الرسل واحدة وهي: تحقيق لا إله إلا الله، لا يختلف هذا الأصل باختلاف

الأمم والأعصار، فيلزم من تكذيب الواحد تكذيب الكل^(٤).

أو الكثرة. انظر: النحو الوافي (١/٢٤).

(١) البراهمة: جماعة من الهند تنسب إلى كاهن يدعى برهام، ويختصون بنفي النبوات ويقررون استحالة ذلك عقلاً.

انظر: الملل والنحل (٣/٧٠٧).

(٢) ذكره الرازي. انظر: مفاتيح الغيب (٩/٣٢٩).

(٣) العام: هو اللفظ الذي يستغرق جميع ما يصلح له. انظر: الإيهام في شرح المنهاج (١/٤٤٨).

(٤) وقد جاء التصريح في القرآن بأن من آمن ببعض وكفر ببعض فهو كافر حقاً. قال تعالى: " ويقولون نؤمن

القول الثالث:- المراد بـ " المرسلين " صالح عليه السلام ومن معه من المؤمنين.

على هذا القول يكون لفظ " المرسلين " عاماً يراد به الخصوص.

وإنما ذكر بصيغة الجمع:

* على التغليب.

* وجعل الأتباع مرسلين كما قيل: الحبيون لأصحاب خبيب بن الزبير^(١).

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض الأقوال السابقة ما يلي:

§ أن السلف وجمهور المفسرين على القول الأول.

§ أن اختلاف أقوال المفسرين هو في المراد بمدلول اللفظ " المرسلين " ولا خلاف

بينهم في أن من كفر بواحد من الرسل فهو كافر بالكل، وهذا من أصول الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة.

- قال ابن أبي العز الحنفي^(٢): (وذلك الرسول الذي آمن به قد جاء بتصديق بقية

المرسلين، فإذا لم يؤمن ببعض المرسلين كان كافراً بمن في زعمه أنه يؤمن به؛ لأن ذلك

بعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً " النساء: (١٥٠ - ١٥١) وبيّن أنه لا تصح التفرقة بين الرسل بقوله: " لا نفرق بين أحد منهم " (البقرة: ١٣٦)، وقوله: " لا نفرق بين أحد من رسله " (البقرة: ٢٨٥).

(١) قاله الزمخشري في الكشاف. انظر (١/٦٥٢). وخبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام، من أتباع التابعين، كان جدلاً حسن المعارضة، روى عن عبد الله بن الزبير عن أبيه الزبير بن العوام، وروى عنه ابنه الزبير بن خبيب، وربما نسب إلى جده الأعلى فقيلاً خبيب بن الزبير، لكن أبا بكر الخطيب ذكر أن هذا غير صحيح لأن الزبير بن عبد الله لم يعقب. انظر: الثقات لابن حبان (٦/٢٧٤) الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب (٢/٣٠١) توضيح المشتبه (٣/١٠٤).

(٢) ابن أبي العز: هو علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الدمشقي: فقيه، كان قاضي القضاة بدمشق ثم بالديار المصرية، ت: ٧٩٢ هـ. انظر: الدرر الكامنة (٣/٨٧) الأعلام (٤/٣١٣).

الرسول قد جاء بتصديق المرسلين كلهم، فكان كافراً حقاً، وهو يظن أنه مؤمن^(١).

§ أن القول الأول يدل على القول الثاني بدلالة الالتزام وعلى القول الثالث بدلالة التضمن^(٢) وبيان ذلك: أنه يلزم من تكذيب رسول واحد التكذيب بجميع الرسل كما تقدم، وأن تكذيب أتباع الرسول يدخل ضمناً في تكذيب الرسول؛ إذ لا يصح عقلاً أن يكذب النبي ويصدق أتباعه.

§ أن الجمع بين الأقوال ممكن، بحيث يقال: إن المراد من لفظ "المرسلين" صالح وأتباعه والرسل جميعاً؛ وذلك لأن القوم يكذبون كل أولئك.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو: (صالح وأتباعه والرسل جميعاً؛ وذلك لأن القوم يكذبون كل أولئك).

يشهد بصحة هذا القواعد الآتية:

* إذا ورد أكثر من تفسير لغوي صحيح تحتمله الآية بلا تضاد جاز تفسير الآية بها^(٣).

* أن إعمال الكلام أولى من إهماله^(٤).

- قال الزرقاني رحمته الله: (ما دام في الإمكان حمل كلام الشارع على معنى سليم فالنظر

قاص بوجوبه، انتفاعاً بما ورد عن الحكيم العليم، وتنزيهاً له عن أن يجري مجرى العجوز العقيم^(٥)).

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١/٢٤٠).

(٢) دلالة الالتزام: هي دلالة اللفظ على معنى لازم له خارج عن مدلول اللفظ، بحيث يتقل ذهن من مدلول

اللفظ إلى لازمه، كدلالة الأسد على الشجاعة. ودلالة التضمن: هي دلالة اللفظ على جزء داخل في مدلول

اللفظ، كدلالة البيت على الجدار. انظر: الأحكام في أصول الأحكام (١/١٥).

(٣) انظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم ص ٥٩١

(٤) انظر: إرشاد الفحول (١/٥٤).

(٥) انظر: مناهل العرفان (٢/٢٨٩).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمه الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمه الله وهو: (أن المراد بـ "المرسلين": صالح عليه السلام وحده) جزء من القول الراجح - والله أعلم - لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال، ولما قدمته من قواعد تؤيد القول الراجح.

والله تعالى أعلم وأحكم

المسألة الثانية: المراد بـ ﴿آياتنا﴾.

يقول القرطبي رحمته الله: (والمراد الناقة، وكان فيها آيات جمّة: خروجها من الصخرة، ودنوّ نتاجها عند خروجها، وعظّمها حتى لم تشبهها ناقة، وكثرة لبنها حتى تكفيهم جميعاً. ويحتمل أنه كان لصالح آيات أخر سوى الناقة، كالبئر وغيره) (١).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرّض.

Ø في المراد بالآيات التي كانت لقوم صالح قولان:

القول الأول- الناقة والآيات العظيمة التي كانت فيها.

وهو ما رجحه القرطبي، ووافقه الألوّسي (٢).

وهذا القول مروى عن مقاتل (٣)، وقال به: الواحدي وابن الجوزي وابن عطية

والفخر الرازي (٤).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن الإخبار عن هذه الآية - الناقة - بصيغة الجمع إنما هو لأجل ما فيها من آيات عدة: كخروجها من الصخرة، ودنوّ نتاجها عند خروجها، وعظّمها حتى لم تشبهها ناقة، وكثرة لبنها حتى تكفيهم جميعاً.

* أن الإمام أحمد رحمته الله أخرج في مسنده عن جابر رضي الله عنه أنه قال: لما مر رسول الله

٨ بِالْحِجْرِ (٥) قال: «لا تسألوا الآيات، وقد سألتها قوم صالح فكانت - يعني الناقة - تَرُدُّ

من هذا الفَجِّ وتصدُّر من هذا الفَجِّ، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها، وكانت تشرب ماءهم

(١) تفسير القرطبي (٢٤٨/١٢).

(٢) انظر: روح المعاني (٦٠ / ١٠).

(٣) انظر: تفسير مقاتل (٢٠٦ / ٢).

(٤) انظر: الوجيز (٤١٠ / ١) زاد المسير (٧١ / ٤) المحرر الوجيز (١٤١ / ٤) مفاتيح الغيب (٣٢٩ / ٩).

(٥) الحِجْر: اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام، قال الإصطخري: قرية صغيرة قليلة السكان، وبها

كانت منازل ثمود. انظر: معجم البلدان (٢٢١ / ٢).

يوماً ويشربون لبنها يوماً فعقروها، فأخذتهم صيحةً أهدم الله من تحت أديم السماء...»
الحديث (١).

* أن الجمع مراد به جنس الآية، وهي الناقة (٢).

* أن لهذا التفسير نظائر في القرآن، منها:

- قوله تعالى: ﴿ بِئِنَّهُ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ ۚ ﴾

فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ ﴿ الأعراف: ٧٣.

- وقوله: ﴿ ٩ : ; < = > ? @ A B C D E F G H I ﴾ هود: ٦٤.

- وقوله: ﴿ , - . / O 21 ﴾ الإسراء: ٥٩.

- وقوله: ﴿ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ ۚ ﴾ ﴿ ١٥٤ ﴾ قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ

هَذَا شَرِبَ وَلَكُمْ شَرِبَ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿ الشعراء: ١٥٤-١٥٥.

القول الثاني - أنها آيات أخرى كانت لصالح عليه السلام سوى الناقة.

وهذا القول حكاه كثير من المفسرين ولم يُعرف له قائل (٣).

و احتج لهذا القول بأن التعبير بالجمع يدل على وجود آيات أخرى لصالح سوى الناقة.

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض القولين السابقين ما يلي:

§ أن القول الأول ورد عن السلف وهو قول أكثر المفسرين، بخلاف الثاني الذي لم

يُعرف له قائل.

(١) أخرجه أحمد في المسند (٦٦/٢٢) وقال محققه الأرنبوط: حديث قوي وإسناده على شرط مسلم.

(٢) ذكره ابن عاشور. انظر: التحرير والتنوير (٧٣/١٤).

(٣) إلا ما يظهر من عبارة الشوكاني التي تشير إلى اعتياده وتقويته انظر: فتح القدير (٤/١٩١).

§ أن سبب الاختلاف بين المفسرين هو مجيء التعبير القرآني بصيغة الجمع (آيات).
§ أنه لا طريق لمعرفة آيات الأنبياء إلا بطريق النقل من القرآن أو السنة أو كتب التاريخ، ولم يأت في أي منها ذكر آية لصالح - حسب اطلاعي - سوى الناقاة.
§ أن الحديث الذي أخرجه أحمد رحمته الله ذكر أن آيات صالح عليه السلام هي الناقاة ولم يذكر غيرها.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو (أن المراد بـ(الآيات): الناقاة والآيات العظيمة التي كانت فيها).
يؤيد هذا الرأي القواعد الآتية:
* القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك (١).
* إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه (٢).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو أن المراد بـ(الآيات): (الناقاة والآيات العظيمة التي كانت فيها) صحيح - والله أعلم - لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، ولما قدمته من قواعد تؤيد القول الراجح.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) انظر: قواعد الترجيح (١/٢٨١).

(٢) انظر: قواعد الترجيح (١/١٨٣).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ u v w x y z ﴾ || ~ السَّاعَةَ لِأَنِّي

فَأَصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ (١)

في هذه الآية مسألة واحدة.

﴿ قوله تعالى ﴿ فاصفح الصفح الجميل ﴾ هل هو منسوخ أم محكم؟ ﴾

يقول القرطبي رحمته الله: ﴿ فَأَصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ مثل ﴿ c b a ﴾

المزمّل: ١٠، أي: تجاوز عنهم يا محمد واعف عفواً حسناً، ثم نسخ بالسيف (٢). قال قتادة:

(نسخه قوله: ﴿ فَخَذُّوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ النساء: ٩١) (٣) وأن النبي ^٨ قال

لهم: «لقد جئتكم بالذبح، وبُعثت بالحصاد ولم أبعث بالزراعة» (٤) قاله عكرمة (٥)

(١) الآيات التي تأمر بالصفح والعفو عن المشركين ثلاث هي: "فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين" المائدة: ١٣، وهذه الآية، و"فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون" الزخرف: ٨٩، والصفح الجميل: الحسن الذي قد سلم من الحقد والأذية، أما الذي ليس بجميل فهو الصفح في غير محله، كالصفح في مقام يقتضي العقوبة، كعقوبة المعتدين الظالمين الذين لا ينفع فيهم إلا العقوبة، وهذا هو المعنى. انظر: تفسير السعدي (١/٤٣٤).

(٢) آية السيف في أصح الأقوال هي قوله تعالى: "فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم" التوبة: ٥.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/١٢٨) وأخرجه ابن الجوزي عنه في نواسخ القرآن ص ٣٧٩.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/١٢٨) عن سفيان بن عيينة، وأخرج الطرف الأول من الحديث "لقد جئتكم بالذبح" عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أحمد في مسنده - مسند المكثرين من الصحابة - مسند عبد الله بن عمرو بن العاص (١١/٦٠٩) برقم ٧٠٣٦، وابن حبان في صحيحه - باب كتب النبي ^٨ - ذكر بعض أذى المشركين رسول الله ^٨ عند دعوته إياهم للإسلام (١٤/٥٢٥) برقم ٦٥٦٧، وأبو نعيم في دلائل النبوة (١/٢٠٨) والبيهقي في دلائل النبوة - باب ذكر ما لقي النبي ^٨ وأصحابه من أذى المشركين (٢/١٦١). وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند: (إسناده حسن). قلت: لم أف على قول أحد من المحدثين في الحكم على الحديث سواه.

(٥) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي ص ٣٧٩، وأورده السيوطي في الدر (٨/٦٤٥).

ومجاهد^(١). وقيل: ليس بمنسوخ وأنه أمر بالصفح في نفسه فيما بينه وبينهم^(٢).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرّض.

Ø للعلماء في القول بنسخ هذه الآية قولان:

القول الأول- أن الآية منسوخة.

فيكون المعنى: أن النبي^٨ أمر بالصفح عن المشركينو الإعراض عن أذاهم، ثم نُسخ إلى الأمر بقتالهم.

وهذا القول مروى عن مجاهد والضحاك^(٣) وعكرمة و قتادة ومقاتل^(٤) وسفيان بن عيينة^(٥).

وهو ما رجحه القرطبي، وقال به: الطبري وابن أبي زمنين والثعلبي والبغوي وابن عطية وابن كثير والسيوطي والألوسي والأمين الهري^(٦).

وقال به ممن صنّف في الناسخ والمنسوخ^(٧): مكّي بن أبي طالب والنحاس وابن سلامة^(٨)

(١) انظر: تفسير الطبري (١٢٨/١٧) نواسخ القرآن لابن الجوزي ص ٣٧٩.

(٢) تفسير القرطبي (٢٤٩/١٢).

(٣) انظر: تفسير الضحاك ص ٥١٠، تفسير الطبري (١٢٨/١٧).

(٤) انظر: تفسير مقاتل (٢٠٧/٢).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٢٨/١٧).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٢٨/١٧) تفسير ابن زمنين (٣٩١/٢) الكشف والبيان (٣٤٧/٥) معالم التنزيل

(٣٩٠/٤) المحرر الوجيز (١٤٢/٤) تفسير القرآن العظيم (٥٤٥/٤) تفسير الجلالين (٣٨٦/٤) روح

المعاني (٦٤/١٠) حقائق الروح والريحان (١١٠/١٥).

(٧) انظر: الإيضاح في ناسخ القرآن ومنسوخه لمكي ص ٣٠٩ والناسخ والمنسوخ للنحاس (٤٥١/١) ومثله لابن

سلامة (١٨/١) ومثله لابن حزم (٤٢/١) ومثله للواحد ص ٢٠٥ ونواسخ القرآن لابن الجوزي

ص ٣٧٩ والناسخ والمنسوخ للكرمي (١٢٨/١).

(٨) هبة الله بن سلامة بن نصر أبو القاسم: مفسر ضرير من أهل بغداد، كانت له حلقة في جامع المنصور، له كتب

منها: الناسخ والمنسوخ في القرآن والمسائل المثورة في النحو مطبوعان والناسخ والمنسوخ من الحديث

مخطوط في التيمورية والازهرية. ت ٤١٠ هـ. انظر: تاريخ بغداد (٢٠٠/٦) الأعلام (٧٢/٨).

وابن حزم^(١) والواحدي وابن الجوزي وابن البارزي^(٢) والكرمي^(٣).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن سورة الحجر مكية والسور التي جاء فيها الأمر بقتال المشركين مدنية، فتكون الثانية ناسخة للأولى.

* أن النبي [^] لما أمر بالجهاد قاتلهم وقال: «أنا نبي الرحمة ونبي الملحمة، وبعثت بالحصاد ولم أبعث بالزراعة».

ولكن د. مصطفى زيد^(٤) تعقب القول بالنسخ في هذه الآية وردّ عليه بقوله:

(١) ابن حزم: هو علي بن أحمد بن حزم الظاهري، أبو محمد: عالم الأندلس في عصره. كان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه يقال لهم "الحزمية"، انتقد كثيرا من العلماء والفقهاء، فأجمعوا على تضليله وحذروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم عن الدنو منه، فرحل إلى بادية ليلة (من بلاد الأندلس) وتوفي فيها ٤٥٦ هـ. وكان يقال: لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان. من مصنفاته: الفصل في الملل والأهواء والنحل والمحلى والناسخ والمنسوخ، وجميعها مطبوعة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٨٤/١٨) الأعلام (٢٥٤/٤).

(٢) ابن البارزي: هبة الله بن عبد الرحيم الجهني الحموي: قاض وحافظ للحديث، من أكابر الفقهاء الشافعية من أهل حماة. ولي قضاءها مدة طويلة بلا أجر، وذهب بصره في كبره. ولما مات أغلقت حماة لمشهده. له بضعة وتسعون كتابا منها: البستان في تفسير القرآن والناسخ والمنسوخ وضبط غريب الحديث مطبوعة وهي مطبوعة، والفريدة البارزية في شرح الشاطبية مخطوط، ت ٧٣٨ هـ. انظر: الدرر الكامنة (٤٠١/٤) الأعلام (٧٣/٨).

(٣) هو مرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي المقدسي: مؤرخ أديب من كبار الفقهاء. له نحو سبعين كتابا منها: ديوان شعر ودليل الطالب وقلائد المرجان في الناسخ والمنسوخ من القرآن وهي مطبوعة، وغاية المنتهى في الجمع بين الاقناع والمنتهى مخطوط في فقه الحنابلة، ت ١٠٣٣ هـ. انظر: الأعلام (٢٠٣/٧).

(٤) الأستاذ الدكتور مصطفى زيد، صاحب كتاب (النسخ في القرآن الكريم) عمل أستاذا لجميع علوم الشريعة في جامعات: مصر ودمشق وبيروت والخرطوم وأخيرا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وكان مالكيًا يعرف بحبه وإجلاله للإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، وفي ليلة من ليالي شهر شوال سنة ١٣٩٨ هـ افتتح تلاوة القرآن من حفظه ليلة وفاته وهو مضطجع على جنبه الأيمن، واستمر في القراءة فما برق الفجر إلا وقد فاضت روحه إلى بارئها، وكان مرقده في بقيع الغرقد إلى جوار قبر الإمام مالك رحمهما الله. انظر: الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور مصطفى زيد. الثلاثاء ٢٢/٣/١٤٣٣ هـ - س: ٤، ١٠ صباحا.

=

(ونحن لا نرى تلازمًا بين كون هذه الآية مكية وكونها منسوخة، فما ذهب إليه ابن كثير من قبوله دعوى النسخ - اعتمادًا على مكية الآية ومشروعية القتال بعد الهجرة - ليس صحيحًا ولا لازمًا عندنا، وبخاصة أن الله عز وجل توعدهم - على أنه قد وقع منهم ما يقتضي الصفح عنهم - بعذابه في الآخرة. فإن لم يكن بدُّ من الربط بين الأمر بالصفح عنهم والأمر بقتالهم فإن الأمر بالصفح إنساء للقتال فلا ينافيه) (١).

القول الثاني - أن الآية محكمة.

فيكون معنى الآية: أن النبي ^٨ أمر بمعاملة المشركين بحسن الخلق والصفح عن المشركين في حق نفسه فيما بينه وبينهم. وهو قول الفخر الرازي (٢)، وقال به ممن كتب في النسخ: السيوطي (٣) والسخاوي (٤).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن المقصود من الآية إظهار حسن الخلق والعفو والصفح، ولا يدخل النسخ في الأمر بمكارم الأخلاق (٥).

* أن آيات الصفح والعفو والإعراض عن المشركين كانت تنزل تهيئةً للنبي ^٨ على ما

.http://mostafazaid.com

(١) النسخ في القرآن الكريم (٣٩/٢).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب (٣٣٠ / ٩).

(٣) انظر: الإتقان (٢ / ٥٩ - ٦٢).

(٤) انظر: جمال القراء (٢٤٩/١) والسخاوي: علي بن محمد الهمداني المصري السخاوي الشافعي، أبو الحسن، علم الدين: عالم بالقراءات والأصول واللغة والتفسير، وله نظم. سكن دمشق، وتوفي فيها، من كتبه: (جمال القراء وكمال الإقراء) في التجويد، و(هداية المرتاب) منظومة في متشابه كلمات القرآن، و(شرح الشاطبية) وهو أول من شرحها، وكان سبب شهرتها. ت: ٦٣٤ هـ. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء (١/٥٦٨).

(٥) انظر: الموافقات (٣/٣٣٦).

يلاقيه من المشركين وليس فيها نهي عن قتالهم (١).

* أن القول بنسخ الآية لا يكون بطريق الظن بل لا بد لثبوته من دليل قطعي.

- يقول الإمام السخاوي: (وقد جعلوا آية السيف ناسخة لمائة وأربع وعشرين آية وليس ذلك على يقين منهم، وإنما يظنون أنهم إذا سمعوا أمر الله تعالى لنبيه وللمؤمنين بالصبر وترك الاستعجال ظنوا أن ذلك منسوخ بآية القتال، وإنما يكون منسوخاً بآية القتال النهي عن القتال) (٢).

- ويقول الشاطبي رحمه الله: (ما كان من الأحكام المكية يُدعى نسخه لا ينبغي قبول تلك الدعوى فيه إلا مع قاطع بالنسخ، بحيث لا يمكن الجمع بين الدليلين ولا دعوى الإحكام فيها) (٣).

* أن المأمور بقتلهم في آية السيف هم ناقضوا العهد من المشركين لا جميع المشركين،

بدليل قوله تعالى قبل آية السيف: ﴿ h g fed cb a ` i j k l m n o p q ﴾ التوبة: ٤.

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض القولين السابقين ما يلي:

* أن القول بالنسخ هو قول السلف وجمهور المفسرين.

* أن القول بالإحكام لم يرو عن أحد من السلف.

(١) يظهر ذلك من خلال سياق الآية التي تذكر قصص الأنبياء وما لقوا من تكذيب أقوامهم لهم، فقد جاء في هذا السياق قصة ضيف إبراهيم وقصص لوط وشعيب وصالح مع أقوامهم وعقب هذا القصص بتوجيهات للنبي عليه الصلاة والسلام في الدعوة: " فاصفح الصفح الجميل " و " لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجنا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين - وقل إني أنا النذير المبين " و " ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون - فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين - واعبد ربك حتى يأتيك اليقين " .

(٢) جمال القراء (١/٣٠٨).

(٣) الموافقات (٣/٣٤٠).

* أن الاختلاف بين القولين اختلاف تعارض وتضاد.

وقد قرر علماء الأصول أن مصطلح (النسخ) في كلام المتقدمين له مفهوم واسع، أعم من مفهومه في كلام المتأخرين؛ فهم يطلقونه على الاستثناء وعلى تقييد المطلق وعلى تخصيص العموم وعلى رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر عنه، لأن جميع ذلك مشترك في أن الأمر المتقدم غير مراد من الشارع وغير معمول به وأن المتأخر هو المراد المعمول به (١).

وبهذه الحثية يُحمل كلام المتقدمين فيما أطلقوا عليه النسخ.

* أن الجمع بين القولين ممكن، فتُحمل آية الأمر بالصفح عن المشركين في مكة على الذين لم ينقضوا عهداً أبرموه مع المسلمين، وتُحمل آية السيف والأمر بالقتال على طائفة من المشركين في المدينة نقضوا ما بينهم وبين المسلمين من عهد وظاهروا عليهم أعداءهم. فتكون آية الصفح عامة وآية السيف مخصصة لها.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو: (أن الآية منسوخة، والنسخ هنا محمول على التخصيص).

يشهد بصحة هذا القواعد الترجيحية الآتية:

* إذا وقع التعارض بين احتمال النسخ واحتمال التخصيص فالتخصيص أولى (٢).
* يجب العمل بعموم اللفظ العام حتى يثبت تخصيصه؛ لأن العمل بنصوص الكتاب والسنة واجب على ما تقتضيه دلالتها حتى يقوم دليل على خلاف ذلك (٣).

(١) فالملق متروك الظاهر مع مقيده والمعمول به هو المقيد، وكذلك الخاص يخرج حكم الظاهر عن الاعتبار والعمل فأشبهه الناسخ والمنسوخ. انظر: النسخ في القرآن الكريم (٣/٣٤٤).

(٢) انظر: قواعد الترجيح (٧٥/١).

(٣) الأصول من علم الأصول (١/٣٦).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن قوله تعالى "فاصفح" منسوخ بالسيف) صحيح على اعتبار استعمال السلف (النسخ) بمعنى تخصيص العام، لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية.

والله تعالى أعلم

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ﴾

في هذه الآية مسألة واحدة، هي:

المُرَاد بِالسَّبْعِ الْمَثَانِي.

يقول القرطبي رحمه الله: (اختلف العلماء في السبع المثاني، ف قيل: الفاتحة، قاله علي بن أبي طالب (١) وأبو هريرة (٢) والريبع بن أنس (٣) وأبو العالية (٤) والحسن (٥) وغيرهم، وروي عن النبي ^٨ من وجوه ثابتة، من حديث أبي بن كعب (٦) وأبي سعيد بن المعلى (٧)

(١) أخرجه الطبري (١٣٣ / ١٧) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٤٧ / ٣) وأورده ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٢٧٢ / ٨) والسيوطي في الدر (٦٤٥ / ٨).

(٢) انظر: الدر المنثور (٦٤٥ / ٨).

(٣) انظر: النكت والعيون (٣٦٠ / ٢).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٤ / ١٧) وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٢٧٢ / ٨) والسيوطي في الدر (٦٤٨ / ٨).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٣ / ١٧).

(٦) أخرجه الإمام مالك في الموطأ - كتاب الصلاة - باب ما جاء في أم القرآن (٨٣ / ١) برقم ٣٨، وأحمد في المسند - مسند الأنصار - حديث أبي هريرة عن أبي بن كعب رضي الله عنهما (١٩ / ٣٥) برقم ٢١٠٩٤، والدارمي في سننه - كتاب فضائل القرآن - باب فضل فاتحة الكتاب (٢١٢٣ / ٤) برقم ٣٤١٥، والترمذي في سننه - كتاب تفسير القرآن - تفسير سورة الحجر (٢٩٧ / ٥) برقم ٣١٢٥، والنسائي في الكبرى - كتاب المساجد - باب تأويل قوله تعالى "ولقد آتيناك سبعا من المثاني" (٤٧٣ / ١) برقم ٩٨٨، وابن خزيمة في صحيحه - كتاب الصلاة - باب فضل قراءة فاتحة الكتاب (٢٥٢ / ١) برقم ٥٠٠، وابن حبان في صحيحه - باب قراءة القرآن - ذكر البيان أن الفاتحة مقسومة بين القارئ وبين ربه (٥٣ / ٣) برقم ٧٧٥، والحاكم في المستدرک - كتاب فضائل القرآن - أخبار في فضائل القرين جملة (١١١ / ٥) برقم ٢٠٤٨، ووالبيهقي في شعب الإيمان - كتاب تعظيم القرآن - فصل في ابتداء السورة بالتسمية سوى براءة والدليل أنها آية من فاتحة الكتاب (٢٧ / ٤) برقم ٢١٣٩، وفي القراءة خلف الإمام - باب افتتاح كل مصلِّ قراءته بفاتحة الكتاب (٥٢ / ١) برقم ١٠٣. وقال ابن حجر: (هذا مرسلٌ صحيح الإسناد) المطالب العالية (٤٣٢ / ١٤) برقم ٣٥١٨.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير - باب قوله تعالى "ولقد آتيناك سبعا من المثاني" (٣٠٢ / ١٤) برقم ٤٣٣٤.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا... وخرَّج الترمذي من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ أَمُّ الْقُرْآنِ وَأَمُّ الْكِتَابِ وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي»^(١). قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَهَذَا نَصٌّ... وَقَالَ الشَّاعِرُ:

نَشَدْتِكُمْ بِمُنْزِلِ الْقُرْآنِ أَمَّ الْكِتَابِ السَّبْعِ مِنْ مَثَانِي^(٢)
وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هِيَ السَّبْعُ الطُّوْلُ: الْبَقْرَةُ، وَالْأَنْفَالُ، وَالنِّسَاءُ، وَالْمَائِدَةُ،
وَالْأَنْعَامُ، وَالْأَعْرَافُ، وَالْأَنْفَالُ وَالتَّوْبَةُ مَعًا؛ إِذْ لَيْسَ بَيْنَهُمَا التَّسْمِيَةُ... عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ قَالَ: (السَّبْعُ الطُّوْلُ)^(٣). وَسُمِّيَتْ مَثَانِي لِأَنَّ
الْعِبْرَ وَالْأَحْكَامَ وَالْحُدُودَ تُنَبِّئُ فِيهَا... وَمَنْ قَالَ إِنَّهَا السَّبْعُ الطُّوْلُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ^(٤)

(١) أخرجه أحمد في المسند - مسند المكثرين من الصحابة - مسند أبي هريرة (٤٩١/١٥) برقم ٩٧٩٠، والدارمي في السنن - كتاب فضائل القرآن - باب فضل فاتحة الكتاب (٢٦١/١٠) برقم ٣٤٣٧، وأبو داود في السنن - كتاب الصلاة - باب فاتحة الكتاب (٢٥١/٤) برقم ١٢٤٥، والترمذي في السنن - كتاب التفسير - باب تفسير سورة الحجر (٣٩٦/١٠) برقم ٣٠٩٤، والدارقطني في السنن - كتاب الصلاة - باب وجوب قراءة الفاتحة (٣١٣/٣) برقم ١٢٠٢، والبيهقي في شعب الإيثار - كتاب تعظيم القرآن - فصل في فضائل السور والآيات - ذكر فاتحة الكتاب (٢٥/٤) برقم ٢١٧٣، وقال الألباني: (صحيح) انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته (٦٠٧/١) برقم ٣١٨٤.

(٢) أورده أبو عبيد في مجاز القرآن (٧/١) ونسبه إلى سليمان، قال محققه: (ولعله سليمان بن يزيد العدوي لأن أبا عبيد استشهد بيت له في تفسير آية ٤٤ من سورة الروم في الجزء الثاني من الكتاب).

(٣) أخرجه أبو داود في باب من قال هي من الطول (٢٥٤/٤) والنسائي في الكبرى - كتاب المساجد - باب تأويل قوله تعالى "ولقد آتيناك سبعاً من المثاني" (٤٧٤/١) برقم ٩٩٠، والبيهقي في شعب الإيثار - كتاب فضائل السور والآيات - ذكر فاتحة الكتاب (٧٢/٤) والطحاوي في شرح مشكل الآثار - باب بيان مشكل ما روي عن النبي عليه الصلاة والسلام في تأويل قوله تعالى "ولقد آتيناك سبعاً من المثاني" (٢٤٦/٣).

(٤) أورده السيوطي في الدر (٦٤٨/٨).

وعبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (١) وسعيد بن جبير (٢) ومجاهد (٣). وقال جرير:

جزى الله الفرزدق حين يُمسي مُضِيعاً للمفصل والمثاني (٤)

وقيل: المثاني القرآن كله، قال الله تعالى: ﴿سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ﴾ هذا قول الضحاك (٥) وطاوس (٦) وأبو مالك (٧)، وقاله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (٨). وقيل له: مثاني، لأن الأنباء والقصص تُثبت فيه. وقالت صفية بنت عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (٩) ترثي رسول الله : ٨

فقد كان نوراً ساطعاً يُهدى به يُخَصُّ بتنزيل المثاني المعظم أي: القرآن. وقيل: المراد بالسبع المثاني أقسام القرآن من الأمر والنهي والتبشير

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه عنه الحاكم في المستدرک (٥ / ٧٧) وأورده السيوطي في الدر (٨ / ٦٤٨).

(٣) انظر: تفسير مجاهد ص ١٢٩.

(٤) ديوان جرير ص ٥٦٧، وفيه: (لحي) بدلا من (جزى). المفصل والمثاني: حزبان من أحزاب القرآن بحسب سوره، فالمفصل: يبدأ من سورة ق إلى نهاية المصحف، والمثاني: قبله، ويبدأ من الصفات إلى الحجرات. انظر: البرهان في علوم القرآن (١ / ٢٤٤).

(٥) أخرجه الطبري (١٧ / ١٣٧).

(٦) أخرجه الطبري (١٧ / ١٣٧).

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ١٣٧).

(٨) المصدر السابق.

(٩) صفية بنت عبد المطلب بن هاشم: سيدة قرشية، شاعرة باسلة، وهي عممة النبي ^٨، ووالدة الزبير بن العوامو شقيقة حمزة رضي الله عنهم، وهي أول امرأة قتلت رجلا من المشركين، فقد كانت مع أزواج النبي ^٨ ونساءه في حصن حسان بن ثابت يوم أحد، فجاء يهودي فلصق بالحصن يتجسس، فقالت صفية لحسان: انزل إليه فأقتله. فتوانى حسان، فأخذت عمودا ونزلت فقطعت رأسه ورمته به إلى اليهود. ورأت المسلمين يتراجعون يوم أحد فتقدمت وبيدها رمح تضرب في وجوه الناس وتقول: أنهنتم عن رسول الله! لها مراث رقيقة. توفيت في المدينة سنة ٢٠ هـ. انظر: الإصابة (٨ / ٢١٣).

والإنذار وضرب الأمثال وتعدد نعم وأنباء قرون، قاله زياد بن أبيمرم (١). والصحيح الأول لأنه نصٌّ. وقد قدمنا في الفاتحة أنه ليس في تسميتها بالمشاني ما يمنع من تسمية غيرها بذلك، إلا أنه إذا ورد عن النبي ^٨ وثبت عنه نص في شيء لا يحتمل التأويل كان الوقوف عنده (٢).

طريقة الترجيح: النص على القول الراجح بلفظ (والصحيح) ولأنه ورد فيه حديث

نبوي.

Ø أورد المفسرون في المراد ب(السبع المثاني) ستة أقوال:

القول الأول- المراد بالسبع المثاني هي سورة الفاتحة.

وهو ما رجحه الإمام القرطبي رحمته الله.

وهذا القول مروى عن النبي ^٨ من وجوه ثابتة.

وقال به: عمر بن الخطاب رضي الله عنه في رواية (٣)، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في

رواية، وابن مسعود رضي الله عنه في رواية (٤)، وأبي هريرة رضي الله عنه وأبي بن كعب رضي الله عنه

وابن عباس رضي الله عنهما في رواية الأكثرين عنه (٥)، وسعيد بن جبير في رواية (٦)، والحسن

البصري وقتادة (٧) وعطاء (٨) وأبو العالية والربيع بن أنس.

وهو اختيار الطبري والواحدي وابن جزري وأبي حيان والبقاعي وأبي السعود

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧/١٣٦).

(٢) تفسير القرطبي (١٢/٢٥٠).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/١٣٢) وأورده السيوطي في الدر (٨/٦٤٥).

(٤) المصدرين السابقين.

(٥) أخرجه عبد الرزاق (١/٣٤٩) والطبري (١٧/١٣٣) في تفسيريهما.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/١٣٣).

(٧) انظر: تفسير عبد الرزاق (١/٣٤٩).

(٨) المصدر السابق.

والألوسي وابن عاشور ومحمد الأمين الهري (١).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* رواية أبي سعيد بن المعلى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مر بي النبي [^] وأنا أصلي فدعاني فلم آته حتى صليت ثم أتيت فقال: «ما منعك أن تأتيني؟» فقلت: كنت أصلي. فقال: «ألم يقل الله ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ (الأنفال: ٢٤) ثم قال: «ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد» فذهب النبي [^] ليخرج من المسجد فذكرته فقال: «﴿ & ' ﴾ (الفاتحة: ٢) هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته» (٢).

* رواية أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله [^]: «أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم» (٣).

* رواية أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله [^]: «ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن، وهي السبع المثاني، وهي مقسومة بيني وبين عبدي» (٤).

* أنها سبع آيات.

* أنه قول أكثر المفسرين (٥).

* أنها مثاني، حيث إن فاتحة الكتاب:

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٣٧) الوجيز (١/ ٤١١) التسهيل (٢/ ٦٣) البحر المحيط (٧/ ٢٠٧) نظم الدرر (٤/ ٤٢٨) تفسير أبي السعود (٤/ ٨٩) روح المعاني (١٠/ ٦٧) التحرير والتنوير (١٤/ ٧٩) حقائق الروح والريحان (١٥/ ١١٠).

(٢) صحيح البخاري - كتاب التفسير - باب قوله تعالى " ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم " (١٤/ ٣٠٢) برقم ٤٣٣٤.

(٣) المصدر السابق برقم ٤٣٣٥.

(٤) سبق تخريجه عند وروده في نص الإمام القرطبي.

(٥) قاله الواحدي وغيره.

- تثنى في كل ركعة من فريضة أو نافلة، أي: تُعاد، مشتق من التثنية.
- كلماتها مثناة، مثل: الرحمن الرحيم، إياك إياك، الصراط صراط، عليهم عليهم.
- نزلت مرتين (١).
- مقسومة بين الله تعالى وبين عبده، ويدل عليه الحديث الذي رواه أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي...» الحديث (٢).
- استثناها الله لمحمد [^] دون سائر الأنبياء فادخرها له، مشتق من الاستثناء.
- مما يُثنى به على الله تعالى، لأن فيها حمد الله وتوحيده وذكر ملكه عز وجل، مشتق من الثناء (٣).
- تثنى أهل الشرك عن الشر، من قول العرب ثنيت عناني (٤).

القول الثاني - المراد بالسبع المثاني هي السبع الطُّول.

وهذا القول مروى عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في رواية (٥)، وعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٦) وابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في رواية (٧)، وابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا (٨) وابن عباس

(١) تعقب أبو السعود هذا التعليل بقوله: (وأما تكرر نزولها فلا يكون وجهاً للتسمية لأنها كانت مسماة بهذا الاسم قبل نزولها الثاني إذ السورة مكية بالاتفاق) إرشاد العقل السليم (٤ / ٨٩).

(٢) رواه مسلم - كتاب الصلاة - باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة وإنه إذا لم يحسن الفاتحة ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها (٢ / ٢٥٣) برقم ٥٩٨

(٣) استشكل ابن عطية هذا التوجيه بقوله: (وفي هذا القول من جهة التصريف نظر) وتعقبه أبو حيان فقال: (ولا نظر في ذلك، لأنها جمع مثنى بضم الميم مفعول من أثنى رباعياً أي: مقرر ثناء على الله تعالى أي: فيها ثناء على الله تعالى) انظر: المحرر الوجيز (٤ / ١٤٣) البحر المحيط (٧ / ٢٠٧).

(٤) ذكره الخازن في تفسيره، انظر: (٤ / ١٥٤).

(٥) أورده السيوطي في الدر (٨ / ٦٤٨).

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٨ / ٢٢٧٢).

(٧) أورده السيوطي في الدر (٨ / ٦٤٨).

(٨) المصدر السابق.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي رِوَايَةٍ، وَسَعِيدُ بْنُ جَبْرِ (١)، وَمَجَاهِدُ فِي رِوَايَةٍ (٢)، وَالضَّحَّاكُ فِي رِوَايَةٍ (٣)، وَمَقَاتِلُ (٤).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أنه مروى عن جمع من الصحابة وكبار التابعين.

* أن هذه السور (سبع) وهي (مثنائي) لأنها تثنى فيها الأمثال والخبر والعبر والحدود

والفرائض.

• وَيَرُدُّ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ أَنَّ السَّبْعَ الطُّوْلَ غَالِبَهَا مَدْنِيَّاتٌ، فَكَيْفَ تَفْسَرُ هَذِهِ الْآيَةَ بِهَا وَهِيَ مَكِّيَّةٌ؟

• وَأَجِيبُ: بِأَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ حَكَمَ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ بِإِنزَالِ هَذِهِ السُّورِ عَلَى النَّبِيِّ [ؐ]، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ صَحَّ أَنْ تَفْسَرَ هَذِهِ الْآيَةَ بِهَذِهِ السُّورِ (٥).

لكن ابن عادل عقب على هذا التوجيه بقوله: (وفي هذا الجواب نظر، فإن قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ ذكره في معرض الامتنان، وهذا الكلام إنما يصدق إذا وصل ذلك إلى محمد [ؐ]، فأما ما لم يصله بعد فلا يصدق ذلك عليه.

وأما قوله: إنه لما حكم بإنزاله على محمد كان ذلك جارياً مجرى ما نزل عليه فضعيف؛

لأن إقامة ما لم ينزل عليه مقام النازل عليه مخالف للظاهر (٦).

القول الثالث - السبع المثنائي هي القرآن كله.

(١) أخرجه عنه الحاكم في المستدرک (٧٧ / ٥) وأورده السيوطي في الدر (٦٤٨ / ٨).

(٢) انظر: تفسير مجاهد ص ١٢٩، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧٣ / ٤) وأورده السيوطي في الدر (٦٥٠ / ٨).

(٣) انظر: تفسير الضحاك (٥١٠ / ٢).

(٤) انظر: تفسير مقاتل (٢٠٧ / ٢)،

(٥) انظر: تفسير الخازن (١٥٦ / ٤).

(٦) اللباب: (٦٥ / ١٠).

وهذا القول مروى عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا والضحاك وطاووس وأبي مالك.
واعتمده القاسمي (١).

وحجة هذا القول:

* أن الله تعالى وصف القرآن جميعه بأنه مثاني: ﴿ > = < ﴾ الزمر: ٢٣.

* أن السبع في ﴿ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي ﴾ يراد بها الكثرة في الأحاد كالسبعين في العشرات.
واعترض على هذا القول:

أن الله تعالى عطف السبع المثاني على القرآن، والمعطوف مغاير للمعطوف عليه،
فوجب أن يكون السبع المثاني غير القرآن.
وأجيب عنه:

بأنه قد علم في لغة العرب أن الشيء الواحد إذا ذكر بصفتين مختلفتين جاز عطف
إحدهما على الأخرى، تنزيلاً لتغاير الصفات منزلة تغاير الذوات. ومنه قوله تعالى: ﴿ ○
p q r s t u v w x y z } | { ~ ﴿ ٤ ﴾ الأعلى: ١.
٤ (٢).

ثم إن الواو في ﴿ وَالْقُرْآنَ ﴾ لعطف الصفة على الصفة.

- قال ابن عاشور: (وعطف " القرآن " على السبع من عطف الكل على الجزء لقصد
التعميم، ليُعلم أن إيتاء القرآن كله نعمة عظيمة) (٣).

القول الرابع - السبع المثاني هي السور التي هي دون المئين، وفوق المفصل (٤).
وحجة هذا القول:

(١) انظر: محاسن التأويل (١٠/٣٧٦٨).

(٢) انظر: أضواء البيان (٢/٣١٥).

(٣) التحرير والتنوير (١٤/٨٠).

(٤) المئون: هي السور التي تزيد آياتها على مائة أو تقاربها. مناهل العرفان (١/٢٨٦).

* قوله ^٨: «إن الله سبحانه وتعالى أعطاني السبع الطوال مكان التوراة، وأعطاني المئين مكان الإنجيل، وأعطاني مكان الزبور المثاني، وفضلني ربي بالمفصل» (١).

وقد تعقبه الرازي بقوله: (وأقول: إن صح هذا التفسير عن رسول الله ^٨ فلا غبار عليه، وإن لم يصح فهذا القول مشكل؛ لأننا بيننا أن المسمى بالسبع المثاني يجب أن يكون أفضل من سائر السور، وأجمعوا على أن هذه السور التي سموها بالمثاني ليست أفضل من غيرها، فيمتنع حمل السبع المثاني على تلك السور) (٢).

القول الخامس - السبع المثاني هي سبع معانٍ في القرآن: أمر، ونهي، وبشارة، وإنذار، وضرب الأمثال، وتعداد النعم، وأخبار الأمم.
وهذا القول مروى عن زياد بن أبي مريم.

* قال البيهقي في شعب الإيمان: (وهذا حسن، غير أن تفسير النبي ^٨ أولى من غيره، ويحتمل أن يكون المراد به الجميع، والله أعلم) (٣).

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

تبين من عرض أقوال المفسرين وأدلتهم النتائج الآتية:

• أن القول الأول فيه نص صريح وتفسير مباشر من الرسول ^٨ للمراد بالسبع المثاني، فوجب القول به والمصير إليه.

(١) أخرجه أبو داود في مسنده - أحاديث واثلة بن الأسقع (٣٥١/٢) برقم ١١٠٥، وأحمد في مسنده - حيث ثعلبة الخشني (١٠٧/٤) برقم ١٧٠٢٣ - والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٤٠٩/٣) برقم ١٣٩٧، والطبراني في المعجم الكبير (٢٥٨/٨) برقم ٨٠٠٣ وفي مسند الشاميين - حديث سعيد عن قتادة (٦٢/٤) برقم ٢٧٣٤، والبيهقي في السنن الصغير - كتاب الصلاة - باب تخصيص السبع الطول بالذكر (٣٤١/١) برقم ٩٦٢ وفي شعب الإيمان - فصل في خواتم السور والآيات - باب تخصيص خواتيم سورة البقرة (٧١/٤) برقم ٢١٩٢. قال الهيثمي: (وفيه عمران القطان، وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه النسائي وغيره، وبقيته رجاله ثقات) مجمع الزوائد (٤٦/٧).

(٢) مفاتيح الغيب (٣٣٣/٩).

(٣) (٧٤/٤).

- أن أقوال الصحابة في تعيين المراد بـ(السبع المثاني) لا تخالف قول الرسول [^] مخالفة تضاد، إنما هي توسيع للمعنى، واللفظ يشمل الكل.
- أن ورود قول عن الصحابي في التفسير بخلاف قول الرسول [^] يُخَرِّج على أنه اجتهاد منه لعدم وصول خبر الرسول [^] إليه.
- أن الاختلاف بين الأقوال - من الأول إلى الرابع - هو اختلاف تنوع لا تضاد؛ إذ أن وصف بعض القرآن بصفة لا ينافي وصف باقيه بالصفة نفسها، فوصف الفاتحة بأنها مثانٍ لا يقدح في صدق وصف باقي القرآن بذلك^(١).

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو أن المراد بالسبع المثاني: (سورة الفاتحة). وذلك لورود التفسير الصريح الصحيح من النبي [^] بذلك، وأن وصفها بذلك لا ينافي كون السبع الطُّول أو المئين أو القرآن جميعه موصوفاً به. وقد قضت القواعد الترجيحية بأن:

- الحديث إذا ثبت وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره^(٢).
- غالب ما نقل عن السلف من الاختلاف في التفسير فهو من باب التنوع^(٣).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو أن المراد بالسبع المثاني (سورة الفاتحة، وليس في تسميتها بالمثاني ما يمنع من تسمية غيرها بذلك) صحيح - من وجهة نظري - لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، ولما قدمته من أدلة تؤيد القول الراجح.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٤٧).

(٢) انظر: قواعد الترجيح (١/ ١٧١).

(٣) انظر: قواعد التفسير (٢/ ٢٠٨).

قَالَ تَعَالَى: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ ٩٠ ! " # \$ % &

(') * + , - ﴿

في هذه الآية مسألتان.

المسألة الأولى: معنى ﴿عُضِينَ﴾.

يقول القرطبي رحمته الله: (وواحد العُضِينَ عِضَّة، من عَضَيْتُ الشيءَ تعَضِيَةً أي: فرَّقته، وكل فرقة عِضَّة. وقال بعضهم: كانت في الأصل عِضوة فنقصت الواو ولذلك جمعت عُضِينَ، كما قالوا عَزِينَ في جمع عِزَّة، والأصل عِزوة، وكذلك ثَبَّة وثَبِين.... قال ابن عباس رحمته الله عَنْهُمْ: (آمَنُوا بَعْضٌ وَكَفَرُوا بَعْضٌ) (١). وقيل: فرقوا أقاويلهم فيه فجعلوه كذباً وسحراً وكهانةً وشعراً. عَضُوته أي: فرَّقته. قال الشاعر - هو رؤبة (٢) -:

وليس دين الله بالمعصَى (٣)

أي: بالمفروق. ويقال: نقصانه الهاء. وأصله عِضهة، لأن العِضَّة والعِضِينَ في لغة قريش السُّحَر. وهم يقولون للساحر: عاضِه وللساحرة عاضِهة. قال الشاعر:

أعوذ بربِّي من النافثات في عَقْدِ العاضِهِ المِعْضِهِ (٤)

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب فضائل الصحابة - باب إتيان اليهود النبي ^٨ لما قدم المدينة

(٣/١٤٥٣) برقم ٣٧٩٢، وكتاب التفسير - باب سورة الحجر - (٤/١٧٣٨) برقم ٤٤٢٨.

(٢) رؤبة بن عبد الله العجاج، أبو الشعثاء: راجز، من الفصحاء المشهورين، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. أخذ عنه أعيان أهل اللغة، وكانوا يحتجون بشعره ويقولون بإمامته في اللغة. والرؤبة - بالهمزة - في الأصل اسم لقطعة من الخشب يشعب بها الإناء وباسمها سمي الراجز المذكور. مات في البادية عام ١٤٥ هـ وقد أسن. وله ديوان رجز مطبوع. وفي الوفيات: لما مات رؤبة قال الخليل: دفننا الشعر واللغة والفصاحة. انظر: الشعر والشعراء ٥٩٤، وفيات الأعيان (٢/٣٠٣) الأعلام (٣/٣٤).

(٣) البيت من ديوانه ص ٨١.

(٤) أورده الأزهرى في تهذيب اللغة (١/١٣٠) مادة (عضه) دون نسبة، ومثله الجوهري وابن منظور في إيراد دون نسبة.

وفي الحديث: «لعن رسول الله ^أ العاضة والمستعضة» وفسر: الساحرة والمستسحرة. والمعنى: أكثروا البهت على القرآن ونوعوا الكذب فيه فقالوا: سحر وأساطير الأولين وأنه مفترى إلى غير ذلك.... وقيل: هو من العضة وهي النيمة. والعضية: البهتان، وهو أن يعضه الإنسان ويقول فيه ما ليس فيه.... ويقال: عَضُوهُ أَي: آمنوا بما أحبوا منه وكفروا بالباقي، فأحبط كفرهم إيمانهم. وكان الفراء يذهب إلى أنه مأخوذ من العِضاه^(١)، وهي شجر الوادي ويخرج كالشوك^(٢).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرّض.

Ø في معنى هذه الآية ثلاثة أقوال:

القول الأول- أن معنى "عضين": مفرّقاً مجزّأ^(٣).

فيكون المعنى: عَضُّوا القرآن أعضاءً وجعلوه فرّقاً وأجزاءً، فمنهم من آمن ببعضه وكفر ببعضه، ومنهم من فرّقوا القول فيه؛ فقالوا شعر وقالوا سحر وقالوا أساطير الأولين. وهو ما رجحه القرطبي، موافقاً للنحاس وابن عطية^(٤).

وهذا القول مروى عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ومجاهد^(٥) والضحاك^(٦) وقتادة^(٧)

(١) ذهب في معاني القرآن إلى أن العضين في كلام العرب هو السحر. انظر: (٩٢/٢).

(٢) تفسير القرطبي (٢٥٦/١٢).

(٣) قال أبو السعود: (وفي التعبير عن تجزئة القرآن بالتعضية التي هي تفريق الأعضاء من ذي الروح المستلزم لإزالة حياته وإبطال اسمه دون مطلق التجزئة والتفريق اللذين ربما يوجدان فيما لا يضره التبعض للتنصيص على قبح ما فعلوه بالقرآن العظيم) إرشاد العقل السليم (٩٣/٤).

(٤) انظر: معانيه (٤١/٤) المحرر الوجيز (٤/١٤٤).

(٥) انظر: تفسير مجاهد ١٣٠.

(٦) انظر: تفسير الضحاك ص ٥١١، تفسير الطبري (١٧/١٤٦).

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٧/١٤٦).

ومقاتل (١) وعبد الرحمن بن زيد (٢).

وقال به من المفسرين: الواحدي والبغوي والزمخشري وأبو حيان وابن كثير والسيوطي والألوسي والشوكاني (٣).

ومن أهل اللغة: ابن قتيبة وأبو عبيدة والراغب الأصفهاني والسمين الحلبي (٤).
واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن "عضين" من التعضية، أي: التفريق.

- قال ابن فارس: (العين والضاد والحرف المعتل أصل واحد يدل على تجزئة الشيء.
من ذلك: العِضْو والعُضْو. والتَّعْضِيَّة: أن يُعْضِيَ الذبيحة أعضاء) (٥).

- ومنه قول النبي ^٨: «لا تعضية في ميراث إلا فيما حمل القسم» (٦).

- قال أبو السعادات (٧): (هو أن يموت الرجل ويدع شيئاً إن قُسم بين ورثتها ستضروا

(١) انظر: تفسير مقاتل (٢/٢٠٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/١٤٦).

(٣) انظر: الوجيز (١/٤١٢) معالم التنزيل (٤/٣٩٣) الكشاف (٣/٣٢٥) البحر المحيط (٧/٢٠٦) تفسير القرآن العظيم (٤/٥٤٩) تفسير الجلالين (٤/٣٩٢) روح المعاني (١٠/٧٢) فتح القدير (٤/١٩٥).

(٤) انظر: غريب القرآن ص ٢٣٩، مجاز القرآن (١/٤٠٧) مفردات غريب القرآن ص ٣٣٨، الدر المنصور (٧/١٨٢).

(٥) معجم مقاييس اللغة (٤/٣٤٧).

(٦) أخرجه إبراهيم الحربي في غريب الحديث (٣/٩١٥) والبيهقي في السنن الكبرى - كتاب آداب القاضي - باب ما لا يحتل القسمة (١٠/٢٢٥) برقم ٢٠٤٤٦.

(٧) أبو السعادات: المبارك بن محمد بن محمد الشيباني الجزري، مجد الدين: المحدث اللغوي الأصولي، وهو أخو ابن الأثير المؤرخ، وابن الأثير الكاتب. عاش بالموصل، واتصل بصاحبها فكان من أخصائه. وأصيب بالنقرس فبطلت حركة يديه ورجليه. ولازمه هذا المرض إلى أن توفي في إحدى قرى الموصل، قيل: إن تصانيفه كلها ألغها في زمن مرضه إملاء على طلبته وهم يعينونه بالنسخ والمراجعة. من كتبه: (النهاية في غريب الحديث) و(جامع الأصول) عشرة أجزاء جمع فيه بين الكتب الستة، و(الإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف) في التفسير، وغيرها. ت: ٦٠٦هـ. انظر: بغية الوعاة (٢/٢٧٤) الأعلام (٥/٢٧٢).

أو بعضهم، كالجوهرة والطيلسان ونحو ذلك، من التعضية: التفریق)(١).

- ومنه قول رؤبة:

وليس دين الله بالمعصّي

أي: المفرّق.

* أن لهذا القول نظيراً في القرآن هو قوله تعالى: ﴿ I J K L M N

O P Q R ﴾ الأنعام: ١٥٩.

القول الثاني- أن معنى "عضين": مقولاً فيه بالكذب مرمياً بالبهتان.

فيكون المعنى: وصفوا القرآن بأنه كذب واختلاق ورموه بالبهتان.

وهذا القول مروى عن قتادة (٢) رضي الله عنه.

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن "عضين" من (العَضه) وهو البهتان والكذب والنميمة.

- ومنه قول النبي ^٨: «إياكم والعَضه» (٣) وفي حديث البيعة: (ولا يعَضُه بعضنا

بعضاً) (٤) أي: لا يرميه بالعضيهة؛ وهي البهتان والكذب.

- قال الخليل بن أحمد: (العضيهة: الإفك والبهتان والقول الزور، وأَعْضَهْتُ إِعْضَاهَاً

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٤٩٧).

(٢) انظر: تفسير عبد الرزاق (١/٣٥٠) تفسير الطبري (١٧/١٤٨).

(٣) أخرجه معمر بن راشد في جامعه - باب القدر (١١/١١٦) برقم ٢٠٠٧٦، والطبراني في المعجم الكبير

(٦/٩٦) برقم ٨٥١٨، والبيهقي في شعب الإيمان - باب في حفظ اللسان (٤/٢٠١) برقم ٤٧٨٨، والبغوي

في شرح السنة - كتاب الاستئذان - باب في الصدق والكذب (١٣/١٥٤). وقال الألباني: (ضعيف).

ضعيف الجامع الصغير وزيادته (١/٥٠٢) برقم ٥٠١١، ولكن جاء صحيحاً بلفظ: (ألا أنبئكم مالعضه؟)

صحيح مسلم - كتاب الآداب - باب تحريم النميمة - برقم ٦٧٢٩.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب القسامة والمحاريين - باب الحدود كفارات لأهلها (٢/٨١٦) برقم

أي: أتيت بمنكر(١).

- وقال ابن منظور: (العَضَةُ والعَضَةُ والعَضِيهَةُ: البهيتة، وهي الإفك والبهتان، وَعَضَهُه يَعْضُهُه عَضُهَا وَعَضِيهَةً: قال فيه ما لم يكن، قال الأصمعي: العَضَةُ القالةُ القبيحة)(٢).

القول الثالث- أن معنى "عضين": سحراً.

فيكون المعنى: نسبوا القرآن إلى السحر.

وهذا القول مروى عن مجاهد(٣) وعكرمة(٤) رحمهما الله، واستدل أصحاب هذا القول

بما يلي:

* أن "عضين" من العَضِ وَهُوَ السَّحْرُ.

- ومنه قول ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (إن رسول الله [^] لعن العاضِهةَ والمُسْتَعْضِهةَ)

أي: السَّاحِرَةَ والمُسْتَسْحِرَةَ.

- وقول الشاعر:

أعوذ بربِّي من النافثات في عَقْدِ العاضِهِ المُعَضِهِ

أي: الساحر.

* أن لهذا المعنى نظائر في القرآن منها:

- قوله تعالى: ﴿ ٩ : > = < ; > المدثر: ٢٤.

- وقوله: ﴿ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا ﴾ القصص: ٤٨.

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض الأقوال السابقة ما يلي:

(١) العين (١/ ٩٩).

(٢) لسان العرب (١٣/ ٥١٥).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٤٨).

(٤) المصدر السابق.

§ أن سبب الاختلاف بين المفسرين هو اختلافهم في اشتقاق مادة (ع ض ه).

§ أن الآية تحتل كل المعاني السابقة ولا تعارض بينها.

§ أن جميع الأقوال السابقة مروية عن السلف.

§ أن لكل قول شاهدي عدل من حديث النبي [^] ومن كلام أهل اللغة.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو أن معنى * " #

\$ أي: رموه بالباطل والبهتان، فقال بعضهم: هو سحر، وقال بعضهم: هو شعر، وقال بعضهم: هو كهانة، ففرقه بنحو ذلك القول.

و هذا الرأي هو اختيار الطبري رحمته الله (١).

- قال الزرقاني رحمته الله: (ما دام في الإمكان حمل كلام الشارع على معنى سليم فالنظر قاض بوجوبه انتفاعاً بما ورد عن الحكيم العليم وتنزيهاً له عن أن يجري مجرى العجوز العقيم) (٢).

يشهد بصحة هذا الرأي قاعدة الترجيح الآتية:

* إذا ورد أكثر من تفسير لغوي صحيح تحتمله الآية بلا تضاد جاز تفسير الآية بها (٣).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو أن معنى "عضين" أي: مفرقاً مجزئاً، جزء من القول الراجح - كما ظهر - لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، ولما قضت به قاعدة الترجيح المعتمدة.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧ / ١٤٩).

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن (٢ / ٢٨٩).

(٣) انظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم ص ٥٩١

المسألة الثانية: مرجع الضمير في قوله ﴿لنساءلهم﴾:

يقول القرطبي رحمه الله: (أي: لنساءل هؤلاء الذين جرى ذكرهم عما عملوا في الدنيا.... قلت: والآية بعمومها تدل على سؤال الجميع ومحاسبتهم كافرهم ومؤمنهم، إلا من دخل الجنة بغير حساب.... وقيل: ﴿...﴾ يعني المؤمنين المكلفين، بيانه قوله تعالى: ﴿...﴾ | { z y } { التكاثر: ٨، والقول بالعموم أولى كما ذكر، والله أعلم(١).

طريقة الترجيح: التنصيص على القول الراجح بقوله (والقول بالعموم أولى).

Ø في مرجع الضمير في " لنساءلهم " ثلاثة أقوال:

القول الأول- إن الضمير يرجع إلى عموم المكلفين مؤمنهم وكافرهم.

وهذا ما رجحه القرطبي رحمه الله وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما (٢)، وأبي العالية رحمه الله (٣).

وهو قول ابن عطية (٤).

واحتج أصحاب هذا القول بما يلي:

* عن أنس رضي الله عنه عن النبي [^] قال: ﴿...﴾ & ﴿...﴾ يُسأل

العباد كلهم يوم القيامة عن خُلتين: عما كانوا يعبدون، وعما أجابوا به المرسلين (٥).

* عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله [^]: «يا معاذ، إن المؤمن يُسأل

يوم القيامة عن جميع سعيه، حتى كحل عينيه، وعن فتات الطينة بأصبعيه، فلا ألفينك يوم

(١) تفسير القرطبي (٢٥٨/١٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/١٤٩).

(٣) المصدر السابق.

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٤/١٤٥).

(٥) أورده ابن أبي حاتم (٧/٢٢٧٣).

القيامة وأحدٌ أسعدُ بما أتى الله منك» (١).

* قوله ^٨: «إن الله سائل كل ذي رعية فيما استرعاها، أقام أمر الله فيهم أم أضاعه، حتى إن الرجل يُسأل عن أهل بيته» (٢).

* قول عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (والذي لا إله غيره، ما منكم أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر، فيقول: ابن آدم، ماذا غرَّك مني بي؟ ابن آدم ماذا عملت فيما علمت؟ ابن آدم ماذا أجبت المرسلين؟) (٣).
* أن اللفظ عام فيتناول عموم المكلفين.

* أن ذكر عموم المكلفين مفهوم من السياق، حيث تقدم في قوله تعالى: ﴿

﴿ أي: لجميع الخلق، وقد تقدم ذكر المؤمنين وذكر الكافرين، فيعود قوله:

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٣١/١٠). وقال الحافظ العراقي: (لم أجد له إسناداً) انظر: تخريج أحاديث الإحياء (٢٢٩/٩). وذكره الفتني في تذكرة الموضوعات (٢٢٤/١)، وقال الألباني: (ضعيف). سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٤٦٢/١٢) برقم ٥٦٨٥.

(٢) أخرجه معمر بن راشد في جامعه - باب الإمام راعٍ (٣١٩/١١) برقم ٢٠٦٥٠، والطبراني في الكبير (١٧٢/٩) برقم ٨٨٥٥. وأخرجه بمعناه: عبد الله بن المبارك في مسنده (١٩٥/١) برقم ٢٥٨، وأحمد في مسنده (٢٦٠/٨) برقم ٤٦٧٣، والطبراني في الأوسط (١٤٩/٥) برقم ٤٩١٦، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٢٣٤/٥) برقم ١٣٧٨، وعبد الغني المقدسي في تحريم القتل وتعظيمه (١٨٤/١) برقم ٨٤. وهو موقف منقطع لأن قتادة لم يسمع من ابن مسعود كما قال الهيثمي في المجمع (٢٠٨/٧)، لكن يشهد له قوله ^٨: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته...» وهو صحيح. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٨٠/٤) برقم ١٣٦٣.

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٣/١) برقم ٣٨، وأحمد في الزهد (١٣٥/١) برقم ٩٠٧، وعبد الله بن أحمد في السنة (٤٣٩/١) والطبري في تفسيره (١٤٩/١٧) وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٤٢٠/٢) والدارقطني في الرؤية (١٥٠/١) برقم ٢٠١، والطبراني في الكبير (١٨٢/٩) برقم ٨٩٠٠، وابن بطة في الإبانة (٤٣/٧) برقم ٣٢، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥٥٠/٣) برقم ٨٦٠، وأبو نعيم في الحلية (١٣١/١) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٦٧٩/١) برقم ١٢٠٠.

﴿ & ' ﴾ على الكل.

القول الثاني- إن الضمير يرجع إلى "المقتسمين"، الذين جرى ذكرهم في الآية السابقة. وهو قول الطبري ومكي بن أبي طالب والنسفي والخازن وأبي حيان والثعالبي والقاسمي (١).

و حجة أصحاب هذا القول:

* أن عود الضمير إلى أقرب مذكور أولى.

* أن السؤال سؤال تقريع وتوبيخ، فالأنسب أن يكون للمخبر عن جرمهم وسوء فعلهم في الآية.

* أن الله تعالى قال: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾ الرحمن: ٣٩، وهو يفيد

عموم النفي، فيكون ﴿ & ' ﴾ عائد إلى المقتسمين، وهذا خاص، ولا شك أن الخاص مقدم على العام.

القول الثالث- إن الضمير يرجع إلى عموم الكافرين؛ المقتسمين وغيرهم.

وهو قول أبي السعود والشوكاني والألوسي وابن عاشور ومحمد الأمين الهرري (٢).

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض الأقوال السابقة ما يلي:

• لا يوجد نص من النبي عليه الصلاة والسلام في تعيين المراد بقوله تعالى:

﴿ & ' ﴾.

• الأحاديث المرفوعة التي احتج بها أصحاب القول الأول عامة في سؤال المكلفين

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/١٤٩) الهداية (٦/٣٩٣٣) مدارك التنزيل (٢/١٤٨) لباب التأويل (٤/١٥٨)

البحر المحيط (٧/٢١٠) الجواهر الحسان (٢/٣٢٩) محاسن التأويل (١٠/٣٧٧٠).

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم (٤/٩٤) فتح القدير (٤/١٩٥) روح المعاني (١٠/٧٧) التحرير والتنوير

(١٤/٨٧) حدائق الروح والريحان (١٥/١١٤).

ومحاسبته، وحمل الآية على هذا العموم بصرف النظر عن سباقها ولحاقها قد يقطع حديث الآية المتصل في الإخبار عن المشركين، واتصال المعنى أولى.

• لم يحتج أصحاب القول الثالث لقولهم.

الرأي الرابع:

يظهر من خلال المناقشة أن الرأي الرابع هو: أن الضمير في " لنسألهم " يرجع إلى ﴿الْمُقْتَسِمِينَ﴾ ولا ينافي ذلك أن يكون غيرهم من المكلفين - مؤمنهم وكافرهم - مسؤولين يوم القيامة عما كانوا يعملون.

- قال الشوكاني رحمته الله: (ويمكن أن يقال: إن قصر هذا السؤال على المذكورين في السياق وصرف العموم إليهم لا ينافي سؤال غيرهم) (١).

يؤيد هذا الرأي:

* سياق الآية: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ ! " # \$

% & ' () * + , - ﴿وهو ظاهر في الإخبار عن

المقتسمين على سبيل التوبيخ فيتجه السؤال لهم تقريراً وتوبيخاً عن فعلهم السيئ.

* من قواعد الترجيح:

§ مهما أمكن إلحاق الكلام بما يليه أو بنظيره فهو أولى (٢).

§ إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره (٣).

§ الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه (٤).

(١) فتح القدير (٤/ ١٩٥).

(٢) انظر: قواعد التفسير (١/ ٢٤٩).

(٣) انظر: قواعد الترجيح (٢/ ٢٣٢).

(٤) المصدر السابق (٢/ ٢٤٨).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو: (أن الضمير يرجع إلى عموم المكلفين مؤمنهم وكافرهم) صحيح وموافق للقول الراجح.
والله تعالى أعلم بالصواب

قَالَ تَعَالَى: ﴿ 4 3 21 0 / . ﴾

في هذه الآية مسألة واحدة.

﴿ معنى فاصدع بما تؤمر ﴾.

يقول القرطبي رحمته الله: ﴿ 3 21 0 / . ﴾ أي بالذي تؤمر به، أي بلغ رسالة الله جميع الخلق لتقوم الحجة عليهم، فقد أمرك الله بذلك. والصدع: الشق. وتصدع القوم أي: تفرقوا، ومنه: ﴿ @ A ﴾ الروم: ٤٣، أي: يتفرقون. وصدعته فانصدع أي: انشق. أصل الصَّدْع: الفَرْق والشَّق. قال أبو ذؤيب^(١) يصف الحمار وأنته: وكأنهن ربابة وكأنه يسر يفيض على القداح ويصدع^(٢) أي يفرق ويشق. فقوله: ﴿ 0 / . ﴾ قال الفراء: أراد فاصدع بالأمر، أي: أظهر دينك، ف"ما" مع الفعل على هذا بمنزلة المصدر^(٣). وقال ابن الأعرابي: معنى اصدع بما تؤمر أي: اقصد. وقيل: ﴿ 0 / . ﴾ أي: فرق جمعهم وكلمتهم بأن تدعوهم إلى التوحيد فإنهم يتفرقون بأن يجيب البعض، فيرجع الصدع على هذا إلى صدع جماعة الكفار^(٤).

(١) أبو ذؤيب: خويلد بن خالد الهذلي، من مضر: شاعر فحل مخضرم، أدرك الجاهلية والاسلام. سكن المدينة واشترك في الغزو والفتوح. أشهر شعره عينية رثى بها خمسة أبناء له أصيبوا بالطاعون في عام واحد، مطلعها: (أمن المنون وريبه تتوجع) قال البغدادي: هو أشعر هذيل من غير مدافعة. وفد على النبي [^] ليلة وفاته فأدركه وهو مسجى وشهد دفنه. له ديوان شعر مطبوع توفي في ٢٧هـ. انظر: الشعر والشعراء (١/١٤٠) الأعلام (٢/٣٢٥).

(٢) البيت من ديوان الهذليين (١٨/١) والربابة: الجمع من القداح، اليسر: صاحب الميسر الذي يضرب بالقداح، ويفيض على القداح يعني: يرسلها ويدفعها، ويصدع يعني: يخبر بما تحيى به القداح. انظر: شرح ديوان الهذليين ص ١٨.

(٣) ذكره الفراء بمعناه. انظر: معاني القرآن له (٢/٩٣).

(٤) تفسير القرطبي (١٢/٢٦٠).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرير.

Ø في معنى هذه الآية قولان:

القول الأول- أن معنى ﴿ / 〇 ﴾: أظهر دين الله ورسالته، واجهر بالقرآن.

وهو ما رجحه القرطبي، ووافقه الشوكاني (١).

وهذا القول مروى عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا (٢) ومجاهد (٣) والضحاك (٤) ومقاتل (٥)

وسفيان الثوري (٦).

وقال به من المفسرين: الطبري والواحدي والبغوي والزمخشري وابن عطية وأبو حيان

وابن كثير وأبو السعود والأوسي والشنقيطي (٧).

ومن اللغويين: الفراء وأبو عبيدة والزجاج وأبو جعفر النحاس (٨).

واحتج أصحاب هذا القول باللغة، فقالوا:

* إن " فاصدع " من الصَّدع وهو الجهر والإظهار.

- قال الخليل بن أحمد: (الصَّدِيعُ: انصداع الصبح) (٩).

(١) انظر: فتح القدير (٤ / ١٩٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧ / ١٥١) تفسير ابن أبي حاتم (٧ / ٢٢٧٣) الدر المنثور (٨ / ٦٥٦).

(٣) انظر: تفسير مجاهد ص ١٣٠.

(٤) انظر: تفسير الضحاك ص ٥١٢.

(٥) انظر: تفسير مقاتل (٢ / ٢٠٨).

(٦) انظر: تفسير سفيان الثوري ١٦٢.

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٧ / ١٥١) الوجيز (١ / ٤١٢) معالم التنزيل (٤ / ٣٩٥) الكشاف (٣ / ٣٢٧) المحرر

الوجيز (٤ / ١٤٦) البحر المحيط (٧ / ٢٠٦) تفسير القرآن العظيم (٤ / ٥٥١) إرشاد العقل السليم (٤ / ٩٤)

روح المعاني (١٠ / ٧٩) أضواء البيان (٢ / ٣١٩).

(٨) انظر: معاني القرآن للفراء (٢ / ٩٣) مجاز القرآن ١٩٤، معاني القرآن وإعرابه (٣ / ١٨٦) معاني القرآن للنحاس

(٤ / ٤٥).

(٩) العين (١ / ٢٩٢).

- قال الصاحب بن عباد: (صَدَعٌ بِالْحَقِّ: تَكَلَّمَ بِهِ جَهَاراً، وَمِنْهُ خَطِيبٌ مِصْدَعٌ: أَي مِصْقَعٌ) (١).

و على هذا القول، فإن الصدع بمعنى الظهور مجاز.

- قال السهيلي: (صَدَعٌ عَلَى جِهَةِ الْبَيَانِ، وَتَشْبِيهُ لظَلْمَةِ الشُّكِّ وَالْجَهْلِ بِظَلْمَةِ اللَّيْلِ. وَالْقُرْآنُ نُورٌ، فَصَدَعٌ بِهِ تَلْكَ الظلمة) (٢).

- وقال الزبيدي: (صَدَعٌ بِالْحَقِّ: تَكَلَّمَ بِهِ جَهَاراً مَفْرَقاً بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَاطِلِ وَهُوَ مَجَازٌ، وَبِهِ فَسَّرَتِ الْآيَةَ) (٣).

- وقال الطاهر بن عاشور: (فاسْتَعْمَلَ الصَّدْعَ فِي لَازِمِ الْإِنْشِقَاقِ، وَهُوَ ظَهْرُ الْأَمْرِ الْمَحْجُوبِ وَرَاءَ الشَّيْءِ الْمُنْصَدَعِ) (٤).

القول الثاني - أن معنى ﴿ / 〇 ﴾: فرَّق جمعهم وكلمتهم بإظهار الحق.

وهذا القول حكاه غالب المفسرين، وقال به الفخر الرازي (٥).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* باللغة:

فقالوا: إن ﴿ ﴾ من الصَّدْعِ وَهُوَ التَّفْرِيقُ وَالشَّقُّ فِي الشَّيْءِ الصَّلْبِ.

- قال ابن فارس: (الصاد والذال والعين أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على انفراجٍ في الشيء) (٦).

* بالنظائر القرآنية:

(١) المحيط (١/٥٣).

(٢) الروض الأنف (١/٤٣٧).

(٣) تاج العروس (١/٥٣٦٤).

(٤) التحرير والتنوير (١٤/٨٨).

(٥) انظر: مفاتيح الغيب (٩/٣٣٧).

(٦) معجم مقاييس اللغة (٣/٣٣٧).

- ومنها قوله تعالى: ﴿ @ A ﴾ الروم: ٤٣ أي: يتفرقون فريق في الجنة وفريق في

السعير؛ بدليل قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِدِ بِنَفَرٍ قَوْمٌ ﴾ الروم: ١٤.

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض القولين السابقين وأدلتها ما يلي:

§ أن الاختلاف بين القولين اختلاف تنوع والمؤدى واحد وهو الجهر بالدعوة.

§ أن لكل قول سنده من اللغة.

§ أن القول الأول يرجع إلى القول الثاني، إذ الجهر بالقرآن وإظهار الدعوة يفرق بين

الحق والباطل، وهذا يرجع إلى معنى (صَدَع) وهو: الشق والفرق.

§ أن القول الأول تفسير على المعنى، أما القول الثاني فهو تفسير للفظ.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو أن معنى ﴿ / O ﴾

أي: أظهر دين الله وفرق بين الحق والباطل.

يؤيد هذا الرأي قاعدة الترجيح الآتية:

* إذا ورد أكثر من تفسير لغوي صحيح تحتمله الآية بلا تضاد جاز تفسير الآية بها (١).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو أن معنى " فاصدع " أي: أظهر دين

الله ورسالته، جزء من القول الراجح - من وجهة نظري - لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال

الواردة في تفسير الآية.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) انظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم ص ٥٩١.

قَالَ تَعَالَى: ﴿WV U T S R﴾

في هذه الآية مسألة واحدة، هي:

﴿المراد باليقين﴾.

يقول القرطبي رحمه الله: (فيه مسألة واحدة: وهو أن اليقين الموت.... والدليل على أن اليقين الموت حديث أم العلاء الأنصارية رضي الله عنها - وكانت من المبايعات - وفيه: فقال رسول الله ^٨: «أما عثمان - أعني عثمان بن مظعون فقد جاءه اليقين وإني لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل به» وذكر الحديث، انفرد بإخراجه البخاري رحمه الله (١).... وقد قيل: إن اليقين هنا الحق الذي لا ريب فيه من نصرك على أعدائك، قاله ابن شجرة؛ والأول أصح، وهو قول مجاهد (٢) وقاتدة (٣) والحسن (٤). والله أعلم (٥).

طريقة الترجيح: التنصيص على القول الراجح بقوله (والأول أصح).

Ø في المراد باليقين في هذه الآية قولان:

القول الأول - المراد باليقين هو: الموت (٦).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٠٦/٢) كتاب الجنائز - باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في كفه - برقم ١١٨٦، وفي (١٨١/٣) كتاب الشهادات - باب القرعة في المشكلات - برقم ٢٥٤١، وفي (٦٧/٥) كتاب مناقب الأنصار - باب مقدم النبي ^٨ وأصحابه بالمدينة - برقم ٣٧٤١، وفي (٣٤/٩) كتاب التعبير - باب ١٣ رؤيا النساء - برقم ٦٦٠١.

(٢) انظر: تفسير مجاهد ص ١٣٠، تفسير الطبري (١٧/١٥٩) تفسير ابن أبي حاتم (٧/٢٢٧٣) الدر المنثور (٦٦٧/٨).

(٣) انظر تفسير عبد الرزاق (١/٣٧٢)، تفسير الطبري (١٧/١٥٩).

(٤) أخرجه الطبري (١٧/١٥٩) وأورده السيوطي في الدر (٦٦٧/٨).

(٥) تفسير القرطبي (١٢/٢٦٤).

(٦) قال ابن عطية: (وليس اليقين من أسماء الموت، وإنما العلم به يقين لا يمترى فيه عاقل، فسماه هنا يقيناً تجوزاً، أي يأتيك الأمر اليقين علمه ووقوعه) المحرر الوجيز (٤/١٤٧). ويقال: إنه من أسماؤه، وإنما سمي بذلك لأنه متيقن للحوق بكل حي، والله أعلم.

وهو ما رجحه القرطبي رحمته الله.

وروي هذا القول عن مجاهد وسالم بن عبد الله^(١) والحسن وقتادة ومقاتل^(٢) وعبد الرحمن بن زيد^(٣).

وقال به الإمام البخاري، وهو قول جمهور المفسرين^(٤) كالطبري والواحدي والبغوي والزمخشري وابن عطية والرازي وابن كثير وابن عادل وأبي السعود والسعدي ومحمد الأمين الهري^(٥).

واختاره أبو حيان والقاسمي^(٦)، وهو قول الجمهور.

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* تسمية النبي [^] للموت باليقين: فعن أم العلاء رضي الله عنها قالت: لما دخل رسول الله [^] على عثمان بن مظعون - وقد مات - قلت: رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله. فقال رسول الله رضي الله عنه: «وما يدريك أن الله أكرمه؟» فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله فمن؟ فقال: «أما هو فقد جاءه اليقين، وإني لأرجو له الخير».

(١) أخرجه وكيع في الزهد (٤٩/١) وابن أبي شيبة في مصنفه (١٢٨/١٥) والطبري في تفسيره (١٥٩/١٧). وسالم هو ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما: أمه أم ولد، يكنى أبا عمر. وكان أشبه أولاد أبيه به، وكان أبوه يحبه حباً شديداً، أسند سالم عن أبيه وأبي أيوب وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة. ت: ١٠٦ هـ. انظر: صفة الصفوة (١/٣٥٢).

(٢) انظر: تفسير مقاتل (٢/٢١٠).

(٣) أخرجه الطبري (١٥٩/١٧) وأورده السيوطي في الدر (٦٦٧/٨).

(٤) نسبه إلى الجمهور أبو حيان. انظر: البحر المحيط (٧/٢١٢).

(٥) انظر: صحيح البخاري كتاب التفسير: باب قوله "واعبد ربك حتى يأتيك اليقين" (٢٦٦/٦)، تفسير الطبري (١٥٩/١٧) الوجيز (٤١٣/١) تفسير البغوي (٣٩٧/٤) الكشاف (٣٢٩/٣) المحرر الوجيز (١٤٧/٤) مفاتيح الغيب (٣٣٩/٩) تفسير القرآن العظيم (٥٥٣/٤) اللباب (٧٢/١٠) إرشاد العقل السليم (٩٥/٤) تفسير السعدي (٤٣٥/١) حدائق الروح والريحان (١٢٨/١٥).

(٦) انظر: البحر المحيط (٧/٢١٢) محاسن التأويل (١٠/٣٧٧٥).

* أن له نظائر في القرآن:

﴿ ك ج ل ه ح ﴾ كقوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام:

﴿ مريم: ٣١ ﴾، فهذه الآية فيها وصية بعبادة الله لا يفارقها ما دام حياً، وهو نظير ﴿

﴿ V U T S ﴾.

* وقوله تعالى إخباراً عن أهل النار أنهم قالوا: ﴿ قَالُوا آ آ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ

﴿ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ ﴾ ﴿٤٤﴾ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ

﴿٤٧﴾ المدثر: ٤٣-٤٧.

* أنه قول الجمهور.

القول الثاني- أن المراد باليقين: النصر على الكافرين الذي وعدك الله به.

وهو قول ابن شجرة^(١)، وقال ابن عطية: إنه محتمل^(٢)، واعتمده الطاهر بن

عاشور^(٣).

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض أقوال المفسرين:

﴿ أن القول الأول له مؤيدات وشواهد من القرآن والسنة الصحيحة، أما القول الثاني

فلم يُستشهد له.

﴿ أن معنى القول الأول أولى من معنى القول الثاني؛ لأن جعل الموت غاية تنقطع بها

العبادة في قوله ﴿ V U T S R ﴾ أولى من توقيت الغاية بالنصر على

الكافرين، لأن المقصود أن لا يفارق العبادة حتى يموت حسب شواهد القرآن.

(١) نسبه إليه القرطبي (٢٦٥/١٢) وأبو حيان (٧/٢١٢).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٤/١٤٧).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (١٤/٩٢).

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو أن المراد باليقين في هذه الآية: الموت.

فيكون معنى الآية: واعبد ربك حتى يأتيك الموت، الذي هو مُوقِن به (١).
يشهد بصحة هذا:

* الحديث الصحيح الذي ورد فيه تسمية الموت باليقين.
* النظائر القرآنية المقررة لهذا المعنى، وهذا من تفسير القرآن بالقرآن الذي هو أعلى مراتب التفسير (٢).

* أنه قول الجمهور، وهم إلى الحق أقرب وعن الخطأ أبعد.
* القواعد الترجيحية التي تقضي بأن:

§ الحديث إذا ثبت وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على غيره (٣).
§ القول الذي له نظائر في القرآن مقدم على ما عدم ذلك (٤).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن المراد باليقين: الموت) صحيح – من وجهة نظري – لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، ولما قدمته من أدلة تؤيد القول الراجح.

والله تعالى أعلم بالصواب (٥)

(١) تفسير الطبري (١٧/١٥٩).

(٢) انظر: شرح مقدمة أصول التفسير لابن عثيمين ص ١٢٧.

(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢٠٦).

(٤) المصدر السابق (١/٣١٢).

(٥) قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمته الله: (اعلم أن ما يفسر به هذه الآية الكريمة بعض الزنادقة الكفرة المدعين للتصوف، من أن معنى اليقين المعرفة بالله – جل وعلا – وأن الآية تدل على أن العبد إذا وصل من

المعرفة بالله إلى تلك الدرجة المعبر عنها باليقين، أنه تسقط عنه العبادات والتكاليف ؛ لأن ذلك اليقين هو غاية الأمر بالعبادة. إن تفسير الآية بهذا كفر بالله وزندقة، وخروج عن ملة الإسلام بإجماع المسلمين. وهذا النوع لا يسمى في الاصطلاح تأويلا، بل يسمى لعبا. ومعلوم أن الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم هم وأصحابه - هم أعلم الناس بالله، وأعرفهم بحقوقه وصفاته وما يستحق من التعظيم، وكانوا مع ذلك أكثر الناس عبادة لله - جل وعلا -، وأشدهم خوفا منه وطمعا في رحمته. وقد قال - جل وعلا - : إنما يخشى الله من عباده العلماء. والعلم عند الله تعالى) أضواء البيان (٢ / ٣٢٥).

ثانياً: دراسة المسائل الترجيحية في سورة النحل من أول السورة إلى آخر الآية (٨٠)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ Z Y X ﴾ [Z Y X] ^ _ ` a b

في هذه الآية مسألة واحدة، هي:

المُرَادِبُ ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾ (١):

يقول القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: (و ﴿ Z Y X ﴾ عقابه لمن أقام على الشرك وتكذيب رسوله. قاله الحسن (٢) وابن جريج (٣). الضحاك: إنه ما جاء به القرآن من فرائضه وأحكامه (٤). وفيه بُعد؛ لأنه لم ينقل أن أحداً من الصحابة استعجل فرائض الله من قبل أن تفرض عليهم، وأما مستعجلو العذاب والعقاب فذلك منقول عن كثير من كفار قريش وغيرهم.... وقال الزجاج: (هو ما وعدهم به من المجازاة على كفرهم (٥) وهو كقوله: ﴿ C B A F E D ﴾ هود: ٤٠، وقيل: هو يوم القيامة أو ما يدل على قربها من أشراطها) (٦).

طريقة الترجيح: التفسير بقول، والنص على ضعف غيره بقوله (وفيه بُعد).

Ø في معنى هذه الآية أربعة أقوال:

-
- (١) يقول ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفي التعبير عنه بأمر الله إبهام يفيد تهويله وعظمته لإضافته لمن لا يعظم عليه شيء، وقد عبر عنه تارات بوعد الله ومرات بأجل الله ونحو ذلك) التحرير والتنوير (١٤ / ٩٧).
 - (٢) لم أجد سوى في مجمع البيان للطبرسي (٦ / ١٣٧).
 - (٣) انظر: تفسير الطبري (١٧ / ١٦٢).
 - (٤) انظر: تفسير الطبري (١٧ / ١٦٣).
 - (٥) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ١٨٩).
 - (٦) تفسير القرطبي (١٢ / ٢٦٧).

القول الأول — المراد بـ "أمر الله" : عذاب الله وعقابه للمشركين، ونصر المؤمنين عليهم (١).

وهو ما رجحه القرطبي رحمته الله.

وهذا القول مروى عن ابن عباس (٢) وابن جريج.

وقال به ابن أبي زمنين، والواحدي، والشوكاني، ومحمد الأمين الهري (٣)، واختاره أبو جعفر النحاس (٤).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن استعجال كفار قريش العذاب قد ورد في عدة مواضع من القرآن والسنة، منها:
أن أبا جهل ابن هشام (٥) قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فنزل قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالُوا ۖ إِن كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِّنْ عِنْدِكَ فَآمِطْ عَلَيْنَا ۖ﴾ [الأنفال: ٣٢] (٦).

(١) على هذا القول يكون الفعل (أتى) على بابه، أي: جاء أمر الله ودنا وقرب، والمراد: مقدماته وأوائله. انظر: الدر المصون (١٨٧/٧).

(٢) أورده السيوطي في الدر (٥/٩).

(٣) انظر: تفسير ابن أبي زمنين (٣٩٤/٢)، الوجيز (٤١٤/١)، فتح القدير (٢٠٠/٤)، حدائق الروح والريحان (١٣٩/١٥).

(٤) انظر: معاني القرآن (٥٠/٤).

(٥) أبو جهل: عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي: أحد سادات قريش وأبطالها ودهاتها في الجاهلية. أشد الناس عداوة للنبي ^ﷺ في صدر الإسلام، واستمر على عداوته للإسلام وعناده فكان يثير الناس على محمد رسول الله ^ﷺ وأصحابه، لا يفتر عن الكيد لهم والعمل على إيذائهم، حتى كانت وقعة بدر الكبرى، فشهدها مع المشركين، فكان من قتلها. ت: ٢ هـ. انظر: سيرة ابن هشام (٢٩٢/١) وما بعدها (الأعلام (٨٧/٥)).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير - باب قوله تعالى " وإذ قالوا اللهم عن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء " (٦٢/٦) برقم ٤٦٤٨، ومسلم في صحيحه - كتاب صفة القيامة والجنة والنار - بأقوله تعالى " وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم " (١٢٩/٨) برقم ٧١٦٦.

* عن ابن جريج قال: (لما نزلت هذه الآية قال رجال من المنافقين بعضهم لبعض: إن هذا يزعم أن أمر الله أتى فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى تنظروا ما هو كائن، فلما رأوا أنه لا ينزل شيء قالوا: ما نراه نزل شيء فنزلت ﴿! " # \$ % & '﴾ الأنبياء: ١، فقالوا: إن هذا يزعم مثلها أيضاً، فلما رأوا أنه لا ينزل شيء قالوا: ما نراه نزل شيء فنزلت ﴿Z YX WV U \] ^ _ ` a b c d e f g h i j k﴾ هود: ٨(١).

* أن مجيء "أمر الله" بمعنى عذابه للكافرين في الدنيا له نظائر في القرآن، منها:
- قوله تعالى في الإخبار عن إهلاك قوم نوح: ﴿H G F E D C B A U T S R Q P O N M L K J I﴾ هود: ٤٠.

- وقوله في الإخبار عن إهلاك قوم لوط: ﴿! " # \$ % &﴾ هود: ٨٢.

* أن استعجال الكفار للعذاب له نظائر في القرآن، منها:

﴿! "﴾ الحج: ٤٧.

﴿! "﴾ وقالوا ربنا مجلّ قطننا ﴿يوم الحساب﴾ ص: ١٦.

القول الثاني - المراد بـ "أمر الله": يوم القيامة (٢).

هذا القول مروى عن مقاتل (٣) والكلبي (٤).

(١) أخرجه الطبري (١٧ / ١٦٢) وإسناده معضل، لأن ابن جريج لم يدرك نزول الآية. انظر: مرويات ابن جريج في التفسير (١١٥٩ / ٤).

(٢) على هذا القول يكون الفعل (أتى) مجازاً بمعنى قرب أو بمعنى يأتي، فهو ماضٍ لفظاً مستقبلي معنى، وإنما أبرز في صورة ما وقع وانقضى تحقيقاً له ولصدق المخبر به. انظر: إعراب القرآن للنحاس ص ٤٩٦.

(٣) انظر: تفسير مقاتل (٢ / ٢١١).

(٤) قاله البغوي انظر: معالم التنزيل (٤ / ٧).

وقال به: ابن قتيبة والبغوي والحازن وأبو حيان وابن كثير والسمرقندي والقاسمي (١).

وُنسبَ إلى جمهور المفسرين (٢).

واحتج أصحاب هذا القول بما يلي:

* حكاية القرآن عن كفار قريش أنهم يستعجلون مجيء يوم القيامة، كقوله تعالى:

﴿N ML K J I H GF E DC BA ﴾

الشورى: ١٨.

* أن لهذا المعنى نظائر في القرآن الكريم، منها:

§ قوله تعالى: ﴿ ! " # \$ % & ' الأنبياء: ١. ﴾

§ وقوله: ﴿ , - . / O 1 الأحزاب: ٦٣. ﴾

§ وقوله: ﴿ a b c d e f g h i النجم: ٥٧-٥٨. ﴾

§ وقوله: ﴿ | } ~ الْقَمَرُ القمر: ١. ﴾

* أن العرب تعبر بالماضي عن المستقبل تنبيهاً على تحقق الوقوع (٣).

* أن "أتى" هنا بمعنى قَرَّبَ.

وعَلَّقَ ابن عطية على هذا الاحتجاج بقوله:

(وإنما يجوز الكلام بهذا عندي لمن يعلم قرينة التأكيد ويفهم المجاز، وأما إن كان

المخاطب لا يفهم القرينة فلا يجوز وضع الماضي موضع المستقبل، لأن ذلك يفسد الخبر

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن ص ٢٩٥، معالم التنزيل (٤ / ٧) لباب التأويل (٤ / ١٦٢) البحر المحيط (٧ / ٢١٣)

تفسير القرآن العظيم (٤ / ٥٥٥) بحر العلوم (٢ / ٤٥٦) محاسن التأويل (١٠ / ٣٧٧٧).

(٢) نسبه إليهم ابن عطية وأبو حيان، انظر: المحرر الوجيز (٤ / ١٤٨) البحر المحيط (٧ / ٢١٣).

(٣) انظر: قواعد التفسير (٢ / ٢٩٢).

ويوجب الكذب(١).

القول الثالث- المراد ب" أمر الله ": وعيده وتهديده للمشركين وإعلامهم بقرب العذاب.

وهذا القول قال به الزمخشري(٢)، واختاره الطبري(٣) والشنقيطي(٤).

واحتج أصحاب هذا القول بما يلي:

* أنه عقب ذلك بقوله سبحانه وتعالى ﴿ فَذَلِّ عَلَىٰ تَقْرِيعِهِ الْمَشْرِكِينَ وَوَعِيدِهِ لَهُمْ. ﴾

* أن قوله ﴿ [رد على القائلين ﴿ عَجَلًا قَطْنَا ﴾ ص: ١٦، أو على مستبطني

النصر من المؤمنين القائلين ﴿ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ ﴾ ﴿ الرِّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصَرَ اللَّهُ ﴾ البقرة: ٢١٤.

القول الرابع- المراد ب" أمر الله ": فرائضه وأحكامه أو القرآن.

وهذا القول مروى عن الضحاك.

و وصف النحاس قول من قال: إن المراد به (القرآن)، بأنه أحسن ما قيل في الآية(٥).

إلا أن ثلثة من المفسرين تعقبت هذا القول بالاستبعاد والتضعيف:

- فقال ابن عطية: (ويضعفه قوله ﴿ [﴿ فإنا لا نعرف استعجالاً إلا ثلاثة:

اثنان منها للكفار وهي في القيامة وفي العذاب، والثالث للمؤمنين في النصر وظهور الإسلام(٦).

(١) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ١٤٨).

(٢) انظر: الكشاف (٣/ ٣٣٠).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٦٣).

(٤) أضواء البيان (٢/ ٣٢٧).

(٥) انظر: إعراب القرآن للنحاس ص ٤٩٦

(٦) المحرر الوجيز (٤/ ١٤٨).

- و قال أبو حيان: (وهذا فيه بعد؛ لأنه لم ينقل أن أحداً من الصحابة استعجل فرائض من قبل أن تفرض عليهم) (١).

- و وصفه ابن كثير بأنه (قولٌ عجيب) (٢).

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض أقوال المفسرين ما يلي:

* أن الأقوال الثلاثة الأولى متقاربة المعنى، وليس بينها تضاد، وهي من باب التمثيل، لأن (عذاب الله للكافرين ونصره للمؤمنين، يوم القيامة، وعيد المشركين) هي مما أخبر الله بوقوعه.

* أن القول الرابع لم يُحتج له، وهو بعيد المعنى.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو (أن المراد بـ "أمر الله": عقابه الدنيوي للمكذبين من القتل ونصر المؤمنين واستيلائهم عليهم، وعذابه الأخروي بما سيكون لهم يوم القيامة).

و هذا المعنى قال به جمع من المفسرين، منهم: الرازي والألوسي والبيضاوي وأبو السعود وغيرهم (٣).

يشهد بصحة هذا:

القواعد الترجيحية التي قررت أن:

§ غالب ما نقل عن السلف من الاختلاف في التفسير فهو من باب التنوع (٤).

(١) البحر المحيط (٧/٢١٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/٥٥٥).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب (٩/٣٤٠) روح المعاني (١٠/٨٧) أنوار التنزيل (٣/٣٢١) إرشاد العقل السليم (٤/٩٦).

(٤) قواعد التفسير (٢/٢٠٨).

§ إذا ورد أكثر من تفسير لغوي صحيح تحتمله الآية بلا تضاد جاز تفسير الآية بها (١).
- قال الآمدي رحمه الله: (الجمع بين المقصودين أولى من العمل بأحدهما وتعطيل الآخر) (٢).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمه الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمه الله وهو (أن المراد بـ"أمر الله": هو عذاب الله وعقابه للمشركين، ونصر المؤمنين عليهم) هو نوع وتمثيل لأحد المعاني التي تحتملها الآية.
والله تعالى أعلم بالصواب

(١) التفسير اللغوي للقرآن الكريم ص ٥٩١

(٢) الإحكام في أصول القرآن (١/ ٢١٨).

قَالَ تَعَالَى: ﴿c d e f g h i j k l m n o p q

﴿u t s r

في هذه الآية مسألة واحدة.

﴿المراد بـ«الروح»﴾.

يقول القرطبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ("بِالرُّوحِ" أي بالوحي وهو النبوة، قاله ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا^(١)). نظيره ﴿يُلْقَى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ غافر: ١٥. الربيع بن أنس: بكلام الله وهو القرآن^(٢). وقيل: هو بيان الحق الذي يجب اتباعه. وقيل: أرواح الخلق، قاله مجاهد^(٣)، لا ينزل ملك إلا ومعه روح. وكذا روي عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا^(٤) أن الروح خلق من خلق الله عز وجل كصور ابن آدم لا ينزل من السماء ملك إلا ومعه واحد منهم. وقيل بالرحمة، قاله الحسن وقتادة^(٥). وقيل: بالهداية لأنها تحيا بها القلوب كما تحيا بالأرواح الأبدان، وهو معنى قول الزجاج. قال الزجاج: الروح ما كان فيه من أمر الله حياة بالإرشاد إلى أمره^(٦). وقال أبو عبيدة: الروح هنا جبريل^(٧)^(٨).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرىض.

﴿ في المراد بـ"الروح" في هذه الآية أربعة أقوال:

- (١) انظر: تفسير الطبري (١٦٥ / ١٧) تفسير ابن أبي حاتم (٢٢٧٦/٧) الدر المشور (٨/٩).
- (٢) انظر: تفسير الطبري (١٦٥ / ١٧) تفسير ابن أبي حاتم (٢٢٧٦/٧) الدر المشور (٩/٩).
- (٣) انظر: تفسير الطبري (١٦٥ / ١٧) وتفسير ابن أبي حاتم (٢٢٧٦/٧) الدر المشور (٨/٩).
- (٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢٢٧٦/٧).
- (٥) انظر: تفسير عبد الرزاق (٣٧٣/١) تفسير الطبري (١٦٧/١٧) تفسير ابن أبي حاتم (٢٢٧٦/٧) الدر المشور (٩/٩).
- (٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١٩٠/٣).
- (٧) ذكر القرطبي ذلك، ولم أجده في كتب أبي عبيدة معمر بن المثنى.
- (٨) تفسير القرطبي (٢٦٩/١٢).

القول الأول - إن المراد بـ "الروح" : الوحي (١).

وهو ما رجحه القرطبي، ووافقه أبو جعفر النحاس (٢) والفخر الرازي (٣) والشنقيطي (٤).

وهذا القول مروى عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا والربيع بن أنس الضحاك (٥) ومقاتل (٦).

وقال به: الزجاج والثعلبي والبغوي وابن كثير وابن عادل والألوسي والشوكاني وابن عاشور (٧) رحمهم الله جميعاً.

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أنه تعالى قال: ﴿ g f e d c ﴾ ثم فسّر هذا الروح المنزل بقوله:

﴿ n m ﴾ لأن الإنذار إنما يكون بالوحي، بدليل قوله: ﴿ ! " # \$ ﴾

الأنبياء: ٤٥.

- قال أبو حيان في موقع " أن ": (وهو بدل من الروح) (٨).

- وقال الشيخ محيي الدين درويش: (ولك أن تجعل أن مفسرة لأن الروح بمعنى

(١) وردت أقاويل عن السلف في تعيين المراد بالروح وغالبها يرجع إلى الوحي، ومن أقاويلهم: (أنه كلام الله، أنه الحق الذي يجب اتباعه، أنه أمر الله، أنه الهداية) ومن المفسرين من عدّها أقوالاً متباينة في مراد الآية، والحق أنها ترجع إلى القول الأول ولهذا فإني ضممتها فيه ولم أفردّها بالذكر.

(٢) انظر: معاني القرآن (٥١/٤).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب (٣٤٢/٩).

(٤) انظر: أضواء البيان (٣٢٨/٢).

(٥) انظر: تفسير الضحاك ٥١٣، تفسير ابن أبي حاتم (٢٢٧٦/٧) الدر المنثور (٨/٩).

(٦) انظر: تفسير مقاتل (٢١١/٢).

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١٩٠/٣) الكشف والبيان (٦/٦) معالم التنزيل (٨/٤) تفسير القرآن العظيم

(٤/٥٥٦) اللباب (٧٥/١٠) روح المعاني (٩١/١٠) فتح القدير (٢٠٠/٤) التحرير والتنوير (٩٨/١٤).

(٨) البحر المحيط (٧/٢١٤).

الوحي(١).

* مجيء " الروح " بمعنى الوحي، ومن ذلك:

- قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَنْبِئُوا النَّاسَ بِالْحَقِّ وَلا يَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ الَّذِي كَفَرَ عَنَّا إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ الشورى: ٥٢.

قال الطبري: (كذلك أوحينا إليك يا محمد هذا القرآن، وحيًا ورحمةً من أمرنا)(٢).

- وقوله تعالى: ﴿يَلْقَى الرَّوْحَ مِنْ أَهْلِ السَّمَوَاتِ مِنْ عِبَادِهِ﴾ غافر: ١٥، ثم بين غاية إلقاء الروح بقوله: ﴿لِنُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ غافر: ١٥ لأن الإندار إنما يكون بالوحي أيضاً.

* أن الله تعالى أطلق لفظ الروح على جبريل عليه السلام في قوله: ﴿جِبْرِيلُ﴾

الشعراء: ١٩٣، وعلى عيسى عليه السلام في قوله: ﴿عِيسَى﴾

النساء: ١٧١، وإنما حُسن هذا

الإطلاق لأنه حصل بسبب وجودهما حياة القلب وهي الهداية، فلما حسن إطلاق اسم الروح عليهما لهذا المعنى، فلأن يحسن إطلاق لفظ الروح على الوحي والتنزيل فإنه أولى.

* أن إطلاق اسم الروح على الوحي على وجه الاستعارة لأن الوحي به حياة الأرواح، كما أن الغذاء به حياة الأجسام.

القول الثاني - إن المراد بـ " الروح " : أرواح الخلق.

وهذا القول مروى عن مجاهد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

- قال الثعالبي: (والله أعلم بحقيقة ذلك، وهذا أمر لا يقال بالرأي، فإن صح فيه شيء

عن النبي ^٨ وجب الوقوف عنده)(٣).

(١) إعراب القرآن وبيانه (٥ / ٢٧١).

(٢) تفسير الطبري (٢١ / ٥٥٩).

(٣) الجواهر الحسان (٢ / ٣٣٠).

القول الثالث- إن المراد بـ "الروح" : جبريل عليه السلام.

وهو قول أبي عبيدة، وقال به أبو حيان رحمته الله، وزعم أنه قول الجمهور^(١).

القول الرابع- إن المراد بـ "الروح" : الرحمة.

وهو مروى عن قتادة.

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية :

يتبين لنا من عرض أقوال المفسرين الآتي:

§ أن سبب الاختلاف بين الأقوال هو أن لفظ (الوحي) ذو وجوه^(٢) عدة، فكُل فسر

الآية بالوجه الذي يراه الأوفق بسياقها.

§ أن أكثر السلف والمفسرين على القول الأول.

§ أن القول الأول هو أقوى الأقوال حجة.

§ أن القول الثاني لا يناسبه سياق الآية، إذ أن قوله تعالى ﴿m n o p q r

﴾ لا مناسبة فيه مع الإخبار عن إنزال الملائكة بأرواح الخلق.

§ بالرجوع إلى المصنفات في (الوجوه والنظائر) نجد أن (الروح) في القرآن له وجوه

عدة^(٣)، هي:

- الحياة في الأحياء ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ

إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الإسراء: ٨٥

- جبريل عليه السلام ﴿ T S R ﴾ مريم: ١٧.

(١) انظر: البحر المحيط (٧/ ٢١٤).

(٢) الوجوه: جمع وجه، والوجه: اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معانٍ. مثل: الأمة. انظر: البرهان في علوم القرآن (١/ ١٠٢).

(٣) انظر: تحصيل نظائر القرآن للحكيم الترمذي ص ١٤١، الوجوه والنظائر للدماغاني ص ٢٢٩، نزهة الأعين النواظر ص ٣٢٢.

- الوحي ﴿ & % \$ # " ! ﴾ الشورى: ٥٢.

- الرحمة ﴿ > = < ﴾ المجادلة: ٢٢.

فإذا وقع لفظ (الروح) في الآية فإنه يحمل على الوجه الذي يناسب سياق الكلام المتصل به، وعلى هذا فإن أنسب ما يُحمل عليه لفظ " الروح " في هذه الآية هو أن يكون بمعنى الوحي؛ لأنه ذكر بعد إنزال الروح الأمر بالتبليغ والإنذار: ﴿ n m ﴾ والإنذار إنما يكون بالوحي.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو (أن المراد بـ " الروح " هو: الوحي).

يقوي هذا الترجيح القواعد الآتية:

* أن الكلمة إذا احتملت وجوهاً لم يكن لأحد صرف معناها إلى بعض وجوها دون بعض إلا بحجة (١).

* إذا كان للاسم الواحد معان عدة حمل في كل موضع على ما يقتضيه ذلك السياق (٢).

* أن القول الذي تؤيده آيات في القرآن مقدم على ما عدم ذلك (٣).

* أنه قول الجمهور.

- قال أبو حامد الغزالي (٤): (يجب الترجيح بقول الأعلم والأكثر قياساً لكثرة القائلين

(١) قاله الطبري في تفسيره (٣١٥/١).

(٢) قواعد التفسير (٤٢٢/٢).

(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين (٣١٢/١).

(٤) محمد بن محمد بن محمد الغزالي، أبو حامد، حجة الإسلام: فيلسوف متصوف، له نحو مائتي مصنف. مولده

ووفاته بخراسان، رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، ثم عاد إلى بلده. نسبته إلى

صناعة الغزل - عند من يقوله بتشديد الزاي - أو إلى غزالة - من قرى طوس - لمن قال بالتخفيف. من كتبه:

(إحياء علوم الدين) أربع مجلدات، و(تهافت الفلاسفة) و(معارج القدس في أحوال النفس) و(الوقف

== ترجيحات القرطبي في التفسير من سورة الحجر إلى آية (٨٠) من سورة النحل == ٣٠٥ -

على كثرة الرواة وكثرة الأشباه، وإنما يجب ترجيح الأعم؛ لأن زيادة عمله تقوي اجتهاده وتبعده عن الإهمال والتقصير والخطأ^(١).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو: (أن المراد بـ "الروح" هو: الوحي) صحيح - من وجهة نظري - لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، ولما أوردته من قواعد تؤيد القول الراجح.

والله تعالى أعلم بالصواب

والابتداء) في التفسير، و(الولدية) رسالة أكثر فيها من قوله: أيها الولد، وغيرها. ت: ٥٥٠٥. انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١/٢٩٣) الأعلام (٧/٢٢).
(١) المستصفي في علم الأصول (١/٤٣٠).

== ترجيحات القرطبي في التفسير من سورة الحجر إلى آية (٨٠) من سورة النحل == ٣٠٧ -

الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ ﴿٥﴾ ﴿٦﴾ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ
وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ ﴿٦﴾ تَرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ !
1 0 / . - , *) (' & % \$ # "
@ ? > = < ; : 9 8 7 6 4 3 2
R Q P O M L K J I H G F E D C B A
^] \ [Z Y X W V U T S
_ h g f e d c b a النحل: ١١.٣ إلى آخر الآيات.

القول الثالث- إن المراد بـ "الحق": الحكمة والعدل.

فيكون المعنى: خلق السموات والأرض لحكمة وأمر جليل لا للعبث.

وهو مروى عن مقاتل^(١)، وقال بهذا القول الطبري وابن كثير وابن عاشور، ورجحه مكّي بن أبي طالب^(٢).

واستدل أصحاب هذا القول بالنظائر القرآنية، ومنها:

* قوله تعالى: ﴿T S R Q P O N﴾ الأنبياء: ١٦.

* وقوله: ﴿! " # % \$ & '﴾ ص: ٢٧.

* وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْبٍ﴾ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ

وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا ﴿à﴾ الدخان: ٣٨-٣٩.

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض الأقوال السابقة ما يلي:

§ أنه لم يُنقل عن السلف تفسير للمراد بـ (الحق) سوى قول مقاتل.

(١) انظر: تفسير مقاتل (٢/ ٢١٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٦٧) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٥٦) التحرير والتنوير (١٤/ ١٠١) الهداية (٦/ ٣٩٥٠).

§ أن لفظ (الحق) له وجوه كثيرة في القرآن تربو على الخمسة عشر وجهاً، وقد يكون بين هذه الوجوه من التقارب ما يجعل السياق يحتمل أكثر من وجه لتفسير الآية.

§ أن للقولين الثاني والثالث من الأدلة والحجج ما يدعمهما ويبررهما، أما القول الأول فلم يستند إلى دليل، أضف إلى ذلك أن كتب الوجوه والنظائر لم تذكر هذا المعنى ل(الحق).

§ أنه يمكن الجمع بين القولين الأخيرين، فيكون المراد بالحق: قدرة الله الدالة على حكمته وعدله.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو: أن المراد ب(الحق): بقدرة الله الدالة على ألوهيته وحكمته وعدله.

يشهد بصحة هذا:

* قواعد الترجيح التي نصت على الآتي:

§ إذا كان للاسم الواحد معانٍ عدة حمل في كل موضع على ما يقتضيه ذلك السياق^(١).

§ الجمع بين المعنيين أولى ومن العمل بأحدهما وتعطيل الآخر^(٢).

- قال الزرقاني رحمته الله: (ما دام في الإمكان حمل كلام الشارع على معنى سليم فالنظر قاض بوجوبه؛ انتفاعاً بها ورد عن الحكيم العليم، وتنزيهاً له عن أن يجري مجرى العجوز العقيم)^(٣).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن المراد بالحق: الزوال والفناء) فيه بُعد وضعف، هذا ما ظهر لي من خلال مناقشة الأقوال والنظر فيها.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) قواعد التفسير (٢/٤٢٢).

(٢) انظر: الإحكام (١/٢١٨).

(٣) مناهل العرفان (٢/٢٨٩).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ (٤)

في هذه الآية مسألة واحدة، هي:

المُرَادُ بِ«الْإِنْسَانِ».

يقول القرطبي رحمته الله: ("الإنسان" اسم للجنس. وروي أن المراد به أبي بن خلف الجمحي^(١) جاء إلى النبي [^] بعظم رميم فقال: أترى يُحيي الله هذا بعد ما قد رُم؟ وفي هذا أيضاً نزل: ﴿ [Z Y X] \ [^ _ ` a b] ﴾ يس: (٧٧) (٢).

Ø في تعيين المراد بـ "الإنسان" قولان:

القول الأول - إن المراد بـ "الإنسان" في هذه الآية: اسم جنس يشمل كل إنسان^(٣).

وهذا ما رجحه القرطبي رحمته الله، موافقاً لابن عطية والفخر الرازي، ووافقه أبو حيان والخازن^(٤) رحمهم الله.

وهو قول الطبري وابن كثير والألوسي والشوكاني والشنقيطي وابن عاشور والسمرقندي وأبي السعود^(٥) رحمهم الله. واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

(١) أبي بن خلف بن وهب الجمحي، من بني لؤي: أحد جبابرة قريش في الجاهلية، ومن ساداتهم. أدرك الإسلام ولم يسلم. بل كان يعذب ضعفاء المسلمين، قتله رسول الله - [^] - يوم أحد، حيث ابتدر أبي النبي [^] بحربة، فأخذها وقتله بها، وكان ذلك سنة ٢ هـ. انظر: الكامل في التاريخ (٢/ ٤٥).

(٢) تفسير القرطبي (١٢/ ٢٧٠).

(٣) ولكن القائلين بهذا القول مختلفون في سياق الآية: هل هو في معرض المدح للإنسان أم في معرض الذم؟ على قولين، ولكل قول أدلته.

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ١٥٠) مفاتيح الغيب (٩/ ٣٤٩) انظر: البحر المحيط (٧/ ٢١٥) لباب التأويل (٤/ ١٦٣).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٦٧) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٥٦) روح المعاني (١٠/ ٩٧) فتح القدير (٤/ ٢٠١) أضواء البيان (٢/ ٣٣١) التحرير والتنوير (١٤/ ١٠٢) بحر العلوم (٢/ ٤٥٧) إرشاد العقل السليم (٤/ ٩٨).

* أن لفظ " الإنسان " عام لأنه معرّف بآل، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (١).

* أن سياق الآيات في الإخبار عن قدرة الله في الإنسان وفي الكون، فالأوفق أن يكون لفظ " الإنسان " عامًا، غير خاصٍ بذات معينة.

القول الثاني - إن المراد بـ " الإنسان " في هذه الآية: أبيّ بن خلف الجمحي.

و على هذا فيكون لفظ " الإنسان " من العام الذي أريد به الخصوص.
وهذا القول مروى عن مقاتل (٢)، وقال به: الواحدي (٣).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن هذه الآية نزلت في أبي بن خلف كما جاء في كتب أسباب النزول (٤).

* أن سورة النحل مكية، وأبيّ بن خلف من مشركي مكة.

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض القولين السابقين الآتي:

§ أن كلا القولين لم يأت فيهما رواية عن السلف، سوى ما قاله مقاتل.

§ أن جميع المفسرين على القول الأول، لم ينفرد عنهم سوى الواحدي.

§ أن معنى الآية عام يصدق على أبيّ بن خلف وغيره.

- قال القونوي (٥) **بِحَوْلِ اللَّهِ**: (لا يلزم تخصيص الآية بذلك القائل، وخصوص سبب

(١) انظر: الإتيان (٤٢/٢).

(٢) انظر: تفسير مقاتل (٢١٢/٢).

(٣) انظر: الوجيز (٤١٤/١).

(٤) انظر مثلا أسباب النزول للواحدي ص ٢٧٨

(٥) القونوي: إسماعيل بن محمد بن مصطفى، أبو المفدى، القونوي: مفسر، من فقهاء الحنفية. مولده بقونية، ووفاته بدمشق. أشهر كتبه: حاشية على تفسير البيضاوي، في سبع مجلدات. ت: ١١٩٥ هـ. انظر: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر (٢٥٨/١) الأعلام (٣٢٥/١).

النزول لا ينافي العموم(١).

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو أن المراد بـ "الإنسان" في هذه الآية: اسم جنس يعم كل إنسان.

يشهد بصحة هذا القاعدة الترجيحية التي تنص على:

* أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب(٢).

أما حادثة أبي بن خلف ونزول الآية فيه فتدخل في معنى الآية.

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو: (أن المراد بالإنسان في هذه الآية:

اسم جنس) صحيح.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) انظر: حاشية القونوي (٢١٦/١١).

(٢) قواعد الترجيح (١٨١/٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾

٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١
(') * , - . / O ﴿

في هذه الآيات ثلاث مسائل.

🏠 **المسألة الأولى - المراد بـ ﴿دِفْءٌ﴾ (١):**

يقول القرطبي رحمته الله: (قوله تعالى: " دِفْءٌ " الدفء: السخانة، وهو ما استدفع به من أصوافها وأوبارها وأشعارها، ملابس وحُفٍ وقُطْفٍ (٢). وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: دفؤها نسلها (٣)، والله أعلم (٤).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرير.

Ø في المراد بالدفء قولان:

القول الأول - المراد بالدفء: ما استدفع به من أصوافها وأوبارها وأشعارها، وما صنع

منه من ملابس وحف وغيرها.

وهذا ما رجحه القرطبي، موافقاً أباً جعفر النحاس وابن عطية، ووافقته الثعالبي

والألوسي والشنقيطي (٥).

(١) قال أبو السعود (وتقديم الدفء على المنافع لرعاية أسلوب الترقى إلى الأعلى) وقال ابن عاشور: (وعطف

"منافع" على "دفء" من عطف العام على الخاص لأن أمر الدفء قلما تستحضره الخواطر) إرشاد العقل

السليم (٩٨ / ٤) التحرير والتنوير (١٠٥ / ١٤).

(٢) جمع قطيفة، وهي دثار مخمل. انظر: الصحاح (١٤١٧ / ٤).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره. انظر: (١٦٨ / ١٧).

(٤) تفسير القرطبي (٢٧١ / ١٢).

(٥) انظر: معاني القرآن (٥٤ / ٤) المحرر الوجيز (١٥١ / ٤) الجواهر الحسان (٣٣١ / ٢) روح المعاني (٩٩ / ١٠)

أضواء البيان (٣٣٢ / ٢).

وهو مروى عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (١) ومجاهد (٢) وقتادة (٣) وابن زيد (٤) ومقاتل (٥).

وقال به جمهور المفسرين ومنهم: الطبري ومكي بن أبي طالب والزخشري والبغوي والفخر الرازي وأبو حيان وابن عاشور (٦).

ومن اللغويين: الفراء وأبو عبيدة وابن قتيبة والزجاج والراغب الأصفهاني (٧).
واستدلوا بما يلي:

* أن الدفء عند أهل اللغة ضد البرد، وهو اسم لما يستدفأ به من الأكسية.

- قال صاحب بن عباد: (الدَّفء: ضد حدة البرد) (٨).

- وقال ابن فارس: (الذال والفاء والهمزة أصل واحد يدلُّ على خلاف البرد) (٩).

* أن لهذا المعنى نظائر في القرآن، منها:

- قوله تعالى: ﴿...﴾ (') * + , - . / ○

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ : النحل: ٨٠، فيبين أن مما

يستفاد من الأنعام أصوافها وأوبارها وأشعارها، وهذه المواد هي ما يستدفئ بها الناس.

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦٨ / ١٧) تفسير ابن أبي حاتم (٢٢٧٧ / ٧) الدر المنثور (٤ / ٤٠٥).

(٢) انظر: تفسير مجاهد ١٣١، تفسير الطبري (١٦٨ / ١٧).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٦٨ / ١٧).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٦٨ / ١٧).

(٥) انظر: تفسير مقاتل (٢ / ٢١٢).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٦٨ / ١٧) الهداية (٦ / ٣٩٥١) الكشف (٣ / ٣٣٣) معالم التنزيل (٥ / ٩) مفاتيح

الغيب (٣ / ٣٣٣) البحر المحيط (٧ / ٢١٦) التحرير والتنوير (١٤ / ١٠٤).

(٧) انظر: معاني القرآن (٢ / ٩٦) مجاز القرآن ٣٥٦ غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٤٤، معاني القرآن وإعرابه

(٣ / ١٩٠) مفردات غريب القرآن ص ١٧٠.

(٨) المحيط في اللغة (٢ / ٣٦٢).

(٩) معجم مقاييس اللغة (٢ / ٢٨٧).

القول الثاني - المراد بالدفء: النسل والتناج.

وهذا القول مروى عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

واحتج لهذا القول بما يلي:

* حديثٌ وفد همدان، وفيه أن رسول الله ^٨ كتب لهم: «لنا من دِفْتِهِمْ وِصْرًا مِهِمْ» (١)
ما سلّموا بالميثاق» (٢).

- قال ابن قتيبة: (قوله: «لنا من دِفْتِهِمْ» يعني من إبلهم وشائهم، وسميت دفناً لما يُتخذ من أوبارها وأصوافها من الأكسية والبيوت وغير ذلك مما يُستدفاً به) (٣).

* أن هذا المعنى معروف عند العرب:

- قال ابن سيده: (والدفء: نتاج الإبل وألبانها والانتفاع بها، وهو قول الله عز وجل

﴿لَكُمْ فِيهَا دِفٌّ﴾ (٤).

- و أورد كلاً من: الصاحب بن عباد والجوهري وابن فارس وغيرهم هذا القول
معنىً ثانٍ من معاني لفظ " دفء " في اللغة (٥).

ولكن هذا القول تُعقب من وجهين:

الأول - أن هذا المعنى الذي قال به ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وحده يحتمل أن يكون قاله

تفسيراً لـ " منافع " لا لـ " دفء "؛ فالرواية التي أخرجها الطبري يقول فيها: (عن ابن عباس:

﴿لَكُمْ فِيهَا دِفٌّ وَمَنْفَعٌ﴾ قال: نسل كل دابة (٦)، ويتقوى هذا الاحتمال بمجيء

(١) الصرام: قطع الثمرة واجتناؤها، والمراد هنا النخل. انظر: الفائق في غريب الحديث (٤٥١/١).

(٢) أورده ابن قتيبة في غريب الحديث (٥٤٨/١) وابن الأثير في النهاية (٢٨٧/٢) والزنجشري في الفائق (٤٥٢/١).

(٣) غريب الحديث (٥٥٣/١).

(٤) المخصص (١١٨/٢).

(٥) انظر: المحيط في اللغة (٣٦٢/٢) الصحاح (٥٥/٢) معجم مقاييس اللغة (٢٨٧/٢).

(٦) تفسير الطبري (١٦٨/١٧).

رواية أخرى عنه فسّر فيها الدفء بالثياب وفسّر المنافع بما يُتّفع به من الأطعمة والأشربة (١).

- قال أبو جعفر النحاس: (وأحسب مذهب ابن عباس أن المنافع النسل لا الدفء) (٢).

الثاني - أن النسل والتّاج أدخل في المنافع منه في الدفء.

- قال الشنقيطي: (والنسل داخل في قوله "منافع" أي: من نسلها ودّرّها) (٣).

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض القولين السابقين وأدلتها ما يلي:

§ أن السلف وجمهور المفسرين على القول الأول.

§ أن القول الثاني انفرد به ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا من بين السلف وجمهور المفسرين، وهو قول يُضعّف عند جمع الروايات عنه لتطرق الاحتمال إليها، ومعلوم أن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال.

§ أن المعنى الثاني معروف في لغة العرب، محفوظ عنهم، إلا أنه بعيد عن ظاهر الكلام غير مألوف عند الإطلاق، إلا إذا دلّ سياق الكلام عليه، والسياق هنا لا يدل عليه (٤).

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو أن المراد بـ "دفء" (ما يستدفئ به من أصواف الأنعام وأوبارها وأشعارها).

يشهد بصحة هذا:

* قواعد الترجيح التي تنص على أن:

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧ / ١٦٨).

(٢) انظر: معاني القرآن (٤ / ٥٤) تفسير عبد الرزاق (١ / ٣٥٣).

(٣) أضواء البيان (٢ / ٣٣٢).

(٤) لفظ (الدفء) إذا أطلق لا ينصرف الذهن إلا إلى ما هو ضد البرد.

- التفسير المجمع عليه أولى بتفسير القرآن^(١).
- في تفسير القرآن بمقتضى اللغة يُراعى المعنى الأغلب والأشهر والأفصح دون الشاذ أو القليل^(٢).
- ليس كل ما ثبت في اللغة صح حمل آيات التنزيل عليه^(٣).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو: (أن المراد بالدفء: ما استدفع به من أصوافها وأوبارها وأشعارها، وما صنع منه من ملابس ولحف وغيرها) صحيح - في نظري - لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، ولقواعد الترجيح الداعمة لهذا الاختيار.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) انظر: تفسير الطبري (١/ ٢٨٩).

(٢) انظر: قواعد التفسير (١/ ٢١٢).

(٣) انظر: قواعد الترجيح (٢/ ١٩).

المسألة الثانية: المراد بـ ﴿أثقالكم﴾.

يقول القرطبي رحمته الله: (الأثقال: أثقال الناس من متاع وطعام وغيره، وهو ما يثقل الإنسان حمله. وقيل: المراد أبدانهم، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ > ? @ A ﴾ (الزلزلة: ٢) (١).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرير.

Ø في المراد بـ "أثقالكم" قولان:

القول الأول- "أثقالكم": ما يثقل الإنسان حمله من الأمتعة ونحوها (٢).

فيكون المعنى: وتحمل أمتعتكم والأحمال المثقلة التي تعجزون عن نقلها وحملها. وهو ما رجحه القرطبي رحمته الله، وقال به: البغوي والزنجشري وابن عطية والفخر الرازي وأبو حيان وابن كثير والألوسي والشوكاني وابن عاشور والسيوطي وأبو السعود (٣).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن الأثقال في اللغة جمع ثقل، وهو ما يثقل الإنسان حمله من متاع ونحوه.

- قال الخليل بن أحمد: (الثقل: متاع المسافر وحشمه) (٤).

- وقال ابن دريد: (والثقل: متاع القوم وما حملوه على دوابهم، والجمع أثقال) (٥).

(١) تفسير القرطبي (١٢/٢٧٥).

(٢) يقول ابن العربي (فيه جواز السفر بالدواب عليها الأثقال الثقال، ولكن على قدر ما تحتمله من غير إسراف في الحمل) أحكام القرآن (٣/١٢١).

(٣) انظر: معالم التنزيل (٥/٩) الكشف (٣/٣٣٥) المحرر الوجيز (٤/١٥١) مفاتيح الغيب (٩/٣٥١) البحر المحيط (٧/٢١٧) تفسير القرآن العظيم (٤/٥٥٧) روح المعاني (١٠/١٠٢) فتح القدير (٤/٢٠٢) التحرير والتنوير (١٤/١٠٦) تفسير الجلالين (٤/٤٠٧) إرشاد العقل السليم (٤/٩٩).

(٤) العين (٥/١٣٦).

(٥) جمهرة اللغة (١/٢٠٦).

القول الثاني- " أثقالكم " : أبدانكم.

فيكون المعنى: وتحملكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس.
و لم يُرو هذا القول عن أحد من السلف، ولم يقل به أحد من المفسرين، إنما ورد في كتبهم على سبيل الحكاية، واحتجوا له بما يلي:

* عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: ﴿ > ? @ ﴾: الموتى (١).

* أن لهذا القول نظيراً في القرآن هو قوله تعالى: ﴿ > ? @ ﴾ الزلزلة: ٢.

* أن الأثقال في اللغة بمعنى أجساد بني آدم مروى في كتب اللغة.

- قال ابن منظور: (قيل: معناه أخرجت موتاهم. قالوا: أثقالها أجساد بني آدم) (٢).

* أن تسمية الإنس والجن بالثقلين مأخوذ من هذا المعنى.

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض القولين السابقين وأدلتها ما يلي:

§ أنه لم يرد عن السلف تفسير للفظ " أثقالكم " .

§ أن كثيراً من المفسرين من أهل اللغة وغيرهم لم يشيروا إلى تعدد الأقوال في المراد بـ

أثقالكم .

§ أن إجماع المفسرين على القول الأول، أما القول الثاني فلم يقل به أحد منهم.

§ أنه لا تعارض بين القولين، لأن لفظ الثقل في اللغة ضد الخف، وهو يطلق على معانٍ

كثيرة منها:

• الثقل الحسي كقوله تعالى: ﴿ U XWV Y ﴾ الأعراف: ١٨٩ .

• و منها الثقل المعنوي كقوله تعالى: ﴿ وَيَحْمِلُ أثْقَالَهُمْ وَأثْقَالًا مَعَ أثْقَالِهِمْ ﴾

(١) تفسير الطبري (٢٤ / ٥٤٧).

(٢) لسان العرب (١١ / ٨٥).

العنكبوت: ١٣، أي: ذنوبهم (١).

- قال القاضي أبو محمد: (واللفظ يحتمل المعنيين) (٢).

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو: (أن المراد بأثقالكم: أبدانكم وما يثقل حمله من متاع ونحوه).

يؤيد ذلك قواعد ترجيحية نصت على أنه:

* إذا ورد أكثر من تفسير لغوي صحيح تحتمله الآية بلا تضاد جاز تفسير الآية بها (٣).

* الجمع بين المقصودين أولى من العمل بأحدهما وتعطيل الآخر (٤).

- قال الشنقيطي رحمته الله: (تقرر عند العلماء من أن الآية إن كانت تحتمل معاني كلها

صحيحة، تعين حملها على الجميع، كما حققه بأدلته الشيخ تقي الدين أبو العباس بن تيمية في رسالته في علوم القرآن) (٥).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو: (أن المراد بأثقالكم: ما يثقل الإنسان

حمله) صحيح - من وجهة نظري - لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، ولقواعد الترجيح التي تؤيد هذا الاختيار.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) انظر: زاد المسير (٣/٤٠١).

(٢) المحرر الوجيز (٤/١٥١).

(٣) انظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم ص ٥٩١

(٤) انظر: الإحكام للآمدي (١/٢١٨).

(٥) أضواء البيان (٢/٢٥٩).

المسألة الثالثة: المراد بـ «بلد».

يقول القرطبي رحمته الله: (والبلد مكة، في قول عكرمة^(١)). وقيل: هو محمول على العموم في كل بلد مسلكه على الظهر^(٢).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرير.

Ø في المراد بالبلد ثلاثة أقوال:

القول الأول- المراد بالبلد: مكة.

فيكون المعنى: وتحمل أثقالكم إلى مكة عند قدومكم للحج والعمرة، أو رجوع أهل مكة إليها من رحلة الشتاء والصيف.

وهذا القول رجحه القرطبي رحمته الله، وهو مروى عن ابن عباس رضي الله عنهما^(٣) وتبعه عكرمة وربيعة بن أنس^(٤)، أما المفسرون فلم يقل به أحد منهم.

و احتج لهذا القول بما يلي:

* أن الخطاب في الآية لأهل مكة.

* أن أهل مكة كانت حاجتهم تشتد إلى الحمولة عند القفول من متاجرهم، فكان حمل

الآية على أن البلد مكة أنسب.

* أن مكة من بلاد الفلوات^(٥)؛ فيكون الامتنان بتسخير الأنعام لإيصال الناس إليها

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧ / ١٧٠).

(٢) تفسير القرطبي (١٢ / ٢٧٥).

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧ / ٢٢٧٧) الدر المنثور (٩ / ١١) وأورده السيوطي أيضاً في مفحمت الأقران ص ٢٧.

(٤) نسبه إليه ابن عطية وعنه نقل المفسرون. انظر: المحرر الوجيز (٤ / ١٥١).

(٥) قاله الماوردي. انظر: النكت والعيون (٢ / ٣٦٥) والفلوات: جمع فلاة وهي الأرض القفر التي لا شيء فيها. انظر: لسان العرب (١٥ / ١٦١) مادة فلا، ووصفت مكة بأنها من بلاد الفلوات لأنها لا زرع بها ولا ماء، كقوله تعالى " رب إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم " (إبراهيم: ٣٧).

أبلغ.

القول الثاني- أن المراد بالبلد: كل بلد مسلكه على الظَّهر.

فيكون المعنى: وتحمل أثقالكم إلى بلاد بعيدة قد علمتم أنكم لا تبلغونها بأنفسكم إلا

بجهد ومشقة.

قال به: الطبري والبغوي والزمخشري وابن عطية والشوكاني وابن عاشور^(١).

واختاره ابن الجوزي ووافقه أبو حيان والألوسي وأبو السعود^(٢).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن لفظ " بلد " اسم جنس عام يتناول كل بلد بعيد.

* أن الخطاب في الآية عام، فدخول الكافة فيه أولى من تخصيصه ببعض المخاطبين.

القول الثالث- أن المراد بالبلد: الشام واليمن.

ووجه هذا القول: أن الخطاب في الآية لأهل مكة ومتاجر أهل مكة هي الشام واليمن.

وحكى هذا القول: الخازن في تفسيره^(٣).

وأورد المفسرون أقوالاً أخرى في تعيين المراد بالبلد في هذه الآية، فمن قائل إنه المدينة

ومن قائل إنه مصر، إلا أن هذه الأقوال لم تنسب إلى قائل.

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض أقوال المفسرين ما يلي:

§ أن سبب الاختلاف بين الأقوال هو التفسير بالمثل، وهي طريقة من طرق السلف

في التفسير؛ كانوا يفسرون اللفظ بذكر مثاله، على سبيل التمثيل لا التحديد والحصص، وهذا

ما يوجّه به قول ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧٠/١٧) معالم التنزيل (٩/٥) الكشاف (٣٣٥/٣) المحرر الوجيز (١٥١/٤) فتح

القدير (٢٠٢/٤) التحرير والتنوير (١٠٦/١٤).

(٢) انظر: زاد المسير (٨٢/٤) البحر المحيط (٢١٧/٧) روح المعاني (١٠٢/١٠) إرشاد العقل السليم (٩٩/٤).

(٣) انظر: لباب التأويل (٦٧/٣).

- قال ابن تيمية رحمته الله: (فكل قول فيه ذكر نوع داخل في الآية ذكر لتعريف المستمع بتناول الآية هو تنبيهه به على نظيره فان التعريف بالمثل قد يسهل أكثر من التعريف بالحد المطلق) (١).

- قال أبو حيان: (وينبغي حمل هذه الأقوال على التمثيل لا على المراد، إذ المنة لا تختص بالحمل إليها) (٢).

§ أن القولين الأول والثالث جاءت الرواية بهما عن السلف، أما القول الثالث فلم يُرو عنهم فيما وقفت عليه من مصنفات.

§ أن غالب المفسرين يقولون بالقول الثاني.

§ أن منشأ الخلاف بين الأقوال هو الاختلاف في تحديد الذين يتوجه لهم الخطاب في الآية.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو (أن المراد بالبلد: كل بلد بعيد لا يتوصل إليه إلا بجهد ومشقة).

يشهد بصحة هذا القاعدة الترجيحية الناطقة بأنه:

* يجب حمل نصوص الوحي على العموم، إلا ما دل عليه دليل بتخصيصه (٣).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن المراد بالبلد: مكة) جزء من القول الراجح، لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، ولقواعد الترجيح التي أثبتت ذلك.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) مقدمة ابن تيمية ص ٧

(٢) البحر المحيط (٧/٢١٧).

(٣) قواعد الترجيح (٢/١٦٦).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ﴾

في هذه الآية ثلاث مسائل:

﴿ المسألة الأولى: المراد بـ ﴿ ما لا تعلمون ﴾ .

يقول القرطبي رحمه الله: (قال الجمهور: من الخلق^(١)). وقيل: من أنواع الحشرات والهوام في أسافل الأرض والبر والبحر مما لم يره البشر ولم يسمعوا به. وقيل: ﴿ ٩٨٧ ﴾ : ﴿ مما أعد الله في الجنة لأهلها وفي النار لأهلها، مما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولا خطر على قلب بشر. وقال قتادة^(٢) والسدي^(٣): (هو خلق السوس في الثياب والدود في الفواكه) ابن عباس: عين تحت العرش، حكاه الماوردي^(٤). الثعلبي: وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (عن يمين العرش نهر من النور مثل السموات السبع والأرضين السبع والبحار السبع سبعين مرة، يدخله جبريل كل سحر فيغتسل فيزداد نوراً إلى نوره وجمالاً إلى جماله وعظماً إلى عظمه، ثم ينتفض فيخرج الله من كل ريشة سبعين ألف قطرة، ويخرج من كل قطرة سبعة آلاف ملك، يدخل منهم كل يوم سبعون ألف ملك إلى البيت المعمور، وفي الكعبة سبعون ألفاً لا يعودون إليه إلى يوم القيامة^(٥) وقول خامس، وهو ما روي عن النبي ^٨ أنها «أرض بيضاء مسيرة الشمس ثلاثين يوماً مشحونة خلقاً، لا يعلمون أن الله تعالى يُعصى في الأرض» قالوا: يا رسول الله، من ولد آدم؟ قال: «لا يعلمون أن الله خلق آدم». قالوا: يا رسول الله فأين إبليس منهم؟ قال: «لا يعلمون أن الله خلق إبليس» ثم تلا

(١) انظر: النكت والعيون (٣/١٨٠).

(٢) انظر: الكشف والبيان (٦/٩).

(٣) انظر: تفسير السمعي (٣/١٦٢).

(٤) انظر: النكت والعيون (٢/٣٦٦).

(٥) الكشف والبيان (٦/٩) وهذا الأثر تفوح منه رائحة الوضع، والله أعلم.

﴿ 987 ﴾ : ﴿ (١) ، ذكره الماوردي ﴾ (٢) .

طريقة الترجيح: إيراد قول جمهور المفسرين إشارة إلى موافقتهم، وذكر أكثر الأقوال بصيغة التمریض.

Ø المفسرون في هذه الآية فريقان:

- الفريق الأول:

يرى أنه لا يصح تعيين شيء ليكون هو المراد من قوله تعالى ﴿ 987 ﴾ : ﴿ وأن التعيين تحکم بلا دليل .

- الفريق الثاني:

يرى صحة تعيين المراد من قوله تعالى ﴿ 987 ﴾ : ﴿ ، وهم مختلفون في هذا المراد على أقوال، ولكل قول حجته.

Ø أبرز الأقوال في هذه الآية ثلاثة، هي:

القول الأول- المراد ب﴿ 98 ﴾ : ﴿ (٣) : ما لا تعلمونه من الخلق.

وهو مروى عن مقاتل (٤).

وهذا القول رجحه الجمهور (٥)، ووافقهم القرطبي رحمته الله، وقال به: الواحدى

(١) انظر: الدر المنثور (١٧/٩) وعزا إخراجها إلى ابن مردويه وهو من رواية ابن عباس رضي الله عنهما إلى النبي ^٨ ، ولم أجده، والله أعلم بصحته.

(٢) تفسير القرطبي (٢٨٨ / ١٢).

(٣) أورد ابن الجوزي في زاد المسير: (قال أبو سليمان الدمشقي: في الناس من كره تفسير هذا الحرف. وقال الشعبي: هذا الحرف من أسرار القرآن) (٨٣ / ٤).

(٤) انظر: تفسير مقاتل (٢١٣ / ٢).

(٥) ومنهم: أبو جعفر النحاس والزنجشري وابن عطية وأبو حيان. انظر: معاني القرآن (٥٥ / ٤) الكشاف (٣ / ٣٣٦) المحرر الوجيز (٤ / ١٥١) البحر المحيط (٧ / ٢١٨).

والفخر الرازي وابن جزى الكلبي وأبو السعود والألوسي (١).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن الله تعالى لا يذكر في كتابه إلا ما يعرفه العباد أو يعرفون نظيره، وأما ما ليس له نظير في زمانهم فإنه لو ذكر لم يعرفوه ولم يفهموا المراد منه، ولهذا ذكر تعالى أصلاً جامعاً يدخل فيه ما يعلمون وما لا يعلمون.

* أن أنواع المخلوقات وأصنافها كثيرة خارجة عن الحد والإحصاء، فكان أحسن الأحوال ذكرها على سبيل الإجمال كما ذكر الله تعالى في هذه الآية.

القول الثاني - المراد بـ ﴿٩٨﴾: ما أعدده الله في الجنة لأهلها وفي النار لأهلها.

و لم يُرو هذا القول عن أحد من السلف.

وهو قول الطبري، ووافقه البغوي (٢).

و احتج أصحاب هذا القول بحديث الرسول ^٨: «قال الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» (٣).

القول الثالث - المراد بـ ﴿٩٨﴾: ما لا تعلمون من المركوبات.

وهذا قول السعدي، وتبعه الأمين الشنقيطي والطاهر ابن عاشور (٤).

وحجتهم:

* أن قوله تعالى ﴿٩٨﴾ جاء في معرض الامتنان بالمركوبات، وهذه

(١) انظر: الوجيز (٤١٥ / ١) مفاتيح الغيب (٩ / ٣٥٤) التسهيل (١ / ٤٥٩) إرشاد العقل السليم (٤ / ١٠٠) روح المعاني (١٠٦ / ١٠).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧٤ / ١٧) معالم التنزيل (٥ / ١١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب بدء الخلق - باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٤ / ٣٩١) برقم ٣٢٤٤، ومسلم - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب حدثنا عبد الله بن مسلمة (١٣ / ٤٤٩) برقم

(٤) انظر: تيسير الكريم المنان (١ / ٤٣٦) أضواء البيان (٢ / ٣٣٥) التحرير والتنوير (١٤ / ١١٠).

قرينة تدل على أنه من المركوبات، وقد شوهد ذلك في إنعام الله على عباده بمركوبات لم تكن معلومة وقت نزول الآية: كالتائرات، والقطارات، والسيارات.

* أن مما يؤيد هذا القول حديث رسول الله ^٨: «والله لينزلن ابن مريم حكماً عادلاً فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، ولتتركن القلاص^(١) فلا يُسعى عليها...»^(٢) الحديث.

ومحل الشاهد: «ولتتركن القلاص فلا يُسعى عليها» وهذا مُشاهدٌ الآن للاستغناء عن ركوبها بالمراكب المذكورة.

- قال ابن عاشور: (هذه الآية من معجزات القرآن الغيبية العلمية، وهي إيماء إلى أن الله سيُلهم البشر اختراع مراكب هي أجدى عليهم من الخيل والبغال والحمير)^(٣).

القول الرابع - المراد بـ ﴿٩٨﴾ : ما لا تعلمون أصل حدوثه كالسوس في النبات والدود في الفواكه.

وهذا القول مروى عن مجاهد^(٤) وقتادة.

• وقيل غير ذلك من الأقوال التي لا تثبت إلا بدليل قوي، ومنها:

- البراذين^(٥).

- أرض بيضاء، مسيرة الشمس ثلاثين يوماً مشحونة خلقاً لا يعلمون أن الله تعالى يُعصى في الأرض.

(١) القلاص: جمع قلوص وهي الفتية من الإبل. انظر: لسان العرب - مادة قلوص (٧/٧٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الإيمان - باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ^٨ (١/٩٣) برقم ٤٠٨.

(٣) التحرير والتنوير (١٤/١١٠).

(٤) انظر: الدر المشور (٩/١٧).

(٥) البراذين: جمع بَرْدُون وهو ما كان من غير نتاج العرب من الخيل. انظر: لسان العرب (١٣/٥١). والقول ذكره السيوطي في الدر المشور وعزاه إلى ابن عمر مرفوعاً إلى النبي ^٨. انظر: (٩/١٦).

- عين تحت العرش.

- نهر من النور عن يمين العرش مثل السموات السبع والأرضين السبع والبحار السبع سبعين مرة، يدخله جبريل كل سَحْر، فيغتسل فيزداد نوراً إلى نوره، وجمالاً إلى جماله، وعظماً إلى عِظْمِهِ، ثم ينتفض فيخرج الله من كل ريشة سبعين ألف قطرة، ويخرج من كل قطرة سبعة آلاف ملك، يدخل منهم كل يوم سبعون ألف ملك إلى البيت المعمور، وفي الكعبة سبعون ألفاً لا يعودون إليه إلى يوم القيامة.

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض أقوال المفسرين ما يلي:

§ أن جمهور المفسرين على القول الأول.

§ أن ظاهر الآية العموم المستفاد من لفظ " ما " .

§ أن الآية تحمل جميع ما ذكر من الأقوال المستندة إلى أدلة قوية أو قرائن في السياق.

§ أن المخصصات لعموم " ما " إنما هي على سبيل التمثيل لا التخصيص، إذ الآية

محتملة لكل ما قيل ولا دليل على اختصاص قول بعينه ليكون مراداً من الآية دون غيره.

- قال ابن عطية: (وكل من خصص في تفسير هذه الآية شيئاً فإنما هو على جهة المثال،

لا أن ما ذكره هو المقصود في نفسه)^(١).

كما أن حمل الأقوال على التمثيل يدرأ الاختلاف الظاهر بين أقوال السلف في هذه الآية.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو القول بالعموم، فيكون (المراد

بـ ﴿٩٨﴾: أي ما لا تعلمونه من الخلق)

- قال الشوكاني: (ولا وجه للاقتصار في تفسير هذه الآية على نوع من هذه الأنواع،

(١) المحرر الوجيز (٤ / ١٥١).

بل المراد أنه سبحانه يخلق ما لا يعلم به العباد، فيشمل كل شيء لا يحيط علمهم به (١).

يشهد بصحة هذا قواعد الترجيح الآتية:

* لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل (٢).

* لا يصح حمل الآية على تفسيرات وتفصيلات لأمر مغيبة لا دليل عليها من القرآن أو السنة (٣).

* أن العموم أولى لأنه الأصل، إلا أن يدل دليل صحيح على التخصيص (٤).

- قال الشنقيطي رحمته الله: (وَحَمَلَ نصوص الوحي على مدلولاتها اللغوية واجب، إلا لدليل يدل على تخصيصها أو صرفها عن ظاهرها المتبادر منها كما هو مقرر في الأصول) (٥).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو: (أن المراد بـ ﴿٩٨﴾: ما لا

تعلمونه من الخلق) صحيح - من وجهة نظري - لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، ولما قدمته من أدلة تؤيد القول الراجح.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) فتح القدير (٤/٢٠٣).

(٢) انظر: قواعد الترجيح (١/١٢٢).

(٣) انظر: المصدر السابق (١/٢٠٠).

(٤) انظر: مقدمة تفسير ابن جزي ص ٤٣

(٥) أضواء البيان (٢/٢٥٩).

🕌 المسألة الثانية: معنى ﴿على الله قصد السبيل﴾ (١).

يقول القرطبي رحمته الله: ﴿ < = > ؟ ﴾ أي: على الله بيان قصد السبيل، فحذف المضاف وهو البيان. والسبيل: الإسلام، أي على الله بيانه بالرسول والحجج والبراهين. وقصد السبيل: استعانة الطريق، يقال: طريق قاصد أي يؤدي إلى المطلوب....
وقيل: معنى ﴿ < = > ؟ ﴾ مسيركم ورجوعكم (٢).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرير.

∅ في معنى هذه الآية قولان:

القول الأول - أن معنى ﴿ < = > ؟ ﴾: على الله بيان الطريق القاصد - وهو الإسلام - بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

قال النسفي: (وليس ذلك للوجوب؛ إذ لا يجب على الله شيء ولكن يفعل ذلك تفضلاً) (٣).

وهذا القول مروى عن ابن عباس رضي الله عنهما (٤) ومجاهد (٥) والضحاك (٦) وقتادة (٧)

(١) لما ذكرت نعمة تيسير السبيل الموصلة إلى المقاصد الجمالية ارتقى إلى التذكير بسبيل الوصول إلى المقاصد الروحانية وهو سبيل الهدى، والقصد: استقامة الطريق، وقد وقع هنا وصفا للسبيل من قبيل الوصف بالمصدر، لأنه يقال: طريق قاصد أي مستقيم، وطريق قصد، وذلك أقوى في الوصف بالاستقامة كشأن الوصف بالمصادر. التحرير والتنوير (١٤/ ١١٢).

(٢) تفسير القرطبي (١٢/ ٢٩٠).

(٣) انظر: تفسير النسفي (٢/ ١٥٢).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٧٥) تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٧٨) الدر المنثور (٩/ ١٩).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٧٥).

(٦) انظر: تفسير الضحاك ٥١٤، تفسير الطبري (١٧/ ١٧٥).

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٧٥) تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٧٨) الدر المنثور (٩/ ١٩).

ومقاتل (١) وعبد الرحمن بن زيد (٢).

وهو قول الطبري وأبي جعفر النحاس والبغوي والزمخشري وابن عطية والفخر الرازي وأبي حيان وابن عادل وأبي السعود والشوكاني وابن عاشور (٣).

وقال به من أهل اللغة: الفراء (٤).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن لهذا المعنى نظائر في القرآن، منها:

- قوله تعالى: ﴿X WV UTS R QP O N﴾

النساء: ١٦٥.

- وقوله: ﴿T S R QP O﴾ المائدة: ٩٢.

- وقوله: ﴿h g f e d﴾ الحجر: ٤١.

- وقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ الإسراء: ١٥.

- وقوله: ﴿إِلَّا لِلَّهِدَى﴾ الليل: ١٢.

* أن الله تعالى تعهد ببيان السبيل لا ذات السبيل، فيكون في الآية حذف مضاف،

والتقدير: وعلى الله بيان قصد السبيل.

ولكن الشنقيطي رحمه الله تعقب هذا المعنى بقوله: (وعلى هذا القول، فمعنى قوله:

﴿A @﴾ غير واضح؛ لأن المعنى: ومن الطريق جائر عن الحق، وهو الذي نهاكم

(١) انظر: تفسير مقاتل (٢/ ٢١٣).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٧٥) الدر المنثور (٩/ ٢٠).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٧٤) معاني القرآن للنحاس (٤/ ٥٧) معالم التنزيل (٥/ ١١) الكشاف

(٣/ ٣٣٧) المحرر الوجيز (٤/ ١٥٢) مفاتيح الغيب (٩/ ٣٥٥) البحر المحيط (٧/ ٢١٩) اللباب (١٠/

٨٤) إرشاد العقل السليم (٤/ ١٠٠) فتح القدير (٤/ ٢٠٤) التحرير والتنوير (١٤/ ١١٢).

(٤) انظر: معانيه (٢/ ٩٧).

الله عن سلوكه) (١).

القول الثاني - أن معنى ﴿ > = < ﴾ : إلى الله الطريق المستقيم.

و معنى كون طريق الحق " على الله " أي: موصلة إليه، ليست حائدة ولا جائرة عن الوصول إليه وإلى مرضاته.

وهذا القول مروى عن مجاهد (٢)، وهو قول الواحدي (٣) ورجحه ابن كثير والسعدي والشنقيطي (٤).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن الصحيح كون " على " بمعنى إلى (٥) منعاً للوازم الباطلة.

* أن هذا المعنى أوفق بالسياق، حيث يؤيد قوله تعالى بعده: ﴿ @ A ﴾.

- قال ابن كثير: (وقول مجاهد ها هنا أقوى من حيث السياق؛ لأنه تعالى أخبر أن ثم طرفاً تسلك إليه، فليس يصل إليه منها إلا طريق الحق، وما عداها مسدودة، والأعمال فيها مردودة) (٦).

* أن ﴿ > ﴾ بمعنى: (الطريق المستقيم) جارٍ في شعر العرب واستعمالهم،

ومنه قول زهير بن أبي سلمى:

صَحَا الْقَلْبَ عَنْ سَلْمَى وَأَقْصَرَ بَاطِلُهُ
وَعُرِّيَ أَفْرَاسُ الصَّبَا وَرَوَّاحِلُهُ

(١) أضواء البيان (٢/ ٣٣٦).

(٢) انظر: تفسير مجاهد ص ١٣١، تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٧٨) الدر المنثور (٩/ ١٩).

(٣) انظر: الوجيز (١/ ٤١٥).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٦٠) تفسير السعدي (١/ ٤٣٦) أضواء البيان (٢/ ٣٣٦).

(٥) وهذا من باب استعمال الحروف بعضها مكان بعض، وله ضوابط، وقد قرره ابن جني بما لا مزيد عليه. انظر

كتابه الخصائص (١/ ١٩٤).

(٦) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٦٠).

وَأَقْصَرْتُ عَمَّا تَعْلَمِينَ وَسُدَدْتُ عَلَيَّ سِوَى قَصْدِ السَّبِيلِ مَعَادِلُهُ (١)

* أن لهذا المعنى نظائر في القرآن، منها:

- قوله تعالى: ﴿ UT S R Q P N M L K J ﴾

﴿ V الأنعام: ١٥٣، فأثبت وجود طريق مستقيم وطُرُقَ أُخْرَى مَائِلَةٌ عَنْهُ.

- وقوله: ﴿ S W V T X ﴾ يس: ٦١.

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض القولين السابقين ما يلي:

§ أن الاختلاف بين القولين من باب التنوع لا التضاد؛ إذ يمكن الجمع بينهما.

§ أن غالب المفسرين من السلف ومن بعدهم على القول الأول.

§ أن القول الأول يلزم منه تقدير مضاف محذوف، أما الثاني فيلزمه تضمين "على"

معنى إلى.

§ أن لكلا القولين نظائر في القرآن.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الراجح هو الجمع بين القولين، فيكون المعنى:

(على الله بيان الطريق بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وإليه الطريق المستقيم الذي بينه)

يؤيد هذا الرأي قواعد الترجيح الآتية:

* غالب ما نقل عن السلف من الاختلاف في التفسير من باب التنوع (٢).

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٥١، واقصر باطله: كف عن لهوه وتصايبه، عري أفراد الصبا: هذا مثل ضربه،

أي: ترك الصبا وركوب الباطل، ويريد بما تعلمين: ما عهدته سلمى من الصبا، والمعادل: جمع معدل ويريد

طرق اللهو والصبا التي كان يعدل إليها عن قصد السبيل وهو طريق الحق. انظر: شرح ديوان زهير بن أبي

سلمى للأعلم النحوي ص ٢٤

(٢) انظر: قواعد التفسير (١/٢٠٨).

* الجمع بين المقصودين أولى من العمل بأحدهما وتعطيل الآخر (١).

- قال السبكي: (إنما يرجح أحد الدليلين على الآخر إذا لم يمكن العمل بكل واحد منهما، فإن أمكن ولو من وجه دون وجه فلا يصر إلى الترجيح بل يصر إلى الجمع لأنه أولى من العمل بأحدهما دون الآخر؛ إذ فيه أعمال الدليلين، والإعمال أولى من الإهمال) (٢).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمه الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمه الله وهو (أن معنى ﴿ > = < ﴾ ؟) أي: على الله بيان الطريق القاصد - وهو الإسلام - بإرسال الرسل وإنزال الكتب) هو جزء من القول الراجح حسبما ظهر لي.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) الإحكام في أصول القرآن (١/ ٢١٨).

(٢) الإبهاج (٣/ ٢١٠).

المسألة الثالثة: مفسر الضمير في قوله تعالى ﴿ومنها جائر﴾^(١).

يقول القرطبي رحمته الله: ﴿ @ A ﴾ أي: ومن السبيل جائر. أي: عادل عن الحق فلا يهتدى به. ومنه قول امرئ القيس^(٢):

ومن الطريقة جائراً وهدي قصد السبيل ومنه ذو دخل^(٣)

وقيل المعنى: ومنهم جائر عن سبيل الحق، أي: عادل عنه فلا يهتدى إليه. وفيهم قولان: أحدهما: أنهم أهل الأهواء المختلفة، قاله ابن عباس رضي الله عنهما^(٤). الثاني: ملل الكفر من اليهودية^(٥)

(١) قال ابن عاشور: (ولم يصف السبيل الجائر إلى الله لأن سبيل الضلال اخترعها أهل الضلالة اختراعاً لا يشهد له العقل الذي فطر الله الناس عليه) التحرير والتنوير (١٤ / ١١٢).

(٢) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار: أشهر شعراء العرب على الإطلاق، يمني الأصل، أشتهر بلقبه، واختلف المؤرخون في اسمه: فقيل حندج وقيل مليكة وقيل عدي، وكان أبوه ملك أسد وغطفان، وقتل في خلاف مع بني أسد، فلم يزل حتى ثار لأبيه من بني أسد، وقال في ذلك شعراً كثيراً. وكانت حكومة فارس ساخطة على بني آكل المرار فأوعزت إلى المنذر - ملك العراق - بطلب امرئ القيس، فتفرق عنه أنصاره، فطاف قبائل العرب حتى انتهى إلى السموأل، فأجاره. فمكث عنده مدة، ثم رأى أن يستعين بالروم على الفرس. فقصده الحارث ابن أبي شمر الغساني - والي بادية الشام - فسيره هذا إلى قيصر الروم فولاه إمرة فلسطين، فرحل يريد لها، فلما كان بأنقرة ظهرت في جسمه قروح، فأقام إلى أن مات في أنقرة نحو ٨٠ ق.هـ، وقد جمع بعض ما ينسب إليه من الشعر في ديوان صغير، ويعرف امرؤ القيس بـ(الملك الضليل) لاضطراب أمره طول حياته، و(ذي القروح) لما أصابه في مرض موته. انظر: الشعر والشعراء (١٢/١) الأعلام (٢/١١).

(٣) ديوانه ص ١٤٤

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧ / ١٧٥) الدر المنثور (٩ / ١٩).

(٥) اليهودية: ديانة العبرانيين المنحدرين من إبراهيم عليه السلام، المعروفين بالأسباط من بني إسرائيل الذي أرسل الله إليهم موسى عليه السلام بالتوراة، نسبة إلى يهوذا أحد أبناء يعقوب وعممت على الشعب على سبيل التغليب. يقطن العبريون. في عهد أبيهم إسرائيل. منطقة الأردن وفلسطين، ثم انتقل بنو إسرائيل إلى مصر ثم ارتحلوا إلى فلسطين ليقموا هناك، ونظراً لانعزالهم واستعلائهم وعنصريتهم وتآمرهم، فقد اضطهدوا وشردوا، فتفرقوا في دول العالم، بينما اتجه بعضهم إلى داخل الجزيرة العربية التي أجلوا عنها مع فجر الإسلام. ومنذ نهاية القرن الميلادي الماضي أخذوا يجمعون أشتاتهم في أرض فلسطين تحرضهم على ذلك

والمجوسية^(١) والنصرانية^(٢). وفي مصحف عبد الله "ومنكم جائر"^(٣).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرّض.

Ø في هذه الآية قولان:

القول الأول- إن مفسّر الضمير في "منها" هو: السبيل^(٤).

فيكون المعنى: ومن السبيل سبباً عادلة مائلة عن الحق فلا يُهتدى بها.

- قال ابن عطية: (فأعاد عليها - أي على السبيل - وإن كان لم يُجر له ذكر لتضمّن لفظه

"السبيل" بالمعنى لها)^(٥).

الصهيونية والصليبية. اليهود الحاليون لا يمتنون بصلّة إلى العبرانيين الإسرائيليين القدماء المنحدرين من إبراهيم عليه السلام، إذ أنهم حالياً أخلاط من شعوب الأرض المتهودين الذين تسوقهم دوافع استعمارية. أما الذين يرجعون إلى أصول إسرائيلية فعلاهم اليوم يهود من الدرجة الدنيا. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/٤٩٥).

(١) المجوسية: دين قائم على تشيئة الآلهة؛ حيث أثبتوا أصلين اثنين، مدبرين قديمين، يقتسمان الخير والشر، والنفع والضّر، والصلاح والفساد، يسمون أحدهما: النور والآخر الظلمة. وبالفارسية: يزدان وأهرمن. ولهم في ذلك تفصيل مذهب. ومسائل المجوس كلها تدور على قاعدتين اثنتين: إحداهما: بيان سبب امتزاج النور بالظلمة، والثانية: بيان سبب خلاص النور من الظلمة، وجعلوا الامتزاج مبدأ، والخلاص معاداً. انظر: الملل والنحل (٢/٣٧).

(٢) النصرانية: هي الدين الذي أنزل على عيسى عليه الصلاة والسلام، مؤيداً بالإنجيل، موجهها إلى بني إسرائيل، داعياً إلى التوحيد والفضيلة والتسامح، ولكن النصرانية جابهت مقاومة واضطهاداً شديداً، فسرعان ما فقدت أصولها، مما ساعد على امتداد يد التحريف إليها، فابتعدت كثيراً عن أصولها الأولى وامتزجت بمعتقدات وفلسفات وثنية. تنتشر النصرانية اليوم في معظم بقاع العالم، وقد أعانها على ذلك الاستعمار ودعم مؤسسات ذات إمكانات هائلة. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/٥٦٤).

(٣) تفسير القرطبي (١٢/٢٩١).

(٤) لأن السبيل وإن كان لفظها لفظ واحد فمعناها الجمع.

(٥) المحرر الوجيز (٤/١٥٣).

وهذا ما رجحه القرطبي، ووافقه أبو حيان والشنقيطي (١).
وهذا القول مروى عن الضحاك (٢) وقتادة (٣) وابن جريج (٤) وعبد الرحمن بن زيد (٥).

وهو قول الطبري وأبي جعفر النحاس والواحدي والبغوي والزمخشري وابن عطية وابن كثير والشوكاني وابن عاشور (٦).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن لفظ "السبيل" مؤنث مجازي، فيكون الأنسب عود الضمير "منها" عليه.

* أن لهذا المعنى نظائر في القرآن، منها:

- قوله تعالى: ﴿ UT S R Q P N M L K J ﴾

﴿ الأنعام: ١٥٣. ﴾

- وقوله: ﴿ 9 8 7 6 5 4 3 2 ﴾

﴿ الفاتحة: ٧.٥. ﴾

ففي الآيات تقرير لوحدانية السبيل الحق - وهو صراط الله المستقيم - وأن غيرها من السبل مائل عن الحق.

(١) انظر: البحر المحيط (٧/٢١٩) أضواء البيان (٢/٣٣٥).

(٢) انظر: تفسير الضحاك ٥١٤، تفسير الطبري (١٧/١٧٥).

(٣) انظر: تفسير عبد الرزاق (١/٣٥٤) تفسير الطبري (١٧/١٧٥) الدر المنثور (٩/١٩).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧/١٧٥).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٧/١٧٥).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٧/١٧٥) معاني القرآن للنحاس (٤/٥٦) الوجيز (١/٤١٥) معالم التنزيل (٥/١١).

الكشاف (٣/٣٣٧) المحرر الوجيز (٤/١٥٣) تفسير القرآن العظيم (٤/٥٦٠) فتح القدير (٤/٢٠٤)

التحرير والتنوير (١٤/١١٢).

القول الثاني- أن مفسر الضمير في " منها " هو: المخلوقون (١).

فيكون المعنى: ومن المخلوقين من هو عادلٌ عن الحق لا يهتدي إليه.

وهذا القول مروى عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا (٢).

وحكى المفسرون في تعيين المراد بهم رأيين:

١. أنهم أهل الأهواء والفرق الضالة من أمة محمد ^٨.

٢. أنهم أهل الأديان الباطلة كاليهود والنصارى والمجوس وغيرهم.

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* قراءة ابن مسعود " ومنكم جائر " وهي قراءة تفسيرية (٣).

* أن الطريق كناية عن صاحبها.

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض القولين السابقين ما يلي:

§ أن إجماع السلف والمفسرين على القول الأول، لم يخالفهم سوى ابن عباس

رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

§ أن في القول الأول إعمالاً للظاهر من الآية، حيث إن الضمير " منها " مؤنث والعاث

عليه " السبيل " مؤنث أيضاً، بخلاف القول الثاني الذي يحتاج الضمير فيه إلى التقدير

والتأويل.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو: (أن مفسر الضمير في " منها "

(١) وللمفسرين في الضمير تأويلان: ومنكم، ومنهم.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧ / ١٧٥) الدر المنثور (١٩ / ٩).

(٣) انظر: تفسير عبد الرزاق (٣٥٤ / ١) تفسير الطبري (١٧ / ١٧٥) والقراءة التفسيرية هي: هي القراءة التي

خالفت مصحف الإمام بزيادة توضيح المعنى، كتفسيره لما لا يُعرف أو بيان حكم يقتضي الظاهر خلافه ونحو

ذلك. انظر: القراءات الشاذة بين الرواية والتفسير ص ٤٧.

هو: السبيل).

يشهد بصحة هذا القواعد الترجيحية الآتية:

* معنى القراءة المتواترة أولى بالصواب من معنى القراءة الشاذة^(١).

* لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل^(٢).

* إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره^(٣).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو: (أن مفسر الضمير في " منها " هو:

السبيل) صحيح - من وجهة نظري - لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية،

ولما قدمته من أدلة تؤيد القول الراجح.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) انظر: قواعد الترجيح (٩٢/١).

(٢) المصدر السابق (١٢٢/١).

(٣) المصدر السابق (٢٣٢/١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ 2 1 0 / . - ,

في هذه الآية مسألتان.

المسألة الأولى: المراد بـ «النجم».

يقول القرطبي رحمته الله: (اختلف في النجوم؛ فقال الفراء: الجدي والفرقدان^(١)). وقيل: الثريا... قال ابن العربي: (أما جميع النجوم فلا يهتدي بها إلا العارف بمطالعها ومغارها، والفرق بين الجنوبي والشمالي منها، وذلك قليل في الآخرين. وأما الثريا فلا يهتدي بها إلا من يهتدي بجميع النجوم، وإنما الهدى لكل أحد بالجدي والفرقدين؛ لأنها من النجوم المنحصرة المطالع، الظاهرة السمّت، الثابتة في المكان، فإنها تدور على القطب الثابت دوراناً محصلاً، فهي أبداً هدى الخلق في البر إذا عميت الطرق، وفي البحر عند مجرى السفن، وفي القبلة إذا جهل السمّت، وذلك على الجملة بأن تجعل القطب على ظهر منكبك الأيسر فما استقبلت فهو سمت الجهة)^(٢). قلت: وسأل ابن عباس رضي الله عنهما رسول الله [^] عن النجم فقال: «هو الجدي، عليه قبلتكم وبه تهتدون في بركم وبحركم»^(٣)(٤).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرّيض، والترجيح

بالحديث النبوي.

Ø في المراد بـ "النجم" ثلاثة أقوال:

القول الأول - المراد بـ "النجم": النجوم التي يهتدي المسافرون بها، كالجدي والفرقدان.

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (٩٨/٢).

(٢) أحكام القرآن (١٢٨/٣).

(٣) أورده أبو شجاع الديلمي في فردوس الأخبار بمأثور الخطاب، المخرّج على كتاب الشهاب (١٢٤/٢).

(٤) تفسير القرطبي (٣٠٥/١٢).

وهذا القول مروى عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا^(١) وابن السائب^(٢).

وهو قول الفراء، وتبعه الطبري وابن العربي وابن عاشور^(٣).

وهو ما رجحه القرطبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن اهتداء المسافرين يكون بها دون غيرها؛ حيث إنها من النجوم المنحصرة المطالع،
الظاهرة السمات، الثابتة في المكان.

* ما روي عن رسول الله [^] حين سأله ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النجم فقال: «هو

الجدّي، عليه قبلتكم وبه تهتدون في بركم وبحركم».

- قال أبو حيان: (ولو صح هذا لم يعدل أحد عنه)^(٤).

القول الثاني - المراد بـ "النجم": الجنس، أي: النجوم عامة.

فيكون المعنى: وجعل لكم نجوما تهتدون بها ليلاً في سبلكم.

رجحه ابن عطية، ووافقه ابن جزي والثعالبي^(٥).

وهذا القول مروى عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا^(٦)، وهو قول النحاس والفخر الرازي

وابن كثير والسيوطي وأبي السعود^(٧).

(١) قول ابن عباس رضي الله عنهما ذكره أبو حيان في البحر (٧/٢٢٣)، وورد في إحدى النسخ الخطية لتفسير

القرطبي موقوفا على ابن عباس.

(٢) ذكره ابن الجوزي. انظر: زاد المسير (٤/٨٥).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/١٨٦) أحكام القرآن (٣/١٢٩) التحرير والتنوير (١٤/١٢٢).

(٤) البحر المحيط (٧/٢٢٣).

(٥) انظر: المحرر الوجيز (٤/١٥٧) التسهيل (١/٤٦٠) الجواهر الحسان (٢/٣٣٢).

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٨/٢٢٧٩).

(٧) معاني القرآن للنحاس (٤/٦١) مفاتيح الغيب (٩/٣٦٦) تفسير القرآن العظيم (٤/٥٦٤) تفسير الجلالين

(٤/٤١٦) إرشاد العقل السليم (٤/١٠٧).

و زعم النحاس أن عليه أهل اللغة وأهل التفسير.

و استدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن التعبير بالمفرد وإرادة الجنس أسلوب شائع عند العرب، وهو كقولك: كثر

الدرهم في أيدي الناس، أي: جنس الدراهم.

* أن لهذا المعنى نظيراً في القرآن، هو قوله تعالى: ﴿ J I H G F E

L K N M O ﴾ الأنعام: ٩٧.

* قراءة الحسن بضم النون والجيم "بالنجم" أي: النجوم، وهي قراءة تفسيرية

شاذة^(١).

ولكن ابن العربي اعترض على هذا القول، بحجة أن جميع النجوم لا يهتدي بها إلا

العارف بمطالعها ومغارها، والفرق بين الجنوبي والشمالي منها، وذلك إن توفر في المتقدمين

زمناً فإنه قليل في المتأخرين^(٢).

القول الثالث- المراد بـ "النجم": الثريا.

و هو قول ابن سيده^(٣)، وحجته: أن "النجم" إذا أطلق فهو الثريا.

و يُردّ عليه بأن الثريا يهتدى بها كباقي النجوم، ولا مزية لها عن غيرها في الاهتداء بها.

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض أقوال المفسرين ما يلي:

§ أن الاختلاف بين الأقوال محمول على التمثيل.

§ أن أكثر المفسرين على القول الأول.

§ بعد النظر لجميع الأقوال تبين لنا رجحان القول الثاني، لوجوه:

(١) انظر: المحتسب (٨/٢).

(٢) انظر: أحكام القرآن (١٢٨/٣).

(٣) انظر: المحكم والمحيط الأعظم (١٢٧/١).

- أنه لا دليل صحيح على تخصيص اللفظ العام (النجم).
- أنه يتقوى بالنظير القرآني المتضمن للفظ النجم على عمومته.
- أن القراءة الشاذة شاهدة على اعتباره، فهي محمولة على التفسير.
- أن القولين الأول والثالث يرد عليهما ما يضعفهما، إضافة إلى كونها تخصيصاً بلا دليل قوي.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو (أن المراد بـ "النجم": الجنس، أي: جميع النجوم).

يشهد لصحة هذا الترجيح - بالإضافة إلى ما سبق - القواعد العلمية الآتية:

* يجب حمل نصوص الوحي على العموم (١).

- قال ابن جزي: (العموم أولى لأنه الأصل، إلا أن يدل دليل على التخصيص) (٢).

* القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك (٣).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله:

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن المراد بـ "النجم": النجوم التي يهتدي بها المسافرون) جزء من القول الراجح - والله أعلم - لما ظهر من نتائج مناقشة الأقوال، وللقواعد العلمية الترجيحية.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) انظر: قواعد الترجيح (١/١٦٦).

(٢) التسهيل (١/٤٣).

(٣) انظر: قواعد الترجيح (١/٢٨١).

🏠 المسألة الثانية: المراد بالاهتداء.

يقول القرطبي رحمته الله: (في المراد بالاهتداء قولان: أحدهما - في الأسفار، وهذا قول الجمهور. الثاني - في القبلة. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى: ﴿ 1 ○ / ﴾ قال: «هو الجدي يا بن عباس، عليه قبلتكم وبه تهتدون في بركم وبحركم»^(١).

طريقة الترجيح: إيراد قول جمهور المفسرين، إشارة إلى موافقته لهم.

○ في المراد بالاهتداء في هذه الآية ثلاثة أقوال:

القول الأول - المراد: اهتداؤهم بالنجم في الأسفار.

فيكون المعنى: وجعل لكم النجوم لتتهتدوا به في أسفاركم.

وهذا ما رجحه القرطبي رحمته الله، وهو قول جمهور المفسرين وعامتهم^(٢).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* ما هو معروف من عادة الناس من الاهتداء بالنجوم في أسفارهم براً وبحراً.

* قول ابن عباس رضي الله عنهما: وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى: ﴿ 1 ○ / ﴾

1 ﴿ فكان من قوله: «وبه تهتدون في بركم وبحركم»

القول الثاني - المراد: اهتداؤهم بالنجم لمعرفة القبلة.

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن النجوم دليل على معرفة جهة مكة، ومن ثم يُعرف اتجاه القبلة.

* قول ابن عباس رضي الله عنهما: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى: ﴿ 1 ○ / ﴾

1 ﴿ قال: «هو الجدي يا بن عباس، عليه قبلتكم».

(١) تفسير القرطبي (١٢/٣٠٦).

(٢) كالطبري والزمخشري وابن عاشور. انظر: تفسير الطبري (١٧/١٨٦) الكشاف (٣/٣٤٢) التحرير والتنوير

(١٤/١٢٢).

وقد فرّق الألويسي بين الاهتداء بالنجوم لمعرفة عين القبلة وجهة القبلة، فأما الأول فممنعه لتعذره، وأما الثاني فأجازه لأنه ممكن (١).

قال: (لكن معرفة عين القبلة على التحقيق بالنجوم متعسر بل متعذر.... لأنه إن اعتبر ذلك بما يسامت (٢) رؤوس أهل مكة من النجوم فليس مسقط العمود منه على بسيط مكة هو العمود الواقع منه على بسيط غيرها من المدن، وإن اعتبر بالجلدي فلا يلزم من أن يكون في مكة على الكتف أو على المنكب أن يكون في غيرها كذلك إلا لمن يكون في دائرة السمت المارة برؤوس أهل مكة والبلد الآخر، وذلك مجهول لا يتوصل إليه إلا بمعرفة ما بين الطولين والعرضين وهو شيء اختلف في مقداره ولم يتعين الصحيح فيه) إلى أن قال: (فلا ينبغي أن يكون الواجب على المصلي إلا تحري الجهة ومعرفة الجهة تحصل بالنجوم وكذا غيرها) (٣).

القول الثالث- المراد: اهتداؤهم بالنجم لمعرفة الأنواء.

وهذا حكاة ابن العربي فقال: (ومن الناس من قال: إنها يهتدى بها في الأنواء؛ فإن الله قدّر المنازل ونزل فيها الكواكب وربط بها عادة نزول الغيث، وبهذا عرفت العرب أنواءها) (٤).

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض الأقوال السابقة ما يلي:

§ أنه لم يؤثر عن أحد من السلف شيء في هذه الآية.

§ أن الاختلاف بين الأقوال اختلاف تنوع لا تعارض، إذ يمكن الجمع بينها.

(١) انظر: روح المعاني (١٠ / ١٢٥).

(٢) يسامت: من سمت وهو القصد، لعله أراد بما يتجه قاصدا رؤوسهم. انظر: معجم مقاييس اللغة (٣ / ٩٩).

(٣) روح المعاني (١٠ / ١٢٥).

(٤) أحكام القرآن (٣ / ١٢٩).

§ أن الآية يمكن حملها على جميع ما سبق، ولا وجه للتخصيص.

- قال الشوكاني: (ولا مانع من حمل ما في الآية على ما هو أعمّ من ذلك^(١)).

§ أن القول الأول وإن كان قول الجمهور إلا أن القاعدة الترجيحية التي تنص على أن الجمع واجب إذا أمكن بلا خلاف^(٢) تدفعه، لأن الجمع بين المقصودين أولى من العمل بأحدهما وتعطيل الآخر^(٣).

§ أن العمل في الأقوال يكون بالجمع لا الترجيح؛ حيث الجمع ممكن بأن يكون الاهتداء بالنجوم في جميع ما سبق، فيصار إليه.

- قال الرازي: (كما يمكن الاهتداء بهذه العلامات في معرفة الطرق والمسالك فكذلك يمكن الاستدلال بها في معرفة طلب القبلة)^(٤).

و قد قال بالجمع بين الأقوال: الفخر الرازي والشوكاني^(٥).

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو (أن المراد: اهتداؤهم بالنجم في

الأسفار ولمعرفة القبلة والأنواء)

يشهد بصحة هذا قواعد الترجيح الناطقة بما يلي:

* يجب حمل نصوص الوحي على العموم^(٦).

* الآية إن كانت تحتمل معاني كلها صحيحة، تعين حملها على الجميع^(٧).

(١) فتح القدير (٤/٢٠٩).

(٢) انظر: دفع إيهاض الاضطراب (١/١٤٠).

(٣) انظر: الإحكام في أصول القرآن (١/٢١٨).

(٤) مفاتيح الغيب (٩/٣٦٦).

(٥) انظر: مفاتيح الغيب (٩/٣٦٦) فتح القدير (٤/٢٠٩).

(٦) انظر: قواعد الترجيح (١/١٦٦).

(٧) انظر: أضواء البيان (٢/٢٥٩).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن المراد: اهتداؤهم بالنجم في الأسفار) يعتبر جزء من القول الراجح، لما سبق توضيحه في المناقشة، ولقواعد الترجيح التي تقضي بخلاف ترجيحه.

والله تعالى أعلم بالصواب

قَالَ تَعَالَى: ﴿ Z Y X W V U T S R Q P O ﴾

﴿ b a ` _ ^ \ ﴾

في هذه الآية مسألتان:

﴿ المسألة الأولى: تعيين المراد بالموصوفين بقوله تعالى: ﴿ أمواتٌ غير أحياء ﴾. ﴾

يقول القرطبي رحمته الله: ﴿ Z ﴾ [Z \] أي: هم أموات، يعني: الأصنام لا أرواح فيها ولا تسمع ولا تبصر، أي هي جمادات فكيف تعبدونها وأنتم أفضل منها بالحياة.... وقيل: تم الكلام عند قوله: ﴿ T W V U X ﴾ ثم ابتداء فوصف المشركين بأنهم أموات، وهذا الموت موت كفر (١).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرىض.

﴿ في تعيين المراد بـ ﴿ Z ﴾ [Z \] قولان: ﴾

القول الأول - المراد: الأصنام التي لا روح فيها.

وهو ما رجحه القرطبي رحمته الله، ووافقه أبو حيان (٢).

وهذا القول مروى عن قتادة (٣) ومقاتل (٤).

وهو قول بعض أهل اللغة كالفرء والزجاج، ومحققي المفسرين كالطبري والزمخشري والبعغوي والفخر الرازي وابن جزى وابن كثير والألوسي والشوكاني والطاهر بن عاشور (٥).

(١) تفسير القرطبي (٣٠٩/١٢).

(٢) انظر: البحر المحيط (٢٢٦/٧).

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢٢٨٠/٧) الدر المنثور (٢٧/٩).

(٤) انظر: تفسير مقاتل (٢١٥/٢).

(٥) انظر: معاني القرآن للفرء (٩٨/٢) معاني القرآن وإعرابه (١٩٣/١) تفسير الطبري (١٧٨/١٧) الكشاف

(٣/٣٤٥) معالم التنزيل (١٤/٥) مفاتيح الغيب (٣٧١/٩) التسهيل (٤٦١/١) تفسير القرآن العظيم

و احتج أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن الجهاد قد يوصف بكونه ميتاً وحيّاً، كما في قوله تعالى: ﴿ @ ? > = ﴾

الروم: ١٩.

* أن القوم لما وصفوا تلك الأصنام بالإلهية والمعبودية قيل لهم: ليس الأمر كذلك، بل هي أموات لا يعرفون شيئاً، فنزلت هذه العبارات على وفق معتقدتهم.

* أن الله تعالى جعلها أمواتاً غير أحياء إذ كانت لا أرواح فيها.

القول الثاني - المراد: المشركون.

وهذا القول مروى عن قتادة^(١)، وقال به من المفسرين: ابن عطية الأندلسي^(٢).

و احتج لهذا القول بما يلي:

* أن الله تعالى شبه الذين يدعون من دون الله بالأموات؛ حيث إن أرواحهم مظلمة

بالكفر لا حياة فيها.

* أن تسمية المشرك والضالّ بالميت له نظير في القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿ hg ﴾

﴿ x w v u ts r q p o n m l k j i ﴾

الأنعام: ١٢٢.

و تعقب الألوسي هذا المعنى بقوله: (ولا يخفى ما فيه من البعد)^(٣).

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض القولين السابقين ما يلي:

§ أن كلا القولين مروى عن السلف.

(٤/٥٦٤) روح المعاني (١٠/١٣٠) فتح القدير (٤/٢١٢) التحرير والتنوير (١٤/١٢٦).

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/١٨٨).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٤/١٥٨).

(٣) روح المعاني (١٠/١٣٠).

§ أن كلا المعنيين له نظير في القرآن.

§ أن التفسير في القول الأول على (الموت الجسدي الحسي)، فالأصنام لا روح فيها، أما في القول الثاني فعلى (الموت الروحي المعنوي)، إذ المشركون لا حياة لقلوبهم وعقولهم.

§ أن الأظهر من معاني الآية هو المعنى الحقيقي للموت الذي هو في مقابلة الحياة، يقوي ذلك: أن المعهود من أسلوب القرآن في الاستدلال على عدم استحقاق الأصنام للعبادة هو الإخبار عن عجزها وعدم إجابتها عابديها، وذلك في مواطن كثيرة من القرآن، منها:

- قوله تعالى: ﴿ z y x w v u t s r q p o ﴾

| } ~ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ءَأَمَّ أَنْتُمْ صَمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ ۞ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ ﴿١٩٥﴾

الأعراف: ١٩٥-١٩١.

- وقوله ﴿ 5 4 3 2 1 0 / . - , ﴾

6 7 8 9 : ; < > ? @ BA DC ﴿ الأعراف: ١٩٧-١٩٨.

- وقوله: ﴿ a ` _ ^] \ [ZY XW V ﴾

hg fe dc b ﴿ فاطر: ١٣-١٤.

- وقوله ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ ﴿ الأحقاف: ٥.

و هذا المعنى - أعني: الوصف بالموت وعدم الشعور - في حق الآلهة أوضح منه في حق المشركين في القرآن وأكثر وروداً.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو (أن المراد بالأموات: الأصنام) ويمكن حمل الآية على أن الموت وصف للمشركين إلا أنه في الأصنام أظهر.

يؤيد هذا الترجيح قواعده العلمية التي تنص على:

* حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى^(١).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن المراد بالأموات: الأصنام التي لا روح فيها) صحيح - من وجهة نظري - لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، وللقاعدة الترجيحية التي نص عليها أهل العلم.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) انظر: قواعد الترجيح (١/١٥٣).

المسألة الثانية: مرجع الضمير في ﴿يشعرون﴾ و﴿يبعثون﴾.

يقول القرطبي رحمته الله: ﴿٨﴾ ^ا يعني: الأصنام ﴿٩﴾ ^ا وقرأ السلمي "إيَّان" بكسر الهمزة، وهما لغتان، موضعه نصب بـ "يُبعثون" وهي في معنى الاستفهام. والمعنى: لا يدرون متى يبعثون. وعبر عنها كما عبر عن الآدميين لأنهم زعموا أنها تعقل عنهم وتعلم وتشفع لهم عند الله تعالى، فجرى خطابهم على ذلك. وقد قيل: إن الله يبعث الأصنام يوم القيامة ولها أرواح فتتبرأ من عبادتهم، وهي في الدنيا جماد لا تعلم متى تبعث (١).... ﴿٩﴾ ^ا ^ا أي: وما يدري الكفار متى يبعثون، أي: وقت البعث؛ لأنهم لا يؤمنون بالبعث حتى يستعدوا للقاء الله (٢).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرّض.

Ø للمفسرين في تحديد مرجع الضمير أربعة أقوال:

القول الأول- إن الضمير في الفعلين يرجع إلى الأصنام.

فيكون المعنى: وما تدري أصنامهم التي يدعون من دون الله متى تُبعث (٣).

وهو ما رجحه القرطبي موافقاً للطبري، ووافقه أبو حيان (٤)، وقال بهذا القول: ابن كثير (٥).

واحتج أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن سياق الآية في الإخبار عن أوصاف الأصنام وبيان مظاهر عجزها.

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤ / ٨٧) منسوباً إلى ابن عباس رضي الله عنهما، ولم أقف عليه مسنداً.

(٢) تفسير القرطبي (١٢ / ٣٠٩).

(٣) قال القاضي أبو محمد: (ويجتمل أن يكون الضميران للأصنام، ويكون البعث الإثارة، كما تقول بعثت النائم من نومه إذا نهته، وكما تقول بعثت الرامي سهمه، فكأنه وصفهم بغاية الجمود أي وإن طلبت حركاتهم بالتحريك لم يشعروا لذلك) المحرر الوجيز (٤ / ١٥٩).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧ / ١٨٨) البحر المحيط (٧ / ٢٢٦).

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤ / ٥٦٤).

* قول ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْعَثُ الْأَصْنَامَ لَهَا أَرْوَاحَ وَمَعَهَا شَيَاطِينَهَا، فَيَتَبَرَّؤُونَ مِنْ عِبَادَتِهِمْ، ثُمَّ يُؤْمَرُ بِالشَّيَاطِينِ وَالَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَهَا إِلَى النَّارِ)^(١)، ولهذا المعنى نظيرٌ في القرآن، هو قوله تعالى ﴿

أَنْ وَصَفَ الْأَلَهَةَ بِعَدَمِ الْإِدْرَاكِ لَهُ نَظِيرٌ فِي الْقُرْآنِ، هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿

القول الثاني- أن الضمير في الفعلين يرجع إلى عبدة الأصنام. فيكون المعنى: ولا يدري عبادة الأصنام متى سيكون بعثهم. وهذا القول مروى عن قتادة^(٢) ومقاتل^(٣)، وقال به: البغوي وابن عطية، ورجحه الطاهر بن عاشور^(٤).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:
* أن سياق الآية في الوعيد لعبدة الأصنام، فناسب أن يكون الإخبار عنهم.
* أن لهذه الآية نظيرها في سورة النمل وهو قوله تعالى: ﴿

القول الثالث- أن الضمير في "يشعرون" يرجع إلى الأصنام، وفي "يُبعثون" يرجع إلى عبدها.

فيكون المعنى: وما تدري أصنامهم التي يعبدونها من دون الله متى سيكون بعث

(١) زاد المسير (٤/ ٨٧).

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٨٠) الدر المشور (٩/ ٢٧).

(٣) انظر: تفسير مقاتل (٢/ ٢١٥).

(٤) انظر: معالم التنزيل (٥/ ١٤) المحرر الوجيز (٤/ ١٥٨) التحرير والتنوير (١٤/ ١٢٦).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٢١٥).

عابديها.

وقال به من المفسرين: الزمخشري وابن جزى الكلبي وأبو السعود والشوكاني (١).
و احتج أصحاب هذا القول بما يلي:
* أن سياق الآية فيه تهكم بالمشركين، بأن آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم، فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم.

القول الرابع - أن الضمير في الفعلين يرجع إلى الملائكة (٢).

فيكون المعنى: وما تدري الملائكة التي عبدتموها من دون الله متى سيكون بعثهم.
وهذا القول حكاه المفسرون ولكن لم يختره أحد منهم.
و أجاز القولين - الأول والثاني - النحاس والفخر الرازي (٣).

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض الأقوال السابقة ما يلي:

§ أن سبب تعدد الأقوال في هذه الآية هو: الاختلاف في مرجع الضمير.

§ أن القول الثاني هو المروي عن السلف.

§ أن القول الثالث فيه تفريق لمرجع الضمائر، وهو - وإن كان المعنى صحيحاً - خلاف الأولى.

§ أن القول الرابع هو أضعف الأقوال؛ حيث لا يظهر للتخصيص وجهٌ قوي.

§ أن رجوع الضمير إلى الأصنام أو الكفار كلاهما تحتمله الآية ويصح به المعنى، غير

أنه في الأصنام أظهر لأمر:

(١) انظر: الكشاف (٣/ ٣٤٥) التسهيل (١/ ٤٦١) إرشاد العقل السليم (٤/ ١٠٩) فتح القدير (٤/ ٢١٢).

(٢) ووجه هذا القول: أن أناساً كانوا يعبدون الملائكة، وكون الملائكة أموات غير أحياء أي: لا بد لهم من الموت فحياتهم غير باقية.

(٣) انظر: معاني القرآن (٤/ ٦٢) مفاتيح الغيب (٩/ ٣٧٢).

- أن الضمير المستتر (هم) في "أموات" يعود على الأصنام^(١)، وتوحيد مرجع الضمائر أولى من تفريقها.

- أن الإخبار عن جهل الآلهة وعدم علمها بوقت البعث أبلغ من وصف المشركين بذلك؛ لأن جهل البشر بالغيب أمر يستوي فيه المؤمن والكافر، أما وصف الإله بالجهل بماله ومال عبده فذلك أبلغ في بيان بطلان هذه الآلهة وتضليل عبّادها.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو (أن الضمير في الفعلين يرجع إلى الأصنام)، هذا مع صحة معاني باقي الأقوال في نفسها.

يؤيد هذا الترجيح قواعد الترجيح الآتية:

* إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك^(٢).

* إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره^(٣).

* إذا اجتمع في الضمائر مراعاة اللفظ والمعنى بدئ باللفظ ثم بالمعنى^(٤).

* إذا تعاقبت الضمائر فالأصل أن يتحد مرجعها^(٥).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن الضمير في الفعلين يرجع إلى الأصنام) صحيح - كما ظهر لي - لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال والأدلة، ولما أوردته من قواعد تؤيد القول الراجح.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) كما ظهر من مناقشة الأقوال وأدلتها في المسألة السابقة.

(٢) انظر: قواعد الترجيح (١/١١١).

(٣) انظر: المصدر السابق (٢/٢٣٢).

(٤) انظر: قواعد التفسير (١/٢٠٤).

(٥) انظر: المصدر السابق (٢/٤١٤).



قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذًا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ

في هذه الآية مسألة واحدة، هي:

﴿تعيين قائل ماذا أنزل ربكم﴾ وقائل: ﴿أساطير الأولين﴾ (١).

يقول القرطبي رحمه الله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذًا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾ يعني: وإذا قيل لمن تقدم

ذكره ممن لا يؤمن بالآخرة وقلوبهم منكرة بالبعث ﴿قَالُوا أَسَاطِيرُ﴾ (٢) قيل: القائل
النضر بن الحارث (٢) وأن الآية نزلت فيه (٣)، وكان خرج إلى الحيرة فاشترى أحاديث كليلة

(١) قال ابن الجوزي: (فإن قيل: لم عابوا القرآن بأنه أساطير الأولين، وقد سطر الأولون ما فيه علم وحكمة، وما لا عيب على قائله؟ فعنه جوابان:

أحدهما - أنهم نسبوه إلى أنه ليس بوحى من الله.

والثاني - أنهم عابوه بالإشكال والغموض، استراحة منهم إلى البهت والباطل. فعلى الجواب الأول تكون " أساطير" من التسطير، وعلى الثاني تكون بمعنى الترهات). زاد المسير (٢/ ٣١٥).

(٢) النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة، من بني عبد الدار، من قريش: صاحب لواء المشركين ببدر. كان من شجعان قريش ووجهها. له اطلاع على كتب الفرس وغيرهم. وهو ابن خالة النبي ^أ، ولما ظهر الإسلام استمر على عقيدة الجاهلية وأذى رسول الله ^أ كثيرا. وشهد وقعة بدر مع مشركي قريش، فأسرته المسلمون وقتلوه بعد انصرافهم من الوقعة سنة ٢هـ. وهو أبو قتيلة (صاحبة الأبيات المشهورة التي منها:

ما كان ضرك لو مننت، وربما من الفتى وهو المغيظ المحنق.

حين عرضت قتيلة للنبي ^أ وهو يطوف بالبيت واستوقفته وجذبت رداءه حتى انكشف منكبه، وأنشدته أبياتها هذه، فرق لها حتى دمعت عيناه، وقال: لو بلغني شعرها قبل أن أقتله لوهبت لها. انظر: الكامل في التاريخ (١/ ٦٧٠) البيان والتبيين (٣/ ٢٧٣).

(٣) أورد الواحدي في أسباب النزول ص ٢١٤ من رواية أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: (إن أبا سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وعتبة وشيبة ابني ربيعة وأميمة وأبيا ابني خلف استمعوا إلى النبي ^أ فقالوا: يا أبا قتيلة ما يقول محمد؟ فقال: والذي جعلها بيته ما ادري ما يقول إلا أني أرى يحرك شفثيه يتكلم بشيء وما أرى إلا أساطير الأولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية، وكان النضر كثير الحديث عن القرون الأولى وكان يحدث قريشا فيستملحون حديثه فأنزل الله " حتى إذا جاؤك مجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين ").

ودمنة^(١)، فكان يقرأ على قريش ويقول: ما يقرأ محمد على أصحابه إلا أساطير الأولين، أي: ليس هو من تنزيل ربنا. وقيل: إن المؤمنين هم القائلون لهم اختباراً فأجابوا بقولهم: ﴿أَسْطِيرُ﴾ © فأقروا بإنكار شيء هو أساطير الأولين^(٢).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرّض.

Ø في تعيين القائلين في هذه الآية ثلاثة أقوال:

القول الأول - أن قائل ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾: أي أحد من مؤمن أو مشرك، وقائل ﴿أَسْطِيرُ﴾ ©: المشركون.

و المعنى: وإذا قال المؤمنون - اختباراً للمشركين - ماذا أنزل ربكم؟ أجابهم المشركون - تهكمًا -: لم يُنزل شيئاً، إنما هذا الذي يتلى علينا أساطير الأولين.

وهذا القول هو ما رجحه القرطبي رحمته الله.

و هو مروى عن قتادة^(٣)، وقال به: الطبري وابن عطية وأبو حيان وابن كثير والباقعي والألوسي والشوكاني والسعدي^(٤).

واستدلوا بما يلي:

* أن " إذا " الشرطية تفيد تكرر وقوع الفعل.

- قال ابن عاشور: (وإذا ظرف مضمن معنى الشرط، وهذا الشرط يؤذن بتكرار هذين

(١) هي مجموعة قصص ذات طابع يرتبط بالحكمة والأخلاق يرجح أنها تعود لأصول هندية، كتبها الفيلسوف الهندي بيدبا، ثم ترجمها عبد الله بن المقفع في صدر الدولة العباسية إلى العربية. انظر: مقدمة كتاب كليلة ودمنة ص ٩.

(٢) تفسير القرطبي (١٢ / ٣١١).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧ / ١٨٩).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧ / ١٨٩) المحرر الوجيز (٤ / ١٦٠) البحر المحيط (٧ / ٢٢٨) تفسير القرآن العظيم (٤ / ٥٦٥) نظم الدرر (٤ / ٤٥٠) روح المعاني (١٠ / ١٣٤) فتح القدير (٤ / ٢١٣) تيسير الكريم الرحمن (١ / ٤٣٨).

القولين (١).

* أن لهذا المعنى نظائر في القرآن، منها:

- قوله تعالى: ﴿ z y x w v u t s ﴾ | { ~ اِثْ

هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ ﴿ الأنفال: ٣١

- و قوله: ﴿ Q P O N M L K J ﴾

R ﴿ الفرقان: ٥.

القول الثاني - أن قائل ﴿ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ ﴾: الوافدون على رسول الله [^] للإسلام،

وقائل ﴿ أَسْطِيرُ ﴾ ©: المقتسمون (٢).

و المعنى: أن هذا قول أناس من مشركي العرب كانوا يقعدون بطريق من أتى نبي الله

[^]، فإذا مر بهم أحد يريد به قال له المقتسمون: إن ما جاء به أساطير الأولين.

وهذا القول مروى عن قتادة (٣) ومقاتل (٤) والسدي (٥)، وقال به: الثعلبي والبغوي

والسمرقندي وأبو السعود (٦).

و استدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن مسألة العرب عن بعث النبي [^] وقصص مجيئهم إليه كثيرة واقعة، أصرحها ما

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٤ / ١٣٠).

(٢) وهم الذين ورد ذكرهم في قوله تعالى: " كما أنزلنا على المقتسمين - الذين جعلوا القرآن عضين " (الحجر:

٩٠-٩١) وهم قوم اقتسموا طرق مكة أيام قدوم الحاج عليهم، كان أهلها بعثوهم في عقابها لإشاعة القول

بأن محمداً شاعر وكاهن وأن ما جاء به أساطير الأولين وغير ذلك من أكاذيبهم.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧/٢٢٨١) الدر المنثور (٩/٤١).

(٤) انظر: تفسير مقاتل (٢/٢١٦).

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧/٢٢٨١) الدر المنثور (٩/٤٠).

(٦) انظر: الكشف والبيان (٦/١٣) معالم التنزيل (٥/١٥) بحر العلوم (٢/٤٦١) إرشاد العقل السليم (٤/

رواه البخاري في قصة إسلام أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١).

* أن ذكر فعل القول يقتضي صدوره عن قائل يسألهم عن أمر حدث بينهم، وليس على سبيل الفرض، وأنهم يجيبون بما ذكر مكرراً بالدين وتظاهراً بمظهر الناصحين للمسترشدين المستنصحين بقريظة قوله تعالى: ﴿وَمِنَ أَوْزَارٍ﴾ النحل: ٢٥.

القول الثالث - أن قائل ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾: مشركو قريش، وقائل ﴿أَسْطِيرُ﴾

©: النضر بن الحارث.

وهذا القول حكاة المفسرون ولم يختره أحد، واحتج له بأنه الوارد في سبب نزول الآية.

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض الأقوال السابقة ما يلي:

§ أن سبب خلاف المفسرين في تعيين قائل ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾ هو مجيء الفعل "قيل" مبنياً للمجهول.

§ أن القولين الأول والثاني مرويان عن السلف.

§ أن القول الأول منزل على عموم الحادثة التي قد تتكرر، أما القولين الثاني والثالث فهما في حوادث بعينها.

§ أن القول الأول متضمن للقولين الثاني والثالث؛ نظراً لعمومه.

§ أن القول الثالث لا يناسب السياق؛ فالأفعال في الآية التي تليها جميعها بصيغة الجمع "ليحملوا أوزارهم"، "يضلونهم"، "ألا ساء ما يزررون".

§ أن القول بالعموم أولى؛ لأن العموم مقتضى للشمول، فتكون الآية شاملة لموقف

النضر بن الحارث مع رؤوس كفار قريش، وموقف المقتسمين مع الوافدين إلى النبي ^٨

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب المناقب - باب إسلام أبي ذر الغفاري رضي الله عنه (٢٣٨/١٢) برقم ٣٥٧٢

وغيرهم.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو (أن قائل ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾: أيُّ

أحد من مؤمن أو مشرك، وقائل ﴿أَسْطِيرُ﴾ ﴿٢٠﴾: المشركون)

يؤيد هذا الترجيح قواعده المعتمدة، مثل:

* تقديم العموم على الخصوص وأولى لأنه الأصل، إلا أن يدل دليل على التخصيص (١).

* القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك (٢).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن قائل ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾: أيُّ أحد

من مؤمن أو مشرك، وقائل ﴿أَسْطِيرُ﴾ ﴿٢٠﴾: المشركون) صحيح، حسب ما ظهر لي

من نتائج مناقشة أدلة الأقوال، وبما قضت به قواعد الترجيح المعتمدة.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) انظر: مقدمة تفسير ابن جزي (٤٣/١).

(٢) انظر: قواعد الترجيح (٢٨١/١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ! " #
10 / . - , + *) (' & % \$
@ ? > < ; : 9 8 7 6 5 4 3 2
◀ ML K J I H G F D C B A

في هذه الآيات أربع مسائل:

المسألة الأولى: تعيين المراد بالذين أتى الله بنيانهم من القواعد.

يقول القرطبي رحمه الله: ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما (١) وزيد بن أسلم (٢) وغيرهما: إنه النمرود بن كنعان (٣) وقومه، أرادوا صعود السماء وقتل أهلها فبنوا الصرح ليصعدوا منه بعد أن صنع بالنسور ما صنع، فخرَّ (٤).... وقيل: إن قوله تعالى ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾ تمثيل.... كما هلك من نزل عليه السقف من فوقه.... وقيل: إنه بختنصر (٥) وأصحابه، قاله

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/١٩٣) الدر المنثور (٩/٤٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/١٩٣) الدر المنثور (٩/٤٢).

(٣) النمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح: ملك جبار من ملوك النبط، في عهد إبراهيم عليه السلام، وهو الذي حازه في ربه. انظر: تاريخ الرسل والملوك (١/١١٠).

(٤) قال محققه: (وهي أخبار غير صحيحة) فروايات قصة النمرود وبناء الصرح أخرجها الطبري في تفسيره (١٣/٧٢١) من طريق وكيع، وفي (١٣/٧١٩) من طريق شعبة، لكن وقع في روايتها تسمية الراوي عن علي: عبد الرحمن بن أذنان وهو مجهول. انظر: التاريخ الكبير (٥/٢٥٥) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٥/٢١٠).

(٥) بختنصر: أشهر ملوك الدولة البابلية، ويقال له: نبوخذ نصر، قاد الجيوش البابلية في معارك حاسمة على منطقة بلاد الشام، ودمر عدة ممالك منها مملكة يهوذا في حملتين وسبا الكثيرين من سكان بلاد الشام إلى بابل، وكان ذلك في ٦٠٥-٥٦٣ ق.م. انظر: تاريخ الرسل والملوك (١/٣١٦).

بعض المفسرين. وقيل: المراد المقتسمون الذين ذكرهم الله في سورة الحجر، قاله الكلبي (١). وعلى هذا التأويل يخرج وجه التمثيل، والله أعلم (٢).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرير.

Ø في المراد بـ ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أربعة أقوال:

القول الأول- المراد بـ ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: النمرود بن كنعان وقومه.

فيكون المقصود بالمكرهنا: بناء الصرح لمقاتلة أهل السماء.

وهذا القول مروى عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ومجاهد (٣) ومقاتل (٤) وزيد بن أسلم.

وهو ما رجحه القرطبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وقال به: الطبري والثعلبي وابن عطية والبغوي وابن كثير وجلال الدين السيوطي

وأبو السعود والشنقيطي (٥).

واحتج أصحاب هذا القول بأن عليه أكثر السلف، وجمهور المفسرين (٦).

- قال ابن جرير في تاريخه بعد ذكر خبر النمرود مع إبراهيم ^٨: (وهو الذي بنى

صرحاً إلى السماء، فأتى الله بنيانه من القواعد، وهو الذي قال الله: ﴿مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾ النحل:

(٢٦)(٧).

(١) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٧١).

(٢) تفسير القرطبي (١٢/ ٣١٤، ٣١٣).

(٣) انظر: تفسير مجاهد ص ١٣١، تفسير الطبري (١٧/ ١٩٣) الدر المنثور (٩/ ٤٢).

(٤) انظر: تفسير مقاتل (٢/ ٢١٦).

(٥) انظر: تاريخ الرسل والملوك (١/ ١١٠) الكشف والبيان (٦/ ١٤) المحرر الوجيز (٤/ ١٦٢) معالم التنزيل

(٥/ ١٦) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٦٦) تفسير الجلالين (٤/ ٤٢٦) ومفحمت الأقربان ص ٣٧، إرشاد

العقل السليم (٤/ ١١٠) أضواء البيان (٨/ ٤٩٧).

(٦) انظر: مفاتيح الغيب (٩/ ٣٧٦) مدارك التنزيل (٢/ ١٥٦).

(٧) تاريخ الرسل والملوك (١/ ١١٠).

و هو قول بعض المفسرين (١).

القول الرابع - المراد بـ ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: المقتسمون الذين ذكرهم الله في سورة الحجر.

فيكون المقصود بالمكرههنا: اقتسامهم مداخل مكة وطرقها لإشاعة القول بكذب النبي ^٨ - حاشاه - وأن ما جاء به إنما هو إفك وكذب وأساطير الأولين.

وهذا القول مروى عن محمد بن السائب الكلبي.

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض أقوال المفسرين السابقة ما يلي:

§ أن أكثر السلف والمفسرين على القول الأول.

§ أن القولين الأول والثالث مبنية على أخبار إسرائيلية لم تثبت صحتها.

§ أن القول الثالث نُسب إلى بعض المفسرين دون تعيين، وكل من أورده فإيراده له

كان بصيغة التمریض.

§ أن سياق الآيات يقتضي العموم.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو (أن المراد بـ ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾:

جميع من مكر وكفر بالرسول من الأمم المتقدمة ونزلت فيه عقوبة من الله تعالى).

يؤيد هذا الرأي - إضافة إلى ما سبق - قواعد الترجيح الآتية:

* إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك (٢).

* لا يصح حمل الآية على تفسيرات وتفصيلات لأمر مغيب لا دليل عليها من القرآن

بعضهم: هو باختصر (١٧/١٩٢).

(١) انظر: النكت والعيون (٢/٣٧١).

(٢) انظر: قواعد الترجيح (١/١١١).

أو السنة (١).

* العمل بعموم اللفظ العام حتى يثبت تخصيصه (٢).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو: (أن المراد بـ ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: النمرود بن كنعان وقومه) ضعيف؛ لما ذكرت في مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، ولما أوردت من قواعد تؤيد القول الراجح

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) انظر: قواعد الترجيح (١/٢٠٠).

(٢) الأصول من علم الأصول (١/٣٦).

المسألة الثانية: معنى ﴿فَاتَى اللَّهُ بُيُوتَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ﴾.

يقول القرطبي رحمه الله: (ومعنى ﴿فَاتَى اللَّهُ بُيُوتَهُمْ﴾ أي: أتى أمره البنيان، إما زلزلةً أو ريحاً فخرّبته.... والقواعد: أصول البناء، وإذا اختلت القواعد سقط البناء.... وقيل: إن المراد بالسقف السماء؛ أي: إن العذاب أتاهم من السماء التي هي فوقهم، قاله ابن عباس (١). وقيل: إن ﴿فَاتَى اللَّهُ بُيُوتَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾ تمثيل، والمعنى: أهلكتهم فكانوا بمنزلة من سقط عليه بنيانه. وقيل: المعنى أحبط الله أعمالهم فكانوا بمنزلة من سقط بنيانه. وقيل: المعنى أبطل مكرهم وتدبيرهم فهلكوا كما هلك من نزل عليه السقف من فوقه) (٢).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرّض.

Ø في معنى هذه الآية ثلاثة أقوال:

القول الأول- إن معنى الآية: أتى أمر الله البنيان من أصوله، فسقط السقف عليهم.

وهذا القول مروى عن قتادة (٣) ومقاتل (٤).

وهو ما رجحه القرطبي، موافقاً لابن جرير الطبري (٥).

وقال به: الثعلبي والزخشري وابن عطية والبغوي وابن كثير وجلال الدين السيوطي

وأبو السعود والشنقيطي (٦).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧ / ١٩٤).

(٢) تفسير القرطبي (١٢ / ٣١٤، ٣١٣).

(٣) انظر: تفسير عبد الرزاق (١ / ٣٥٥) تفسير ابن أبي حاتم (٧ / ٢٢٨٢) الدر المنثور (٩ / ٤٢).

(٤) انظر: تفسير مقاتل (٢ / ٢١٦).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٧ / ١٩٣).

(٦) الكشف والبيان (٦ / ١٤) الكشف (٣ / ٣٤٨) المحرر الوجيز (٤ / ١٦٢) معالم التنزيل (٥ / ١٦) تفسير

القرآن العظيم (٤ / ٥٦٦) تفسير الجلالين (٤ / ٤٢٦) إرشاد العقل السليم (٤ / ١١٠) أضواء البيان

(٨ / ٤٩٧).

* أن قوله تعالى: ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ يفيد أنهم كانوا حاليين تحته، وهذا دليل على أنه سقف حقيقي، وأن هذا الأمر وقع حقيقةً لقومٍ مكروا وكفروا بالله.

* أنا المشهور والمعروف من تداعي قواعد البنيان وخرور السقف هو أن يكون ذلك واقعاً وحقيقةً، وحمل الكلام على المعروف منه والمشهور هو الأولى.

القول الثاني- إن معنى الآية: أن العذاب أتاهم من السماء التي هي فوقهم.

وهذا القول مروى عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

و احتج لهذا القول بأن السماء توصف بأنها سقف، لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ

© مَحْفُوظًا﴾ الأنبياء: ٣٢.

القول الثالث- إن قوله تعالى ﴿فَأَنَّى اللَّهُ بُنِيَ نَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ

فَوْقِهِمْ﴾ من باب التمثيل والتشبيه، ولم يقع حقيقةً (١).

و اختلف في معنى الآية على عدة تأويلات، منها:

- أهلكهم الله فكانوا بمنزلة من سقط عليه بنيانه.

- أحبط الله أعمالهم فكانوا بمنزلة من سقط بنيانه.

- أبطل الله مكرهم وتديرهم فهلكوا كما هلك من نزل عليه السقف من فوقه.

وهو قول أبي عبيدة (٢)، واختاره الفخر الرازي وقال: إنه الأقرب إلى المعنى (٣)،

والشوكاني لاقتضائه العموم (٤).

وقال به من المفسرين: الألوسي والطاهر بن عاشور (٥).

(١) ولازم هذا القول أن تكون الآية عامة في جميع مكذبي الأمم السابقة.

(٢) انظر: مجاز القرآن (٤١١/١).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب (٣٧٦/٩).

(٤) انظر: فتح القدير (٢١٤/٤).

(٥) انظر: روح المعاني (١٣٧/١٠) التحرير والتنوير (١٣٥/١٤).

و احتجوا بما يلي:

* أن إطلاق البناء على مثل هذا المعنى وارد في فصيح الكلام، فمنه قول عبدة بن الطيب (١):

فما كان قيسٌ هُلكهُ هُلكٌ واحدٍ ولكنّه بِنِيانٍ قومٍ تَهَدَّمًا
* أن لهذا القول نظائر:

- في القرآن، كقوله تعالى: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ الحشر: ٢.
- وفي كلام العرب، كقولهم في المثل: (من حفر مَعْوَاةً^(٢) وقع فيها) لمن أراد مكرًا فحاق به^(٣).

قال الطاهر بن عاشور عن هذه الآية:

(هي تشبيه هيئة القوم الذين مكروا في المنعة فأخذهم الله بسرعة وأزال تلك العزة، بهيئة قوم أقاموا بنياناً عظيماً ذا دعائم وآوا إليه فاستأصله الله من قواعده فخر سقف البناء دفعة على أصحابه فهلكوا جميعاً. فهذا من أبداع التمثيلية لأنها تنحل إلى عدة استعارات)^(٤).

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض الأقوال السابقة ما يلي:

§ يلزم من كون أكثر المفسرين في المسألة السابقة على أن المراد بـ ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾^(١) النمرود وقومه؛ أن يكون أكثرهم في هذه المسألة على القول الأول، وهذه النتيجة متحققة.

§ أن الأقوال الثلاثة تندرج تحت معنيين رئيسيين:

(١) عبدة بن الطيب: شاعر من بني عبد شمس بن كعب، من شعراء العصر الإسلامي، وهذا البيت من قصيدة رثى فيها قيس بن عاصم. انظر: الشعر والشعراء (١٥٥/٢).

(٢) المَعْوَاة: وهي حفرة تحتفر للذئب ويجعل فيها جدي إذا نظر الذئب إليه سقط عليه يريده فيصاد ومن هذا قيل لكل مهلكة مغواة، انظر: لسان العرب (١٤٠/١٥).

(٣) انظر: مجمع الأمثال (١٣٦/١) المستقصى في أمثال العرب (١٤٧/١).

(٤) التحرير والتنوير (١٣٥/١٤).

- الأول: أن الآية على ظاهرها وحقيقتها، فإتيان البنيان من القواعد وخرور السقف من فوق وقع حقيقةً، وهو القول الأول.

- الثاني: أن الآية على سبيل التمثيل والتشبيه، فإتيان البنيان من القواعد وخرور السقف لم يقع، وهو القولان الثاني والثالث.

§ من خلال التأمل في القول الثالث يظهر أنه يصح أن يكون من لطائف الآية، أو أن يكون تنزيلاً لها على أحوال الكافرين في كل عصر ممن مكروا فأتوا من حيث لم يحتسبوا؛ وذلك لكون مكر الله بالماكرين من سنن الله في العباد.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو (أن معنى الآية: أتى أمر الله البنيان من أصوله، فسقط السقف عليهم).

يشهد بصحة هذا قواعد الترجيح الآتية:

* لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل (١).

* أن قول الجمهور وأكثر المفسرين أولى، لأن كثرة القائلين بالقول تقتضي ترجيحه (٢).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن معنى الآية: أتى أمر الله البنيان من أصوله، فسقط السقف عليهم) صحيح، حسب ما ظهر لي من خلال مناقشة الأقوال، وبموجب قواعد الترجيح المقررة لهذا الرأي.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) انظر: قواعد الترجيح (١/١٢٢).

(٢) انظر: مقدمة تفسير ابن جزي (١/٤٢).

المسألة الثالثة: المراد بـ ﴿الذين أتوا العلم﴾.

يقول القرطبي رحمته الله: ﴿ - / ○ ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: الملائكة (١). وقيل: المؤمنون (٢).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمريص.

○ في المراد بـ ﴿ / ○ ﴾ في هذه الآية خمسة أقوال:

القول الأول - المراد: الملائكة.

فيكون المعنى: أن الله تعالى يسألهم سؤال توبيخ فيقول: أين، فلا يجيبون، فعندئذ تقول الملائكة: إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين. وهو ما رجحه القرطبي رحمته الله، وتبعه السمرقندي (٣).

وهذا القول مروى عن ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل، إلا أن الأخير خصَّصه بالحفظة منهم (٤).

و يُحتجُّ لهذا القول بأن الملائكة هم أعلم من في ذلك الموقف بعد الله، وأولى من غيرهم بالكلام.

القول الثاني - المراد: المؤمنون.

فيكون المعنى: أن الله تعالى يجعل الغلبة للمؤمنين فيقولون للكفار يوم القيامة: إنَّ الخزي اليوم والسوء على الكافرين. وهو مروى عن يحيى بن سلام (٥).

(١) نسبه ابن الجوزي إليه. انظر: زاد المسير (٤ / ٨٩).

(٢) تفسير القرطبي (١٢ / ٣١٥).

(٣) انظر: بحر العلوم (٢ / ٤٦٢).

(٤) انظر: تفسير مقاتل (٢ / ٢١٧).

(٥) نسبه ابن عطية إليه. انظر: المحرر الوجيز (٤ / ١٦٢).

وقال به: ابن زنين والثعلبي والبغوي (١).

و احتج لهذا القول: بأن الكفار لما كانوا يتكبرون على المؤمنين في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة أكرم الله أهل الحق بأنواع الكرامات وأهان أهل الباطل بأنواع الإهانات، فصدور هذا الكلام من المؤمنين يكون أشد إيلاًماً للكفار، وحصول الشماتة منهم أقوى.

القول الثالث- المراد: الأنبياء والذين آتاهم الله علماً من المؤمنين الذين كانوا يدعونهم إلى

الإيمان.

فيكون المعنى: يقول الأنبياء والعلماء للكافرين توبيخاً لهم وشماتةً بهم يومئذ: إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين.

قال بهذا المعنى: الزمخشري وجلال الدين السيوطي وأبو السعود والطاهر بن

عاشور (٢).

و وجه هذا المعنى: أن هذا القول مقولٌ للكافرين على سبيل الشماتة والتوبيخ، فناسب أن يكون صادراً ممن كانوا يُشتمون ويؤبّخون من قبلهم في الدنيا؛ حيث إن الجزاء من جنس العمل.

القول الرابع- المراد: العلماء.

فيكون المعنى: لما كان العلماء يعظون الكفار في الدنيا فيبادرهم الكفار بالشتم والتوبيخ نصر الله أهل العلم في الآخرة فجعلهم في مقام الشاتم الموبّخ لأولئك الكفار، انتقاماً لهم.

و هذا القول رجحه الشوكاني (٣)، وقال به: السعدي (٤).

و احتج لهذا القول بما يلي:

(١) انظر: تفسير ابن أبي زنين (٤٠٠/١) الكشف والبيان (١٤/٦) معالم التنزيل (١٦/٥).

(٢) انظر: الكشاف (٣٤٨/٣) تفسير الجلالين (٤٢٧/٤) إرشاد العقل السليم (١١١/٤) التحرير والتنوير (١٣٧/١٤).

(٣) انظر: فتح القدير (٢١٦/٤).

(٤) انظر: تيسير الكريم المنان (٤٣٨/١).

* أنالوصف بالعلم تخصيص لمن تظهر فيه هذه الصفة أكثر من غيره، وهو في العلماء أظهر من كونه في الأنبياء والملائكة، وهم وإن كانوا من أهل العلم - بل هم أعرق فيه - لكن لهم وصف يُذكرون به هو أشرف من هذا الوصف، وهو كونهم أنبياء وملائكة.

- قال السعدي رحمته الله: (وفي هذا فضيلة لأهل العلم، وأنهم الناطقون بالحق في هذه الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وأن لقولهم اعتباراً عند الله وعند خلقه) (١).

القول الخامس - المراد: كل من آتاه الله علماً من ملكٍ أو إنسيٍّ أو جنِّيٍّ ممن حضر ذلك الموقف.

فيكون المعنى: حين يوبِّخ الله تعالى الكافرين يوم القيامة ويؤدِّبهم، فإنهم يزدادون خزيًا بقول كل من في ذلك الموقف من الملائكة والمؤمنين إنساً وجنّاً: إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين.

وهذا ما رجحه ابن عطية وابن جزري وأبو حيان (٢).
واحتجُّوا: بأنه لا دليل على التعيين والتخصيص، وأن العموم أوفق بالموقف يوم القيامة.

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض الأقوال السابقة ما يلي:

§ أن القولين الأول والثاني مرويان عن السلف.

§ أن جميع أقوال المفسرين يصح حمل الآية عليها ويستقيم المعنى بها، إلا أن لفظ

﴿O / . ﴾ قد جاء في القرآن في مواضع كثيرة علم على العلماء، منها:

- وقوله: ﴿= > ? @ A B C D E F G H ﴾ الإسراء:

(١) تيسير الكريم المنان (١/ ٤٣٨).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ١٦٢) التسهيل (١/ ٤٦٢) البحر المحيط (٧/ ٢٣٠).

- وقوله: ﴿وَلْيَعْلَمَ﴾ © أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به﴾ الحج:

٥٤

- وقوله: ﴿﴾ V W X Y Z [\] ^ _ `

﴿a﴾ القصص: ٨٠

- وقوله: ﴿﴾ dc e gf h i j k ﴿﴾ العنكبوت: ٤٩

- وقوله: ﴿﴾ q r s t u v w x y z { } ﴿﴾ الروم:

٥٦

- وقوله: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِينَ﴾ © إيتك من ربك هو الحق﴾ سبأ: ٦

- وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا﴾ ﴿﴾ محمد: ١٦

- وقوله: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ ءَا﴾ ﴿﴾ المجادلة: ١١

و عليه، فيحمل لفظ "الذين أوتوا العلم في هذه الآية" على معهود استعماله في القرآن، والله أعلم.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو (أن المراد بـ ﴿﴾ أ ج

﴿﴾: العلماء) ويدخل فيهم الملائكة والأنبياء بطريق الأولى؛ لأنهم أعلم الخلق.

يقوي هذا الرأي قواعد الترجيح الآتية:

* حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى^(١).

* لا تخصيص إلا بدليل^(٢).

(١) انظر: قواعد الترجيح (١/١٥٣).

(٢) انظر: الكشاف (١/٦٣).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن المراد بالذين أوتوا العلم: الملائكة) جزء من المعنى يتضمنه القول الراجح، حسبما ظهر من مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، وبمقتضى قواعد الترجيح المقررة عند المفسرين وغيرهم.

والله تعالى أعلم وهو الموفق للصواب

المسألة الرابعة: المراد بـ ﴿الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾.

يقول القرطبي رحمته الله: ﴿ ٨ ٩ : ; < ﴾ هذا من صفة الكافرين. و ﴿ ; < ﴾ نصبٌ على الحال، أي: وهم ظالمون أنفسهم إذ أوردوها موارد الهلاك ﴿ > ؟ ﴾ أي: الاستسلام. أي: أقروا لله بالربوبية وانقادوا عند الموت وقالوا: ﴿ @ D C B A ﴾ أي: من شرك.... وقال عكرمة: (نزلت هذه الآية بالمدينة في قوم أسلموا بمكة ولم يهاجروا فأخرجتهم قريش إلى بدر كرهاً فقتلوا بها^(١)) فقال: ﴿ ٩ ٨ : ﴾ بقبض أرواحهم ﴿ ; < ﴾ في مقامهم بمكة وتركهم الهجرة ﴿ > ؟ ﴾ يعني في خروجهم معهم.... ﴿ @ D C B A ﴾ يعني: من كُفر ﴿ L K J I H G F ﴾ يعني: أن أعمالهم أعمال الكفار. وقيل: إن بعض المسلمين لما رأوا قلة المؤمنين رجعوا إلى المشركين فنزلت فيهم^(٢). وعلى القول الأول فلا يخرج كافر ولا منافق من الدنيا حتى ينقاد ويستسلم ويخضع ويذل، ولا تنفعهم حينئذ توبة ولا إيمان، كما قال: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ غافر: ٨٥، وتقدم في الأنفال إن الكفار يُتوفون بالضرب والهوان، وكذلك في الأنعام^(٣)^(٤).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرّض، وذكر وجه الترجيح وهو وجود نظائر قرآنية تؤيد المعنى.

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/١٩٥).

(٢) انظر: تفسير أبي الليث (٢/٢٣٣).

(٣) وهو قوله تعالى في الأنفال: "ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق" (٥٠)، وفي الأنعام: "هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً" (١٥٨). الأنعام (٩/١٢٧).

(٤) تفسير القرطبي (١٢/٣١٥).

Ø في المراد بـ ﴿ 8 9 : ; < ﴾ قولان:

القول الأول- المراد: الكافرون.

وهو ما رجحه القرطبي موافقاً للطبري وابن عطية، ووافقه أبو حيان (١).

وهذا القول مروى عن مقاتل (٢)، وأجمع المفسرون على القول به (٣).

ووجه هذا القول:

* أن الاسم الموصول "الذين" مجرور المحل لكونه صفةً لـ "الكافرين" أو بدلاً منه أو عطف بيان أو يكون منصوباً على الذم.

- قال ابن عاشور: (وأطبق من تصدى لربطه بما قبله من المفسرين، على جعل الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم الآية بدلاً من الكافرين أو صفة له) (٤).

* أن لهذا المعنى نظائر في القرآن، منها:

- قوله تعالى: ﴿ ZY { | } ~ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ أَنْظُرْ كَيْفَ ©

عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿ الأنعام: ٢٣-٢٤.

- وقوله: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيَّنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا

عَنَا ã عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا ﴿ الأعراف: ٣٧.

القول الثاني- المراد: قوم من المسلمين.

ثم اختلفت الروايات في تعيينهم:

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧ / ١٩٥) المحرر الوجيز (٤ / ١٦٣) البحر المحيط (٧ / ٢٣٠).

(٢) انظر: تفسير مقاتل (٢ / ٢١٧).

(٣) وعلى رأسهم محرروا المفسرين، كالزمخشري والفخر الرازي وابن كثير والألوسي والشوكاني والشنقيطي. انظر:

الكشاف (٣ / ٣٤٨) مفاتيح الغيب (٩ / ٣٧٧) تفسير القرآن العظيم (٤ / ٥٦٧) روح المعاني (١٠ / ١٤٢)

فتح القدير (٤ / ٢١٦) أضواء البيان (٢ / ٣٦٨).

(٤) التحرير والتنوير (١٤ / ١٣٩).

١. فقيل: إنهم قوم أسلموا بمكة ولم يهاجروا فأخرجتهم قريش إلى بدر كرهاً فقتلوا بها.
وردّ ابن عطية على من زعم أن هذا مراد الآية، فقال: (وإنما اشتبهت عليه بالآية الأخرى التي نزلت في أولئك^(١)) باتفاق من العلماء^(٢).

٢. وقيل: إن بعض المسلمين لما رأوا قلة المؤمنين رجعوا إلى المشركين فنزلت فيهم.
واحتج أصحاب هذا القول بأن الاسم الموصول واقع في محل رفع على الابتداء.

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض القولين السابقين ما يلي:

§ أن المفسرين أجمعوا على القول الأول؛ وحكوا القول الثاني في تفاسيرهم دون تعيين لقائل به.

§ أن القول الأول فيه حمل للآية على العموم، وذلك ما يفيد الاسم الموصول "الذين"، وهذا أولى من تأويل اللفظ بأنه عام أريد به الخصوص؛ لأن الأصل العموم ولا ناقل عنه.
- ذكر ابن جزي أن من وجوه الترجيح: (تقديم العموم على الخصوص، فإن العموم أولى لأنه الأصل، إلا أن يدل دليل على التخصيص)^(٣).

§ أن القول الثاني تضعفه أمور:

- أن فيه تخصيص للآية بالسبب، والصحيح أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو مقرر عند الأصوليين.

- أن هذا التخصيص لم يدل عليه دليل صريح، وهو مستنبط من الصيغة التي روي بها سبب النزول (نزلت هذه الآية في....) و(.... فنزلت هذه الآية).

- تعدد الروايات التي تُحمَل الآية عليها، فيكون تعيين المراد محتملاً لا مجزوماً به،

(١) وهي قوله تعالى: "إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض..."
(النساء: ٩٧).

(٢) المحرر الوجيز (٤/١٦٣).

(٣) انظر: مقدمة تفسير ابن جزي (١/٤٣).

والقول المحتمل دون القول المجزوم به.

§ أن القول الأول فيه اعتبار للسباق واللحاق، وهذا مقدّم على ما لم تكن فيه مراعاة لذلك.

§ أن الظاهر اتصال المعنى بين الآيتين، وهو أولى من حمل الكلام المتصل الألفاظ على الانقطاع في المعنى.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو (أن المراد: الكافرون).

يشهد بصحة هذا الترجيح قواعد العلمية الآتية:

* التأويل المجمع عليه أولى بتأويل القرآن^(١).

* مهما أمكن إلحاق الكلام بما يليه أو بنظيره فهو أولى^(٢).

* لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل^(٣).

* القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك^(٤).

* يجب حمل نصوص الوحي على العموم^(٥).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن المراد بـ 8 9 :

؛ < : الكافرون) صحيح، حسبما تبين من مناقشة الأقوال الواردة في تفسير

الآية، ولجمع من قواعد الترجيح المؤيدة لهذا القول.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) انظر: تفسير الطبري (١/ ٢٨٩).

(٢) انظر: قواعد التفسير (١/ ٢٤٩).

(٣) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ١٢٢).

(٤) انظر: المصدر السابق (١/ ٢٨١).

(٥) انظر: المصدر السابق (٢/ ١٦٦).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ز ي [\] ^ ` a c e d f g

h i j k l m n o p q r s t u v w x

كذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾

في هذه الآية ثلاث مسائل.

المسألة الأولى: وقت إلقاء السؤال: ﴿ماذا أنزل ربكم﴾ على "الذين اتقوا" (١).

يقول القرطبي رحمه الله: (وكان يردُّ الرجلُ من العرب مكة في أيام الموسم، فيسأل المشركين عن محمد عليه الصلاة والسلام فيقولون: ساحر، أو شاعر، أو كاهن، أو مجنون. ويسأل المؤمنون فيقولون: أنزل الله عليه الخير والهدى (٢)، والمراد القرآن. وقيل: إنَّ هذا يقال لأهل الإيمان يوم القيامة) (٣).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرّض.

Ø في تحديد وقت إلقاء هذا السؤال على المتقين قولان:

القول الأول - إن وقت إلقاء السؤال كان في الدنيا.

و على هذا فيكون السائل:

- من يرد مكة أيام الموسم من العرب، فيسأل عن النبي [^] و عما جاء به، فيقول المؤمنون: خيراً، وهذا ما رجحه القرطبي.
- أو يكون من الكفرة، على سبيل التهكم.

(١) قال الألويسي: (وهم المؤمنون، وصفوا بذلك إشعاراً بأن ما صدر عنهم من الجواب ناشىء من التقوى) روح

المعاني (١٠ / ١٤٥)، وقال ابن عاشور: (ودل النصب على أنهم مصدقون بأن القرآن منزل من عند الله)

التحرير والتنوير (١٤ / ١٤١).

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧ / ٢٢٨١).

(٣) تفسير القرطبي (١٢ / ٣١٧).

وهذا القول مروى عن السدي (١) ومقاتل (٢).

وقال به: الواحدي وابن الجوزي والبعوي والزمخشري وأبو حيان والألوسي والطاهر بن عاشور (٣).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن الاسم الموصول "الذين" للعهد، فالمراد بهم: من كان في مكة من المؤمنين ممن وُجّهت إليهم المسألة.

* أنه أنسب بسياق الآية، حيث إن الإخبار في الآية (٣٠) عن المؤمنين حين سئلوا:

﴿ \] ^ _ ﴾ فقالوا: ﴿ a ﴾ وقع في مقابلة الإخبار في الآية (٢٤) عن الكافرين حين سئلوا: ﴿ \] ^ _ ﴾ فقالوا: ﴿ أسْطِيرُ ﴾ © .

القول الثاني- إن وقت إلقاء السؤال يكون في الآخرة.

وهذا القول حكاه المفسرون لاحتمال الآية له، إلا أنه لم يُنسب، ولم يختره منهم أحد.

كما أنه لا يمكن تحديد القائل؛ إذ لم ترد به رواية.

واستدل لهذا القول بما يلي:

* أن الاسم الموصول "الذين" من صيغ العموم، فيعم جميع المتقين في الآخرة.

* أن سياق الآية يحتمل هذا المعنى؛ حيث إن السَّباق في الإخبار عن مصير

الكافرين في الآخرة، فالأولى أن يكون الإخبار متصلاً عن أحوال الآخرة، لا سيما وأن

القرآن مثاني، وأن من أساليبه المعهودة المقابلة بين أحوال المؤمنين وأحوال المشركين في

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢٢٨١/٧).

(٢) انظر: تفسير مقاتل (٢١٨/٢).

(٣) انظر: الوجيز (٤٢٠/١) زاد المسير (٩١/٤) معالم التنزيل (١٧/٥) الكشاف (٣٤٩/٣) البحر المحيط (٧/

٢٣١) روح المعاني (١٠/١٤٦).

مواضع كثيرة من القرآن (١).

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض القولين السابقين ما يلي:

§ أن الرواية عن السلف جاءت بالقول الأول.

§ أن سياق الآيات موافق للقول الأول من وجه، وللقول الثاني من وجه آخر.

§ أنه لا مانع من حمل الآية على سؤال المتقين في الآخرة، إذ لا يعارض ذلك شيء.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو (أن وقت إلقاء السؤال كان في

الدنيا وقد يكون في الآخرة؛ إذ الآية محتملة لذلك ولا مانع منه).

يؤيد هذا قواعد الترجيح الآتية:

* من وجوه الترجيح: أن يشهد لصحة القول سياق الكلام ويدل عليه ما قبله أو ما

بعده (٢).

* إذا ورد أكثر من تفسير صحيح تحتمله الآية بلا تضاد جاز تفسير الآية بها (٣).

* الجمع بين المقصودين أولى من العمل بأحدهما وتعطيل الآخر (٤).

- قال الشوكاني: (ومن شروط الترجيح التي لا بد من اعتبارها أن لا يمكن الجمع بين

المتعارضين بوجه مقبول فإن أمكن ذلك تعين المصير إليه ولم يجز المصير إلى الترجيح) (٥).

(١) من هذه المواضع على سبيل المثال: الآيات (٤٩-٥٥) في سورة ص: " هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب... "

هذا وإن للطاغين لشر مآب "، الآيات (٧١-٧٣) في سورة الزمر: " وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا... "

وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا "، والآيات (٢٧-٣١) في سورة النبأ: " إن جهنم كانت مرصادا - "

لطاغين مآبا... إن للمتقين مفازا - حدائق وأعنابا " وغيرها.

(٢) انظر: مقدمة تفسير ابن جزى (٤٢/١).

(٣) انظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم ص ٥٩١

(٤) انظر: الإحكام في أصول القرآن (١/٢١٨).

(٥) إرشاد الفحول ص ٤٠٧

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو:

(أن وقت إلقاء السؤال كان في الدنيا ممن يرد مكة أيام الموسم من العرب، فيسأل عن النبي عليه الصلاة والسلام و عما جاء به، فيقول المؤمنون: خيراً) جزء من القول الراجح -
والله أعلم - لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، ولقواعد الترجيح الداعمة للرأي الراجح.

والله تعالى أعلم وأجل وأحكم

المسألة الثانية: المراد بـ ﴿حسنة﴾.

يقول القرطبي رحمته الله: (والحسنة هنا: الجنة، أي من أطاع الله فله الجنة غداً. وقيل:

﴿d c﴾ اليوم حسنة في الدنيا من النصر والفتح والغنيمة)^(١).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرير.

Ø في تعيين المراد بالحسنة في هذه الآية ثلاثة أقوال:

القول الأول- إن المراد بـ "حسنة" أي: في الآخرة، وهي الجنة.

فيكون المعنى: من أطاع الله وأحسن في الدنيا فله الجنة في الآخرة.

وهو ما رجحه القرطبي رحمته الله، موافقاً بذلك ابن الجوزي^(٢).

وهذا القول مروى عن مقاتل^(٣)، وقال به من المفسرين: محمد الأمين الشنقيطي^(٤).

واحتج أصحاب هذا القول بموافقة سياق اللحاق، حيث إن جملة ﴿z k﴾

مفسرة لهذه الحسنة.

القول الثاني- إن المراد بـ "حسنة" أي: في الدنيا، وهي النصر والغنيمة والرفعة والهداية

والحياة الطيبة.

وهذا القول مروى عن مجاهد^(٥) والضحاك^(٦).

وهو قول الزجاج والواحدي وجلال الدين السيوطي والشوكاني^(٧)، ورجحه الفخر

(١) تفسير القرطبي (١٢ / ٣١٨).

(٢) انظر: زاد المسير (٤ / ٩١).

(٣) انظر: تفسير مقاتل (٢ / ٢١٨).

(٤) انظر: أضواء البيان (٢ / ٣٦٩).

(٥) انظر: معالم التنزيل (٥ / ١٧).

(٦) انظر: تفسير الضحاك ص ٥١٥.

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢ / ١٩٦) الوجيز (١ / ٤٢٠) تفسير الجلالين (٤ / ٤٣٠) فتح القدير (٤ / ٢١٦).

الرازي (١).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن الحسنة بمعنى ثواب الدنيا من النصر والغنيمة والرزق والحياة الطيبة له نظائر في

القرآن، منها:

- ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوهُمْ﴾ آل عمران: ١٢٠.

- ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ أَوْ نَفْسِكَ﴾ النساء: ٧٩.

- ﴿! # % &﴾ الأعراف: ١٣١.

* أنه أنسب بالسياق لأنه قال بعده: ﴿z k ا﴾، فدلّ على أن المراد

بـ"حسنة": كرامة الدنيا.

القول الثالث - إن المراد بـ"حسنة" أمرين: في الدنيا بالنصر والغنيمة والرفعة والهداية

والحياة الطيبة، وفي الآخرة بالجنة.

وهذا القول مروى عن السدي (٢).

وهو قول الزمخشري وابن عطية وأبي حيان وابن كثير والألوسي والطاهر بن

عاشور (٣).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* ما روى أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي [^] أنه قال: «إن الله لا يظلم مؤمناً

حسنة، يُعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة» (٤).

(١) انظر: مفاتيح الغيب (٩/ ٣٨١).

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٨١).

(٣) انظر: الكشاف (٣/ ٣٤٩) المحرر الوجيز (٤/ ١٦٣) البحر المحيط (٧/ ٢٣١) تفسير القرآن العظيم

(٤/ ٥٦٨) روح المعاني (١٠/ ١٤٦) التحرير والتنوير (١٤/ ١٤١).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب صفة القيامة والجنة والنار - باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة -

* أن لهذا المعنى نظائر في القرآن، منها:

- قوله تعالى: ﴿فَعَانَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ آل عمران: ١٤٨.

- وقوله: ﴿Z Y \ [] ^ _ ` a b c d

f g h i j k النحل: ٩٧.

- أن الله تعالى أخبر أن الكفار: ﴿Z \ [] ^ _ ` a

b﴾ البقرة: ١١٤، المائة: ٤١، ومفهوم المخالفة^(١) من هذه الآية: أن المؤمنين لهم في الدنيا ثواب وكرامة، ولهم في الآخرة الجنة.

* أن مجيء لفظ الحسنة بمعنى: خير الدنيا والجنة في الآخرة، له نظير في القرآن، وهو

قوله تعالى: ﴿مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ البقرة: ٢٠١.

وقد ورد عن السلف تفسير الحسنة بالمعنيين، فمن أقاويلهم:

- قول الحسن: (الحسنة في الدنيا: العلم والعبادة، وفي الآخرة: الجنة)^(٢).

- وقول سفيان الثوري: (الحسنة في الدنيا: العلم والرزق الطيب، وفي الآخرة حسنة الجنة)^(٣).

- وقول السدي: (أما حسنة الدنيا فالمال، وأما حسنة الآخرة فالجنة)^(٤).

(١) مفهوم المخالفة: هو إثبات نقيض حكم المنطوق للمسكوت، ويسمى دليل الخطاب؛ لأن دليله من جنس الخطاب أو لأن الخطاب دال عليه. البحر المحيط في أصول الفقه (٤/ ٤٢٤).

(٢) تفسير الطبري (٤/ ٢٠٦).

(٣) تفسير الطبري (٤/ ٢٠٦).

(٤) تفسير الطبري (٤/ ٢٠٦).

قال الطبري: (وقد تجمع الحسنة من الله عز وجل العافية في الجسم والمعاش والرزق والعلم والعبادة، وأما في الآخرة فلا شك أنها الجنة، لأن من لم ينلها يومئذ فقد حُرِم جميع الحسنات، وفارق جميع معاني العافية)^(١).

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض أقوال المفسرين ما يلي:

§ أن كل قول من الأقوال الثلاثة جاءت به الرواية عن السلف، وقال به عدة من المفسرين.

§ أن القول الثاني هو الأوفق بسياق الآية؛ لأن قوله ﴿ z k ا إخبار عن أجر الآخرة، فلو كان ﴿ c e d f g h إخبار عن أجر الآخرة أيضاً للزم التكرار بلا فائدة، وكلام الله منزّه عن ذلك.

§ أن القول الثالث أكثر الأقوال أدلة، إلا أنه في هذه الآية أقل ملاءمة لسياق الآية.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو (إن المراد بـ "حسنة" أي: في الدنيا بالنصر والغنيمة والرفعة والهداية والحياة الطيبة) يؤيد هذا الرأي قواعد الترجيح الآتية:

* إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك^(٢).

* إذا كان للاسم الواحد معانٍ عدة حمل في كل موضع على ما يقتضيه ذلك السياق^(٣).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن المراد بـ "حسنة" أي: في الآخرة،

(١) تفسير الطبري (٤/٢٠٦).

(٢) انظر: قواعد الترجيح (١/١١١).

(٣) انظر: قواعد التفسير (٢/٤٢٢).

== ترجمات القرطبي في التفسير من سورة الحجر إلى آية (٨٠) من سورة النحل == ٣٨٦ -

وهي اللجنة) مرجوح - من وجهة نظري - لما ذكرته في مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، ولما قدمته من قواعد وأدلة تؤيد القول الراجح.

والله تعالى أعلم بالصواب

المسألة الثالثة: المراد بـ ﴿دار المتقين﴾.

يقول القرطبي رحمته الله: ﴿p o n﴾ فيه وجهان - قال الحسن: المعنى (ولنعم دار المتقين الدنيا؛ لأنهم نالوا بالعمل فيها ثواب الآخرة ودخول الجنة^(١)). وقيل: المعنى ولنعم دار المتقين الآخرة، وهذا قول الجمهور^(٢).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرّض.

Ø للمفسرين في تعيين المراد بـ "دار المتقين" قولان:

القول الأول - إن المراد بـ "دار المتقين": الدنيا.

وهذا القول منسوب إلى الحسن البصري.

وهو ما رجحه القرطبي رحمته الله.

فيكون معنى الآية: ولنعم دار المتقين الدنيا؛ لأنهم نالوا بالعمل الصالح فيها ثواب الآخرة ودخول الجنة.

فمفاد هذا القول أن الدنيا إذا عمّرها المؤمنون بالصلاح وإقامة دين الله؛ فإنها تُمدح لهذا المعنى.

ولهذا القول شواهد ونظائر، منها:

* قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنْ

الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ الزمر: ٧٤.

- قال السدي: أرض الدنيا^(٣).

* قوله تعالى ﴿L N M O P Q R S T U V﴾

(١) انظر: النكت والعيون (٢/٣٧٢).

(٢) تفسير القرطبي (١٢/٣١٨).

(٣) انظر: النكت والعيون (٤/٢٦).

﴿٧٧﴾ الأنبياء: ١٠٥.

- قال بعض المفسرين: هي الأرض يورثها الله المؤمنين في الدنيا^(١).
- * ومن هذا المعنى مَدْحُ النبي ^ للمال في قوله لعمر بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢): «يا عمرو، نعم المال الصالح للمرء الصالح»^(٣).
- قال أبو جعفر الطحاوي في شرح مشكل الآثار: (والمال لا يكون صالحاً إلا وهو مفعول به ما أمر الله عز وجل بفعله فيه، ومن يفعل ذلك فيه بحق ملكه إياه، فهو صالح)^(٤).

القول الثاني - إن المراد بـ "دار المتقين": الآخرة، وهي الجنة.

فيكون المعنى: ولنعم دار المتقين الجنة.

وهذا القول مروى عن مقاتل^(٥).

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/٥٥٠).

(٢) عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي رضي الله عنه، أبو عبد الله: صحابي، فاتح مصر، وأحد عظماء العرب ودهاتهم وأولي الرأي والحزم والمكيدة فيهم. كان في الجاهلية من الأشداء على الإسلام، أسلم في هدنة الحديبية. وولاه النبي ^ إمرة جيش (ذات السلاسل). ثم استعمله على عمان. ثم كان من أمراء الجيوش في الجهاد بالشام في زمن عمر. وولاه عمر فلسطين، ثم مصر، وتوفي بالقاهرة. وأخباره كثيرة. ت: ٤٣ هـ. انظر: الاستيعاب (٣/٩٥٦).

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد - باب المال الصالح للمرء الصالح (١/٤٢٠) برقم ٣٠٨، والبيهقي في شعب الإيمان - باب التوكل على الله عز وجل والتسليم لأمره (٢/٤٤٦) برقم ١١٩٦، وأحمد في المسند - مسند عمرو بن العاص رضي الله عنه (٢٩/٢٩٩) برقم ١٧٧٦٣، وابن حبان في صحيحه - كتاب الزكاة - باب جمع المال من حله (٨/٦) برقم ٣٢١٠، وقال الألباني: (وإسناده صحيح على شرط مسلم، والكلام الذي في موسى بن علي بن رباح لا ينزل حديثه عن مرتبة الصحة، ولذلك لما صححه الحاكم على شرط مسلم؛ وافقه الذهبي) السلسلة الضعيفة (٥/٤١).

(٤) شرح مشكل الآثار (١٥/٣٢٨).

(٥) انظر: تفسير مقاتل (٢/٢١٨).

و هو قول الفراء والزجاج والواحدي والطبري وابن الجوزي والبغوي والفخر الرازي وابن كثير والألوسي والشوكاني ومحمد الأمين الشنقيطي^(١)، ورجحه أبو حيان ووافقه الخازن^(٢).

و أدلتهم ما يلي:

* أنه قول أكثر المفسرين^(٣).

* أن كون ﴿p o﴾ هي الجنة متقرر في الأذهان بسبب سبق ذكرها في الآية:

﴿p on k z﴾، فلما ذُكرت أولاً عُرِف معناها آخراً.

* من الثابت في قواعد النحو أنه إذا تقدم ما يدل على المخصوص بالمدح لم يذكر بعد

ذلك^(٤)، ونجد هنا أن تقدم ﴿k z﴾ دل على أن المخصوص بالمدح هو دار

الآخرة. والمعنى: ولنعم دار المتقين دار الآخرة.

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض القولين السابقين ما يلي:

§ أن القولين مرويان عن السلف.

§ أن القول الأول تقويّه أمور:

- أنه قول جمهور المفسرين.

- أنه أوفق بسياق الآية، سباقها ولحاقها.

- أنه موافق للوجه الإعرابي الأقوى.

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (٩٧/٢) معاني القرآن وإعرابه (١٩٦/٢) الوجيز (٤٢٠ / ١) تفسير الطبري

(١٧/١٩٦) زاد المسير (٩١ / ٤) معالم التنزيل (١٧ / ٥) مفاتيح الغيب (٣٨١ / ٩) تفسير القرآن العظيم

(٤ / ٥٦٨) روح المعاني (١٠ / ١٤٦) فتح القدير (٤ / ٢١٦) أضواء البيان (٢ / ٣٦٩).

(٢) انظر: البحر المحيط (٧ / ٢٣١) لباب التأويل (٤ / ١٧٣).

(٣) قاله البغوي. انظر: معالم التنزيل (٥ / ١٧).

(٤) انظر: النحو الوافي (٣ / ٣٧٧).

- أنه ظاهر الآية.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو (أن المراد بـ ﴿p o﴾: اللجنة) مع صحة المعنى الثاني ووجهته.

يؤيد هذا الترجيح قواعده العلمية الآتية:

* مهما أمكن إلحاق الكلام بما يليه أو بنظيره فهو أولى^(١).

* أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين، فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه^(٢).

* يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة^(٣).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن المراد بـ ﴿p o﴾: الآخرة، وهي اللجنة) صحيح - من وجهة نظري - لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، ولما قدمته من أدلة تؤيد القول الراجح.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) انظر: قواعد التفسير (٢/٢٤٩).

(٢) انظر: مقدمة تفسير ابن جزي (١/٤٢).

(٣) انظر: قواعد الترجيح (٢/٢٧١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ تَأْتِيهِمُ الْمَلَكَةُ أَوْ يَأْتِي أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٣٣)

في هذه الآية مسألة واحدة، هي:

المُرَادُ بِـ ﴿أَمْرُ رَبِّكَ﴾.

يقول القرطبي رحمه الله: ﴿يَأْتِي أَمْرُ رَبِّكَ﴾ أي: بالعذاب من القتل - كيوم بدر - أو الزلزلة، والخسف في الدنيا. وقيل: المراد يوم القيامة (١).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرّض.

Ø في تعيين المراد بـ "أمر ربك" قولان:

القول الأول - إن المراد: عذاب الدنيا، كالقتل أو الزلزلة أو الخسف.

فيكون المعنى: هل ينتظرون إلا أن يأتيهم عذاب الله المستأصل لهم في الدنيا؟.

وهذا المعنى مروى عن مقاتل (٢).

وهو ما رجحه القرطبي رحمه الله موافقاً للثعلبي (٣)، ووافقهم: الخازن والسمرقندي (٤).

وقال به: الزجاج وأبو جعفر النحاس والواحدي والفخر الرازي وابن عادل وأبو

السعود والألوسي والسعدي والطاهر بن عاشور (٥).

واستدلوا بما يلي:

* سياق الآية، وفيه:

(١) تفسير القرطبي (١٢ / ٣٢٠).

(٢) انظر: تفسير مقاتل (٢ / ٢١٨).

(٣) انظر: الكشف والبيان (٦ / ١٥).

(٤) انظر: لباب التأويل (٤ / ١٧٦) بحر العلوم (٢ / ٤٦٣).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣ / ١٩٦) معاني القرآن (٤ / ٦٤) الوجيز (١ / ٤٢١) مفاتيح الغيب (٩ / ٣٨٣)

اللباب (١٠ / ١١١) إرشاد العقل السليم (٤ / ١١٦) روح المعاني (١٠ / ١٥١) تيسير الكريم المنان (١ / ٤٣٩)

التحرير والتنوير (١٤ / ١٤٥).

- أن العذاب الديني والاستئصال للطوائف المعاندة سبق ذكره في قوله: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَنَّ اللَّهَ بَدَّلَ كَيْدَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفَ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ النحل: ٢٦.

- أن ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ هم السابق ذكرهم في قوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

- أن قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: مثل فعل هؤلاء - من الإصرار على الكفر والتكذيب والاستهزاء - فعل الذين خلوا من قبلهم، فأتاهم أمر الله فهلكوا.

- أن قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٣٣) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ النحل: ٣٣-٣٤ صريح في أن المراد به ما أصابهم من العذاب الديني.

- أن قوله في الآية التي تليها: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ هو عذاب الدنيا ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ بأنه غير نازل بهم في الدنيا.

* أن مجيء لفظ "أمر الله" بمعنى عذاب الدنيا له نظائر في القرآن، منها:

- قوله تعالى: ﴿۞ وَالْأَرْضُ زُخْرُفُهَا وَأَزْيِنَتْ وَظُرَّتْ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِيدُونَ عَلَيْهَا آتَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ﴾ يونس: ٢٤.

- وقوله في الإخبار عن إهلاك قوم نوح: ﴿F E D C B A﴾ هود: ٤٠.

- وقوله تعالى في الإخبار عن إهلاك قوم هود: ﴿o n m l k j i r q p﴾ هود: ٥٨.

- وقوله في الإخبار عن إهلاك قوم لوط: ﴿! " # \$ % &﴾ هود: ٨٢.

- وقوله: ﴿M L K J I H F E D C B﴾

[ZY XW UT SR QPON] ﴿ هود: ١٠١ .

القول الثاني - إن المراد: عذاب الآخرة.

فيكون المعنى: هل ينتظر هؤلاء إلا الملائكة أن تأتيهم لقبض أرواحهم، أو يأتي يوم القيامة وما يعاينونه من الأهوال؟

وهذا القول مروى عن مجاهد (١) وقتادة (٢).

وهو قول الطبري وابن كثير (٣)، ورجحه البغوي (٤).

و احتج لهذا القول بأن له نظائر في القرآن، منها:

- قوله تعالى: ﴿ Z Y X ﴾ النحل: ١١ أي: قُربت القيامة.

- وقوله: ﴿ Z X WVU ﴾ [Z X WVU] \ [Z X WVU] ^ _ `

f e d c b a ﴿ الحديد: ١٤ أي: الموت أو عذاب الله (٥).

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض القولين السابقين وأدلتها ما يلي:

* أن القولين مرويان عن السلف.

* أن كتب الوجوه والنظائر ذكرت أن للفظ " أمر " مضافاً إلى لفظ الجلالة أو ضميره،

وجوهاً عدة في القرآن تصل إلى ستة عشر وجهاً (٦)، وقد يجيء الموضوع الواحد محتملاً

لأكثر من وجه.

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧ / ١٩٩) الدر المنثور (٩ / ٤٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧ / ١٩٩) تفسير ابن أبي حاتم (٧ / ٢٢٨٣) الدر المنثور (٩ / ٤٥).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧ / ١٩٩) تفسير القرآن العظيم (٤ / ٥٦٩).

(٤) انظر: معالم التنزيل (٥ / ١٨).

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٤ / ١٨).

(٦) انظر مثلاً: الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ص ٤٠ وما بعدها.

* أن الكفار موعودون بعذابي الدنيا والآخرة، وكلا العذابين من أمر الله.

* أن القول الأول أظهر وأقوى، لأمر:

§ قرينة اللفظ " ينظرون " فإن المشركين كانوا يستعجلون عذاب الدنيا وينتظرونه:

- كقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالُوا ﴾ ﴿ إِنَّ كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا

﴿ أَمْطِرْ عَلَيْنَا عَذَابَ أَلِيمٍ ﴾ الأنفال: ٣٢.

- وقوله: ﴿ ! " # \$ % & ' () ﴾

الرعد: ٦.

- وقوله: ﴿ ! # \$ % & ' () ﴾ العنكبوت: ٥٣.

§ أن غالب استعمال لفظ " أمر " مضافاً إلى اسم الجلالة أو ضميره في القرآن كان

بمعنى: عذاب الدنيا، خاصة في الإخبار عن إهلاك الأمم السابقة.

§ أنه الأوفق بالسياق من عدة وجوه، لما ذكرت أنفاً في أدلة القول الأول.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو (أن المراد: عذاب الدنيا)

يشهد بصحة هذا الترجيح القواعد الآتية:

* الكلمة إذا احتملت وجوهاً لم يكن لأحد صرف معناها إلى وجه من الوجوه إلا

بحجة (١).

* إذا كان للاسم الواحد معانٍ عدة حمل في كل موضع على ما يقتضيه ذلك السياق (٢).

* حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى (٣).

(١) انظر: تفسير الطبري (١/٨٠٥).

(٢) انظر: قواعد التفسير (٢/٤٢٢).

(٣) انظر: قواعد الترجيح (٢/١٥٣).

== ترجيحات القرطبي في التفسير من سورة الحجر إلى آية (٨٠) من سورة النحل == ٣٩٥ -

* القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه (١).

الحكمه على ترجيح القرطبي رحمه الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمه الله وهو (أن المراد: عذاب الدنيا) صحيح -

والله أعلم - حسبما ظهر لي من نتائج مناقشة الأدلة، ومقتضيات قواعد الترجيح.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) المصدر السابق (٢٦٩/١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ { z y x i v u t s } | ~ وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ
 أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ © لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا
 لَشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ
 مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَنْبُوْتَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۗ وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةَ أَكْبَرُ ۗ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾

في هذه الآيات أربع مسائل.

المسألة الأولى: المراد بـ ﴿الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ﴾.

يقول القرطبي رحمته الله: ﴿ لَهُمُ ﴾ أي: ليظهر لهم ﴿الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ﴾ أي: من
 أمر البعث ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالبعث وأقسموا عليه ﴿أَنَّهُمْ كَانُوا﴾ وقيل:
 المعنيولقد بعثنا في كل أمة رسولاً ليبين لهم الذي يختلفون فيه، والذي اختلف فيه المشركون
 والمسلمون أمور: منها البعث، ومنها عبادة الأصنام، ومنها إقرار قوم بأن محمداً حق ولكن
 منعهم من اتباعه التقليد كأبي طالب^(١).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرير.

Ø في المراد بـ ﴿الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ﴾ قولان:

القول الأول- إن المراد: الذي يختلفون فيه من أمر البعث.

فيكون المعنى: وعداً عليه حقاً أن يبعثكم ليبين لهؤلاء الذين يزعمون أن الله لا يبعث
 من يموت، ولغيرهم الذين يختلفون في إحياء الله خلقه بعد فنائهم.
 وهذا القول مروى عن مقاتل^(٢).

وهو ما رجحه القرطبي موافقاً للزمخشري وابن عطية^(٣)، رحم الله الجميع.

(١) تفسير القرطبي (١٢/٣٢٥).

(٢) انظر: تفسير مقاتل (٢/٢٢٠).

(٣) انظر: الكشاف (٣/٣٥٤) المحرر الوجيز (٤/١٦٧).

وقال بهذا المعنى: الطبري والواحدي وابن جزى الكلبي والفخر الرازي والشنقيطي^(١).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن سياق الآية في الرد على منكري البعث، فيكون الذي يختلفون فيه هو البعث.
* أن الضمير في " لهم " عائد على الكفار، والذي اختلفوا فيه - حسب سياق الآية - هو البعث.

القول الثاني- إن المراد: الذي يختلفون فيه من أمور الدين، كالبعث وعبادة الأصنام وعدم اتباع الحق تقليداً للآباء، وغير ذلك.
وهو ظاهر قول قتادة^(٢).

فيكون المعنى: بعثنا في كل أمة رسولاً ليبين لهم الذي اختلفوا فيه من الحق؛ من جعل آلهة مع الله، وإنكار النبوات، وإنكار البعث، وفي نسبة النقائص إلى الله تعالى، وغير ذلك.
- قال الطاهر بن عاشور: (وشمل قوله: " يختلفون فيه " كل معاني المحاسبة على الحقوق لأن تمييز الحقوق من المظالم كله محل اختلاف الناس وتنازعهم)^(٣).

وقال بهذا المعنى: النسفي وأبو حيان وابن كثير والسمرقندي وجلال الدين السيوطي وأبو السعود والألوسي والشوكاني والسعدي وابن عاشور^(٤).
واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧ / ٢٠٤) الوجيز (١ / ٤٢٢) التسهيل (١ / ٤٦٤) مفاتيح الغيب (٩ / ٣٨٨) أضواء البيان (٢ / ٣٧٧).

(٢) انظر: الدر المشور (٩ / ٤٧).

(٣) التحرير والتنوير (١٤ / ١٥٥).

(٤) انظر: مدارك التنزيل (٢ / ١٦٠) البحر المحيط (٧ / ٢٣٥) تفسير القرآن العظيم (٤ / ٥٧١) بحر العلوم (٢ / ٤٦٤) تفسير الجلالين (٤ / ٤٣٩) إرشاد العقل السليم (٤ / ١٢٠) روح المعاني (١٠ / ١٦٢) فتح القدير (٤ / ٢٢٠) تيسير الكريم المنان (١ / ٤٤٠) التحرير والتنوير (١٤ / ١٥٥).

* أن لفظ "الذي" من صيغ العموم^(١)، فيعمّ كل ما خالف فيه الكفار المؤمنين.

* ما روي عن قتادة رضي الله عنه أنه قال في ﴿لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾: (للناس عامة) وعليه؛ فالآية عامة في الناس وفي سائر ما يختلفون فيه.

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض القولين السابقين ما يلي:

§ أن كلا القولين مرويان عن السلف.

§ أن الجمع بين القولين ممكن، وذلك بأن يقال: لبيان لهم جميع ما اختلفوا فيه مما جاءت به الرسل، ويدخل فيه البعث دخولاً أولاً.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو (أن المراد بـ ﴿الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾: جميع ما اختلفوا فيه مما جاءت به الرسل، ويدخل فيه البعث دخولاً أولاً).

يعضد هذا الترجيح قاعدة علمية جليلة نص عليها العلماء، هي:

* الإعمال أولى من الإهمال^(٢).

- قال تقي الدين السبكي: (وإنما يرجح أحد الدليلين على الآخر إذا لم يمكن العمل

بكل واحد منهما، فإن أمكن ولو من وجه دون وجه فلا يصار إلى الترجيح بل يصار إلى

الجمع لأنه أولى من العمل بأحدهما دون الآخر؛ إذ فيه إعمال الدليلين، والإعمال أولى من

الإهمال)^(٣).

(١) انظر: الإتقان (٤١/٢).

(٢) انظر: إرشاد الفحول (٥٤/١).

(٣) الإبهاج (٢١٠/٣).

- وقال ابن أمير حاج (١): (الأصل في الأدلة الإعمال لا الإهمال) (٢).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن المراد: الذي يختلفون فيه من أمر البعث) جزء من القول الراجح - والله أعلم - وهذا ما ظهر لي من خلال تطبيق قواعد الترجيح.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) محمد بن محمد بن محمد المعروف بابن أمير حاج، ويقال له: ابن الموقت، أبو عبد الله: فقيه، من علماء الحنفية. من أهل حلب. من كتبه: (التقرير والتحبير) في شرح التحرير لابن المهام في أصول الفقه، و(ذخيرة القصر في تفسير سورة والعصر) و(حلية المجلي) في الفقه. ت: ٨٧٩هـ. انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٧٢/٩) الأعلام (٧/٤٩).

(٢) التقرير والتحبير (٣/٣٢٨).

المسألة الثانية: تعيين المراد بـ ﴿الذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا﴾:

يقول القرطبي رحمته الله: (نزلت في صهيب^(١) وبلال^(٢) وخباب^(٣) وعمار^(٤)، عذبهم أهل مكة حتى قالوا لهم ما أرادوا، فلما خلوهم هاجروا إلى المدينة، قاله الكلبي^(٥). وقيل: نزلت في أبي جندل بن سهيل^(٦). وقال قتادة: المراد (أصحاب محمد^٨، ظلمهم المشركون

(١) صهيب بن سنان بن مالك رضي الله عنه، من بني النمر: ويعرف بصهيب الرومي، صحابي، من أرمى العرب سهياً، كانت منازل قومه في أرض الموصل، فأغارت الروم على ناحيتهم، فسبوا صهيباً وهو صغير فنشأ بينهم فكان أكن. واشتراه منهم أحد بني كلب وقدم به مكة، فابتاعه عبد الله بن جدعان التيمي، ثم أعتقه. فأقام بمكة يحترف التجارة إلى أن ظهر الإسلام فأسلم ولم يتقدمه غير بضعة وثلاثين رجلاً، فلما أزمع المسلمون الهجرة إلى المدينة منعه مشركو قريش، وقالوا: جئنا صعلوكاً حقيراً فلما كثر مالك هممت بالرحيل؟ فقال: رأيتم إن تركت مالي تخلون سبيلي؟ قالوا: نعم. فجعل لهم ماله أجمع. فبلغ النبي^٨ ذلك، فقال: ربح صهيب، ربح صهيب! شهد بدرًا وأحد والمشاهد كلها. وتوفي في المدينة سنة ٣٨هـ. انظر: الطبقات الكبرى (١٦٩/٣).

(٢) بلال بن رباح الحبشي، أبو عبد الله: مؤذن رسول الله^٨ وخازنه على بيت ماله. من مولدي السراة، وأحد السابقين للإسلام. شهد المشاهد كلها مع رسول الله^٨، ولما توفي رسول الله^٨ خرج إلى الشام. وتوفي في دمشق سنة ٢٠هـ. انظر: الطبقات الكبرى (١٧٤/٣).

(٣) خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد التميمي، أبو يحيى أو أبو عبد الله: صحابي، من السابقين، قيل أسلم سادس ستة، وهو أول من أظهر إسلامه. كان في الجاهلية قينا يعمل السيوف بمكة. ولما أسلم استضعفه المشركون فعذبوه ليرجع عن دينه، فصبر، إلى أن كانت الهجرة. ثم شهد المشاهد كلها، ونزل الكوفة فمات فيها سنة ٣٧هـ. ولما رجع علي من صفين مر بقبره فقال: (رحم الله خباباً أسلم راغباً وهاجر طائعاً وعاش مجاهدًا). انظر: الطبقات الكبرى (١٢١/٣).

(٤) عمار بن ياسر بن عامر الكناني القحطاني، أبو اليقظان: صحابي، من الولاة الشجعان ذوي الرأي. وهو أحد السابقين إلى الإسلام والجهري به. هاجر إلى المدينة، وشهد بدرًا وأحدا والخندق وبيعة الرضوان. وكان النبي^٨ يلقبه (الطيب المطيب) وفي الحديث: «ما خير عمار بين أمرين إلا أختار أحدهما» شهد الجمل وصفين مع علي. وقتل في الثانية سنة ٣٧هـ. انظر: الطبقات الكبرى (١٨٦/٣).

(٥) انظر: أسباب النزول للواحدي (٢٧٩/١).

(٦) أبو جندل بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس، صحابي، أسلم قديماً بمكة فحبسه أبوه وأوثقه في الحديد ومنعه الهجرة، ثم أفلت بعد الحديبية فخرج إلى أبي بصير بالعيص فلم يزل معه حتى مات أبو بصير. فقدم أبو جندل

بمكة وأخرجوهم حتى لحق طائفة منهم بالحبشة، ثم بوأهم الله تعالى دار الهجرة وجعل لهم أنصاراً من المؤمنين^(١) والآية تعم الجميع^(٢).

طريقة الترجيح: التنصيص على القول الراجح بقوله (والآية تعم الجميع).

Ø في تعيين "الذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا" ثلاثة أقوال:

القول الأول— إن "الذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا" هم: كل مَنْ عُدِّبَ من المؤمنين بمكة ثم جعل الله له العاقبة.

وهو ما رجحه القرطبي رحمته الله موافقاً لابن عطية، ونسبه الأخير إلى جمهور المفسرين^(٣).

وهذا القول مروى عن عمر بن الخطاب^(٤) وابن عباس رضي الله عنهما^(٥)، وقتادة رحمته الله.

وهو قول الفراء، وقال به أيضاً: الطبري والزجاج والنحاس وابن أبي زمنين ومكي بن أبي طالب والماوردي والعز بن عبد السلام والزمخشري وابن جزي الكلبي وأبو حيان وابن كثير والسمرقندي والثعالبي وأبو السعود والأوسى والقاسمي ومحمد الأمين الهرري رحمهم الله^(٦).

ومن كان معه من المسلمين المدينة على رسول الله [^] وشهد المشاهد كلها معه، فلما قبض خرج إلى الشام في أول من خرج إليها من المسلمين. فلم يزل يغزو ويجاهد في سبيل الله حتى مات بالشام في طاعون عمواس سنة ١٨ هـ. ولم يدع أبو جندل عقباً. انظر: الطبقات الكبرى (٧/ ٢٨٤).

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٠٥).

(٢) تفسير القرطبي (١٢/ ٣٢٦).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ١٦٩).

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٠٦).

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٠٦).

(٦) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ١٠٠)، تفسير الطبري (١٧/ ٢٠٥)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ١٩٩)، معاني

واستدل أصحاب هذا القول بالآتي:

* أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، لأن كون الآية نزلت في أفراد لا يقتضي ذلك تخصيصهم بالوعد.

* أن لفظ "الذين" من ألفاظ العموم، فيدل على صحة حمل الآية على كل من ظلم بمكة بسبب إيمانه ثم هاجر في الله.

القول الثاني— إن "الذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا" هم: صهيب وبلال وخباب وعمار رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، عذبهم أهل مكة حتى قالوا لهم ما أرادوا، فلما خلوهم هاجروا إلى المدينة.

وهذا القول مروى عن مقاتل^(١)، والكلبي، وقال به الخازن، وابن عادل^(٢).

واستدل أصحاب هذا القول بالآتي:

* أن الآية نزلت فيهم^(٣).

* أن سورة النحل كلها مكية عدا ثلاث آيات من آخرها، وهؤلاء كانوا بمكة قبل الهجرة.

§ واعرترض على هذا القول بأن كون الآية مكية— أي نزلت قبل الهجرة— فإن ذلك

القرآن للنحاس (٦٥/٤)، تفسير ابن أبي زمنين (٤٠٣/٢)، الهداية (٣٩٩٥/٦)، النكت والعيون (٣٧٣/٢)، تفسير العز بن عبد السلام (١٦٣/٣)، الكشاف (٣٥٦/٣)، التسهيل (٧٢/٢)، البحر المحيط (٢٣٦/٧)، تفسير القرآن العظيم (٥٧٢/٤)، بحر العلوم (٤٦٥/٢)، الجواهر الحسان (٣٣٩/٢)، إرشاد العقل السليم (١٢٢/٤)، روح المعاني (١٦٧/١٠)، محاسن التأويل (٣٨١١/١٠)، حدائق الروح والريحان (٢٣٧/١٥).

(١) انظر: تفسير مقاتل (٢٢١/٢).

(٢) انظر: لباب التأويل (١٧٨/٤)، اللباب (١١٧/١٠).

(٣) انظر: أسباب النزول ص ٢٧٩

يخالف قوله: "والذين هاجروا" (١).

ويُجاب عنه: بصحة حمل الآية على من هاجر إلى الحبشة.

القول الثالث - إن المراد بـ "الذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا" هو: أبو جندل بن

سهيل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وهذا القول مروى عن داود ابن أبي هند (٢).

و سند هذا القول:

* أن الآية نزلت في أبي جندل بن سهيل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ ذكر ذلك الواحدي (٣).

ولكن ابن عطية ضعف هذا القول: (لأن أمر أبي جندل كان والنبي ^ بالمدينة) (٤).

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض أقوال المفسرين ما يلي:

§ أن سبب اختلافهم في تعيين المراد بـ "الذين هاجروا من بعد ما ظلموا" هو

اختلافهم في تحديد وقت نزول الآية؛ هل كان نزولها بمكة أم بالمدينة.

والصحيح - والله أعلم - أنها نزلت بمكة قبل الهجرة إلى المدينة، استناداً إلى قول ابن

عباس في تلخيص المكي والمدني من القرآن وفيه: (نزلت بمكة سورة الأعراف ويونس

(١) ذكره الشوكاني في فتح القدير (٤/ ٢٢٢).

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٠٧) وذكره ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٨٣) والسيوطي في الدر (٩/ ٤٩) وداود بن أبي

هند: هو داود بن دينار، أبو بكر، ويقال له: أبو هند، من التابعين، مولى لآل الأعمش القشيريين، من أهل

سرخس، كان ثقة كثير الحديث. يخبر عن نفسه فيقول: أصابني - يعني الطاعون - فأغمي علي فكأن اثنين

أتياي فغمز أحدهما عكوة لساني وغمز الآخر أخص قدمي وقال: أي شيء تجد؟ فقال: تسبيحا وتكبيرا وشيئا

من خطو إلى المساجد وشيئا من قراءة القرآن. قال: ولم أكن أخذت من القرآن حينئذ. قال: فكنت أذهب في

الحاجة فأقول: لو ذكرت الله حتى آتي حاجتي. قال: فعوفيت فأقبلت على القرآن فتعلمته. ت: ١٣٩ هـ. انظر:

الطبقات الكبرى (٧/ ١٨٩).

(٣) انظر: لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص ١٥٦

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ١٦٩).

وهود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر والنحل سوى ثلاث آيات من آخرها فإنهن نزلن بين مكة والمدينة في منصرفه من أحد (١).

§ أن الروايات الواردة في كتب أسباب النزول اختلفت في تسمية من نزلت فيه - أو فيهم - الآية، ولكن هذا الاختلاف لا يؤثر نظراً لما يلي:

- لوجودهم في زمن واحد: قبل الهجرة، وفي مكان واحد: مكة.
- لكون الوعد بالعاقبة الحسنة كان لهم جميعاً، فلم يتأثر الحكم.
- قال شيخ الإسلام رحمه الله: (وإذا عرف هذا فقول أحدهم نزلت في كذا لا ينافي قول الآخر نزلت في كذا إذا كان اللفظ يتناولهما، كما ذكرناه في التفسير بالمثال) (٢).

§ أن اختلافهم في تعيين المراد بـ "الذين هاجروا من بعد ما ظلموا" لا يؤثر في التفسير العام للآية؛ لأن وعد الله لمن هاجر فيه من بعد ما ظلم بحسن العاقبة كائن لكل من حصلت له الهجرة في زمن النزول أو بعده إلى قيام الساعة، بدلالة عموم اللفظ "الذين". وقد ذكر هذا المعنى صاحب الكشاف رحمه الله فقال: (ويجوز أن يكون السبب خاصاً والوعيد عاماً ليتناول كل من باشر ذلك القبيح، وليكون جارياً مجرى التعريض بالوارد فيه فإن ذلك أزجر له وأنكى فيه) (٣).

قلت: كلامه في الوعيد، وهو جارٍ على الوعد أيضاً.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو القول الأول: أن (الذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا) هم: كل من عُدب من المؤمنين بمكة ثم جعل الله له العاقبة.

(١) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ (٣١٦/٢)، وانظر الإتيان للسيوطي (٤٨/١) فإنه ذكره بطوله ثم قال: (وإسناده جيد).

(٢) انظر: مقدمة في أصول التفسير ص ١٦.

(٣) الكشاف (٤٢٩/٦).

يؤيده قواعد الترجيح الآتية:

- * أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (١).
- * إذا تعددت المرويات في سبب النزول فإن تقارب الزمان حُمل على الجميع (٢).
- * أن السورة التي ثبت نزولها بمكة تكون جميع آياتها مكية، ولا يقبل الادعاء بأن شيئاً من آياتها نزل بالمدينة إلا بدليل يدل على استثنائه، والعكس (٣).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن "الذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا" هم: كل من عُدِّب من المؤمنين بمكة ثم جعل الله له العاقبة) صحيح - من وجهة نظري - لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، ولما قدمته من أدلة تؤيد القول الراجح.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (١٨١/٢).

(٢) انظر: قواعد التفسير (٦٩/١).

(٣) المصدر السابق (٧٧/١).

المسألة الثالثة: المراد بالـ ﴿حسنة﴾ التي بوأها الله المهاجرين في الدنيا:

يقول القرطبي رحمه الله: (في الحسنة ستة أقوال: الأول - نزول المدينة، قاله ابن عباس (١) والحسن (٢) والشعبي (٣) وقتادة (٤). الثاني - الرزق الحسن، قاله مجاهد (٥). الثالث - النصر على عدوهم، قاله الضحاك (٦). الرابع - إنه لسان صدق، حكاه ابن جريج (٧). الخامس - ما استولوا عليه من فتوح البلاد وصار لهم فيها من الولايات. السادس - ما بقي لهم في الدنيا من الثناء وما صار فيها لأولادهم من الشرف. وكل ذلك اجتمع لهم بفضل الله، والحمد لله) (٨).

طريقة الترجيح: التنصيص على القول الراجح بقوله (وكل ذلك اجتمع لهم بفضل الله).

Ø في المراد بالـ "حسنة" في هذه الآية خمسة أقوال:

القول الأول - أن المراد بالـ "حسنة" في هذه الآية هي: كل ما حصل لهم من تمكين ونصر وفتوح للبلاد وثناء حسن.

وهذا ما رجحه القرطبي، ووافقه ابن كثير والشوكاني (٩).

(١) أخرجه الطبريفي تفسيره (١٧/ ٢٠٦) وأورده السيوطي في الدر (٤٩/٩).

(٢) انظر: زاد المسير (٢/ ٥٦٠).

(٣) أخرجه الطبريفي تفسيره (١٧/ ٢٠٦) وأورده السيوطي في الدر (٤٩/٩).

(٤) انظر: النكت والعيون (٣/ ١٨٨).

(٥) انظر: تفسير مجاهد ص ١٣٢، تفسير الطبري (١٧/ ٢٠٦).

(٦) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٧٣).

(٧) هكذا أورده القرطبي، وفي النكت والعيون: (ابن جرير) انظر: (٣/ ١٨٨) وفي زاد المسير: (عن مجاهد) انظر: (٢/ ٥٦٠).

(٨) تفسير القرطبي (١٢/ ٣٢٧).

(٩) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٧٢) فتح القدير (٤/ ٢٢٢).

وقال به الثعالبي والألوسي^(١) رحمهم الله جميعاً.

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أنه قد حصل لأولئك المهاجرين خير عظيم من نصر وسكنى وأهل وغنى وغنائم وغير ذلك.

* صحة تقدير محذوف قبل "حسنة" وهذا المحذوف يصح أن يكون: داراً أو رزقاً أو منزلةً.

- قال ابن كثير رحمهم الله: (ولا منافاة، فإنهم تركوا مساكنهم وأموالهم فعوضهم الله خيراً منها في الدنيا، فإن من ترك شيئاً لله عوضه الله بما هو خير له منه، وكذلك وقع فإنهم مكن الله لهم في البلاد وحكمهم على رقاب العباد، فصاروا أمراء حكاماً، وكل منهم للمتقين إماماً)^(٢).

- وقال ابن عاشور: (فالحسنة تشتمل على تعويضهم دياراً خيراً من ديارهم، ووطناً خيراً من وطنهم - وهو المدينة - وأموالاً خيراً من أموالهم، وهي ما نالوه من المغانم ومن الخراج)^(٣).

القول الثاني - أن المراد بالـ "حسنة" في هذه الآية هي: المدينة^(٤).

وهذا القول مروى عن ابن عباس وقتادة والحسن والشعبي.

وهو قول الفراء وابن أبي زمنين ومكي بن أبي طالب والواحدي والبغوي والبيضاوي

(١) انظر: الجواهر الحسان (٢/ ٣٣٩) روح المعاني (١٠/ ١٦٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٧٢).

(٣) التحرير والتنوير (١٤/ ١٥٨).

(٤) يستدل بهذه الآية - على هذا القول - على شرف المدينة، حرسها الله. ذكره الألوسي. انظر: روح المعاني (١٠/

١٦٩).

== ترجيحات القرطبي في التفسير من سورة الحجر إلى آية (٨٠) من سورة النحل == ٤٠٨ -

وابن جزى الكلبي والحازن والسمرقندي ومحمد الأمين الهري (١)، ورجحه الطبري (٢).
واستدل أصحاب هذا القول:

* بأن التبوء في كلام العرب الحلول بالمكان والنزول به، ومنه قول الله تعالى ﴿ C
h g f e d ﴾ يونس: ٩٣، أي: منازل صدق وهي إما الشام أو بيت
المقدس (٣).

* أن له نظيراً في القرآن الكريم هو قوله تعالى: ﴿ تَبَوَّءُوا الدَّارَ ﴾ الحشر: ٩.

* أن " حسنة " صفة لمحذوف منصوب نصب ظرف المكان، أي: داراً حسنة (٤).

القول الثالث- الرزق الحسن.

وهو مروى عن مجاهد، ومقاتل (٥).

وسند هذا القول: أن " حسنة " مفعول ثانٍ لـ " نبوتهم " المضمّن معنى نعطينهم (٦)،
فيكون التأويل: لنعطينهم رزقاً حسناً.

القول الرابع- الغلبة والنصر على الأعداء.

وهذا القول مروى عن الضحاك.

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (١٠٠/٢)، تفسير ابن أبي زمنين (٤٠٣/٢)، الهداية (٦/٣٩٩٥)، الوجيز
(١/٤٢٢)، معالم التنزيل (٥/٢٠)، أنوار التنزيل (٣/٣٤١)، التسهيل (٢/٧٢)، لباب التأويل (٤/١٧٨)،
بحر العلوم (٢/٤٦٥)، حقائق الروح والريحان (١٥/٢٣٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/٢٠٦).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٢/٢٨٤).

(٤) ذكره أبو حيان. انظر: البحر المحيط (٧/٢٣٧).

(٥) انظر: تفسير مقاتل (٢/٢٢١).

(٦) التضمين: هو أن يشرب لفظ معنى لفظ آخر، وفائدته: أن تؤدي الكلمة معنى كلمتين، مثاله " للذين يؤلون
من نسائهم " أي: يمتنعون من نسائهم بالألية وهو الحلف. انظر: مغني اللبيب لابن هشام (٦/٦٧١).

وقال به الزمخشري وأبو السعود، والقاسمي (١).

وحجتهم:

* أن "حسنة" مفعول ثانٍ لـ "نبوئتهم" المضمّن معنى نعطينهم، فيكون التأويل:
لنعطينهم منزلة حسنة، وهي الغلبة على أهل مكة الذين ظلموا، وعلى العرب قاطبة (٢).

القول الخامس - الثناء والذكر الحسن.

قال به الزجاج (٣).

وعلق ابن عطية على هذا المعنى بأنه: (تجوّز كثير واستعارة بعيدة) (٤).

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض أقوال المفسرين ما يلي:

§ لم يثبت تعيين للمراد بالـ "حسنة" التي بوأها الله المهاجرين فيه بقرآن أو حديث.

§ اختلاف السلف في تعيين المراد بالحسنة هو من باب ذكر بعض أفراد الاسم العام على سبيل التمثيل لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومته وخصوصه، فيكون إذن اختلاف تنوع.

§ الأقوال السابقة بعضها أقوى من بعض، فأقواها حجة القولين الأول والثاني، وأضعفها القول الخامس.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو الأول: (أن المراد بالـ "حسنة" في هذه الآية هي: كل ما حصل لهم من تمكين ونصر وفتوح للبلاد وثناء حسن).
يقوي هذا الرأي قواعد الترجيح الآتية:

(١) انظر: الكشاف (٣/ ٣٥٦)، إرشاد العقل السليم (٤/ ١٢٢)، محاسن التأويل (١٠/ ٣٨١١).

(٢) ذكره أبو حيان. انظر: البحر المحيط (٧/ ٢٣٧).

(٣) انظر: معاني القرآن (٣/ ١٩٩).

(٤) المحرر الوجيز (٤/ ١٦٩).

§ إذا ورد أكثر من تفسير لغوي صحيح تحتمله الآية بلا تضاد جاز تفسير الآية بها (١).

§ أن الأعمال أولى من الإهمال (٢).

- قال الشنقيطي رحمته الله: (الجمع بين الأدلة واجب إذا أمكن بلا خلاف، كما أشار له في المراقي بقوله:

والجمع واجب إذا ما أمكننا) (٣).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو: أن المراد بالـ "حسنة" في هذه الآية هي: كل ما حصل لهم من تمكين ونصر وفتوح للبلاد وثناء حسن، هو صحيح - من وجهة نظري - لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، ولما قدمته من أدلة تؤيد القول الراجح.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) انظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم ص ٥٩١

(٢) انظر: إرشاد الفحول (١ / ٥٤).

(٣) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (١ / ١٤٠) والمراقي: هي منظومة (مراقي السعود) في أصول الفقه للشيخ عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي الشنقيطي رحمته الله المتوفى سنة ١٢٨٥ هـ.

المسألة الرابعة: مرجع الضمير في قوله تعالى ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

يقول القرطبي رحمته الله: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لو كان هؤلاء الظالمون يعلمون ذلك. وقيل: هو راجع إلى المؤمنين. أي: لو رأوا ثواب الآخرة وعابنوه لعلموا أنه أكبر من حسنة الدنيا. ورؤي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا دفع إلى المهاجرين العطاء قال: (هذا ما وعدكم الله في الدنيا، وما أدخر لكم في الآخرة أكثر)^(١) ثم تلا عليهم هذه الآية^(٢).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرير.

○ للمفسرين في تحديد مرجع الضمير في ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ثلاثة أقوال:

القول الأول - إن الضمير يرجع إلى الكفار، المذكورين في قوله تعالى ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ

كَفَرُوا﴾ النحل: ٣٩.

فيكون المعنى: ولأجر الآخرة أكبر، ولو كان هؤلاء الظالمون يعلمون ذلك لرغبوا عن دينهم.

وهو ما رجحه القرطبي موافقاً للزمخشري، ووافقهم: أبو حيان وأبو السعود والأوسى^(٣).

وقال به: البغوي وابن عطية والشوكاني^(٤).

وعللوا قولهم برجوع الضمير إلى الكفار: بأن المؤمنين يعلمون ما لهم في الآخرة من الأجر، فيلزم منه أن يكون الإخبار هنا عن الكفار المذكورين في سباق هذه الآية.

(١) انظر: النكت والعيون (٣/١٨٩).

(٢) تفسير القرطبي (١٢/٣٢٧).

(٣) انظر: الكشاف (٣/٣٥٦) البحر المحيط (٧/٢٣٧) إرشاد العقل السليم (٤/١٢٢) روح المعاني (١٠/١٦٩).

(٤) انظر: معالم التنزيل (٥/٢٠) المحرر الوجيز (٤/١٦٩) فتح القدير (٤/٢٢٢).

القول الثاني - إن الضمير يرجع إلى المؤمنين المهاجرين، المذكورين في قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾.

فيكون المعنى: ولو رأى المؤمنون ثواب الآخرة وعابنوه لعلموا أنه أكبر من حسنة الدنيا، فيزدادوا صبراً واجتهاداً.

وهذا القول مروى عن مقاتل (١)، وقال به: ابن الجوزي (٢)، ورجحه الطاهر بن عاشور (٣).

و احتج أصحاب هذا القول:

بأن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاءه، قال: خذ بارك الله لك فيه، هذا ما وعدك الله في الدنيا، وما ذخر لك في الآخرة أفضل، ثم يتلو هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوْتَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَّلَا جُرْ الْآخِرَةَ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ النحل: ٤١.

لكن اعترض: بأنه لا يجوز ذلك للمؤمنين لأنهم يعلمونه.

و دُفع: بأن المراد علم المشاهدة، وليس الخبر كالمعاينة.

- قال الطاهر بن عاشور في توجيه هذا القول: (لأن تأثير العلم الحسي على المزاج الإنساني أقوى من العلم العقلي؛ لعدم احتياج العلم الحسي إلى استعمال نظر واستدلال، ولعدم اشتغال العلم العقلي على تفاصيل الكيفيات التي تحبها النفوس وترتمي إليها الشهوات، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ / 2 1 ﴾ البقرة: ٢٦٠) (٤).

القول الثالث - إن الضمير يرجع إلى المؤمنين المتخلفين عن الهجرة.

(١) انظر: تفسير مقاتل (٢ / ٢٢١).

(٢) انظر: زاد المسير (٤ / ٩٥).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (١٤ / ١٥٨).

(٤) التحرير والتنوير (١٤ / ١٥٨).

فيكون المعنى: لو كان المتخلفون عن الهجرة يعلمون ما ادخر الله لمن أطاعه واتبع رسوله لهاجروا معهم ولم يتخلفوا.

و هو قول ابن كثير والشيخ السعدي (١).

و استدل لهذا القول:

بالمأثور من قول عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِذَا أُعْطِيَ الرَّجُلُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ عَطَاءً،
الذي ذكرناه آنفاً.

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض الأقوال السابقة ما يلي:

§ أن أكثر المفسرين على القول الأول.

§ أن القول الثاني هو الذي جاءت به الرواية عن السلف.

§ أن القول الثاني هو أقرب الأقوال إلى الصواب، إلا أن الجمع بين القولين ممكن،
وذلك بأن يكون الضمير راجع إلى عموم المخاطبين من المؤمنين – مهاجرين أو متخلفين –
والكافرين.

فيكون المعنى: ولأجر الآخرة أكبر من ثواب الدنيا لو كان الناس يعلمون.

و مما رجح عندي القول برجوع الضمير إلى عموم المخاطبين على القول برجوعه إلى
أقرب مذكور – كما هو مقرر في قواعد الترجيح – لكون أصحاب القول الأول والثالث من
كبار المفسرين ومحريهم، فأثرت اعتبار آرائهم، وهذا أيضاً أحد وجوه الترجيح.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو (أن الضمير يرجع إلى عموم

المخاطبين)

يؤيد هذا الترجيح قواعده الناطقة بأنه:

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٧٣) تيسير الكريم المنان (١/ ٤٤٠).

* لا يصر إلى الترجيح مع إمكان الجمع (١).

* الإعمال بحسب الإمكان أولى من الإهمال (٢).

- قال الزرقاني رحمته الله: (ما دام في الإمكان حمل كلام الشارع على معنى سليم فالنظر قاض بوجوبه؛ انتفاعاً بما ورد عن الحكيم العليم وتنزيهاً له عن أن يجري مجرى العجوز العقيم) (٣).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن الضمير يرجع إلى الكفار) هو جزء من القول الراجح - والله وحده أعلم وأحكم - بمقتضى ما ظهر لي وما وصلت إليه بعد النظر والاجتهاد.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) انظر: أصول الفقه على مذهب أهل الحديث (١/١٦٦).

(٢) انظر: التقرير والتحبير (١/٤٣٤).

(٣) مناهل العرفان (٢/٢٨٩).

قَالَ تَعَالَى: ﴿! " # \$ % & ') * + , - . /

○ 1 ﴿ (١)

في هذه الآية مسألة واحدة، هي:

🏠 **المراد بـ ﴿أهل الذكر﴾.**

يقول القرطبي رحمته الله: (قال سفيان: يعنيمؤمني أهل الكتاب) (٢) - / ○ ﴿
يجبرونكم أن جميع الأنبياء كانوا بشراً. وقيل: المعنى فاسألوا أهل الكتاب فإن لم يؤمنوا فهم
معترفون بأن الرسل كانوا من البشر، روي معناه عن ابن عباس (٣) ومجاهد (٤). وقال ابن
عباس: أهل الذكر أهل القرآن (٥). وقيل: أهل العلم، والمعنى متقارب (٦).

طريقة الترجيح: التنصيص على القول الراجح بقوله (والمعنى متقارب).

○ في معنى هذه الآية ستة أقوال:

القول الأول— إن المراد بأهل الذكر: كل من عندهم حظ من الذكر من أهل العلم أو

الحفظ أو الكتب السابقة.

وهو ما رجحه القرطبي، وقال به الزجاج (٧) رحمهما الله.

(١) قال السعدي رحمته الله: (وعموم هذه الآية فيها مدح أهل العلم، وأن أعلى أنواعه العلم بكتاب الله المنزل، فإن
الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع الحوادث، وفي ضمنه تعديل لأهل العلم وتزكية لهم حيث أمر
بسؤالهم، وأن بذلك يخرج الجاهل من التبعة)، تيسير الكريم المنان (١/٤٤١)، واستدل بعض الأصوليين
بهذه الآية على جواز التقليد في الفروع للعامة، وعلى أنه يجوز للمجتهد تقليد مجتهد آخر فيما يشبهه عليه.
انظر: تفسير النيسابوري (٥/٢٤)، تفسير القاسمي (١٠/٣٨١٢).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/٢٠٨).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/٢٠٨).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/٢٠٨).

(٥) أخرجه عن ابن زيد الطبري في تفسيره (١٧/٢٠٨) والماوردي (٣/١٨٩).

(٦) تفسير القرطبي (١٢/٣٢٨).

(٧) انظر: معاني القرآن (٣/٢٠١).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن الذكر يكون بمعانٍ عدة^(١)، فيكون:

§ بمعنى الخبر، كقوله تعالى: ﴿ q p o n m l ﴾ الصفات: ١٦٨ أي: أسألوا أهل الأخبار والعارفين بأحوال الأمم.

§ وبمعنى الوحي، كقوله تعالى: ﴿ أءُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴾ القمر: ٢٥ أي: أسألوا أهل الكتب السابقة.

§ وبمعنى القرآن، كقوله تعالى: ﴿ f e d c ﴾ الأنبياء: ٥٠ أي: القرآن.

§ وبمعنى الحفظ، كقوله تعالى: ﴿ A @ ? > ﴾ البقرة: ٢٣١. آل عمران ١٠٣. فاطر ٣ أي: احفظوا ولا تنسوا.

ويصح حمل الآية على جميع المعاني السابقة؛ إذ لا تعارض بينها، فكأنه قيل: أسألوا المطلعين وكل من يُذكر بعلم يعلموكم بذلك^(٢).

* أن طريق العلم بكون الأنبياء السابقين من البشر أم من الملائكة لا يختص به الوحي، فلا يقتصر إذن على أهل الكتاب، بل هو معلوم لأهل العلم بأخبار الماضين وبأحوال السابقين، كما أهل العلم بالكتب.

القول الثاني - إن المراد بأهل الذكر: هم أهل الكتاب.

وهذا القول مروى عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا^(٣)، ومجاهد^(٤) والسدي^(٥) رحمهم الله.

(١) ذكر ابن الجوزي أن (الذكر) في القرآن على عشرين وجهاً، انظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ص ٣٠١ وما بعدها.

(٢) ذكره الألويسي في تفسيره (١٠ / ١٧٢) والزجاج في معاني القرآن (٣ / ٢٠١) والبقاعي في نظم الدرر (٤ / ٤٦٥).

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧ / ٢٢٨٨) والسيوطي في الدر (٩ / ٥١).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧ / ٢٠٨).

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧ / ٢٢٨٨) والسيوطي في الدر (٩ / ٥١).

وهو قول الطبري، والنحاس والزخشري والنسفي وابن جزي الكلبي والخازن وابن كثير والنيسابوري والشوكاني والشنقيطي وابن عاشور ومحمد الأمين الهرري^(١)، واختاره الثعالبي^(٢).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* سبب نزول الآية: عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: لما بعث الله محمداً رسولاً أنكرت العرب ذلك، أو من أنكر منهم، وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً مثل محمد، قال: فأُنزل الله ﴿﴾ () * + , - . / ﴿﴾ يونس: ٢، وقال: ﴿﴾ ! " # \$ % & ' () * + , - . / 0 1 2 3 ﴿﴾ النحل: ٤٣-٤٤ فاسألوا أهل الذكر: يعني أهل الكتب الماضية، أبشراً كانت الرسل التي أتتكم أم ملائكة؟ فإن كانوا ملائكة أنكرتم، وإن كانوا بشراً فلا تنكروا أن يكون محمد رسولاً قال: ثم ﴿﴾ n m l k j i h g f e d ﴿﴾ يوسف: ١٠٩ أي: ليسوا من أهل السماء كما قلتم^(٣).

* أن كفار مكة كانوا مُقرّين بأن اليهود والنصارى أصحاب العلوم والكتب، فأمرهم الله بأن يرجعوا في هذه المسألة إلى اليهود والنصارى ليعينوا لهم سقوط هذه الشبهة.
* أن مشركي مكة أرسلوا لأهل يثرب يسألونهم عن ذلك بعد نزول هذه الآية^(٤).
القول الثالث- إن المراد بأهل الذكر: أهل الكتاب الذين لم يسلموا.

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٠٨ / ١٧) معاني القرآن (٦٦ / ٤) الكشاف (٣٥٧ / ٣) مدارك التنزيل (١٦١ / ٢) التسهيل (٧٢ / ٢) لباب التأويل (١٧٩ / ٤) تفسير القرآن العظيم (٥٧٤ / ٤) تفسير النيسابوري (٢٤ / ٥) فتح القدير (٢٢٣ / ٤) أضواء البيان (٣٧٩ / ٢) التحرير والتنوير (١٦١ / ١٤) حدائق الروح والريحان (٢٤٠ / ١٥).

(٢) انظر: الجواهر الحسان (٣٣٩ / ٢).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠٨ / ١٧).

(٤) ذكره ابن عطية، انظر: (١٧٠ / ٤).

وهذا القول اختاره ابن عطية^(١)، ووافقه أبو حيان^(٢).

* وعلل ابن عطية هذا القول بأنهم (في هذه النازلة خاصة - إنما يخبرون بأن الرسل من البشر، وإخبارهم حجة على هؤلاء، فإنهم لم يزالوا مصدقين لهم ولا يُتَّهَمون لشهادة لنا؛ لأنهم مدافعون في صدر ملة محمد[^]، وهذا هو كسر حجتهم من مذهبهم، لا أننا افتقرنا إلى شهادة هؤلاء، بل الحق واضح في نفسه، وقد أرسلت قريش إلى يهود يثرب^(٣) يسألون ويستندون إليهم^(٤)).

القول الرابع - إن المراد بأهل الذكر: اليهود.

روي عن مجاهد^(٥) وعبد الله بن سلام^(٦) وأبي جعفر^(٧) ومقاتل^(٨).
وهو قول الواحدي وابن الجوزي وابن عادل^(٩).

وحجة أصحاب هذا القول:

* أن الذكر هو التوراة، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿L NM O P Q

W U T S R﴾ الأنبياء: ١٠٥ يعني التوراة.

القول الخامس - إن المراد بأهل الذكر: من أسلم من أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام

(١) انظر: المحرر الوجيز (٤ / ١٧٠).

(٢) انظر: البحر المحيط (٧ / ٢٣٨).

(٣) يثرب: مدينة رسول الله[^]، سميت بذلك لأن أول من سكنها عند التفرق يثرب بن قانية بن مهلائيل من ذرية بن سام بن نوح عليه السلام، فلما نزلها رسول الله[^] سهاها طيبة كراهية للتثريب. انظر: معجم البلدان (٥ / ٤٣٠).

(٤) المحرر الوجيز (٤ / ١٧٠).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٢٠٨).

(٦) ذكره أبو حيان، انظر: البحر المحيط (٥ / ٤٧٩).

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٢٠٩).

(٨) انظر: تفسير مقاتل (٢ / ٢٢١).

(٩) انظر: الوجيز (١ / ٤٢٢)، نزهة الأعين النواظر ص ٣٠٤، اللباب (١٠ / ١١٨).

وسلمان الفارسي وغيرهم.

روي هذا عن الأعمش وسفيان ابن عيينة^(١) وسعيد بن جبير^(٢) رحمهم الله.

وهو قول ابن أبي زمنين والثعلبي والسمعاني والبغوي^(٣).

§ وضعّف ابن عطية هذا القول؛ لأنه لا حجة على الكفار في إخبار المؤمنين بما ذكر، لأن الكفار يكذبونهم^(٤).

القول السادس - إن المراد بأهل الذكر: أهل القرآن.

وهو مروى عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(٥).

ويحتج لهذا القول بما يلي:

* أن الذكر هو القرآن لقوله تعالى: ﴿m l k j i h g﴾ الحجر: ٩

وقوله ﴿a ` _ ^ \ [z y x﴾ فصلت: ٤١ والذكر هنا: القرآن،

فأهل الذكر هم أهل القرآن.

§ وضعّف ابن عطية هذا القول - كما سبق في القول الثاني -؛ لأنه لا حجة على الكفار

في إخبار المؤمنين بما ذكر، لأن الكفار يكذبونهم^(٦).

§ أما ابن كثير فقد صحح أن يكون المراد بأهل الذكر هم أهل القرآن؛ إذ أن هذه الأمة

أعلم من جميع الأمم السالفة، إلا أنه: (ليس هو المراد هاهنا؛ لأن المخالف لا يرجع في

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/٢٠٨).

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧/٢٢٨٩) الدر المنثور (٩/٥١).

(٣) انظر: تفسير ابن أبي زمنين (٢/٤٠٤) الكشف والبيان (٦/١٨) تفسير السمعي (٣/١٥٨) معالم التنزيل (٥/٢١).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٤/١٧٠).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/٢٠٩).

(٦) انظر: المحرر الوجيز (٤/١٧٠).

إثباته بعد إنكاره إليه^(١).

§ وقال الشنقيطي رحمته الله: (وهذه الأمة أيضاً يصدق عليها أنها أهل الذكر؛ لقوله:

﴿m l k j i h g﴾ الحجر: ٩، إلا أن المراد في الآية أهل الكتاب^(٢).

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض الأقوال السابقة ما يلي:

§ أن لفظ "الذكر" تكرر في القرآن الكريم، وهو من المشترك اللفظي^(٣) الذي يكون

معناه في كل موضع بحسب السياق الذي ورد فيه.

§ أن سبب تعدد أقوال المفسرين في تعيين المراد بـ "أهل الذكر" هو اختلاف آرائهم في

تحديد معنى "الذكر" في هذه الآية.

§ أن الأقوال الأربعة الأولى متقاربة ويقتضيها السياق وحال المخاطب؛ إذ أن

المشركين طعنوا في بشرية الرسول [^] فلذلك أمروا بالسؤال عن الأنبياء قبله هل كانوا بشراً

أو لا، وهم إلى تصديق أهل الكتاب وغيرهم ممن له حظ من العلم أقرب إلى تصديقهم من

المؤمنين؛ لاشتراكهم معهم في الكفر، أما وقد كذبوا بأن الرسول [^] مرسل من الله فأنى

لهم بتصديق أتباعه؟

وهذا - مع ما سبق - يظهر ضعف القولين الخامس والسادس.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو (أن المراد بأهل الذكر: كل من

عندهم حظ من الذكر من أهل العلم أو الحفظ أو الكتب السابقة) وأولى من يدخل فيه هم

(١) تفسير القرآن العظيم (٤ / ٥٧٣).

(٢) أضواء البيان (٢ / ٣٧٩).

(٣) المشترك اللفظي: اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء، ويحدد المعنى حسب السياق

والقرائن، مثاله (القرء) للحيض والطمهر. انظر: التعريفات للجرجاني (١ / ٧٠)، والمزهر للسيوطي (١ /

١١٤).

اليهود؛ إذ هم الذين كانوا أهل العلم والكتاب في ذلك الوقت، ولهم صلة مباشرة بالمشركين.

يشهد بصحة هذا: ما ذكرته في مناقشة الأقوال الواردة في الآية.

ويؤيده قاعدة في الترجيح تنص على أنه:

§ إذا كان للاسم الواحد معانٍ عدة حُمل في كل موضع على ما يقتضيه ذلك السياق^(١)، والسياق هنا في مخاطبة المشركين، فناسب أن يُؤمروا بسؤال من عنده علم بالسابقين، من الأحبار أو المؤرخين أو المطلعين.

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

تبين لي بعد هذا التفصيل أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله بأن المراد بأهل الذكر: (كل من عندهم حظ من الذكر من أهل العلم أو الحفظ أو الكتب السابقة) صحيح - والله أعلم - حسبما ذكرته في مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية.

والله تعالى أعلم، وهو يهدي السبيل.

(١) انظر: قواعد التفسير (٤٢٢/٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿اَ اَ a ^ _` ﴿﴾

في هذه الآية مسألة واحدة، هي:

المراد بـ ﴿تقلبهم﴾.

يقول القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: ﴿T SR Q﴾ أي: في أسفارهم وتصرفهم، قاله

قتادة^(١). وقيل: ﴿T S﴾ على فراشهم أينما كانوا. وقال الضحاك: بالليل والنهار^(٢).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرّض.

Ø في المراد بـ "تقلبهم" ثلاثة أقوال:

القول الأول - المراد بـ "تقلبهم": اختلاف أحوالهم من الإقامة والسفر، وتصرفهم في

أسباب معاشهم ونحو ذلك.

وهذا القول مروى عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا^(٣) وقتادة وابن جريج^(٤).

وهو ما رجحه القرطبي رَحِمَهُ اللهُ.

وقال به من المفسرين: الطبري والواحدي والبغوي والزخشي وابن عطية وابن

جزري وابن كثير وأبو السعود والأوسي والسعدي وابن عاشور^(٥).

(١) انظر: تفسير عبد الرزاق (٣٧٦/١) تفسير الطبري (٢١٣/١٧) تفسير ابن أبي حاتم (٢٢٨٤/٧) الدر المنثور (٥٤/٩).

(٢) تفسير القرطبي (٣٣٠/١٢).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢١٣/١٧) تفسير ابن أبي حاتم (٢٢٨٤/٧) الدر المنثور (٥٤/٩).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢١٣/١٧).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٢١٣/١٧) الوجيز (٤٢٣/١) معالم التنزيل (٢١/٥) الكشاف (٣٥٨/٣) المحرر

الوجيز (١٧١/٤) الوجيز (٤٦٤/١) تفسير القرآن العظيم (٥٧٥/٤) إرشاد العقل السليم (١٢٤/٤)

روح المعاني (١٧٨/١٠) تيسير الكريم المنان (٤٤١/١) التحرير والتنوير (١٦٦/١٤).

ومن أهل اللغة: الزجاج (١).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن التقلب في اللغة يعني: تصريف الشيء.

- قال الراغب: (قلب الشيء: تصريفه و صرفه عن وجهه إلى وجهه، وتقليب الشيء:

تغييره من حال إلى حال، والتقلب: التصرف. قال: ﴿n ml﴾ الشعراء: (٢١٩)(٢).

* أنه قول الجمهور، قاله الألويسي (٣).

* أن التقلب بمعنى تغير الحال والتصرف له نظائر في القرآن، منها:

- قوله تعالى: ﴿P Q R S T U V﴾ آل عمران: ١٩٦ أي: تصرفهم في الأرض (٤).

- وقوله: ﴿وَنَقَلْبُ أَفْعِدْتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَقٍ﴾ الأنعام: ١١٠ أي:

يصرّفها كيف شاء، وأن ذلك بيده يقيمه إذا شاء ويزيغه إذا أراد (٥).

- وقوله ﴿n ml﴾ الشعراء: ٢١٩ أي: تقلبك مع الساجدين في صلاتهم

معك، حين تقوم معهم وتركع وتسجد (٦).

القول الثاني - المراد بـ "تقلبهم": بالليل والنهار.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٠١/٣).

(٢) مفردات غريب القرآن ص ٤١١ باختصار.

(٣) انظر: روح المعاني (١٧٨ / ١٠).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٤٩٣ / ٧).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٤٥ / ١٢).

(٦) انظر: تفسير الطبري (٤١٣ / ١٩).

وهذا القول مروى عن الضحاك (١) ومقاتل (٢) وابن جريج (٣).

واحتج لهذا القول بأن له نظيراً في القرآن، هو:

* قوله تعالى: ﴿ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ﴾

@ A B C D E F الأعراف: ٩٧-٩٨.

القول الثالث- المراد بـ "تقلبهم": على فرشهم نياماً.

وهذا القول مروى عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا (٤).

فالتقلب هنا: هو حركة النائم على فراشه، وهو مستفاد من المعنى اللغوي للتقلب،

ويظهر أنه موافق للسياق في أخذ المكذبين بغتة.

ونظيره في القرآن قوله تعالى: ﴿ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ﴾

الأعراف: ٩٧.

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض الأقوال السابقة ما يلي:

§ أن جميع الأقوال مروية عن السلف.

§ أن جميع الأقوال تشهد لها النظائر القرآنية.

§ أن القول الأول عام، والقولين الثاني والثالث تفسير بالمثل، ولذا فإن الأول يشمل

الثاني والثالث ومتضمن لهما؛ حيث أن تغير الأحوال وتصرفها يشمل كونها بالليل والنهار

وكون الناس نياماً أو مستيقظين.

§ أن الاختلاف بين الأقوال اختلاف تنوع.

(١) انظر: تفسير الضحاك ص ٥١٦-٥١٧، تفسير ابن أبي حاتم (٧/٢٢٨٤) الدر المشور (٩/٥٤).

(٢) انظر: تفسير مقاتل (٢/٢٢١).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/٢١٣).

(٤) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٧/٢٤٠).

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو (أن المراد بـ "تقلبهم": اختلاف أحوالهم)

يؤيد هذا الرأي قواعد الترجيح المعتمدة، ومنها:

* غالب ما نقل عن السلف من الاختلاف في التفسير فهو من باب التنوع^(١).

* الجمع بين المقصودين أولى من العمل بأحدهما وتعطيل الآخر^(٢).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن المراد من "تقلبهم" أي: في أسفارهم وتصرفهم) صحيح - حسبما ظهر لي - لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، ولقواعد الترجيح المؤيدة لذلك.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) انظر: قواعد الترجيح (٢/٢٠٨).

(٢) انظر: الإحكام في أصول القرآن (١/٢١٨).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ b e d c f g h i j k l m n o p ﴾

﴿ q r s ﴾

في هذه الآية مسألة واحدة، هي:

﴿ علة مجيء «اليمين» بالإفراد، ومجيء «الشمال» بالجمع. ﴾

يقول القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: (وَوَحَّدَ الْيَمِينَ فِي قَوْلِهِ: ﴿ m l ﴾ وَجَمَعَ الشَّمَالَ؛ لِأَنَّ مَعْنَى الْيَمِينَ وَإِنْ كَانَ وَاحِدًا الْجَمْعُ. وَلَوْ قَالَ: عَنِ الْإِيَّانِ وَالشَّمَائِلِ، وَالْيَمِينَ وَالشَّمَائِلِ، أَوْ الْيَمِينَ وَالشَّمَالَ لَجَازٌ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى لِلْكَثْرَةِ. وَأَيْضًا فَمَنْ شَأْنَ الْعَرَبِ إِذَا اجْتَمَعَتْ عَلَامَتَانِ فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ أَنْ تَجْمَعَ إِحْدَاهُمَا وَتَفْرُدَ الْآخْرَى، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ - / 1 2 ﴾ الْبَقْرَةَ: ٧ وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ % & ' ﴾ الْبَقْرَةَ: ٢٥٧ وَلَوْ قَالَ عَلَى أَسْمَاعِهِمْ، وَإِلَى الْأَنْوَارِ لَجَازٌ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ رَدُّ الْيَمِينَ عَلَى لَفْظِ "مَا" وَالشَّمَائِلِ عَلَى مَعْنَاهَا، وَمِثْلُ هَذَا فِي الْكَلَامِ كَثِيرٌ. قَالَ الشَّاعِرُ (١):

الواردون وتيم في ذرا سبياً قد عض أعناقهم جلد الجواميس (٢)

ولم يقل جلود. وقيل: وحَّدَ الْيَمِينَ لِأَنَّ الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ وَأَنْتَ مَتَوَجِّهٌ إِلَى الْقِبْلَةِ انبَسَطَ الظلُّ عَنِ الْيَمِينِ، ثُمَّ فِي حَالٍ يَمِيلُ إِلَى جِهَةِ الشَّمَالِ، ثُمَّ حَالَاتٌ، فَسَمَّاهَا شَمَائِلَ (٣).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمريض، مع ذكر وجه الترجيح وهو دلالة الأصل المعتمد عند العرب إذا اجتمعت علامتان في شيء واحد

(١) الشاعر هو جرير، وسبقت الترجمة له.

(٢) ديوان جرير ص ٢٥٢، ضمن قصيدة يهجو فيها قبيلة التيم، وأراد أنهم أسرى وفي أعناقهم أطواق من جلد الجواميس، وورد في ديوانه باللفظ الآتي:

نحن الذين هزمنا جيش ذي نجب والمنذرين اقتسرننا يوم قابوس

تدعوك تيم وتيم في ذرا سبياً قد عض أعناقهم جلد الجواميس

(٣) تفسير القرطبي (١٢/٣٣٤).

فُتْجَمَعُ إِحْدَاهُمَا وَتُفْرَدُ الْآخَرَى.

Ø ورد في تعليل مجيء " اليمين " بالإنفراد، و " الشمائل " بالجمع خمسة أقوال:

القول الأول- إن علة مجيء " اليمين " بالإنفراد، و " الشمائل " بالجمع: لأن معنى اليمين الجمع، واحداً كان أم مجموعاً، ولأن من شأن العرب إذا اجتمعت علامتان في شيء واحد أن تُجمع إحداهما وتفرد الأخرى.

و هذا ما رجحه القرطبي رحمته الله موافقاً للبغوي (١).

و هو قول الطبري والثعلبي ومكي بن أبي طالب وابن الجوزي والزمخشري (٢).

و احتج لهذا القول بما يلي:

* أن لفظ " اليمين " يراد به الجنس، ولذا أتى مفرداً.

* أن الإفراد في " اليمين " من باب الإيجاز في اللفظ.

* النظائر القرآنية:

- كقوله تعالى: ﴿ ٢ ١ ٠ / . - ﴾ البقرة: ٧ فجمع القلوب ووحد

الأسماع.

- وقوله: ﴿ % & ' ﴾ البقرة: ٢٥٧ فجمع الظلمات ووحد النور.

- وقوله: ﴿ سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيَوْلُونَ الدُّبْرَ ﴾ القمر: ٤٥ فوحد لفظ " الدبر " والإخبار عن

جمع، وحقه أن يكون: ويؤلون الأدبار.

القول الثاني- إن علة مجيء " اليمين " بالإنفراد، و " الشمائل " بالجمع: أن " اليمين " تردّ

على لفظ " ما "، وشمائل تردّ على معناها.

(١) انظر: معالم التنزيل (٢٢ / ٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢١٨ / ١٧) الكشف والبيان (٢٠ / ٦) الهداية (٤٠٠٨ / ٦) زاد المسير (٩٨ / ٤)

الكشاف (٣٥٩ / ٣).

وهو قول الفراء^(١)، واحتج لهذا القول بما يلي:

* أن هذا الأسلوب من أساليب العرب في الكلام، ومنه ما ورد في قول جرير السابق، وقول الفرزدق في رثاء ابنه:

بِفي السَّامِتِينَ الصَّخْرُ إِن كَانَ هَدَنِي رَزِيَّةُ شِبْلِي مُخْدِرٍ فِي الضَّرَاغِمِ^(٢)

* أن "ما" و"شيء" من قوله تعالى: ﴿i hgf e﴾ لفظه واحد ومعناه الجمع، ف"اليمن" يرجع إليه.

* النظائر القرآنية:

- لفظ "يستمعون" و"ينظر" من قوله تعالى: ﴿مَنْ يَسْتَمِعُونَ﴾ آفَأَنْتَ تُسْمِعُ

أَلْصَّمَّ وَلَوْ ۝ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ ! " # % & ' () * +

يونس: ٤٢-٤٣ فرد "يستمعون" على المعنى ورد "ينظر" على لفظ "من".

القول الثالث- إن علة مجيء "اليمن" بالافراد، و"الشمال" بالجمع: لأن الشمس أول

ما يقع ظلها على جهة اليمن، فهي نقطة واحدة، أما الشمال فهي الانحرافات الحادثة في فلك الإزلال تدريجياً نحو الشمال، وهي كثيرة.

وهو فحوى ما قاله الكرمانى^(٣) وأبو البقاء العكبري^(٤) والطاهر بن عاشور^(٥).

و احتج لهذا القول بما يلي:

* أن المراد باليمن جنس الجهة، والمراد بالشمال تعدد جنس جهة الشمال.

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (١٠٣/٢).

(٢) البيت من ديوانه ص ٥٣٤، بفي: أي بضم، الرزية: المصيبة، مخدر: الأسد، الضراغم: جمع ضرغام وهو الأسد.

والبيت من قصيدة يرثي بها ابنين له، يقول: إن من يشتمون بي لموت ابني ليلقمو الصخر في أفواههم، فهما

كانا شبليين لأسد هصور. انظر: شرح ديوان الفرزدق (٤٧٧/٢).

(٣) انظر: غرائب التفسير (٦٠٦/١).

(٤) انظر: إملاء ما من به الرحمن (٨١/٢).

(٥) انظر: التحرير والتنوير (١٦٩/١٤).

* أنا إذا فسرنا اليمين بالمشرق كانت النقطة التي هي مشرق الشمس واحدة بعينها، فكانت اليمين واحدة، وأما الشئال فهي عبارة عن الانحرافات الواقعة في تلك الظلال بعد وقوعها على الأرض وهي كثيرة، فلذلك جُمعت.

- قال الكرمانى: (يحتمل أن يراد بالشئال الشمال والقُدَّام والخلف، لأنَّ الظل يفىء من الجهات كلها فبدىء باليمين لأن ابتداء التفيؤ منها، أو تيمناً بذكرها، ثم جمع الباقي على لفظ الشمال لما بين اليمين والشمال من التضاد، وتَنَزَّلَ القُدَّام والخلف منزلة الشمال لما بينهما وبين اليمين من الخلاف)^(١).

القول الرابع- إن علة مجيء "اليمين" بالإفراد، و"الشئال" بالجمع: للمطابقة اللفظية في الإفراد مع "ظلاله" وفي الجمع مع "سُجِّدًا".
وقال به: القاضي البيضاوي^(٢).

واحتجَّ لهذا القول: بأن إفراد "اليمين" لاتصاله بـ"ظلاله" وهو مفرد، وجمع "الشئال" لاتصاله به وهو جمع.

القول الخامس- إن علة مجيء "اليمين" بالإفراد، و"الشئال" بالجمع: هو أن الأشياء التي يحدث بسببها الظل تكون في جهة الشمال أكثر منها في جهة اليمين.
وذلك لأن مساحة اليابسة وعدد السكان في نصف الكرة الأرضية الشمالي أكبر منها في نصف الكرة الجنوبي، وعليه فتكون ظلال الأشياء في الأول أكثر بكثير من ظلال الأشياء في الثاني^(٣).

وقد أوضح المفسرون^(٤) أن المقصود باليمين هو جهة الشرق وأن المقصود بالشئال

(١) غرائب التفسير (١/٦٠٦).

(٢) انظر: أنوار التنزيل (٣/٣٤٨).

(٣) انظر: (إعجاز القرآن الكريم في وصف حركة الظلال. د- يحيى وزيري ص ٢١، ضمن بحوث المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة).

(٤) كما في القول الثالث.

هو جهة الغرب (١).

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض الأقوال الواردة في تفسير الآية النتائج الآتية:

§ لم يرد إلينا شيء عن السلف في تعليل مجيء " اليمين " بالإفراد، و " الشمائل " بالجمع.

§ أن التعليل في القول الأول جاء بالنظر إلى المعنى، وفي القول الثاني جاء بالنظر إلى اللفظ والمعنى، وفي القولين الثالث والخامس جاء بالنظر من زاوية فلكية ونظام كوني، وجاء في القول الرابع بالنظر إلى اللفظ.

§ أن العلم الحديث أتى بتوضيح وكشف لعبارة المفسرين من ابتداء طلوع الشمس من جهة اليمين فيكون ابتداء تكوّن الظلال من جهة الشمال، وهذا ما تضمنه القول الخامس.

§ أن أوجه التعليلات - في ما أرى والعلم عند الله - هي تلك المستنبطة من المعنى ومن استعمال العرب في كلامهم - وهما ما تضمنه القولان الأول والثاني - وذلك القرآن عربي فيجري على أساليب العرب في الكلام وهذا الدليل لا يختلف عليه أحد ولا يدركه التعقيب والنظر.

§ أنه يمكن الجمع بين الأقوال السابقة والقول بها جميعاً، حيث إن لكل قول منها وجهه وليس فيها - فيما يظهر - قول ضعيف أو بعيد، فلا مبرر للاختيار منها.

(١) وهذا سر من أسرار القرآن، لأن خط الاستواء ينصف الكرة الأرضية إلى نصفين: نصف شمالي ونصف جنوبي، ولمراقبة حركة ظلال الأشياء في النصف الشمالي يستلزم أن نقف مواجهاً لجهة الشمال، وفي هذا الوضع تكون جهة الشرق على اليمين وجهة الغرب على الشمال، وبما أن ظلال الأشياء تنتقل من جهة الغرب إلى جهة الشرق فإن هذا يعني أنها تنتقل من جهة الشمال إلى جهة اليمين، وهو ما يتوافق مع الآية الكريمة من تفيؤوا الظلال عن الشمائل، أي: رجوعها من الشمال إلى اليمين. انظر: المصدر السابق.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو:

(أن علة مجيء " اليمين " بالإنفراد، و " الشمائل " بالجمع: إما لأن معنى اليمين الجمع، أو لأن " اليمين " تردّ على لفظ " ما "، والشمائل تُردّ على معناها، أو لأن الشمس أول ما يقع ظلها على جهة اليمين، فهي نقطة واحدة، أما الشمائل فهي الانحرافات الحادثة في فلك الإزلال تدريجياً نحو الشمال، أو لأن الأشياء التي يحدث بسببها الظل تكون في جهة الشمال أكثر منها في جهة اليمين)^(١).

يؤيد هذا الرأي قواعد الترجيح الآتية:

* إذا ورد أكثر من تفسير صحيح تحتمله الآية بلا تضاد جاز تفسير الآية بها^(٢).

* الجمع بين المقصودين أولى من العمل بأحدهما وتعطيل الآخر^(٣).

* لا يصار إلى الترجيح مع إمكان الجمع^(٤).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن علة مجيء " اليمين " بالإنفراد، و " الشمائل " بالجمع: لأن معنى اليمين الجمع، واحداً كان أم مجموعاً، ولأن من شأن العرب إذا اجتمعت علامتان في شيء واحد أن تُجمع إحداهما وتفرد الأخرى) هو جزء من القول الراجح – من وجهة نظري – لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، ولما قدمته من قواعد تؤيد القول الراجح.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) وقد أجاز جميع المعاني التي تحتملها الآية طائفة من المفسرين، من أبرزهم: الفخر الرازي والألوسي

والشوكاني. انظر: مفاتيح الغيب (٩/ ٣٩٧) روح المعاني (١٠/ ١٨٤) فتح القدير (٤/ ٢٢٥).

(٢) انظر: التفسير اللغوي للقرآن (١/ ٥٩١).

(٣) انظر: الإحكام في أصول القرآن (١/ ٢١٨).

(٤) انظر: الإبهاج (٣/ ٢١٠).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٤٩ ﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ ﴿ ٥٠ ﴾ يُؤْمَرُونَ ﴿ ٥١ ﴾ وَهُمْ لَا

يَسْتَكْبِرُونَ ﴿ ٤٩ ﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ ﴿ ٥٠ ﴾ يُؤْمَرُونَ ﴿ ٥١ ﴾ (١)

في هذه الآية مسألتان:

﴿ المسألة الأولى: وجه إفراد «الملائكة» بالذكر. ﴾

يقول القرطبي رحمته الله: (" والملائكة " يعني: الملائكة الذين في الأرض، وإنما أفردهم بالذكر لاختصاصهم بشرف المنزلة، فميزهم من صفة الدبيب بالذكر وإن دخلوا فيها، كقوله: ﴿ ! " # \$ ﴾ الرحمن: ٦٨ وقيل: لخروجهم من جملة ما يدب لما جعل الله لهم من الأجنحة، فلم يدخلوا في الجملة فلذلك ذكروا. وقيل: أراد ﴿ W V U T ﴾ X من الملائكة والشمس والقمر والنجوم والرياح والسحاب ﴿ Z Y ﴾ { } ﴿ وتسجد ملائكة الأرض (٢). ﴾

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرير.

◊ للمفسرين أقوال في توجيه إفراد "الملائكة" بالذكر ثلاثة أقوال، هي:

القول الأول- وجه إفراد "الملائكة" بالذكر: تكريماً لهم لاختصاصهم بشرف المنزلة.

وهو ما رجحه القرطبي رحمته الله، ووافقه الشوكاني (٣).

وقال به: الثعلبي والواحدي والبغوي والزخشي والقاضي البيضاوي وابن جزري

الكلبي وأبو حيان وجلال الدين السيوطي والأوسمي والسعدي (٤).

(١) وهنا موضع سجود للقارئ بالاتفاق، وحكمته هنا إظهار المؤمن أنه من الفريق الممدوح بأنه مشابه للملائكة في السجود لله تعالى.

(٢) تفسير القرطبي (١٢ / ٣٣٥).

(٣) فتح القدير (٤ / ٢٢٦).

(٤) انظر: الكشف والبيان (٦ / ٢١) الوجيز (١ / ٤٢٤) معالم التنزيل (٥ / ٢٣) الكشف (٣ / ٣٦٠) أنوار التنزيل

(٣ / ٤٤٩) التسهيل (١ / ٤٦٥) البحر المحيط (٧ / ٢٤٥) تفسير الجلالين (٤ / ٤٤٩) روح المعاني

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن من أساليب العرب في الكلام عطف الخاص على العام للتنبيه على فضله أو أهميته، حتى كأنه ليس من جنس العام، تنزيلاً للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات (١).

وعلى هذا بنى المتنبي (٢) قوله:

فإن تَفُقِ الأنامَ وأنت منهم فإن المسكَ بعضُ دم الغزالِ (٣)

* أن تخصيص أحد أفراد اللفظ العام بالذكر لإظهار شرفه له نظائر في القرآن، منها:

- قوله تعالى: ﴿ p o n m ﴾ q r s t u v

w X البقرة: ٩٨.

§ وقوله: ﴿ ! " # \$ % & ' (﴾ البقرة:

.٢٣٨

§ وقوله: ﴿ ! " # \$ ﴾ الرحمن: ٦٨.

- قال الزمخشري: (لأنَّ النخل ثمره فاكهة وطعام، والرمان فاكهة ودواء، فلم يخلصا

(١٨٧/١٠) تيسير الكريم المنان (١/٤٤٢).

(١) انظر: قواعد التفسير (١/٤٣٠).

(٢) المتنبي: أحمد بن الحسين الجعفي الكوفي، أبو الطيب: الشاعر الحكيم، له الأمثال السائرة والحكم البالغة والمعاني المبتكرة. وعند علماء الأدب من يعده أشهر الإسلاميين، قال الشعر صيبا، وتنبا في بادية السماوة - بين الكوفة والشام - فتبعه كثيرون، ثم تاب ورجع عن دعواه، مات سنة ٣٥٤ هـ مقتولا وهو في السفر على يد فاتك بن أبي جهل الأسدي وجماعة من أصحابه بسبب هجائه له، وديوانه مطبوع. انظر: الأعلام (١/١١٥).

(٣) البيت من ديوان المتنبي (١/٢٦٥) من قصيدة يرثي بها والده سيف الدولة سنة ٣٣٧ هـ، ومعناه: لا عجب إن فقت الناس وأنت واحد منهم، فإن بعض الشيء قد يفوق جملة، كالمسك الذي هو بعض دم الغزال. انظر: ديوان المتنبي وبهامشه الشرح (١/٢٦٨).

للتفكُّه (١).

- قال الثعالبي: (وإنما أفرد الله الصلاة الوسطى من الصلاة وهي داخلة في جملتها وأفرد التمر والرمان من جملة الفاكهة وهما منها للاختصاص والتفضيل كما أفرد جبريل وميكائيل من الملائكة) (٢).

القول الثاني - وجه أفراد " الملائكة " بالذكر: لخروجهم من جملة ما يدب لما جعل الله لهم من الأجنحة.

وقال به: أبو الفرج بن الجوزي (٣)، وحكاه كثير من المفسرين.

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* لأن الملائكة موصوفة بأن لها أجنحة في قوله تعالى: ﴿ r q p o

x w v u t s ﴾ فاطر: ١ فالطيران أغلب عليهم من الدبيب.

* أن الله تعالى غاير بين الطيران والدبيب بقوله: ﴿ J I H G F E D C

N M L K ﴾ الأنعام: ٣٨.

لكن يردُّ على هذا القول أمور، منها:

* أن العرب تصف الطائر بالدبيب، ومن ذلك:

§ ما جاء في قول الأعشى:

رودافُهُ تُثْنِي الرِّدَاءَ تَسَانَدَتْ إلى مثلِ دَعَصِ الرَّمْلَةِ الْمُتَهَيَّلِ

نِيفٌ كَغَصَنِ الْبَانِ تَرْتَجُّ إِنْ مَشَتْ دَيْبِ قَطَا الْبَطْحَاءِ فِي كُلِّ مَنْهَلٍ (٤)

(١) الكشف (٦ / ٤٧٥).

(٢) فقه اللغة وسر العربية (١ / ١٢٠٢).

(٣) انظر: زاد المسير (٤ / ٩٩).

(٤) الأبيات من ديوان الأعشى ص ٣٥١ بشرح محمد حسين، وهو من قصيدة يصف فيها جسم امرأة تدعى قتيلة، وروادفه: جمع رادفة وهي طبقات الشحم. دعص الرمل: الكتلة المتجمعة من الرمل. المتهيل: الذي ينهال

§ وقول علقمة بن عبدة (١):

كَأَنَّهُمْ صَابَتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ صَوَاعِقُهَا لَطِيرُهُنَّ دَيْبٌ (٢)

القول الثالث- وجه أفراد الملائكة بالذكر: عموم السجود فيهم كجميع الدوابّ المخلوقة:

فيكون المعنى: ولله يسجد ما في السماوات من الملائكة وما في الأرض من دابة، وتسجد الملائكة وهم لا يستكبرون.

* أن معاجم اللغة تذكر أن لفظ (دابة) عام في كل ما خلق الله أو مشى على الأرض، وقد ثبت أن الملائكة تمشي على الأرض في القرآن والسنة الصحيحة.

- قال ابن فارس: (الذال والباء أصلٌ واحدٌ صحيحٌ مُنْقَاسٌ، وهو حركةٌ على الأرض أخفُّ من المشي، وكلُّ ما مشى على الأرض فهو دابة) (٣).

- قال الجوهري: (وكل ماشٍ على الأرض دابة) (٤).

* أنه قد ورد عن السلف أن (الدابة) اسم عام لكل ما يدب.

- جاء عن مجاهد في قوله ﴿وَمَا بَتَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ الشورى: ٢٩: (الناس والملائكة) (٥).

ولا يتهاسك. نيف: مرتفعة. القطة: طائر مثل حجم الحمام. البطحاء: مسيل الماء من الوادي فيه حصى دقيق. المنهل: مورد الماء. ومعنى البيت: أن جسمها الممتلئ بطبقات اللحم الناتئة من تحت الرداء يهتز حين تمشي، وكأنها القطة تدب في الوادي إلى منهل الماء. انظر: شرح ديوان الأعشى ص ٣٥١.

(١) علقمة بن عبدة: من بني تميم: شاعر جاهلي، معروف بعلقمة الفحل، كان معاصرا لامرئ القيس وله معه مساجلات، ت: نحو ٢٠ ق هـ، له ديوان شعر مطبوع. انظر: الشعر والشعراء (٣٩/١) الأعلام (٤/٢٤٧).

(٢) البيت ورد في المفضليات (٧٢/١) صابت: تصويت، والبيت في وصف جماعة نزلت بهم مصيبة، فهم كطير أمطرته سحابة بصاعقة فصارت حركته ديبيا، وأضاف الجاحظ أن الديب في هذا البيت ناتج من احتباس بيض الطير في جوفه لما أصابه من الذعر. انظر: الحيوان (١/٢٢٩).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٢/٢٦٣).

(٤) الصحاح (٢/١٤٠).

(٥) أورده أبو جعفر النحاس في معاني القرآن (٦/٣١٤).

- وقال الضحاك: (كل شيء فيه رُوحٌ دابةٌ يسجدُ لله عز وجل) (١).

* أن بعض المفسرين وافقوا اللغويين في إطلاق اسم الدابة على كل ما يدب:

- قال أبو جعفر النحاس في قوله تعالى ﴿ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ﴾ الجاثية: ٤:
(وكل ما فيه الروح فهو دابة) (٢).

- وقال ابن عطية: (والدابة: ما دبَّ من الحيوان، والمراد: جميع الحيوان الذي يحتاج إلى

رزق، ويدخل في ذلك الطائر والموام وغير ذلك كلها دواب... وتخصيصه بقول ﴿ Z

{ ﴿ إنما هو لأنه الأقرب لحِسِّهم، والطائر والعائم إنما هو في الأرض) (٣).

و من المهم التنبيه إلى أن أصل الوضع اللغوي لكلمة (دابة) هو: العموم في كل ما خلق

الله مما يدب، لكن عُرف الاستعمال أدخل عليه التخصيص حتى غَلَبَ عليه أن يكون للحيوان، أو المركوب منه.

و معروف عند علماء الأصول أن للفظ ثلاثة استعمالات:

١. لغوي: وهو أن يستعمل اللفظ فيما وضع له في اللغة.

٢. عرفي: وهو أن يستعمل اللفظ لمعنى شاع استعماله فيه عرفاً لبعض أنواع ذلك

المسمى دون بقية أنواعه.

٣. شرعي: وهو أن يستعمل اللفظ فيما وضع له بوضع الشارع.

فإذا ورد اللفظ في القرآن أو السنة فإنه يحمل أولاً على الحقيقة الشرعية، ثم العرفية، ثم

اللغوية.

- قال أبو هلال العسكري: (والاسم العرفي ما نقل عن بابه بعرف الاستعمال، نحو

قولنا: دابة، وذلك أنه قد صار في العرف اسماً لبعض ما يدب، وكان في الأصل اسماً لجميعه،

(١) أورده أبو جعفر النحاس في معاني القرآن (٧١/٤).

(٢) معاني القرآن (٤٢١/٦).

(٣) المحرر الوجيز (٤٠٠/٣).

== ترجيحات القرطبي في التفسير من سورة الحجر إلى آية (٨٠) من سورة النحل == ٤٣٧ -

وإذا كان الخطاب في العرف لشيء وفي اللغة بخلافه وجب حمله على العرف لأنه أولى^(١).
- قال القرافي: (فمثل هذا النقل العرفي يقدم على موضوع اللغة لأنه ناسخ للغة،
والناسخ يقدم على المنسوخ، فهذا هو معنى قولنا: إن الحقائق العرفية مقدّمة على الحقائق
اللغوية)^(٢).

و بناءً على هذا فإننا نخلص إلى الآتي:

(١) أن لفظ " دابة " في هذه الآية يصح أن يُحمل على أصل وضعه اللغوي الواسع
الشامل لكل روح خلقها الله، لأمرين:

- الأول: قرينة قوله ﴿ z y x w v u t ﴾ فالسجود لله عام
في جميع مخلوقاته لا يخرج منه ذو جناح.

- الثاني: للعموم المفهوم من لفظ " ما " .

(٢) تضعيف القول الثاني في هذه المسألة، إذ ثبت من خلال ما سبق صحة وصف الطائر
بالدبيب.

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض الأقوال السابقة ما يلي:

§ أن الأقوال في توجيه أفراد " الملائكة " بالذكر هي من باب الاستنباط.

§ أن جمهور المفسرين على القول الأول.

§ أن لكل قول نظائره وأدلته من القرآن.

§ أن القول الثاني ظهر ضعف وجهه من خلال مناقشة أدلته آنفاً.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو (أن وجه أفراد " الملائكة "

(١) الفروق اللغوية (١/ ٥٣).

(٢) الفروق (٢/ ٢٢٤).

بالذكر: تخصيصهم بالتكريم والتشريف)

يشهد بصحة هذا قواعد الترجيح الآتية:

* عطف الخاص على العام منبّه على فضله أو أهميته، تنزيلاً للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات (١).

* يجب الترجيح بقولا لأكثر قياسا لكثرة القائلين على كثرة الرواة وكثرة الأشباه (٢).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن وجه إفراد " الملائكة " بالذكر: تكريماً لهم لاختصاصهم بشرف المنزلة) صحيح - من وجهة نظري - لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، ولما قدمته من أدلة تؤيد القول الراجح.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) انظر: قواعد التفسير (٢/٤٣٠).

(٢) انظر: المستصفي في علم الأصول (١/٤٣٠).

المسألة الثانية: مرجع الضمير في ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ﴾ والمراد بالفوقية في قوله ﴿من فوقهم﴾^(١).

يقول القرطبي رحمته الله: (ومعنى ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ أي: عقاب ربهم وعذابه، لأن العذاب المهلك إنما ينزل من السماء. وقيل: المعنى يخافون قدرة ربهم التي هي فوق قدرتهم، ففي الكلام حذف. وقيل: معنى ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ يعني: الملائكة يخافون ربهم وهي من فوق ما في الأرض من دابة ومع ذلك يخافون، فلأن يخاف من دونهم أولى، دليل هذا القول قوله تعالى: ﴿وَيَفْعَلُونَ^٢ يُؤْمَرُونَ﴾ يعني: الملائكة)^(٢).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمريض.

Ø في معنى هذه الآية قولان:

القول الأول— إن المعنى: يخاف الملائكة ربهم وهم فوق ما في الأرض من دابة، فلأن يخاف من دونهم أولى^(٣).

فيكون مرجع الضمير في " يخافون " : على الملائكة.

أما المراد بالفوقية:

(١) فإن كان " يخافون " متعلقاً بـ " ربهم " فهي فوقية المكانة والسلطان والقهر^(٤)، وهو

(١) موقف أهل السنة والجماعة من مسألة الفوقية: (إثبات أن الله تعالى عال فوق خلقه، مستو على عرشه، وأن الفوقية والعلو صفات كمال له سبحانه) وقد تواترت نصوص الكتاب والسنة على إثبات هذه الصفة. انظر: جامع الرسائل لابن تيمية (١/٩٨ وما بعدها) اجتمع الجيوش الإسلامية (١/٢٣ وما بعدها) شرح العقيدة الطحاوية (١/٢٦٠ وما بعدها) معارج القبول (١/١٥١ وما بعدها).

(٢) تفسير القرطبي (١٢/٣٣٥).

(٣) وفيه دليل على أن الملائكة مكلفون مدارون على الأمر والنهي والوعد والوعيد كسائر المكلفين، وأنهم بين الخوف والرجاء.

(٤) وعلى هذا المعنى يكون " من فوقهم " حال من " ربهم "، أي: يخافون ربهم عاليا لهم قاهرا، وفي هذا ثناء على الله تعالى، وتعظيم لشأنه سبحانه.

ما رجحه القرطبي (١) وتبعه السمرقندي (٢).

(٢) وإن كان " يخافون " متعلقاً بـ " من فوقهم " فهي فوقية المكان، أي: يخافون نزول عذابه من فوقهم (٣)، وهو ظاهر قول الطبري (٤).

وهذا القول - أي تفسير الضمير بالملائكة - مروى عن ابن السائب (٥) ومقاتل (٦).

وقال به: الزجاج والفخر الرازي وابن كثير والسمرقندي وجلال الدين السيوطي وأبو السعود والأوسى والسعدي والطاهر بن عاشور (٧).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن هذا هو الموافق لسياق الآية، لأن بعده ﴿وَيَفْعَلُونَ﴾ © ﴿يُؤْمَرُونَ﴾ وهم الملائكة، فلزم أن يكون مرجع الضمائر واحداً.

* أن وصف الملائكة بالخوف من الله أكد من وصف غيرهم به، لأن الله تعالى يقول:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ﴾ ﴿٢٨﴾ فاطر: ٢٨، وهذا يدل على أنه كلما كان العلم بالله تعالى أتم كانت الخشية منه أعظم.

* أن المقصود من هذه الآية شرح صفات الملائكة.

(١) وقال بهذا المعنى جمع من المفسرين، منهم: الثعلبي والواحدي والبعوي والطاهر بن عاشور، انظر: الكشف

والبيان (٢١/٦) الوجيز (٤٢٤/١) معالم التنزيل (٢٣/٥) التحرير والتنوير (١٤/١٧١).

(٢) انظر: بحر العلوم (٢/٤٦٧).

(٣) وعلى هذا المعنى يلزم تقدير مضاف محذوف، أي: عذاب ربهم.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧/٢٢٠).

(٥) انظر: زاد المسير (٤/٩٩).

(٦) انظر: زاد المسير (٤/٩٩) تفسير مقاتل (٢/٢٢٢).

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/٢٠٣) مفاتيح الغيب (٩/٤٠٠) تفسير القرآن العظيم (٤/٥٧٦) بحر

العلوم (٢/٤٦٧) تفسير الجلالين (٤/٤٤٩) إرشاد العقل السليم (٤/١٢٧) روح المعاني (١٠/١٨٩)

تيسير الكريم المنان (١/٤٤٢) التحرير والتنوير (١٤/١٧١).

القول الثاني- إن المعنى: يخاف جميع مَنْ في السماوات والأرض ربهم وعذابه.

فيكون مرجع الضمير في " يخافون " : على جميع المخلوقات.

و يكون المراد بالفوقية كالتفصيل المذكور في القول الأول.

وهذا القول مروى عن أبي سليمان الدمشقي^(١)، وهو قول ابن عطية وأبي حيان

والشعالبي^(٢).

و احتج لهذا القول بما يلي:

* أن الضمير في قوله: " يخافون " عائد على المنسوب إليهم السجود في ﴿ u t

wv x y z { | } .

* أن قوله: ﴿ وَيَفْعَلُونَ ﴾ © يُؤْمَرُونَ ﴿ أي: المؤمنون بحسب الشرع والطاعة، أما غيرهم

من الحيوان فبالتسخير والقدر الذي يسوقهم إلى ما نفذ من أمر الله تعالى.

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية :

يتبين من عرض القولين السابقين ما يلي:

§ أن أكثر المفسرين على القول الأول.

§ أن الوصف في قوله ﴿ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٤٩) يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ ©

يُؤْمَرُونَ ﴿ أليق بالملائكة منه بسائر المخلوقات، للنظائر القرآنية التي خصت الملائكة بهذه

الصفات، ومنها:

- قوله تعالى: ﴿ wv x y z { | } ~ ﴾ الأنبياء: ١٩.

(١) انظر: البحر المحيط (٧ / ٢٤٥)، وأبو سليمان الدمشقي: هو ابن عبد الرحمن الحافظ الكبير ابن بنت

شريحيل بن مسلم الخولاني سمع اسماعيل بن عياش وابن عيينة وطبقتهم، وعنه أبو زرعة والبخاري وأبو

داود، وكان محدث دمشق ومفتيها. قال الدار قطني: ثقة عنده مناكير عن الضعفاء، ت: ٢٣٣هـ. انظر: تذكرة

الحفاظ (٢ / ٤٣٨).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٤ / ١٧٤) البحر المحيط (٧ / ٢٤٥) الجواهر الحسان (٢ / ٣٤١).

- وقوله: ﴿ Q P ON ﴾ الأنبياء: ٢٨.

قال الشوكاني: (وحمل هذه الجمل على الملائكة أولى؛ لأن في مخلوقات الله من يستكبر عن عبادته، ولا يخافه ولا يفعل ما يؤمر به، كالكفار والعصاة الذين لا يتصفون بهذه الصفات وإبليس وجنوده)^(١).

§ أن الفوقية لله تعالى يمكن حملها على المعنيين إذ لا تعارض بينهما.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو (أن مرجع الضمير في " يخافون " للملائكة، وأن معنى " من فوقهم " : علو المكان والقهر والسلطان) يشهد بصحة هذا قاعدة الترجيح الآتية:

* توحيده مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها^(٢).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن مرجع الضمير في " يخافون " : على الملائكة) صحيح، أما ترجيحه للفوقية (بأنها فوقية المكان والسلطان والقهر) فهذا جزء من القول الراجح، إذ لا مانع من حملها على فوقية المكان أيضاً، وهذا ما تبين لي أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) فتح القدير (٤/٢٢٦).

(٢) انظر: قواعد الترجيح (٢/٢٤١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ نُنْقُونَ﴾ (٥٢)

في هذه الآية مسألة واحدة، هي:

﴿معنى واصباً﴾.

يقول القرطبي رحمته الله: (الدِّين: الطاعة والإخلاص. و"واصباً" معناه: دائماً؛ قاله الفراء^(١)، حكاه الجوهري^(٢). وَصَبَ الشَّيْءُ يَصْبُ وَصُوبًا، أي: دام. ووصب الرجل على الأمر: إذا واطب عليه. والمعنى: طاعة الله واجبة أبداً. ومن قال واصباً: دائماً: الحسن^(٣) ومجاهد^(٤) وقتادة^(٥) والضحاك^(٦). ومنه قوله تعالى: ﴿Q P O I M﴾ الصافات: ٩ أي: دائم. وقال الدؤلي^(٧):

لا أبتغي الحمد القليل بقاؤه
بدم يكون الدهر أجمع واصباً
أنشد الغزنوي^(٨) والثعلبي^(٩) وغيرهما:

(١) انظر: معاني القرآن (١٠٤/٢).

(٢) انظر: الصحاح (٢٥٥/٢).

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢٢٨٥/٧).

(٤) انظر: تفسير مجاهد ص ١٣٢، تفسير الطبري (٢٢٢ / ١٧).

(٥) انظر: تفسير عبد الرزاق (٣٥٧/١) انظر: تفسير الطبري (٢٢٢ / ١٧).

(٦) انظر: تفسير الضحاك ص ٥١٨، تفسير الطبري (٢٢٢ / ١٧).

(٧) أبو الأسود الدؤلي: ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي الكناني: واضح علم النحو، من التابعين، كان معدوداً من الأعيان والأمراء والشعراء والفرسان والحاضري الجواب، رسم له علي بن أبي طالب شيئاً من أصول النحو فكتب فيه، وهو - في أكثر الأقوال - أول من نقط المصحف، وله شعر جيد طبع في ديوان صغير، ت: ٦٩ هـ. انظر: تاريخ العلماء النحويين (١٥/١) الأعلام (٢٣٦ / ٣).

(٨) إما أن يكون القاضي أبو الفتح عبد الصمد بن محمود بن يونس الغزنوي، ولم أجده في مخطوط كتابه (تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء) عند تفسيره لهذه الآية، وإما أن يكون عالي بن إبراهيم بن إسماعيل أبو علي الغزنوي، أخذ عنه القرطبي وكان إماماً في التفسير وله تفسير القرآن العظيم في مجلدين ضخمين، وعالمًا بالفقه واللغة العربية والأصول والجدل، ت: ٥٨٢، وتفسيره مخطوط. انظر: طبقات المفسرين (٢٠٩/١) الأعلام (٢٤٩/٣).

(٩) انظر: الكشف والبيان (٢٢/٦).

ما أبتغي الحمدَ القليلَ بقاؤه يوماً بدمِّ الدهرِ أجمعٍ واصبأ
وقيل: الوصب: التعب والإعياء، أي: تجب طاعة الله وإن تعب العبد فيها. ومنه قول
الشاعر (١):

لا يُمِسِّك الساقَ من أينٍ ولا وَصَبٍ ولا يَعَضُّ على شُرُوفِهِ الصَّفَرُ (٢)
وقال ابن عباس: "واصباً" واجباً (٣). الفراء والكلبي (٤): خالصاً (٥).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرير.

Ø في معنى "واصباً" أربعة أقوال:

القول الأول- إن معنى "واصباً": دائماً.

فيكون المعنى: وله الدين دائماً لا يزول.

وهذا القول مروى عن ابن عباس (٦) ومجاهد والحسن والضحاك وقتادة وابن زيد (٧)
وميمون بن مهران (٨) ومقاتل (٩).

(١) هذا البيت أورده صاحب جمهرة أشعار العرب (٧١/١) لأعشى باهلة، وهو عامر بن الحارث الباهلي: شاعر جاهلي، أشهر شعره رائية له في رثاء أخيه المنتشر وقد مات مقتولاً. انظر: طبقات فحول الشعراء (٢٧/١) الأعلام (٢٥٠/٣).

(٢) هذا البيت من مرثية للأعشى، الأين: التعب، الشرسوف: غضروف معلق بكل ضلع، الصفر هنا: حية في البطن زعموا أنها تعض الشرسوف إذا جاع صاحبه، والمعنى: إذا لحقه ألم من التعب لم يغمز ساقه كما يفعل الناس بل يصبر على ذلك إلى أن يزول ولا يميل إلى الدعة والرفاهية. وإن لم يصب شيئاً من الطعام صبر على الجوع. انظر: شرح أدب الكاتب (٥٧/١).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٢٣/١٧).

(٤) انظر: النكت والعيون (٣٧٧/٢).

(٥) تفسير القرطبي (٣٣٦/١٢).

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢٢٨٥/٧).

(٧) انظر: تفسير الطبري (٢٢٢/١٧).

(٨) انظر: تفسير القرآن العظيم (٥٧٦/٤).

(٩) انظر: تفسير مقاتل (٢٢٣/٢).

وهو ما رجحه القرطبي وتبعه السمين الحلبي والشوكاني (١).
وقال به من المفسرين: أبو جعفر النحاس والثعلبي والبغوي وابن عطية والفخر
الرازي وأبو حيان وابن كثير والسيوطي والشنقيطي والألوسي والطاهر بن عاشور (٢).
ومن أهل اللغة: أبو عبيدة (٣) والفراء والزجاج (٤).
واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:
* اللغة، حيث أن الأصل في معنى (وَصَبَ) الدوام:
- قال الخليل بن أحمد: (والوصوب: ديمومة الشيء) (٥).
- قال ابن فارس: (الواو والصاد والباء: كلمة تدل على دوام شيء. ووَصَبَ الشيء
وصوباً: دام) (٦).
و ورد في أشعار العرب لفظ واصب بمعنى دائم، ومنها ما أورده القرطبي من نظم
الدؤلي وغيره.

* أن ورود لفظ واصب بمعنى دائم له نظير في القرآن، مثل:
- قوله تعالى: ﴿ Q P O ﴾ الصافات: ٩ أي: دائم.
و علّل صاحب أضواء البيان تفسير " واصباً " بـ " دائماً " بأن الله تعالى: (لا يضعف
سلطانه، ولا يعزل عن سلطانه، ولا يموت ولا يغلب، ولا يتغير له حال بخلاف ملوك

(١) الدر المصون (٢٣٧/٧) فتح القدير (٤/ ٢٢٨).

(٢) انظر: معاني القرآن (٧٠/٤) الكشف والبيان (٢٢/٦) معالم التنزيل (٢٣/٥) المحرر الوجيز (٤/ ١٧٤)

مفاتيح الغيب (٤٠٤/٩) تفسير القرآن العظيم (٥٧٦/٤) تفسير الجلالين (٤/ ٤٥٢) أضواء البيان

(٢/ ٣٨٣) روح المعاني (١٠/ ١٩٧) التحرير والتنوير (١٤/ ١٧٦).

(٣) انظر: مجاز القرآن (١/ ٣٦١).

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٠٤) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٠٣).

(٥) العين (٢/ ٤٦).

(٦) معجم مقاييس اللغة (٦/ ١١٧).

الدنيا) (١).

القول الثاني- إن معنى " واصباً " واجباً ثابتاً.

فيكون المعنى: وله الدين ثابتٌ واجبٌ على كل مكلف.

وهذا القول مروى عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وقال به: الزمخشري (٢)، ورجحه ابن جزي (٣).

واستدل أصحاب هذا القول باللغة:

- قال ابن فارس: (وَوَصَبَ الدِّينَ: وَجَبَ) (٤).

و علَّل الزمخشري هذا القول بأنه ما دامت كل نعمة من الله فالطاعة واجبة له على كل

منعم عليه (٥).

القول الثالث- إن معنى " واصباً " خالصاً.

فيكون المعنى: وله الدين، خالصاً له سبحانه.

وهذا القول مروى عن ابن السائب الكلبي.

واحتج لهذا القول بما يلي:

* أن لهذا المعنى نظائر في القرآن، منها:

- قوله تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ آل عمران:

.٨٣

- وقوله: ﴿WV X Y﴾ الزمر: ٣.

(١) أضواء البيان (٢/ ٣٨٣).

(٢) انظر: الكشاف (٣/ ٣٦٢).

(٣) انظر: التسهيل (١/ ٤٦٦).

(٤) معجم مقاييس اللغة (٦/ ١١٧).

(٥) انظر: الكشاف (٣/ ٣٦٢).

القول الرابع— إن معنى " واصباً " : مُوصِياً، أي: متعباً، من الوَصَب وهو التعب والإعياء.

فيكون المعنى: تجب طاعة الله في جميع الأحوال وإن كان فيها وصب، أي: تعب.
وقال به ابن الأنباري^(١).

و احتج لهذا القول بأن لفظ وَصَبَ يأتي في اللغة بمعنى تَعَبَ، ومن ذلك:

- قول النبي [^]: « ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياها »^(٢).

- وقال ابن فارس: (والوَصَب: المرض المُلازم الدائم. رجل وَصِبٌ ومُوصَبٌ: دائم الأوصاب)^(٣).

- قول أعشى باهلة الذي أورده القرطبي.

لكن الشوكاني تعقب هذا المعنى بقوله: (وهو غير مناسب لما في الآية)^(٤).

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض الأقوال ما يلي:

§ أن جمهور المفسرين من السلف ومن بعدهم وأكثر أهل اللغة على القول الأول.

§ يظهر أن القولين الأول والرابع تفسير للفظ، أما القولان الثاني والثالث فهما تفسير

على المعنى.

§ أن جميع الأقوال ترجع في أصلها إلى معنى القول الأول وهو الديمومة؛ حيث إن

(١) انظر: زاد المسير (٤/ ١٠٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الإيمان - باب ما جاء في كفارة المرض (١٧/ ٣٧٤) برقم ٦٧٣٣، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب - باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك (١٢/ ٤٥٠) برقم ٤٦٧٠.

(٣) معجم مقاييس اللغة (٦/ ١١٧).

(٤) فتح القدير (٤/ ٢٢٨).

الشيء إذا دام دواماً لا ينقطع فقد وجب وثبت، والإخلاص واجب لله على الدوام، والوصب دوام الوجد ولزومه^(١)، لا مطلق الوجد.

§ أن القول الرابع بعيد وغير ظاهر، وهو - كما قال الشوكاني - غير مناسب للآية، وغير موافق للسياق.

§ أنه يمكن الجمع بين الأقوال الثلاثة الأولى، فيكون معنى الآية: (وله الطاعة دائمةً واجبةً خالصةً له).

و ممن قال بالجمع بين الأقوال: الطبري والسمرقندي وأبو السعود^(٢).

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو أن معنى " واصباً ": (واجباً خالصاً على الدوام)

يشهد بصحة هذا قواعد الترجيح الآتية:

* إذا ورد أكثر من تفسير لغوي صحيح تحتمله الآية بلا تضاد جاز تفسير الآية بها^(٣).

* الجمع بين المقصودين أولى من العمل بأحدهما وتعطيل الآخر^(٤).

* لا يصار إلى الترجيح مع إمكان الجمع^(٥).

- قال الشافعي: (ولزم أهل العلم أن يعضوا الخبرين على وجوههما ما وجدوا لإمضائهما وجهاً، ولا يعدونها مختلفين وهما احتمالان أن يمضيا، وذلك إذا أمكن فيهما أن يمضيا معاً أو وجد السبيل إلى إمضائهما)^(٦).

(١) انظر: مفردات غريب القرآن (١ / ٥٢٤) لسان العرب (١ / ٧٩٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧ / ٢٢١) بحر العلوم (٢ / ٤٦٧) إرشاد العقل السليم (٤ / ١٢٧).

(٣) انظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم ص ٥٩١

(٤) انظر: الإحكام في أصول القرآن (١ / ٢١٨).

(٥) انظر: الإبهاج (٣ / ٢١٠).

(٦) الرسالة (١ / ٣٤١).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن معنى " واصباً ": دائماً) جزء من القول الراجح - من وجهة نظري - لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، ولما قدمته من قواعد تؤيد القول الراجح.

والله تعالى أعلم بالصواب

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَسَفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا مِنْكُمْ ﴿٥٤﴾ يُشْرِكُونَ ﴾ ! " # % ' () * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 ✽

في هذه الآية مسألتان.

✽ المسألة الأولى: معنى اللام في ﴿ ليكفروا ﴾.

يقول القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: ﴿ ! " # ✽ أي: ليجحدوا نعمة الله التي أنعم بها عليهم من كشف الضر والبلاء. أي: أشركوا ليجحدوا، فاللام لام كي. وقيل: لام العاقبة. وقيل: ﴿ ! " # ✽ أي: ليجعلوا النعمة سبباً للكفر، وكل هذا فعلٌ خبيثٌ، كما قال (١):

والكفر مَحْبَثَةٌ لِنَفْسِ الْمُتَعَمِّمِ (٢).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرير.

∅ في معنى هذه الآية ثلاثة أقوال:

القول الأول - إن اللام لام كي المفيدة للتعليل.

فيكون المعنى: لما كشف الله عنهم الضر أشركوا كي يجحدوا وينكروا أن تكون نعمة كشف الضر من الله، فجعلوا النعمة سبباً إلى الكفر.

(١) القائل هو عنتر بن شداد العبسي: أشهر فرسان العرب في الجاهلية، من أهل نجد، أمه حبشية اسمها زبيبة، سرى إليه السواد منها. وكان من أحسن العرب شيمة ومن أعزهم نفساً، يوصف بالحلم على شدة بطشه، وكان مغرماً بابنة عمه "عبلة" فقل أن تخلو له قصيدة من ذكرها. شهد حرب داحس والغبراء، مات مقتولاً نحو ٢٢ ق هـ، وشعره مطبوع في ديوان. انظر: الشعر والشعراء (٤٦/١) الأعلام (٩١/٥)، والبيت من ديوانه ص ٢٨ وهو من معلقته، وصدر البيت:

فشككتُ بالرمح الأصم ثيابهُ والكُفْرُ مَحْبَثَةٌ لِنَفْسِ الْمُتَعَمِّمِ

والكفر هنا: الجحود، ومحبثة: من الخبث.

(٢) تفسير القرطبي (٣٣٨ / ١٢).

وهذا ما رجحه القرطبي، ووافق الشوكاني (١).

وهو قول الزجاج والزخشي والظاهر بن عاشور (٢).

واستدل أصحاب هذا القول بأن له نظيراً في القرآن، كقوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ

فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ ۗ﴾ يونس: ٨٨.

- قال الفخر الرازي: (وغرضهم من ذلك الإشراك أن ينكروا كون ذلك الإنعام من

الله تعالى، ألا ترى أن العليل إذا اشتد وجعه تضرع إلى الله تعالى في إزالة ذلك الوجع، فإذا

زال أحال زواله على الدواء الفلاني والعلاج الفلاني، وهذا أكثر أحوال الخلق) (٣).

- وقال ابن عاشور: (وكفر النعمة ليس هو الباعث على الإشراك فإن إشراكهم سابق

على ذلك وقد استصحبوه عقب كشف الضر عنهم، ولكن شبهعودهم إلى الشرك بعد

كشف الضر عنهم بالعلة الباعثة على ذلك العمل. ووجه الشبه: مبادرتهم لكفر النعمة دون

تريث. فاستعير لهذه المقارنة لام التعليل، وهي استعارة تهكمية، ومثلها كثير الوقوع في

القرآن) (٤).

القول الثاني - إن اللام للعاقبة والصورورة.

فيكون المعنى: لما كشف الله عنهم الضر إذا فريق منهم أشركوا بالله، فصار عاقبة هذه

النعمة الكفر به.

وقال بهذا المعنى: البغوي والألوسي (٥)، ورجحه ابن كثير (٦).

(١) انظر: فتح القدير (٤ / ٢٢٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣ / ٢٠٤) الكشاف (٣ / ٣٦٣) التحرير والتنوير (١٤ / ١٧٨).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب (٩ / ٤٠٧).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (١٤ / ١٧٨) بشيء من التصرف.

(٥) انظر: معالم التنزيل (٥ / ٢٤) روح المعاني (١٠ / ٢٠١).

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤ / ٥٧٧).

واستدل أصحاب هذا القول بأن له نظيراً في القرآن، هو قوله تعالى: ﴿HG
I J K L M﴾ القصص: ٨ أي: فكانت العاقبة أن صار لهم عدواً
وحزناً.

ولكن ابن جزى الكلبي قال عن هذا المعنى إنه: (بعيد)^(١).

القول الثالث- إن اللام للأمر.

فيكون المعنى: اكفروا بما آتيناكم وتمتعوا بما أنعمنا عليكم فسوف تعلمون جزاؤكم.

و الأمر مراد به الوعيد والتهديد، فهو مجاز.

وهو قول الطبري^(٢) ورجحه ابن جزى الكلبي^(٣).

و احتج هؤلاء بما يلي:

* أن سياق الآية في الوعيد والتهديد للمشركين، حيث قال: " ليكفروا " ثم قال: " فتمتعوا فسوف تعلمون " .

* أن الأمر على سبيل التهديد له نظائر في القرآن، منها:

- قوله تعالى: ﴿V U T S Q P O﴾ فصلت: ٤٠.

- وقوله: ﴿t s r q p o n m﴾ الزخرف: ٨٣-المعارج:

.٤٢

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض الأقوال السابقة ما يلي:

§ أنه لم يرد في الآية قول لأحد السلف.

§ أن أقرب الأقوال لسياق الآية هو القول الثالث؛ لأن " فتمتعوا " معطوف على "

(١) انظر: التسهيل (١/٤٦٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/٢٢٥).

(٣) انظر: التسهيل (١/٤٦٦).

ليكفروا" (١) وقد أجمع الجمهور على أنه أمر (٢) - ومعناه التهديد والوعيد - فيكون معنى " ليكفروا " الأمر أيضاً.

و جدير بالذكر أن أكثر المفسرين أوردوا الأقوال في معنى الآية على سبيل الحكاية دون اختيار، ومن أبرز أولئك: النحاس وابن عطية والرازي وأبو حيان (٣). إلا أنه لا خلاف بينهم في أن الآية للتهديد والوعيد.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو (أن اللام للأمر وأن الفعل خرج مخرج التهديد، فيكون المعنى: اكفروا بما آتيناكم وتمتعوا بما أنعمنا عليكم فسوف تعلمون جزاؤكم).

يشهد بصحة هذا الترجيح القواعد الآتية:

* من وجوه الترجيح: أن يشهد لصحة القول سياق الكلام ويدل عليه ما قبله أو ما بعده (٤).

* حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى (٥).

* من شأن العرب العطف بالكلام على معنى له نظير قد تقدمه (٦).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن اللام لام كي المفيدة للتعليل) مرجوح - والله أعلم - لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، ولقواعد الترجيح المؤيدة للقول الراجح.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) انظر: البحر المحيط (٢٤٨/٧).

(٢) انظر: التبيان في إعراب القرآن (٧٩٨/٢).

(٣) انظر: معاني القرآن (٧٣/٤) المحرر الوجيز (١٧٥/٤) مفاتيح الغيب (٤٠٧/٩) البحر المحيط (٢٤٩/٧).

(٤) انظر: مقدمة تفسير ابن جزي (٤٢/١).

(٥) انظر: قواعد التفسير (١٥٣/١).

(٦) انظر: قواعد التفسير (٤٣٦/٢).

المسألة الثانية: مفسر الضمير في ﴿لا يعلمون﴾.

يقول القرطبي رحمته الله: ﴿ * + , - . / O ﴾ ذكر نوعاً آخر من جهالتهم، وأنهم يجعلون لما لا يعلمون أنه يضر وينفع - وهي الأصنام - شيئاً من أموالهم يتقربون به إليه، قاله مجاهد (١) وقتادة (٢) وغيرهما. فـ "يعلمون" على هذا للمشركين. وقيل: هيلاً وأوثان، وجرى بالواو والنون مجرى من يعقل، فهو رد على "ما" (٣).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرير.

Ø ذكر المفسرون في مفسر الضمير هنا قولين:

القول الأول - إن مفسر الضمير في "لا يعلمون": المشركون.

فيكون المعنى: ويجعل المشركون لما لا يعلمون أنه يضرهم ولا ينفعهم - وهي الأوثان - نصيباً من الرزق.

وهذا ما رجحه القرطبي، ووافقه أبو حيان (٤).

وهو مروى عن مجاهد وقتادة وابن زيد (٥) ومقاتل (٦) والسدي (٧).

وقال به: الطبري والزجاج وأبو جعفر النحاس والواحدي وابن عطية وابن جزي

الكلبي وابن كثير وجلال الدين السيوطي وأبو السعود (٨).

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧ / ٢٢٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧ / ٢٢٥).

(٣) تفسير القرطبي (١٢ / ٣٣٩).

(٤) انظر: البحر المحيط (٧ / ٢٤٩).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٧ / ٢٢٥).

(٦) انظر: تفسير مقاتل (٢ / ٢٢٤).

(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧ / ٢٢٨٦).

(٨) انظر: تفسير الطبري (١٧ / ٢٢٥) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ٢٠٤) إعراب القرآن ص ٥٠٢، الوجيز

(١ / ٤٢٥) المحرر الوجيز (٤ / ١٧٦) التسهيل (١ / ٤٦٦) تفسير القرآن العظيم (٤ / ٥٧٧) تفسير الجلالين

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

- * أن نفي العلم عن الحي حقيقة وعن الجهاد مجاز، والحمل على الحقيقة أولى.
- * أن الضمير في قوله " ويجعلون " عائد إلى المشركين، فالأولى أن يكون الضمير في قوله " لما لا يعلمون " عائد إليهم أيضاً.
- * أن قوله " لما لا يعلمون " جمع بالواو والنون، وهو بالعقلاء أليق منه بالأصنام التي هي جمادات.

* أن لهذا القول نظائر في القرآن، منها قوله تعالى ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ حَقٌّ وَلَا يَسْعَدُونَ﴾ الحج: ٧١.

- قال صاحب الكشاف: (ومعنى كونهم لا يعلمونها: أنهم يسمونها آلهة، ويعتقدون فيها أنها تضر وتنفع وتشفع عند الله، وليس كذلك؛ وحقيقتها أنها جماد لا يضر ولا ينفع؛ فهم إذاً جاهلون بها) (١).

القول الثاني - إن مفسر الضمير في " لا يعلمون " : الأوثان.

فيكون المعنى: ويجعل المشركون للجهاد الذي لا يعلم شيئاً نصيباً من الرزق. وهذا المعنى حكاة كثير من المفسرين، إلا أن أحداً منهم لم يختره. واحتج له بما يلي:

* أن التعبير عن الأصنام بعبارة من يعقل إنما جاء بحسب مذهب الكفار الذين يسندون إليها ما يسند إلى من يعقل.

* أن القول بعود الضمير إلى المشركين يفتقر إلى إضمار، فإن التقدير: ويجعلون لما لا يعلمون إلهاً، أو لما لا يعلمون كونه نافعاً ضاراً، أما إن كان عائداً إلى الأصنام فلا حاجة إلى

(٤ / ٤٥٦) إرشاد العقل السليم (٤ / ١٢٩).

(١) انظر: الكشاف (٣ / ٣٦٣).

الإضمار؛ لأن التقدير: ويجعلون لما لا علم لها ولا فهم.

* أن لهذا القول نظائر في القرآن، منها:

- قوله تعالى في وصف الأصنام: ﴿ا ن م ل ك﴾

النحل: ٢١.

- وقولُه في الإخبار عن مقولتهم لعبادهم يوم القيامة: ﴿ن م ل ك﴾

يونس: ٢٩.

لكن ابن عطية تعقب هذا المعنى بقوله: (وهذا كله ضعيف)^(١) ووصفه ابن جزي

الكلبي بأنه (بعيد)^(٢).

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض القولين السابقين ما يلي:

§ أن القول الأول هو المروي عن السلف، أما الثاني فلم تأت به الرواية.

§ أن إجماع المفسرين على القول الأول، حيث حكي القول الثاني ولم يقل به أحد.

§ أن الله تعالى وصف المشركين ومعبوداتهم بعدم العلم - كما تقدم من النظائر القرآنية

التي سبق ذكرها -.

§ أن القول الثاني ضعفه بعض المفسرين.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو (أن مفسر الضمير في " لا

يعلمون": المشركون)

يشهد بصحة هذا قواعد الترجيح الآتية:

(١) انظر: المحرر الوجيز (٤/١٧٦).

(٢) انظر: التسهيل (١/٤٦٦).

* تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم (١).

* الحقيقة أولى أن يحمل عليها اللفظ (٢).

* الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه (٣).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن مفسر الضمير في " لا يعلمون ":

المشركون) صحيح - من وجهة نظري - لما ذكرته في المناقشة، ولما قدمته من قواعد تؤيد

القول الراجح.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) انظر: قواعد الترجيح (٢٤٣/١).

(٢) انظر: مقدمة تفسير ابن جزي (٤٣/١).

(٣) انظر: قواعد الترجيح (٢٤٨/٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿﴾ R Q P O N M L K U T W V Y X Z \

^] _ ﴿﴾

في هذه الآية مسألة واحدة، هي:

﴿﴾ المراد بدس الأتثى في التراب (١).

يقول القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: (أيمسكه على رغم أنه أم يدسه في التراب، وهو ما كانوا يفعلونه من دفن البنت حية. قال قتادة: (كان مضر (٢) وخزاعة (٣) يدفنون البنات أحياء، وأشدهم في هذا تميم) (٤) (٥) زعموا خوف القهر عليهم وطمع غير الأكفاء فيهن.... وقيل: دسها إخفاؤها عن الناس حتى لا تعرف، كالمدسوس في التراب لإخفائه عن الأبصار، وهذا محتمل (٦).

(١) قال ابن فارس (الذال والسين أصل واحد يدل على دخول الشيء تحت خفاء وسر، يقال دسست الشيء في التراب أدسه دساً. قال الله تعالى " أيمسكه على هون أم يدسه في التراب " ومن الباب قولهم: " العرق دساس " لأنه ينزع في خفاء ولطف) معجم مقاييس اللغة (٢/٢٥٦)، وذلك من أفضع أعمال الجاهلية، وكانوا متمالئين عليه ومحسبونه حقاً للأب فلا ينكرها الجماعة على الفاعل، وقد قال قائلهم:

إني وإن سيق إلى المهر ألف وعبدان وخور عشر

أحب أصهاري إلى القبر

(٢) مضر بن نزار: قبيلة عظيمة من العدنانية. كانت ديارهم حيز الحرم إلى السروات، وامتدت بالقرب من شرقي الفرات، وكانت ديارهم بالجزيرة بين دجلة والفرات، مجاورة الشام. وكانوا أهل الكثرة والغلب بالحجاز من سائر بني عدنان، وكانت لهم رئاسة مكة، ويجمعهم فخذان عظيمان: خندف وقيس. انظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة (٣/١١٠٧).

(٣) سبقت ترجمتها.

(٤) تميم: قبيلة عظيمة من العدنانية، منازلهم بأرض نجد، دائرة من هنالك على البصرة واليامة حتى يتصلوا بالبحرين وإلى الكوفة، ثم تفرقوا في الحواضر، ولهم بطون كثيرة. تمتاز هذه القبيلة بتاريخها الحربي في الجاهلية والإسلام، وأخبارهم في ذلك كثيرة جداً. انظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة (١/١٢٦).

(٥) ذكر هذا الكلام بمعناه البغوي في تفسيره، من غير نسبة لأحد. انظر: معالم التنزيل (٥/٢٥).

(٦) تفسير القرطبي (١٢/٣٤١).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرىض.

Ø في المراد بدس الأثنى ثلاثة أقوال:

القول الأول- إن المراد بدس الأثنى هو الوأد، أي: دفنها حية في التراب.

وقد رجحه القرطبي، ووافقه في ذلك الماوردي وأبو حيان (١).

وهو مروى عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا (٢) و قتادة (٣) والسدي (٤) ومقاتل (٥) وابن

جريح (٦).

وقاله الفراء، وعليه جمهور المفسرين وعامتهم، ومنهم:

الطبري والواحدى وابن الجوزي والبعوي والزخشي وابن عطية والرازي والعز بن

عبد السلام وابن جزى الكلبى والسمنى الحلبي وابن كثير وأبو السعود والشوكاني

والألوسى والشنقى والطاهر بن عاشور (٧).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

(١) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٧٨)، البحر المحيط (٧/ ٢٥٠).

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٨٦).

(٣) أورده السيوطى فى الدر (٩/ ٦٣) ومما قاله قتادة: (هذا صنيع مشركى العرب، أخبرهم الله بخبث صنيعهم، فأما المؤمن فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله له، وقضاء الله خير من قضاء المرء لنفسه، ولعمري ما يدري أنه خير، لرب جارية خير لأهلها من غلام، وإنما أخبركم الله بصنيعهم لتجتنبوه ولتنتهوا عنه، فكان أحدهم يغذو كلبه ويئد ابنته).

(٤) المصدر السابق (٩/ ٦٤).

(٥) انظر: تفسير مقاتل (٢/ ٢٢٤).

(٦) انظر: تفسير الطبرى (١٧/ ٢٢٩).

(٧) انظر: معانى القرآن للفراء (٢/ ١٠٦) تفسير الطبرى (١٧/ ٢٢٩) الوجيز (١/ ٤٢٦) زاد المسير (٤/ ١٠٢)

معالم التنزيل (٥/ ٢٥) الكشاف (٣/ ٣٦٥) المحرر الوجيز (٤/ ١٧٦) مفاتيح الغيب (٩/ ٤١٠) تفسير

العز بن عبد السلام (٣/ ١٧٣) التسهيل (٢/ ٧٥) الدر المصون (٧/ ٢٤٦) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٧٨)

إرشاد العقل السليم (٤/ ١٢٩) فتح القدير (٤/ ٢٣١) روح المعاني (١٠/ ٢٠٥) أضواء البيان (٢/ ٣٨٧)

التحرير والتنوير (١٤/ ١٨٥).

* أنه مروى عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وقول الصحابي مقدم على قول غيره في التفسير (١).

* أنه هو الظاهر والمتبادر من وصف الدس بكونه " في التراب "، وظاهر القرآن لا يجوز العدول عنه إلا بدليل (٢)، كما أن لفظ " في التراب " قرينة لترجيح هذا القول، والقول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على غيره، حسبما نصت عليه قواعد الترجيح (٣).

* أن لهذا القول نظيراً في القرآن وهو قوله تعالى: ﴿ = > ? @ A B ﴾ التكوير: ٩-٨.

القول الثاني- إن المراد بدس الأنثى هو إهلاكها سواء أكان بالدفن حية أم بأمر آخر، فقد كان بعضهم يلقي الأنثى من شاهق وكان بعضهم يغرقها، وبعضهم يذبحها إلى غير ذلك (٤).

و احتج لهذا القول: بأنه لما كان الكل إماتة تفضي إلى الدفن في التراب قيل: ﴿ X W ﴾ Y Z .

القول الثالث - إن المراد بدس الأنثى هو إخفاؤها عن الناس حتى لا يعرفوها، كالمدسوس في التراب لخفائه عن الأبصار.
قال الماوردي عن هذا القول: إنه (محمّل).

و يؤخذ على هذا المعنى: أنه ليس هو المشتهر من صنيع أهل الجاهلية المعروف عنهم، والآية إنما هي في الإنكار والعيب على أهل الجاهلية.

(١) انظر: قواعد التفسير (١/١٨٦).

(٢) انظر: قواعد الترجيح (١/١٢٢).

(٣) المصدر السابق (١/٢٦٩).

(٤) وهم كانوا يفعلون ذلك تارة للغيرة والحمية، وتارة خوفاً من الفقر والفاقة ولزوم النفقة.

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض الأقوال السابقة ما يلي:

§ أن الواد في الجاهلية كان له صور عدة، إلا أن أشهرها هو دفن البنت في التراب حية حتى الموت.

§ أن عامة المفسرين اعتمدوا القول الأول وقالوا به، وقد حكى جملة منهم القولين الآخرين.

§ أن أدلة القول الأول أقوى من أدلة بقية الأقوال.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو أن المراد بدس الأنثى هو (دفنها حية في التراب، وهو الواد الذي كان يفعله بعض أهل الجاهلية).
يشهد بصحة هذا:

* الأدلة التي ذكرت في القول الأول.

* قواعد الترجيح التي سيقى عند بيان الأدلة.

* أن هذا التفسير مأخوذ من دلالة ألفاظ الآية وهو قوله تعالى ﴿Z Y﴾، وعليه فالتفسير إذا لم يكن مأخوذاً من دلالة ألفاظ الآية وسياقها فهو رد على قائله^(١) حسبما نصت قواعد الترجيح.

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو: (أن المراد بدس الأنثى هو الواد، أي: دفنها حية في التراب) صحيح، حسبما شهدت به الأدلة المذكورة، وكما أيده قواعد الترجيح المشهورة.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) انظر: قواعد الترجيح (٧/٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ba c d e f h g i j l m n﴾

○ ﴿

في هذه الآية مسألتان.

﴿المسألة الأولى: المراد بـ ﴿مثل السوء﴾.﴾

يقول القرطبي رحمه الله: ﴿f e﴾ أي: صفة السوء من الجهل والكفر. وقيل: هو وصفهم الله تعالى بالصاحبة والولد. وقيل: أي: العذاب والنار^(١).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرّض.

○ للمفسرين في المراد بـ ﴿f e﴾ ثلاثة أقوال:

القول الأول- المراد بـ ﴿f e﴾: صفة النقص والقبح.

فيكون المعنى: هؤلاء المشركون هم المستحقون لصفة النقص والقبح والدم، الكائنة بسبب الجهل والكفر.

وهذا ما رجحه القرطبي رحمه الله.

وهو قول ابن كثير والألوسي والشوكاني^(٢).

واحتج أصحاب هذا القول بأن هذا المعنى عام، فيشمل كل ما يستحقه المشركون من صفات النقص والدم دون تخصيص.

القول الثاني- المراد بـ ﴿f e﴾: الصفة السوأى وهي كره الإناث.

فيكون المعنى: هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة الصفة السوأى وهي كره الأئشى واحتياجهم إلى الذكر، أما الله فهو منزّه عن هذه النسبة.

وهو قول الزمخشري وابن الجوزي والبعغوي والفخر الرازي وابن جزى الكلبي وابن

(١) تفسير القرطبي (١٢ / ٣٤٤).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤ / ٥٧٨) روح المعاني (١٠ / ٢٠٧) فتح القدير (٤ / ٢٣١).

عادل والسيوطي (١).

و احتج هؤلاء بأن سباق الآية ﴿ G F E D C B A ﴾ ولحاقها ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ في الإخبار عن كراهة المشركين للإناث، فالسياق إذن في موضوع متصل.

القول الثالث- المراد بـ ﴿ f e ﴾: النار والعذاب.

فيكون المعنى: للذين لا يؤمنون عاقبة السوء وجزاؤه، وهو العذاب والنار.

وهو مروى عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (٢).

وهو قول الواحدى وابن عطية والسمرقندى (٣).

و احتج هؤلاء برواية ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لهذا المعنى.

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض الأقوال السابقة ما يلي:

§ أن المروى عن السلف هو القول الثالث، وهو من باب تفسير العام ببعض أفراده.

§ أن قوله ﴿ f e ﴾ واقع في مقابلة ﴿ i j ﴾ فلزم أن يكون المعنيان

متقابلين، وأنسب الأقوال لحصول هذه المقابلة هو القول الأول؛ لأنه عام.

§ أن القولين الثاني والثالث فيها تخصيص للمعنى، إلا أن هذا التخصيص لا يقوى

أمام العموم؛ إذ العموم يشملها وغيرهما مما يصح دخوله في اللفظ.

(١) انظر: الكشاف (٣/٣٦٦) زاد المسير (٤/١٠٣) معالم التنزيل (٥/٢٥) مفاتيح الغيب (٩/٤١١) التسهيل

(١/٤٦٧) اللباب (١٠/١٤٢) تفسير الجلالين (٤/٤٦٠).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٥/٢٥). قال الأوسى: (وأظنه لا يصح عنه رضي الله تعالى عنه) روح المعاني

(١٠/٢٠٧).

(٣) الوجيز (١/٤٢٦) المحرر الوجيز (٤/١٧٧) بحر العلوم (٢/٤٦٩).

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو (أن المراد بـ ﴿f e﴾: صفة النقص والقبح)

يقوي هذا الرأي قواعد الترجيح الآتية:

- * إذا كان للاسم الواحد معان عدة حمل في كل موضع على ما يقتضيه ذلك السياق (١).
- * يجب تقديم العموم على الخصوص، فإن العموم أولى لأنه الأصل، إلا أن يدل دليل على التخصيص (٢).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن المراد بـ ﴿f e﴾: صفة النقص والقبح) صحيح - من وجهة نظري - لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، ولما قدمته من أدلة تؤيد القول الراجح.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) انظر: قواعد التفسير (٤٢٢/٢).

(٢) انظر: مقدمة تفسير ابن جزي (٤٣/١).

المسألة الثانية: المراد بـ ﴿المثل الأعلى﴾.

يقول القرطبي رحمته الله: ﴿h i j﴾ أي: الوصف الأعلى من الإخلاص والتوحيد، قاله قتادة^(١). وقيل: أي: الصفة العليا بأنه خالق رازق قادر ومُجَازٍ. وقال ابن عباس: ﴿f e﴾ النار ﴿j i h﴾ شهادة أن لا إله إلا الله^(٢). وقيل: ﴿3 2 1﴾ الشورى: ١١. وقيل: ﴿j i h﴾ كقوله: ﴿z y﴾ { | ﴿النور: ٣٥﴾^(٣).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرّض.

Ø في المراد بـ "المثل الأعلى" أربعة أقوال:

القول الأول- المراد بـ ﴿j i﴾: الوصف الأعلى من الإخلاص والتوحيد.

و بمعناه من قال إن المراد: شهادة أن لا إله إلا الله.

وهذا ما رجحه القرطبي رحمته الله، وهو مروى عن ابن عباس^(٤) رضي الله عنهما وفتادة رحمته الله.

وهو قول ابن قتيبة والطبري والزجاج وأبي جعفر النحاس والواحدي والبغوي وابن جزي الكلبي والسمرقندي وابن عادل والسيوطي والألوسي^(٥).
واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

(١) انظر: تفسير عبد الرزاق (٣٧٧/١) تفسير الطبري (١٧/ ٢٣٠).

(٢) انظر: تفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٩٦).

(٣) تفسير القرطبي (١٢/ ٣٤٤).

(٤) انظر: تفسير البغوي (٥/ ٢٥).

(٥) انظر: تفسير غريب القرآن ص ٢٤٤، تفسير الطبري (١٧/ ٢٢٩) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠٥) معاني القرآن (٤/ ٧٥) الوجيز (١/ ٤٢٦) معالم التنزيل (٥/ ٢٥) بحر العلوم (٢/ ٤٦٩) اللباب (١٠/ ١٤٢) تفسير الجلالين (٤/ ٤٦٠) روح المعاني (١٠/ ٢٠٧).

* رواية ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا له.

* أن هذا المعنى عام، فيشمل كل ما يستحقه الله تعالى من صفات الكمال والجلال دون تخصيص.

* أن ﴿ z i ﴾ واقع في مقابلة ﴿ f e ﴾ فلزم أن يكون المعنيان متقابلين، وطالما أن الراجع في ﴿ f e ﴾ العموم، لزم أن يكون مقابله عام أيضا.

القول الثاني - المراد بـ ﴿ z i ﴾: الصفة العليا والغاية في الكمال، وهي النزاهة عن اتخاذ الولد.

وهو قول الزمخشري وابن عطية وابن الجوزي والفخر الرازي وابن جزي الكلبي وأبي حيان وابن كثير وأبي السعود والشوكاني والطاهر بن عاشور^(١).

و احتج أصحاب هذا القول بأنه موافق لسياق الآية، فسباقها إخبار عن جرم الكفار بنسبتهم البنات لله، فتكون هذه الآية رد عليهم.

القول الثالث - المراد بـ ﴿ z i ﴾: كقوله تعالى ﴿ 3 2 1 ﴾ الشورى:

.١١

فيكون المعنى: لله صفات عليا وليس له مثل في صفاته.

وهذا القول مروى عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(٢).

القول الرابع - المراد بـ ﴿ z i ﴾: كقوله تعالى ﴿ z y ﴾ { | }^(٣)

النور: ٣٥.

فيكون المعنى: لله تعالى الوصف الأعلى على جميع ما سواه، فكما أن نوره أضاء

(١) انظر: الكشاف (٣٦٦/٣) المحرر الوجيز (٤/١٧٧) زاد المسير (٤/١٠٣) مفاتيح الغيب (٩/٤١١)

التسهيل (١/٤٦٧) البحر المحيط (٧/٢٥١) تفسير القرآن العظيم (٤/٥٧٨) إرشاد العقل السليم (٤/

١٣٠) فتح القدير (٤/٢٣١) التحرير والتنوير (١٤/١٨٦).

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧/٢٢٨٩) الدر المنثور (٩/٦٤).

السموات والأرض فهو ليس كنور المخلوقات؛ فكذلك صفاته عليا ليست كصفات المخلوقات.

- قال القاضي أبو محمد: (النور في كلام العرب: الأضواء المدركة بالبصر، والله تعالى ليس كمثله شيء فيبين أنه ليس كالأضواء المدركة، ولم يبق للآية معنى إلا أنه أراد "الله" ذو ﴿ Z ﴾ { | ﴿ أي: بقدرته أنارت أضواؤها واستقامت أمورها وقامت مصنوعاتهما، فالكلام على التقريب للذهن)^(١).

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض أقوال المفسرين ما يلي:

§ أن الاختلاف بين الأقوال من قبيل التنوع، ولا تعارض بينها.

§ أن القولين المرويين عن السلف هما الأول والثالث.

§ أن القولين الأول والثاني متقاربان في المعنى إلا أن الأول أعم وأوسع.

§ أن القولين الثالث والرابع من قبيل تفسير القرآن بالقرآن، الذي هو أحسن طرق التفسير^(٢).

§ أن الجمع بين الأقوال ممكن، بأن يكون المعنى: لله الصفة العليا والغاية في الكمال، ومن ذلك التوحيد والنزاهة عن اتخاذ الولد وانعدام المثل.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو (لله الصفة العليا والغاية في

الكمال، ومن ذلك التوحيد والنزاهة عن اتخاذ الولد وانعدام المثل).

يشهد بصحة هذا قواعد الترجيح الآتية:

(١) المحرر الوجيز (٦٧/٥).

(٢) انظر: مقدمة في أصول التفسير ص ١٢.

* الإعمال بحسب الإمكان أولى من الإهمال (١).

* الجمع بين المقصودين أولى من العمل بأحدهما وتعطيل الآخر (٢).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن المراد بـ ﴿ i ﴾ : الوصف الأعلى من الإخلاص والتوحيد) هو بعض القول الراجح - والله أعلم - كما تبين من خلال مناقشة الأقوال، والرجوع إلى قواعد الترجيح المعتمدة.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) انظر: التقرير والتحبير (١ / ٤٣٤) وإرشاد الفحول (١ / ٥٤).

(٢) انظر: الأحكام في أصول القرآن (١ / ٢١٨).

قَالَ تَعَالَى: ﴿p r q s t u v w x y z﴾ | { } |



فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْزِرُونَ سَاعَةً وَلَا

في هذه الآية مسألة واحدة، هي:

المراد بـ ﴿دَابَّة﴾ .

يقول القرطبي رحمه الله: (﴿u v w x﴾ أي: على الأرض، فهو كناية عن غير مذكور، لكن دل عليه قوله: ﴿y x﴾ فإن الدابة لا تدب إلا على الأرض. والمعنى المراد: من دابة كافرة، فهو خاص. وقيل: المعنى أنه لو أهلك الآباء بكفرهم لم تكن الأبناء. وقيل: المراد بالآية العموم، أي: لو أخذ الله الخلق بما كسبوا ما ترك على ظهر هذه الأرض من دابة من نبي ولا غيره، وهذا قول الحسن (١). وقال ابن مسعود - وقرأ هذه الآية -: (لو أخذ الله الخلاق بذنوب المذنبين لأصاب العذاب جميع الخلق حتى الجعلان (٢) في جحرها، ولأمسك الأمطار من السماء والنبات من الأرض فمات الدواب، ولكن الله يأخذ بالعمو والفضل) (٣) كما قال: ﴿ = > ؟ ﴾ الشورى: (٣٤) (٤).

طريقة الترجيح: التنصيص على القول الراجح بقوله (والمعنى المراد)، وذكر غيره من الأقوال بصيغة التمريض.

Ø للمفسرين في المراد بلفظ " دابة " في هذه الآية ثلاثة أقوال:

القول الأول - المراد بـ " دابة " : الكفار.

و هذا ما رجحه القرطبي رحمه الله ووافقه الشوكاني (٥)، وهو قول الواحدي (٦).

(١) حكى المفسرون القول بالعموم، إلا أن أحدهم لم ينسبه إلى الحسن فيما وجدت.

(٢) الجعلان - بكسر الجيم -: دويبة سوداء تكون في المواضع الندية. انظر: تاج العروس (١ / ٦٩٣٥).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧ / ٢٣١) تفسير ابن أبي حاتم (٧ / ٢٢٨٩).

(٤) تفسير القرطبي (١٢ / ٣٤٥).

(٥) انظر: فتح القدير (٤ / ٢٣١).

(٦) انظر: الوجيز (١ / ٤٢٦).

فيكون المعنى: ولو يؤاخذ الله الكافرين بظلمهم وكفرهم ما ترك على الأرض من كافر.

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن الهلاك لا يقع إلا على المذنبين؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا نُزِرُ وَأَرْزُ وَزَرَ أُخْرَى﴾ الأنعام:

١٦٤. الإسراء: ١٥. فاطر: ١٨. الزمر: ٧.

* أن وصف الكفار بالأنعام وتسميتهم بالدواب له نظائر في القرآن، منها:

- قوله تعالى: ﴿ ٩ > : < = الأعراف: ١٧٩.

- وقوله: ﴿ { zy x wvut sr } الأنفال: ٢٢.

- وقوله: ﴿ S RQ P O NML K J } الأنفال: ٥٥.

- قال ابن عطية: (المقصود تفضيل الدواب الذميمة كالخنزير والكلب العقور عليا الكافرين الذين حتم عليهم بأنهم لا يؤمنون، وهذا الذي يقتضيه اللفظ)^(١).

القول الثاني- المراد بـ "دابة": جميع الناس.

فيكون المعنى: ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ومعاصيهم لأهلك جميع الناس.

ومنه قول من قال: لو أهلك الله الآباء بكفرهم لم تكن الأبناء، فينقطع النسل والتناسل.

قال بهابن جريج^(٢).

واحتج لهذا القول بما يلي:

* قوله سبحانه: ﴿ وَأَتَقُوا فِتْنَةَ لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ الأنفال: ٢٥.

* حديث عائشة^(٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «يغزو جيش الكعبة،

(١) المحرر الوجيز (٣/١٩٨).

(٢) انظر: زاد المسير (٤/٤٥٩).

(٣) عائشة بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان، من قریش: أم المؤمنين. أفقه نساء المسلمين وأعلمهن بالدين

فإذا كانوا بيضاء من الأرض يُخسَفُ بأولهم وآخرهم» قالت: قلت: يا رسول الله كيف يُخسَفُ بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ قال: «يُخسَفُ بأولهم وآخرهم، ثم يُبعثون على نياتهم»^(١).

* أن أم المؤمنين زينب بنت جحش^(٢) رَضِيَ اللهُ عَنْهَا سألت النبي [^]: «أنهلك وفينا الصالحون؟ فقال: «نعم؛ إذا كثُرَ الحَبَثُ»^(٣).

واستشكل هذا القول مع قوله تعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ فأجيب:
بأن الله تعالى لا يجعل العقوبة تقصد أحداً بسبب إذنب غيره، ولكن إذا أرسل عذاباً على أمة عاصية فأصاب البريء منهم فإنما هو بسبب مداهنة أهل الظلم ومجاورتهم وترك الإنكار، لا بأنه له مجازاة.

القول الثالث- المراد بـ " دابة " : جميع الدواب من إنس وجن وبهائم.

وهذا القول مروى عن أبي هريرة^(٤) وابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وأبي الأحوص^(٥)

والأدب. كانت تكنى بأُم عبد الله. تزوجها النبي [^] في السنة الثانية بعد الهجرة، وكانت أحب نسائه إليه وأكثرهن رواية للحديث عنه. وكان أكابر الصحابة يسألونها عن أمور الرسول عليه الصلاة والسلام ويأخذون عنها العلم. روي عنها ٢٢١٠ أحاديث. توفيت في المدينة سنة ٥٨ هـ. انظر: الإصابة (٢٣١/٨).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب البيوع - باب ما ذكر في الأسواق (٣١٣/٧) برقم ١٩٧٥، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت (١٦٦/٨) برقم ٧٤٢١.

(٢) زينب بنت جحش بن رثاب الأسديّة، من أسد خزيمية: أم المؤمنين، وإحدى شهيرات النساء في صدر الإسلام، كانت زوجة زيد بن حارثة فطلقها زيد، فتزوج بها النبي [^]، وكان اسمها برة فسماها زينب، وكانت من أجمل النساء ونزلت بسببها آية الحجاب. روت ١١ حديثاً. توفيت سنة ٢٠ هـ، وهي أول من حمل بالنعش من موتى العرب. انظر: الإصابة (١٥٣/٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب أحاديث الأنبياء - باب قصة يأجوج ومأجوج (١٣٣/١١) برقم ٣٠٩٧، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب اقتراب الفتن (١٦٥/٨) برقم ٧٤١٦.

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٣١ / ١٧).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٢٣١ / ١٧) وأبو الأحوص: هو عوف بن مالك بن نضلة الجشمي، من هوازن، كوفي

ومقاتل (١) وسعيد بن جبير (٢).

وهو قول الطبري والزمخشري والبغوي وأبي حيان وابن كثير والألوسي
والسعدي (٣)، ورجحه ابن جزي الكلبي والأمين الشنقيطي (٤).

واحتجوا بما يلي:

* أن القول بالعموم هو قول الجمهور (٥).

* أن النكرة في سياق النفي إذا زيدت قبلها (من) تكون نصاً صريحاً في العموم (٦)،
وعليه فلفظ (دابة) يشمل كل ما يطلق عليه اسم الدابة نصاً.

* ورود آثار عن الصحابة والتابعين في هذا المعنى، منها:

- قول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي ذكره القرطبي.

- قول أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وسمع رجلاً يقول: إن الظالم لا يضر إلا نفسه -: (بلى

والله حتى إن الحبارى لتموت في وكرها من ظلم الظالم) (٧).

تابعي ثقة من أصحاب عبد الله بن مسعود، وروى عن حذيفة وأبي مسعود الأنصاري وأبي موسى الأشعري
وعن أبيه. انظر: طبقات ابن سعد (٦/ ١٨١) معرفة الثقات (٢/ ١٩٦).

(١) انظر: تفسير مقاتل (٢/ ٢٢٥).

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٨٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٣٠) الكشاف (٣/ ٣٦٦) معالم التنزيل (٥/ ٢٥) البحر المحيط (٧/ ٢٥١)
التسهيل (١/ ٤٦٧) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٧٨) روح المعاني (١٠/ ٢٠٧) تيسير الكريم المنان
(١/ ٤٤٣).

(٤) انظر: التسهيل (٢/ ١٥٦) أضواء البيان (٣/ ٣٤٩).

(٥) قاله الأمين الشنقيطي. انظر: أضواء البيان (٣/ ٣٤٩).

(٦) انظر: البحر المحيط في أصول الفقه (٣/ ٣٩٢) الأصول من علم الأصول ص ٣٥

(٧) انظر: الدر المنثور (٩/ ٦٦) والحبارى: طائر معروف وهو على شكل الأوزة برأسه وبطنه غبرة. انظر: لسان
العرب (٤/ ١٥٧)، قال ابن قتيبة: (وإنما خصت الحبارى من بين الطير لأنها أبعد ما نجعة) غريب الحديث
(٢/ ٣٩٦).

- قول أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (كاد الضب يموت في جحره هُزلاً من ظلم ابن آدم) (١).

- قول قتادة: (وقد فعل ذلك في زمن نوح ^٨؛ أهلك الله ما على ظهر الأرض من دابة إلا ما حمل في سفينة نوح) (٢).

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض أقوال المفسرين ما يلي:

§ أن أكثر المفسرين على القول الأول.

§ أن سبب اختلاف المفسرين في تعيين المراد من لفظ (دابة) هو أن هذا اللفظ له وضع لغوي - وهو الأصل - ويكون بمعنى: كل ما دب على الأرض، وله وضع عرفي ويكون بمعنى: الحيوان المركوب.

فمن حمل اللفظ على أصل الوضع قال بالعموم، ومن نظر إلى اعتبارات أخرى - كالنظائر القرآنية وغيرها - حمل اللفظ على غير ذلك.

§ أن أدلة التخصيص في القول الأول مدفوعة؛ فأما الاستشهاد بقوله تعالى ﴿وَلَا تُزْرَأُونَ وَلَا تُزْرَأُونَ﴾ فهو مدفوع بالأحاديث الصحيحة والآثار المروية عن الصحابة والتابعين السابقة، وأما التخصيص بالنظائر التي وصفت الكفار بأنهم دواب فلا يقوى أمام أدلة القول بالعموم.

§ إذا كان المراد بلفظ "دابة" الناس - وهو القول الثاني - فيلزم من إهلاك الناس أن تهلك الدواب وغيرها من الأحياء، إذ أن نزول العذاب في مكان يكون سبباً في إهلاك كل من فيه، فهو يؤول إلى القول الأول.

(١) انظر: الدر المثور (٦٦/٩) قال ابن قتيبة: (وإنما خص الضب لأنه أطول الحيوان نفساً وأصبرها على الجوع) غريب الحديث (٣٩٥/٢).

(٢) الدر المثور (٦٤/٩).

— يقول الشنقيطي: (وإذا ثبت في الأحاديث الصحيحة أن العذاب إذا نزل بقوم عم الصالح والطالح، فلا إشكال في شمول الهلاك للحيوانات التي لا تعقل، وإذا أراد الله إهلاك قوم أمر نبيه ومن آمن منهم أن يخرجوا عنهم؛ لأن الهلاك إذا نزل عم) (١).

الرأي الراجح:

يظهر مما سبق أن الرأي الراجح هو القول بالعموم، فيكون (المراد بـ "دابة": جميع الدواب من إنس و جن وبهائم).

يشهد بصحة هذا قواعد الترجيح الآتية:

- * اللفظ العام يبقى على عمومته حتى يثبت تخصيصه بدليل؛ لأن العمل بنصوص الكتاب والسنة واجب على ما تقتضيه دلالتها حتى يقوم دليل على خلاف ذلك (٢).
- * إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له (٣).
- * من وجوه الترجيح: أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين (٤).
- * تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم (٥).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن المراد بـ "دابة": الكفار) جزء من القول الراجح، بناء على نتائج المناقشة لأدلة الأقوال، المؤيدة بقواعد الترجيح المعتمدة.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) أضواء البيان (٣/٣٥٠).

(٢) انظر: الأصول من علم الأصول (١/٣٦).

(٣) انظر: قواعد الترجيح (١/٢٧١).

(٤) انظر: مقدمة تفسير ابن جزي (١/٤٢).

(٥) انظر: قواعد الترجيح (١/٢٤٣).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ
جُرْمَ أَنْ هُمْ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ﴾ (١٢)

في هذه الآية مسألة واحدة، هي:

🏠 **المراد بـ "الحسنى" .**

يقول القرطبي رحمته الله: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ﴾ قال مجاهد: هو قولهم: إن لهم
البنين والله البنات (١).... وقيل: "الحسنى" الجزء الحسن. قاله الزجاج (٢) (٣).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرّض.

🔍 للمفسرين في تحديد المراد بـ "الحسنى" هنا قولان:

القول الأول - المراد بـ "الحسنى": البنين.

فيكون معنى الآية: وتصف ألسنتهم الكذب؛ وهو قولهم إن لهم البنين، مع جعلهم ما
يكرهون من البنات لله.

وهذا ما رجحه القرطبي موافقا ابن عطية (٤)، ووافقهم السمرقندي (٥).

وهو مروى عن مجاهد و قتادة (٦) ومقاتل (٧).

وقال به: الطبري وابن أبي زمنين والثعلبي والبغوي (٨).

(١) انظر: تفسير مجاهد ص ١٣٢، تفسير الطبري (١٧ / ٢٣١) تفسير ابن أبي حاتم (٧ / ٢٢٨٨).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣ / ٢٠٧).

(٣) تفسير القرطبي (١٢ / ٣٤٧).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٤ / ١٧٨).

(٥) انظر: بحر العلوم (٢ / ٤٦٩).

(٦) انظر: تفسير عبد الرزاق (٣ / ٣٧٧) تفسير الطبري (١٧ / ٢٣١) تفسير ابن أبي حاتم (٧ / ٢٢٨٨).

(٧) انظر: تفسير مقاتل (٢ / ٢٢٥).

(٨) انظر: تفسير الطبري (١٧ / ٢٣١) تفسير ابن أبي زمنين (١ / ٤٠٨) الكشف والبيان (٦ / ٢٤) معالم

التنزيل (٥ / ٢٦).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن سياق الآيات في الإخبار عن حال المشركين من كرههم الإناث ونسبتهم إياها إلى الله، وحبهم للذكور ونسبتهم لهم.

* أن "الحسنى" جاءت في مقابلة "ما يكرهون"، والمراد بالأخير: البنات، فلزم أن يكون مراداً بالأول البنين.

* أن في الآية إنكار على المشركين في نسبة الذكور إليهم ونسبة الإناث إلى الله، وهذا المعنى له نظائر في القرآن، منها:

- قوله تعالى: ﴿ 98 : ٤ = > ؟ ﴾ النحل: ٥٧.

- وقوله: ﴿ ٤ : أَلرِّبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴾ الصافات: ١٤٩.

- وقوله: ﴿ ١٦ : f e d c b a ` ﴾ الزخرف: ١٦.

- وقوله: ﴿ ٣٩ : c b a ` _ ﴾ الطور: ٣٩.

القول الثاني - المراد بـ "الحسنى": الجزء الحسن في الآخرة، وهو الجنة.

فيكون المعنى: ويقولون الكذب وهو أن لهم في الآخرة من الله العاقبة الحسنى والجزاء الحسن وهو الجنة.

وهو قول الزجاج والواحدي والزمخشري والفخر الرازي وجلال الدين السيوطي وأبي السعود والألوسي والشوكاني والسعدي والأمين الشنقيطي وابن عاشور^(١)، ورجحه ابن كثير^(٢).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٠٧/٣) الوجيز (٤٢٧/١) الكشاف (٣٦٨/٣) مفاتيح الغيب (٤١٤/٩)

تفسير الجلالين (٤٦٢/٤) إرشاد العقل السليم (١٣١/٤) فتح القدير (٢٣٢/٤) تيسير الكريم المنان

(١/٤٤٣) أضواء البيان (٣٩٤/٢) التحرير والتنوير (١٩٢/١٤).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٥٧٩/٤).

* أن لحاق الآية يدل على هذا المعنى؛ حيث إن إتباع قوله ﴿أَنْتَ﴾ بقوله ﴿جَرَّمَ أَنْهَهُمُ النَّارَ﴾ هو رد لقولهم وإثبات ضده، فدل على أن المراد بالحسنى الجنة.
* ورود آيات كثيرة بهذا المعنى، منها:

- قوله تعالى: ﴿! " # \$ % & ' () * + , -

. / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 ﴿الكهف: ٣٥-٣٦.

- وقوله: ﴿! " # \$ % & ' ()﴾ مريم: ٧٧-٧٨.

- وقوله: ﴿g f h i j k l m﴾ سبأ: ٣٥.

- وقوله عن الكافر: ﴿j k l m n o p q﴾ فصلت: ٥٠.

فجمع هؤلاء بين عمل السوء وتمني المجازاة بالأحسن، وهذا مستحيل.

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض القولين السابقين ما يلي:

§ أن القول المروي عن السلف هو القول الأول.

أن الحسنى له في القرآن ثلاثة وجوه - والسياق هو الذي يجعل أحد الوجوه مقدما على

غيره :-

- فوجه بمعنى الأمر والفعل الحسن، ونظيره في القرآن: ﴿1 2 3 4

5﴾ التوبة: ١٠٧، قال الطبري: (أي: الرفق بالمؤمنين والمنفعة والتوسعة، وتلك هي

الفعلة الحسنة) (١).

- ووجه بمعنى الجنة، ونظيره في القرآن: ﴿" # \$ %﴾ يونس: ٢٦.

- ووجه بمعنى البنين، وهو هذه الآية (٢).

(١) تفسير الطبري (١٤/٤٧٠).

(٢) انظر: الوجوه والنظائر لمقاتل ص ٣٦.

§ أن القول الأول يقويه أمور، منها:

- أن إجماع السلف عليه.

- أن السياق أوفق بالوجه الثالث، وهو أن يكون المراد بـ "الحسنى" البنين؛ لطول النص القرآني المخبر عن مقالة المشركين هذه، حيث تحدثت أربع آيات سابقة عن ذلك

﴿ 98 76 543 210 / . - , + * ﴾

I H G F E D C B A @ ? > = < :

^] \ [Z Y X W V U T R Q P O N M L K J

﴿ n m l j i h f e d c b a ` _ ﴾

النحل: ٥٦-٦٠ وهو يرجح على الترجيح باللحاق والذي يتكون من أربع كلمات ﴿ ج ك م ﴾
أَنَّ هُمُ النَّارُ ﴿﴾.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو (أن المراد بـ "الحسنى": البنين)

يشهد بصحة هذا قواعد الترجيح الآتية:

* من وجوه الترجيح أن يشهد لصحة القول سياق الكلام ويدل عليه ما قبله أو ما بعده (١).

* فهم السلف للقرآن حجة على من بعدهم (٢).

- قال الغزالي رحمته الله: (يجب الترجيح بقول الأعمم والأكثر قياساً لكثرة القائلين على

كثرة الرواة وكثرة الأشباه، وإنما يجب ترجيح الأعمم؛ لأن زيادة عمله تقوي اجتهاده وتبعده عن الإهمال والتقصير والخطأ) (٣).

(١) انظر: مقدمة تفسير ابن جزي (٤٢/١).

(٢) انظر: قواعد التفسير (٢٠٦/١).

(٣) المستصفي في علم الأصول (٤٣٠/١).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن المراد بـ "الحسنى": البنين) صحيح - من وجهة نظري - لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، ولما قدمته من أدلة تؤيد القول الراجح.

والله تعالى أعلم بالصواب

قَالَ تَعَالَى: ﴿ تَأْتِيهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ فِي يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ تَأْتِيهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ فِي يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿١٦٣﴾

﴿١٦٣﴾

في هذه الآية مسألة واحدة، هي:

المُرَادُ بِـ «الْيَوْمِ» .

يقول القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: ﴿ فَهُوَ وَلِيَهُمْ الْيَوْمَ ﴾ أي: ناصرهم في الدنيا على زعمهم

﴿ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴾ في الآخرة. وقيل: ﴿ فَهُوَ وَلِيَهُمْ ﴾ أي: قرينهم في النار ﴿ الْيَوْمَ ﴾ يعني

يوم القيامة، وأطلق عليه اسم اليوم لشهرته (١).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرير.

أورد المفسرون في تعيين المراد بـ "اليوم" قولين:

القول الأول - المراد بـ "اليوم": الدنيا.

فيكون المعنى: فهو ناصرهم في الدنيا على زعمهم، وهم عذاب أليم في الآخرة.

وهذا ما رجحه القرطبي ووافقه جلال الدين السيوطي (٢).

وهو قول الطبري وأبي السعود والأوسمي والشوكاني والسعدي والطاهر بن

عاشور (٣).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن الأصل في استعمال اليوم هو: اليوم الحاضر، وهو اليوم الذي أنت فيه (٤).

* أن الله أنكر على المشركين اتخاذهم إبليس ولياً في الدنيا وبخهم على ذلك، كقوله:

(١) تفسير القرطبي (١٢/٣٤٨).

(٢) انظر: تفسير الجلالين (٤/٤٦٣).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/٢٣٥) إرشاد العقل السليم (٤/١٣١) فتح القدير (٤/٢٣٢) تيسير الكريم المنان

(١/٤٤٣) التحرير والتنوير (١٤/١٩٥).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (١٤/١٩٥).

z y x w v u t s r q p o n m l

و هذا المعنى نظير لآية النحل.

القول الثاني - المراد بـ "اليوم": يوم القيامة (١).

فيكون المعنى: فهو وليهم وقرينهم يوم القيامة، ولهم جميعا العذاب الأليم.
وهذا القول مروى عن مقاتل (٢) ومحمد بن السائب (٣)، وهو قول الواحدى والسمين الحلبي والسمرقندي (٤).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن إطلاق اسم اليوم على يوم القيامة لشهرة ذلك اليوم.

* أن قوله ﴿فَهُوَ وَلِيَهُمْ أَلْيَوْمَ﴾ في مقام السخرية، أي: لا ولي لهم ذلك اليوم ولا ناصر، وذلك لأنهم إذا عاينوا العذاب وقد نزل بالشیطان كنزوله بهم، كان هذا الكلام توبيخاً لهم.

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض القولين السابقين ما يلي:

§ أن القول الثاني هو الذي جاءت به الرواية عن السلف.

(١) واعترض على هذا القول: بأن المشركين كانوا ينكرون البعث، فلا يتسق هذا التأويل مع إنكارهم. وأجيب: بأنه قد كان في العرب من يقر بالبعث والقيامة، بدليل أنهم كانوا يربطون البعير النفيس على قبر الميت ويتركونه إلى أن يموت ويقولون: إن ذلك الميت إذا حشر فإنه يحشر معه مركوبه. وإن كانوا منكرين للبعث والقيامة فهو على تقدير قولهم: إن كان محمداً صادقاً في قوله بالبعث والنشور فلنا الجنة والثواب. انظر: مفاتيح الغيب (٩/ ٤١٤).

(٢) انظر: تفسير مقاتل (٢/ ٢٢٥).

(٣) انظر: زاد المسير (٤/ ١٠٦).

(٤) انظر: الوجيز (١/ ٤٢٧) الدر المصون (٧/ ٢٤٩) بحر العلوم (٢/ ٤٦٩).

§ أن لفظ "اليوم" من الألفاظ التي لها وجوه متعددة في القرآن الكريم، حيث يراد به عدة معان، منها:

- يوم من أيام الدنيا، كقوله تعالى ﴿ [\] ^ _ ` a b c d e f g h i j k ﴾ السجدة: ٥.

- يوم القيامة: كقوله تعالى ﴿ فَالْيَوْمَ لَا تظَلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾ يس: ٥٤ وقوله ﴿ p q r s ﴾ يس: ٦٥.

§ أن السياق يناسب كلا المعنيين، وممن جوز المعنيين: الزمخشري وابن عطية وابن جزي وأبو حيان^(١).

§ أنه لا بد من تحديد معنى واحد لـ "اليوم"؛ وذلك لأن الجمع متعذر بسبب التضاد.

§ أن قوله ﴿ فَهُوَ وَلِيَهُمُ الْيَوْمَ ﴾ قرينة على ترجيح القول الأول؛ لأن ولاية الشيطان لأتباعه تكون في الدنيا ثم تنقلب إلى عداوة في الآخرة، بدليل قوله تعالى: ﴿ [\] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z } | { } ~ ﴾

بِمُصْرِحِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ﴿ إبراهيم ٢٢.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو: أن المراد بقوله "اليوم" هو: الدنيا.

يشهد بصحة هذا القاعدة الترجيحية التي تنص على أن:

* القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه^(٢).

(١) الكشف (٣/ ٣٦٨) المحرر الوجيز (٤/ ١٧٨) التسهيل (١/ ٤٦٧) البحر المحيط (٧/ ٢٥٢).

(٢) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ٢٩٦).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (المراد بـ "اليوم" في هذه الآية: الدنيا) صحيح - من وجهة نظري - لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، ولما قدمته من أدلة تؤيد القول الراجح.

والله تعالى أعلم بالصواب

قَالَ تَعَالَى: ﴿ F G H I J K L M N O P Q R ﴾

﴿ S T U V ﴾

في هذه الآية مسألة واحدة، هي:

﴿ سَكَرًا ﴾ المراد بقوله تعالى ﴿ سَكَرًا ﴾.

يقول القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: (السَّكْر ما يُسَكِّر، هذا هو المشهور في اللغة. قال ابن عباس: نزلت هذه الآية قبل تحريم الخمر، وأراد بالسَّكْر الخمر وبالرزق الحسن جميع ما يؤكل ويشرب حلالاً من هاتين الشجرتين^(١). وقال بهذا القول ابن جبير^(٢) والنخعي^(٣) والشعبي^(٤) وأبو ثور^(٥). وقد قيل: إن السَّكْر الخل بلغة الحبشة، والرزق الحسن الطعام. وقيل: السَّكْر العصير الحلو الحلال، وسمي سَكْرًا لأنه قد يصير مسكراً إذا بقي، فإذا بلغ الإسكار حَرْمٌ.... إلا أن الجمهور على أن السكر الخمر، منهم ابن مسعود^(٦) وابن عمر^(٧) وأبو رزين^(٨) والحسن^(٩) ومجاهد^(١٠) وابن أبي ليلى^(١١) والكلبي^(١٢) وغيرهم ممن تقدم

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٢٤١)، وأورده السيوطي في الدر (٧٠ / ٩).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٢٤١) وأورده السيوطي في الدر (٧٠ / ٩) وعزاه لابن أبي شيبة والنسائي.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٢٤٣) وأورده السيوطي في الدر (٧٠ / ٩) وعزاه لابن أبي شيبة، وقد ذهب النخعي رَحِمَهُ اللهُ إلى حل شرب النبيذ ما لم يصل إلى الإسكار، ووافقه أبو جعفر الطحاوي وسفيان الثوري عليها الرحمة.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٢٤٣) وأورده السيوطي في الدر (٧٠ / ٩) وعزاه لابن أبي شيبة.

(٥) لم يذكره أحد من المفسرين فيما أعلم.

(٦) أورده السيوطي في الدر (٧٠ / ٩) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر.

(٧) أورده السيوطي في الدر (٧٠ / ٩).

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٢٤٣)، وأورده السيوطي في الدر (٧٠ / ٩).

(٩) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٢٤٣) وأورده السيوطي في الدر (٧٠ / ٩).

(١٠) انظر: تفسير مجاهد ص ١٣٢، وقد أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٢٤٣).

(١١) انظر: زاد المسير (٤ / ١٠٧).

(١٢) انظر: الكشف والبيان (٦ / ٢٧).

ذكرهم، كلهم قالوا: السكر ما حرمه الله من ثمرتيهما. وكذا قال أهل اللغة: السكر اسم للخمر وما يسكر، وأنشدوا^(١):

بئس الصُّحَاة وبئس الشُّرْبُ شُرْبُهُمْ إِذَا جَرَى فِيهِمُ الْمُزَاءُ^(٢) وَالسَّكْرُ^(٣)

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرير، وإيراد قول الجمهور إشارة إلى موافقته لهم.

Ø في معنى هذه الآية خمسة أقوال:

القول الأول - المراد بالسكر: الخمر^(٤).

وهو ما رجحه القرطبي موافقاً لجمهور^(٥)، ووافقه في ترجيحه الشوكاني^(٦) رحمهما الله.

(١) البيت للأخطل، وهو في ديوانه ص ١١٠.

(٢) الصحاة: جمع صاح وهو الصاحب. المزاء: ضرب من الأثرية. انظر: الصحاح مادة (صحب)، (مزز)، وقال ابن منظور: المزاء: الخمر اللذيذة. انظر: لسان العرب (٣٠٧/٥).

(٣) تفسير القرطبي (٣٥٧/١٢).

(٤) نزل في شأن الخمر أربع آيات من كتاب الله:

الأولى: هذه الآية الدالة على إباحتها.

الثانية: الآية التي ذكر فيها بعض معاييبها وأن فيها منافع، وصرحت أن إثمها أكبر من نفعها، وهي قوله تعالى: "قل فيها إثم كبير ومنافع للناس وإثمها أكبر من نفعها" (البقرة: ٢١٩) فشرها بعد نزولها قوم للمنافع المذكورة وتركها آخرون للإثم الذي هو أكبر من المنافع.

الثالثة: الآية التي دلت على تحريمها في أوقات الصلاة دون غيرها، وهي قوله: "يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون" (الآية (النساء: ٤٣)).

الرابعة: الآية التي حرمتها تحريماً باتاً مطلقاً وهي قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر" إلى قوله "فهل أنتم منتهون" (المائدة: ٩٠ - ٩١). انظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (١/ ١٣٣).

(٥) حكى أبو حيان أنه قول الجمهور، انظر: البحر المحيط (٧/ ٢٥٨).

(٦) انظر: فتح القدير (٤/ ٢٣٧).

وهذا القول جاء التفسير في (التفسير الميسر) (١).

وهو مروى عن ابن مسعود وابن عمرو وابن عباس (٢) وسعيد بن جبيرة وأبي رزين وإبراهيم النخعي والشعبي ومجاهد والضحاك (٣) والحسن وقتادة (٤) وابن أبي ليلى. وهو قول الفراء من اللغويين (٥)، وتبعه الزجاج والنحاس (٦).

وقال به: ابن قطلوبغا والواحدي والزمخشري وابن عطية والفخر الرازي وابن جزي الكلبي وأبو حيان والأوسى وأبو السعود والشنقيطي وابن عاشور ومحمد الأمين الهري (٧).

واختلف القائلون بهذا القول: هل خرج ذكر الخمر في الآية مخرج الإباحة أو مخرج الخبر؟

على وجهين:

أحدهما - أنه خرج مخرج الإباحة ثم نسخ.

الثاني - أنه خرج مخرج الخبر، فلم يأمرنا بشر بها، وإنما نزلت هذه الآية قبل أن تحرم

(١) انظر: التفسير الميسر الصادر عن مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، عند تفسير هذه الآية.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٤١)، وأورده السيوطي في الدر (٧٠/٩).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٤٣).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٤٣)، وأورده عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣٥٧) والسيوطي في الدر (٧٠/٩) وعزاه لابن الأنباري في المصاحف.

(٥) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ١٠٩).

(٦) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٠٩) معاني القرآن للنحاس (٤/ ٨٢).

(٧) انظر: غريب القرآن لابن قطلوبغا - مخطوط ٢٢/ب، الوجيز (١/ ٤٢٧) الكشاف (٣/ ٣٧٢) المحرر الوجيز (٤/ ١٨١) مفاتيح الغيب (٩/ ٤٢١) التسهيل (٢/ ٧٧) البحر المحيط (٧/ ٢٥٨) إرشاد العقل السليم (٤/ ١٣٤) روح المعاني (١٠/ ٢٢٢) أضواء البيان (٢/ ٤٠٦) التحرير والتنوير (١٤/ ٢٠٣) حدائق الروح والريحان (١٠/ ٢٨٧).

الخمير، فهي خبر عما أنعم عليهم به^(١).

أو أنه جمع بين العتاب والمنة؛ يعني بالعتاب على اتخاذ ما يحرم وبالمنة على اتخاذ ما يجلب.
§ قال القاضي البيضاوي: (والآية إن كانت سابقة على تحريم الخمير فهي دالة على كراهتها، وإلا فجامعة بين العتاب والمنة)^(٢).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* اللغة: فالسكر عند العرب اسم من أسماء الخمير^(٣)، يدل على ذلك قول الأخطل^(٤) الذي أورده القرطبي.

- قال الراغب الأصفهاني: (السكر اسم لما يكون منه السكر)^(٥).

- وقال ابن منظور: (والسَّكَّرُ الخمير نفسها، والسَّكَّرُ شراب يتخذ من التمر والكشوث^(٦) والآس^(٧) وهو محرم كتحرير الخمير)^(٨).

* أن هذه السورة مكية، وتحريم الخمير نزل في سورة المائدة، فكان نزول هذه الآية في الوقت الذي كانت الخمير فيه غير محرمة^(٩).

(١) انظر: الهداية لمكي بن أبي طالب (٦/ ٤٠٣١) وزعم أن هذا الذي عليه أهل النظر.

(٢) أنوار التنزيل (٣/ ٣٥٦).

(٣) انظر: الدر المصون (٧/ ٢٦٠) وقيل: هو في الأصل مصدر ثم سمي به الخمير.

(٤) الأخطل: هو غياث بن غوث، من بني تغلب، اشتهر في عهد بني أمية بالشام، وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم: جرير والفرزدق والأخطل، نشأ على المسيحية في أطراف الحيرة بالعراق، واتصل بالأمويين وكان شاعرهم، وتهاجى مع جرير والفرزدق فتناقل الرواة شعره، انظر: الشعر والشعراء (١٠٢/١) الأعلام (٥/ ١٢٣).

(٥) مفردات غريب القرآن ص ٢٣٦.

(٦) الكشوث: عروق صفر تلصق بالشجر. تاج العروس (٥/ ٢٣٥).

(٧) الآس: شجرة ورقها عطر. لسان العرب (٦/ ١٩).

(٨) لسان العرب (٤/ ٣٧٢).

(٩) وقد نبه تعالى في هذه الآية أيضا على تحريمها، وذلك لأنه ميز بينها وبين الرزق الحسن في الذكر، فوجب أن لا

القول الثاني - المراد بالسكر: ما يسكر مما ليس بخمر، كنبذ الزبيب والتمر إذا اشتد وصار يسكر شاربه.

وهذا القول مروى عن ابن عباس (١) رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، والضحاك (٢)، ومقاتل (٣) رحمهما الله.

وقال به ابن كثير والسمرقندي والثعالبي والبقاعي (٤).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* قول رسول الله ^ﷺ: «حرمت الخمر بعينها، والسكر من كل شراب» (٥).

* الرواية عن السلف.

* اللغة: حيث يجيء السَّكْرُ في اللغة بمعنى المسكر سوى الخمر (٦).

- قال الجوهري: (والسَّكْرُ بالفتح: نبيذ التمر. وفي التنزيل: ﴿ج وَج ك﴾

يكون السكر رزقا حسنا، قاله الرازي في تفسيره (٩/ ٤٢١).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٤٥) وأورده ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٨٦) والسيوطي في الدر (٩/ ٧٠).

(٢) انظر: تفسير الضحاك ص ٥١٩ أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٤٥).

(٣) انظر: تفسير مقاتل (٢/ ٢٢٦).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٨١) بحر العلوم (٢/ ٤٧٢) الجواهر الحسان (٢/ ٣٤٦) نظم الدرر (٤/ ٤٧٧).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة - كتاب الأشربة - باب في الخمر وما جاء فيها (٥/ ٥٠٩) برقم ٢٤٥٤٢، والنسائي في الكبرى - كتاب الأشربة - ذكر الأخبار التي اعتل بها من أباح شرب المسكر (٣/ ٢٣٣) برقم ٥١٧٣ والصغرى (١٧/ ٦٥) برقم ٥٥٨٩، والطحاوي في شرح مشكل الآثار - باب مشكل ماروي فيما حرم من كل شراب: هل هو المسكر أم السكر (١٢/ ٥٠٥) برقم ٤٨٩٠، وابن الأعرابي في معجمه (٢/ ٦٩٧) برقم ١٣٦٠، والطبراني في الكبير (٩/ ٢١٧) برقم ١٠٦٨٢، والبيهقي في السنن - كتاب الشهادات - باب شهادة أهل الأشربة (١٠/ ٤٦٩) برقم ٢٠٩٤٧، وابن عساکر في معجمه (٢/ ١٢٣١) برقم ١٦١٤. وقد أعلّاه العقيلي وقال: (هذا غير محفوظ، وإنما يُروى هذا عن ابن عباس قوله) الضعفاء (٢/ ٣٢٤). وقال الألباني: (ضعيف) انظر: السلسلة الضعيفة (٣/ ٢١٩) برقم ١٢٢٠.

(٦) انظر: لسان العرب (٤/ ٣٧٢).

﴿١﴾.

القول الثالث- المراد بالسكر: ما يسد الجوع.

أورده مكي بن أبي طالب في تفسيره^(٢).

ومعتمد هذا القول: أن السكر في اللغة بهذا المعنى مشتق من سَكَرْتُ النهر إذا سدَّدْتُهُ^(٣).

- قال ابن سيده: (وأصل ذلك من التسكير الذي هو السَّدُّ)^(٤).

القول الرابع- المراد بالسكر: الخل.

وهو مروى عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(٥)، والضحاك^(٦) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

- قال ابن منظور عن هذا المعنى: (وهذا شيء لا يعرفه أهل اللغة)^(٧).

القول الخامس- المراد بالسكر: ما طعم من الطعام وحلَّ شربه من ثمار النخيل

والأعنان^(٨)، وعليه فتكون الآية محكمة.

وهذا القول مروى عن مجاهد^(٩)، والشعبي^(١٠).

(١) الصحاح (٣/ ٢٥٠).

(٢) انظر: الهداية (٦/ ٤٠٣٣).

(٣) قال الراغب الأصفهاني: (السكر: الموضع المسدود) ص ٢٣٦، وفي الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال

للمستحاضة لما شكت إليه كثرة الدم: (اسكريه - أي سديه - بخرقه وشديه بعصابة) تشبيهاً بسكر الماء.

(٤) المخصص (١/ ٦٥).

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٨٦) الدر المنثور (٩/ ٧٠) وقال: إنه بلغة الحبشة.

(٦) انظر: تفسير الضحاك ص ٥٢٠، وقال: إنه بلغة أهل اليمن.

(٧) لسان العرب (٤/ ٣٧٢).

(٨) وسمي سَكْرًا باعتبار مآله إذا ترك.

(٩) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٤٦).

(١٠) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٤٦).

وهو قول أبي عبيد من اللغويين (١)، ورجحه الطبري (٢).

فيكون معنى الآية: إن السكر ما يطعم من الطعام ويحل شربه من ثمار النخيل والأعناب، وهو الرزق الحسن، فاللفظ مختلف والمعنى واحد، مثل ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ يوسف: ٨٦.

واحتج أصحاب هذا القول بما يلي:
* باللغة، وأنشدوا (٣):

جعلت أعراض الكرام سكرًا

أي: تتقلب بأعراضهم وتتخذها طعاماً لك.

* أن الله تعالى حرم الخمر بأية صريحة فيه: ﴿\$ % & ' () *

+ , - المائدة: ٩٠، وليس فيه دليل على أن السكر - الذي هو غير الخمر - محرم؛ إذ أن أحد معاني السكر عند العرب: كل ما طعم.

* أن هذه الآية في مقام امتنان الله تعالى على عباده، ولا يقع الامتنان إلا بحلال.

وتعقب الزجاج وابن منظور قول أبي عبيد:

§ فأما الزجاج فقال: إن قوله هذا لا يعرف، وأهل التفسير على خلافه، ولا حجة في البيت الذي أنشده؛ إذ هو بمعنى الخمر أشبه منه بالطعام، والمعنى أنه يتلذذ بالغبية وتمزيق الأعراس تلذذه بالخمر (٤).

(١) انظر: مجاز القرآن (٣٦٣/١).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٤٦/١٧).

(٣) نسبه أبو عبيد في مجاز القرآن لجندل وروايته: جعلت عيب الأكرمين سكرًا. انظر: مجاز القرآن (٣٦٣/١)،

وجندل: يحتمل أن يكون بن المثنى الطهوي، من تميم: شاعر راجز، ت ٩٠هـ. انظر: الأعلام (١٤٠/٢).

(٤) من معاني القرآن للزجاج بتصرف (٢٠٩/٣).

§ وأما ابن منظور فقال: (أنكر أهل اللغة هذا، والعرب لا تعرفه)^(١).

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض الأقوال السابقة ما يلي:

§ أن السَّكْر عند العرب عَلَمٌ على: (الخمر، الشراب المسكر).

§ أن السَّكْر بمعنى (ما يسد الجوع) هو معنى صحيح، إلا أنه ليس هو المتبادر عند الإطلاق، إضافة إلى أنه لم يرو عن أحد من السلف، وقد تقرر أن تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم^(٢)، وأن قول الصحابي مقدم على غيره في التفسير^(٣).

§ أن تأويل السَّكْر بـ (الطعام) بعيدٌ غير ظاهر، ورد عن بعض اللغويين، وقد نص العلماء على أن التفسير اللغوي الوارد عن السلف مقدم على قول اللغويين^(٤)، وكلام الله تعالى يجب أن يحمل على المعروف من كلام العرب دون الضعيف والمنكر^(٥).

§ أن السكر عند أهل اليمن وأهل الحبشة: (الخل).

و بناء على هذا:

فأمثل الأقوال هما الأول والثاني؛ إذ أنهما سالمان من الاعتراض وعليهما أكثر السلف وجمهرة المفسرين، وأدلتها أقوى ما ذكر من الأدلة، يليهما القول الثالث لماله وجه في العربية صحيح، وأضعفها الرابع ثم الخامس.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو أن المراد بالسكر: (ما أسكر من

(١) لسان العرب (٤/ ٣٧٢).

(٢) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ٢٤٣).

(٣) انظر: قواعد التفسير (١/ ١٤٧).

(٤) انظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم ص ٥٦٠

(٥) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٢٤).

الخمير وغيره من الشراب المتخذ من الثمر).

- قال ابن عطية: (والسَّكْر ما يُسَكَّر، هذا هو المشهور في اللغة) (١).

- وقال الشنقيطي رحمته الله: (العرب تطلق اسم السَّكْر على ما يحصل به السُّكْر، من

إطلاق المصدر وإرادة الاسم) (٢).

يؤيد هذا الترجيح:

ما ذكرته في المناقشة السابقة، وما نص عليه أهل العلم من أن تفسير جمهور السلف

مقدم على كل تفسير (٣).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو أن المراد من السكر (الخمير) يعتبر

جزءاً من القول الراجح.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) المحرر الوجيز (٤ / ١٨١).

(٢) أضواء البيان (٢ / ٤٠٤).

(٣) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (٢ / ٢٥٨).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ز Y X W [\] ^ _ ` a b c d e
v u t s r q p o m l k j i h g f
~ } | { z y m v ﴿ ٦٩ ﴾

في هذه الآية ثلاث مسائل.

﴿ **المسألة الأولى: تعيين المراد بصاحب الحال لـ "ذلاً".** ﴾

يقول القرطبي رحمه الله: (" ذُلاًَّ " جمع ذلول، وهو المنقاد، أي: مطيعة مسخرة. فـ " ذلاًَّ " حال من النحل. أي: تنقاد وتذهب حيث شاء صاحبها، لأنها تتبع أصحابها حيث ذهبوا، قاله ابن زيد^(١). وقيل: المراد بقوله " ذلاًَّ ": السبل^(٢).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرىض.

⊘ للمفسرين في تعيين صاحب الحال ثلاثة أقوال:

القول الأول - إن صاحب الحال هو: النحل.

فيكون المعنى: فاسلكي طرق الطيران حيث شئت ذاهبة مطيعة منقادة.

وهذا ما رجحه القرطبي رحمه الله ووافقه جلال الدين السيوطي^(٣).

وهو مروى عن قتادة^(٤) وابن زيد، وقال به: الواحدي وابن جزي الكلبي^(٥).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن وصف الله تعالى الحيوان بأنه مذلل له نظير في القرآن، هو قوله تعالى: ﴿ ! " "

\$ % & ' () * + , - . / ﴿ يس: ٧١-٧٢.﴾

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/٢٤٨) الدر المشور (٩/٧٣).

(٢) تفسير القرطبي (١٢/٣٦٦).

(٣) انظر: تفسير الجلالين (٤/٤٦٩).

(٤) انظر: تفسير عبد الرزاق (١/٣٥٧) تفسير الطبري (١٧/٢٤٨) الدر المشور (٩/٧٣).

(٥) انظر: الوجيز (١/٤٢٧) التسهيل (١/٤٦٨).

- قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: (الدَّلُول: الذي يُقاد ويُذهب به حيث أراد صاحبه، قال: فهم يخرجون بالنحل ينتجعون بها ويذهبون وهي تتبعهم^(١)).

القول الثاني - إن صاحب الحال هو: السبل.

فيكون المعنى: فاسلكي طرق ربك مذلة ممهدة لك، لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها. وهذا القول مروى عن مجاهد^(٢) ومقاتل^(٣).

وهو قول الفراء والزهج والسمرقندي والسعدي^(٤)، ورجحه ابن جرير الطبري، ووافقه على الترجيح ابن كثير^(٥) رحمهم الله جميعاً.

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن وصف الله تعالى طرق الأرض بأنها مذلة مسهلة له نظير في القرآن، هو قوله

تعالى: ﴿ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ﴾ الملك: ١٥.

القول الثالث - إن صاحب الحال هو: مسالك بطن النحلة.

فيكون المعنى: فاسلكي ما أكلت في المسالك التي خلقها الله لك، والتي يحيل فيها

بقدرته النور^(٦) المر عسلاً من أجوافك ومنافذ مأكلك.

وهذا القول حكاه المفسرون ولم يقل به أحد منهم^(٧).

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧ / ٢٤٨).

(٢) انظر: تفسير مجاهد ص ١٣٢، تفسير الطبري (١٧ / ٢٤٨).

(٣) انظر: تفسير مقاتل (٢ / ٢٢٧).

(٤) انظر: معاني القرآن (٢ / ١٠٩) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ٢١٠) بحر العلوم (٢ / ٤٧٣) تيسير الكريم المنان (١ / ٤٤٤).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٧ / ٢٤٩) تفسير القرآن العظيم (٤ / ٥٨٢).

(٦) النور: زهر الشجر، نورت الشجرة وأنارت إذا أخرجت نورها. انظر: الصحاح (٣ / ٤٠٣).

(٧) انظر: البحر المحيط (٧ / ٢٦١).

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض القولين السابقين ما يلي:

§ أن القولين الأول والثاني مرويان عن السلف.

§ أن القول الأول اعترض عليه بأن النحل تذهب وتؤوب في الهواء وهو ليس طُرُقاً دُّلاً؛ لأن الذلول هو الذي يذلل بكثرة الوطاء، والهواء ليس كذلك.

و يُدفع بأن المراد بتذليل السبل هو أنها لا تضل فيها، ولا تتوعر عليها.

§ أن القول الثالث متعقب بأن السَّلَك في تلك المسالك ليس لها فيه اختيار حتى تؤمر به، فيكون الأمر تكوينياً.

ورد بأنه ليس بشيء؛ لأن الإدخال باختيارها فلا يضره كون الإحالة المترتبة عليه ليست اختيارية، وهو ظاهر.

§ أن الآية تحمل جميع المعاني^(١)، والجمع بين الأقوال ممكن ومعقول، بحيث تكون النحلة والهيئات المحيطة بها من مسالك الطرق ومسالك البدن مذلة وميسرة لإنتاج العسل.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو: (أن صاحب الحال لـ "ذلا" هو كل مذلل للقيام بإنتاج العسل، يشمل ذلك النحلة نفسها وطبيعة تكوينها الجسمي وطرق الطيران التي تسلكها).

يؤيد هذا المعنى ما ذكر سابقاً في مناقشة الأقوال، وقاعدة الترجيح الآتية:

* الجمع بين المقصودين أولى من العمل بأحدهما وتعطيل الآخر^(٢).

- قال الشوكاني: (ومن شروط الترجيح التي لا بد من اعتبارها أن لا يمكن الجمع بين

(١) وممن جوز القولين الأولين: النحاس والزخشي وابن عطية. انظر: معاني القرآن (٨٢/٤) الكشاف

(٣/٣٧٣) المحرر الوجيز (٤/١٨٢).

(٢) الإحكام في أصول القرآن (١/٢١٨).

== ترجيحات القرطبي في التفسير من سورة الحجر إلى آية (٨٠) من سورة النحل == ٤٩٦ -

المتعارضين بوجه مقبول، فإن أمكن ذلك تعين المصير إليه ولم يجوز المصير إلى الترجيح^(١).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمه الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمه الله وهو: (صاحب الحال هو: النحل) جزء من القول الراجح، لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، ولما قدمته من أدلة تؤيد القول الراجح.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) إرشاد الفحول ص ٤٠٧

المسألة الثانية: المراد بقوله تعالى ﴿من بطونها﴾.

يقول القرطبي رحمته الله: ﴿ r q p o ﴾ يعني: العسل. وجمهور الناس على أن العسل يخرج من أفواه النحل، وورد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال في تحقيره للدنيا: (أشرف لباس ابن آدم فيه لعاب دودة، وأشرف شرابه رجيع نحلة^(١)) فظاهر هذا أنه من غير الفم. وبالجملة؛ فإنه يخرج ولا يُدرى من فيها أو أسفلها، ولكن لا يتم صلاحه إلا بحُمى أنفاسها^(٢).

طريقة الترجيح: التنصيص على القول الراجح بقوله (وبالجملة...).

Ø في المراد بـ "بطونها" ثلاثة أقوال:

القول الأول- المراد بـ "بطونها" في هذه الآية غير معلوم؛ حيث إنه لا يُدرى موضع

خروج العسل.

وهذا ما رجحه القرطبي رحمته الله.

ومما يحتاج به لهذا القول: ما حكى عن سليمان^٨ (٣) أنه صنع لها بيوتاً من زجاج لينظر إلى كيفية صنعها، وهل يخرج العسل من فيها أم من أسفلها؟ فلم تضع من العسل شيئاً حتى لطخت باطن الزجاج بالطين بحيث يمنع المشاهدة^(٤)، فتعذر معرفة موضع خروج العسل عندئذٍ.

القول الثاني- المراد بـ "بطونها": أفواهها.

وهو قول جمهور العلماء^(٥) من المفسرين وغيرهم.

(١) أورده ابن عطية. انظر: المحرر الوجيز (٤/ ١٨٢).

(٢) تفسير القرطبي (١٢/ ٣٦٧).

(٣) وفي بعض الأخبار: والاسكندر وأرسطاطاليس.

(٤) انظر: البحر المحيط (٧/ ٢٦١).

(٥) نسبه إلى الجمهور: ابن الجوزي. انظر: زاد المسير (٤/ ١٠٨) وعن قال به: الزجاج والطاهر بن عاشور والنسفي والخازن والسمرقندي والثعالبي. انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٠) التحرير والتنوير (١٤/

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن البطن في اللغة يراد به كل تجويف داخل البدن، فيشمل الفم وغيره.

- قال الزبيدي: البطن (جوف كل شيء) (١).

وذلك لأنه مما يبطن ولا يظهر.

* قول الحسن: (لُبَّابُ البُرِّ بلعاب النحل بخالص السمن ما عابه مسلم) (٢).

فجعله لعاباً كالريق الدائم بالفم.

* قول أبي العلاء المعري (٣):

النحلُ يجني المُرَّ من زهر الرُّبَا فيعودُ شَهْدًا في طريق رُضَابِهِ

و الرُّضَابُ: الريق (٤).

* قول ابن الرومي (٥):

٢٠٨) مدارك التنزيل (٢/ ١٦٨) لباب التأويل (٤/ ١٩٢) بحر العلوم (٢/ ٤٧٣) الجواهر الحسان (٢/ ٣٤٦).

(١) تاج العروس (١/ ٧٩٧٣).

(٢) أورده أبو حيان. انظر: البحر المحيط (٧/ ٢٦١).

(٣) أبو العلاء المعري: أحمد بن عبد الله التنوخي المعري: شاعر فيلسوف، ولد ومات في معرة النعمان، أصيب

بالجدري صغيراً فعمي في السنة الرابعة من عمره، وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة، وهو من بيت علم

كبير في بلده، وشعره هو ديوان حكمته وفلسفته، وهو ثلاثة دواوين: لزوم ما لا يلزم - ويعرف باللزوميات

- وسقط الزند وضوء السقط وجميعها مطبوعة، وأما كتبه فكثيرة وفهرسها في معجم الأدباء. ت: ٤٤٩ هـ ولما

مات وقف على قبره ٨٤ شاعرا يرثونه. انظر: معجم الأدباء (١/ ١١٣) الأعلام (١/ ١٥٧). والبيت من

ديوانه (سقط الزند ص ١٢٥) من قصيدة يمدح بها أبا الخطاب الجبلي الشاعر.

(٤) انظر: الصحاح (٢/ ١٥٣).

(٥) ابن الرومي: علي بن العباس بن جريح الرومي، أبو الحسن: رومي الأصل، شاعر كبير عجيب النظم، من

طبقة بشار والمتنبي، كان جده من موالي بني العباس، ولد ونشأ ببغداد، ومات فيها مسموماً سنة ٢٨٣ هـ،

قيل: دس له السم القاسم بن عبيد الله وزير المعتضد وكان ابن الرومي قد هجاه. له ديوان شعر مطبوع

بتحقيق حسين نصار. انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٣٥٨) الأعلام (٤/ ٢٩٧). والبيت من ديوانه (١/ ٢٦٩).

في زُحْرُفِ الْقَوْلِ تَزِينٌ لِبَاطِلِهِ وَالْحَقُّ قَدْ يَعْتَرِيهِ سُوءٌ تَعْبِيرٍ
تَقُولُ هَذَا مَجَاجُ النَحْلِ تَمْدُحُهُ وَإِنْ تَعِبْتُ قَلْتِ: ذَا قَيْءِ الزَّنَابِيرِ
مَدْحًا وَذَمًّا وَمَا غَيَّرَتْ مِنْ صِفَةٍ سِحْرُ الْبَيَانِ يُرِي الظُّلْمَاءَ كَالنُّورِ
فوصف العسل بأنه مجاج النحل؛ أي: ما يمجه من فمه.

* قول الدميري (١) عن النحل: (وفي طبعه أيضاً النظافة، فلذلك يُخْرِجُ رَجِيعَهُ مِنَ
الْخَلِيَّةِ لِأَنَّهُ مَتْنُ الرِّيحِ (٢)).

فيفهم من كلامه أن رجيع النحل مغاير للعسل.

القول الثالث- المراد بـ "بطونها": أسفلها.

و احتج لهذا القول بالآتي:

* أن الظاهر من البطن أنه الجارحة المعروفة.

* ما روي عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ فِي تَحْقِيرِهِ لِلدُّنْيَا: (أَشْرَفُ لِبَاسِ ابْنِ آدَمَ فِيهِ لِعَابُ
دَوْدَةَ، وَأَشْرَفُ شَرَابِهِ رَجِيعُ نَحْلَةٍ).

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض الأقوال السابقة ما يلي:

§ أن نفي العلم بالمراد من "بطونها" - في القول الأول - لا يفهم منه نفي العلم عن كل
أحد؛ إذ كون الأمر مجهولاً عند فئة من الناس لا يمنع أن يكون معلوماً عند فئة أخرى
منهم.

(١) الدميري: محمد بن موسى بن عيسى الدميري، أبو البقاء كمال الدين: باحث، أديب، من فقهاء الشافعية، من
أهل دميرة بمصر ولد ونشأ وتوفي بالقاهرة، كان يتكسب بالخياطة ثم أقبل على العلم وأفتى ودرس، وكانت
له في الأزهر حلقة خاصة، وأقام مدة بمكة والمدينة. له عدة مؤلفات منها: حياة الحيوان في مجلدين، والديباجة
في شرح كتاب ابن ماجه، في خمس مجلدات، وأرجوزة في الفقه وغيرها، ت: ٨٠٨ هـ. انظر: البدر الطالع
(٢٦٤/٢) الأعلام (٧/ ١١٨).

(٢) حياة الحيوان الكبرى (٢/ ١٩٤).

§ أن من أسباب تعدد الأقوال في هذه المسألة:

١. اختلافهم في المعنى اللغوي للبطن؛ ففي القول الثاني حُمِلَ على المعنى العام في كل تجويف - ومنه الفم -، وفي القول الثالث حُمِلَ على المعنى الخاص وهو الجارحة المعروفة.
٢. عدم توفر عنصر الرؤية والمشاهدة؛ وهذا مستفاد من الأثر المروي عن سليمان عليه السلام.

§ أن خروج العسل من فم النحلة أو من أسفلها يصدق عليه أنه من بطنها؛ إذ هو مبتدأ الخروج.

§ يرد على تسمية علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ للعسل بأنه (رجيع) أن مسمى الرجيع في اللغة يطلق على كل ما رجع عن حالته التي كان عليها، فيشمل الخارج من الفم وغيره.

- قال ابن فارس: (والرجيع: الجِرَّة؛ لأنه يُرَدَّد مَضْعُغًا) (١).

- وقال الجوهري: (وكل شيء يُرَدَّد فهو رجيع؛ لأن معناه مرجوع، أي: مردود) (٢).

§ أن استعمال لفظ " البطن " لتجويف في الجسم له نظير في القرآن، هو قوله تعالى:

﴿ 3 4 5 6 7 8 9 : ; < النحل: ٦٦ و اللبن موجود في الضرع لا في البطن. (٣) ﴾

§ ورد في مقال علمي بعنوان: (كيف تصنع الشغالات العسل) ما يلي:

(وفي حوصلة العسل يتحول الرحيق إلى عسل أبيض جميل الطعم، وعندما تعود الشغالات إلى خليتها تخرج هذا العسل من فمها لتحفظه في عيون خاصة من الشمع) (٤).

(١) معجم مقاييس اللغة (٢/ ٤٩١).

(٢) الصحاح (٤/ ٣٥٢).

(٣) هذا المعنى ظهر لي، والله تعالى أعلم.

(٤) ملتقى البشارة الدعوي - بتاريخ ٢٨/٧/١٤٣٢ هـ - س: ١٠، ١٢ - مساء -

http://www.albshara.com/showthread.php?t=١٩٠٩٤

http://www.albshara.com/showthread.php?t=١٩٠٩٤&page=١

§ من خلال مشاهدة عدد من الأفلام العلمية الوثائقية المصورة داخل خلايا النحل - والتي كانت تعرض حياة النحل وكيفية إنتاج العسل^(١) - رأيت جمعاً من الشغالات يُدخلن رؤوسهن في فتحات الخلايا، ولم أر أي نحلة أدخلت نصفها الأسفل في تلك الفتحات سوى ملكة النحل^(٢)، مما أثبت لي صحة القول الثاني.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو (أن المراد بـ "بطونها": أفواهها). يشهد بصحة هذا ما ظهر من نتائج مناقشة الأقوال، وما تؤكد قواعد الترجيح الآتية:

- * القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك^(٣).
- * لا يصح اعتماد اللغة دون غيرها من المصادر التفسيرية^(٤).
- * متى اقترن بأحد القولين ما يقويه، وحصل بذلك الاقتران زيادة ظن أفاد ذلك ترجيحه على القول الآخر^(٥).

(١) جميع هذه الأفلام من موقع (youtube) وهي:

- فلم بعنوان (معجزة النحل والعسل كما يصفها القرآن).

الرابط <http://www.youtube.com/watch?v=yNqKkGYMaZo&feature=related>

الدقيقة ٨,٢٣ من زمن المقطع - الجمعة ١٤٣٢/٧/٢٩ - س ١,٥٠ ظهراً.

- فلم بعنوان (الفلم الوثائقي العلمي أسرار النحل).

الرابط: <http://www.youtube.com/watch?v=gZGjQnrCCes&feature=related>

الدقيقة ١,٢١ من زمن المقطع - الجمعة ١٤٣٢/٧/٢٩ - س ٢,٢٣ ظهراً.

- فلم بعنوان (أسرار النحل ٣).

الرابط <http://www.youtube.com/watch?v=lTog58G4d4&feature=related>

الدقيقة ٧,١٧ من زمن المقطع - الجمعة ١٤٣٢/٧/٢٩ - س ٢,٤١ ظهراً.

(٢) ومعروف أن وظيفتها الوحيدة هي القيام بعملية التكاثر وإنتاج البيض.

(٣) انظر: قواعد الترجيح (١/٢٨١).

(٤) انظر: قواعد التفسير (٢/٦٣٣).

(٥) انظر: معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة (١/٢٦٤).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن المراد بـ "بطونها" غير معلوم؛ حيث إنه لا يُدرى موضع خروج العسل) مرجوح - من وجهة نظري - لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال، ولما قدمته من أدلة تؤيد القول الراجح.

والله تعالى أعلم بالصواب

المسألة الثالثة: مرجع الضمير في ﴿فيه شفاء للناس﴾ (١).

يقول القرطبي رحمته الله: (قوله تعالى: ﴿W V U﴾ الضمير للعسل، قال الجمهور: أي في العسل شفاء للناس. وروى عن ابن عباس (٢) والحسن (٣) ومجاهد (٤) والضحاك (٥) والفراء (٦) وابن كيسان (٧): الضمير للقرآن، أي في القرآن شفاء (٨).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرّض.

Ø للمفسرين في تعيين الاسم الذي يرجع إليه الضمير قولان:

القول الأول- إن الضمير يرجع إلى العسل (٩).

وذلك ما رجحه القرطبي موافقاً للطبري والبغوي والفخر الرازي، ووافقه في اختيار

هذا القول: أبو حيان وابن القيم والسمين الحلبي (١٠) رحمهم الله.

(١) قال السيوطي رحمته الله: (هذه الآية أصل في الطب) الإكليل في استنباط التنزيل ص ١٦٣.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٥٠) وأورده السيوطي في الدر (٧٣/٩).

(٣) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٣/١٣٨).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٥٠) وذكره ابن أبي حاتم (٧/٢٢٩٠).

(٥) انظر: تفسير الضحاك ص ٥٢٠

(٦) انظر: معاني القرآن (٢/١٠٩).

(٧) لم أقف على من روى هذا القول عنه.

(٨) تفسير القرطبي (١٢/٣٦٧).

(٩) (إن قيل: فكيف يكون في العسل شفاء للناس وهو قد ينفع في أمراض ويضر في أخرى؟ فالجواب أن يقال:

الغالب على العسل أنه يعمل في الأدوية، ويدخل في الأدوية، فإذا لم يوافق آحاد المرضى فقد وافق الأكثرين، وهذا كقول العرب: الماء حياة كل شيء، وقد نرى من يقتله الماء، وإنما الكلام على الأغلب) انظر: زاد المسير بتصرف يسير (٤/١٠٨).

(١٠) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٥٠) معالم التنزيل (٥/ ٢٩) مفاتيح الغيب (٩/ ٤٢٦) البحر المحيط

(٧/ ٢٦١) بدائع التفسير (٢/ ١١٣) زاد المعاد (٣/ ٤٠) الدر المصون (٧/ ٢٦٣).

وهو مروى عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وقادة (١) ومقاتل (٢) والسدي (٣) رحمهم الله.
وقال به: الفراء والزجاج والواحدي والزخشي وابن عطية وابن جزى الكلبي
والخازن وابن كثير وابن عادل والبقاعي وأبو السعود والأوسى والسعدي وابن
عاشور (٤).

واستدل هؤلاء بما يلي:

* حديث الرجل الذي جاء إلى النبي ^٨ فذكر أن أخاه يشتكى بطنه، فقال «اسقه
عسلاً» ثم أتى الثانية فقال «اسقه عسلاً» (٥) ثم أتاه فقال: فعلت. فقال «صدق الله وكذب
بطن أخيك» (٦)، اسقه عسلاً» فسقاه فبرأ (٧).

(١) أورده عبد الرزاق في تفسيره (٣٥٧/١) وأخرجه الطبري في تفسيره (٢٥٠ / ١٧).

(٢) انظر: تفسير مقاتل (٢٢٧ / ٢).

(٣) أورده ابن أبي حاتم (٢٢٩٠ / ٧) والسيوطي في الدر (٧٣ / ٩).

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء (١٠٩ / ٢) معاني القرآن (٢١١ / ٣) الوجيز (٤٢٧ / ١) الكشاف (٣٧٣ / ٣) المحرر
الوجيز (١٨٢ / ٤) التسهيل (٧٨ / ٢) لباب التأويل (١٩٢ / ٤) تفسير القرآن العظيم (٥٨٢ / ٤) اللباب
(١٦٠ / ١٠) نظم الدرر (٤٧٨ / ٤) إرشاد العقل السليم (١٣٤ / ٤) روح المعاني (٢٢٩ / ١٠) تيسير الكريم
المنان (٤٤٤ / ١) التحرير والتنوير (٢١٠ / ١٤).

(٥) في تكرار سقيه العسل معنى طبي بديع وهو أن الدواء يجب أن يكون له مقدار وكمية بحسب حال الداء، فإنه
لما أمره أن يسقيه العسل سقاه مقداراً لا يفي بمقاومة الداء ولا يبلغ الغرض فلما أخبره علم أن الذي سقاه لا
يبلغ مقدار الحاجة فلما تكرر ترداده إلى النبي ^٨ أكد عليه المعاودة ليصل إلى المقدار المقاوم للداء الذي حصل
به البرء بإذن الله، واعتبار مقادير الأدوية وكيفياتها ومقدار قوة المرض من أكبر قواعد الطب. انظر: زاد المعاد
(٣٠ / ٤).

(٦) في هذه العبارة إشارة إلى تحقيق نفع هذا الدواء وأن بقاء الداء ليس لقصور الدواء في نفسه ولكن لكثرة المادة
الفاسدة في البطن، وليس طبه ^٨ كطب الأطباء فإن طبه ^٨ متيقن قطعي إلهي صادر عن الوحي ومشكاة
النبوة وكمال العقل. وطب غيره أكثره حدس وظنون وتجارب. انظر: زاد المعاد (٣٠ / ٤).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الطب - باب الدواء بالعسل (١٢٣ / ٧) برقم ٥٦٨٤ وكذا في باب دواء
المبطون (١٢٨ / ٧) برقم ٥٧١٦، ومسلم في صحيحه - كتاب الآداب - باب التداوي بسقي العسل
(٢٦ / ٧) برقم ٢٢١٧.

- قال الألوسي: (المراد بصدق الله تعالى أي: صدق سبحانه في أن العسل فيه الشفاء^(١)).

* أن هاء الكناية تعود إلى أقرب مذکور، وأقرب مذکور في الآية هو العسل في قوله تعالى: ﴿ t s r q p o ﴾.

* أن أكثر الأشربة والمعجونات التي يتعالج بها الناس أصلها من العسل^(٢).

القول الثاني - إن الضمير يرجع إلى القرآن.

وهذا القول مروى عن مجاهد^(٣)، والضحاك.

وعلى هذا التقدير فالإخبار عن العسل تم عند قوله: ﴿ w v u ﴾ أي: في هذا القرآن حصل ما هو شفاء للناس من الكفر والبدعة، مثل هذا الذي في قصة النحل^(٤).

و حجة أصحاب هذا القول: أن الشفاء من أوصاف القرآن الكريم، جاء ذلك في قوله

تعالى: ﴿ z y x w v u t ﴾ { الإسراء: ٨٢.

و لكن يرد على هذا القول ما يضعفه من وجهين:

الأول - أن الضمير في قوله: ﴿ w v u ﴾ يجب عوده إلى أقرب المذكورات،

وهو في الآية العسل، فالحكم بعود الضمير إلى القرآن - مع أنه غير مذکور فيما سبق - معنى غير مناسب.

- قال ابن العربي: (وهذا قول بعيد لا يصح نقله عن هؤلاء، ولو صح نقلاً لم يصح

عقلاً؛ فإن سياق الكلام كله للعسل ليس للقرآن فيه ذكر، وكيف يرجع ضمير في كلام إلى

(١) روح المعاني (١٠/ ٢٢٩).

(٢) قاله النحاس، انظر: معاني القرآن (٤/ ٨٢).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٥٠).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب (٩/ ٤٢٦).

ما لم يجر له ذكر فيه - وإن كان كله منه -؟^(١).

الثاني - أن قول النبي [^] في حديث الرجل الذي اشتكى بطنه: «صدق الله وكذب بطن أخيك» محمول على قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَىٰ سُلَيْمَانَ إِذْ يَخُوضُ فِي الْمَغْرِبِ وَالشَّمْسُ تَارِيقَةٌ﴾ ولا يصح ذلك إلا أن يكون هذا صفة للعسل.

واستحسنت ثلثة من المفسرين - منهم: النحاس والزجاج^(٢) - أن يرجع الضمير على العسل والقرآن معا؛ محتجين بموافقة كلا المعنيين للآية واستوائهما في الحسن، ومستأنسين بالأثر الذي فيه: «عليكم بالشفائين: العسل والقرآن»^(٣) وقول ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (العسل شفاء من كل داء، والقرآن شفاء لما في الصدور)^(٤).

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض أقوال المفسرين ما يلي:

§ أن أكثر السلف وجمهور المفسرين على تفسير هاء الكناية بالعسل.

§ أن القول الثاني قول صحيح من حيث هو، لكن ورد إليه الضعف من عدم موافقته لسياق الآية، حيث لم يسبق الضمير إخبار عن القرآن.

- قال ابن كثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وهذا قول صحيح في نفسه، ولكن ليس هو الظاهر هاهنا من سياق الآية؛ فإن الآية إنما ذكر فيها العسل، ولم يتابع مجاهد على قوله هاهنا، وإنما الذي قاله

(١) أحكام القرآن (٣/١٣٨).

(٢) انظر: معاني القرآن للنحاس (٤/٨٢-٨٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/٢١١).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه - كتاب الطب - ماقالوا في العسل (٧/١٦٦) برقم ٢٣٦٨٩، وابن ماجه (١٠/٢٥٦) والحاكم في المستدرک - كتاب الطب (١٧/٢٩٠) برقم ٧٤٣٥، وأبو نعيم في الحلية (٧/١٣٣) والبيهقي في شعب الإيمان - باب في الخوف من الله (٤/١٧١) برقم ٢٣٤٥، وفي السنن الكبرى - كتاب الضحايا - باب أدوية النبي [^] (٩/٣٤٤) برقم ٢٠٠٤٩، روي هذا الأثر مرفوعا وموقوفا على ابن مسعود رضي الله عنه. قال البيهقي: (رفعه زيد بن الحباب والصحيح موقوف على ابن مسعود).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/٢٥٠).

ذكره في قوله تعالى: ﴿ z y x w v u t ﴾ { الإسراء: ٨٢ وقوله

تعالى: ﴿ [z y x w v u t s r] ﴾ \ يونس: ٥٧ (١).

- وقال الشوكاني رحمه الله: (ولا وجه للعدول عن الظاهر ومخالفة المرجع الواضح والسياق اليبين) (٢).

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو: (أن مرجع الضمير إلى العسل، وبه يفسر).

يدعم هذا الرأي:

قواعد نص عليها علماء اللغة والأصول والتفسير، وهي:

* أن الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه (٣).

* أن إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره (٤).

* أن قول الأكثر أقرب إلى الصواب وأبعد عن الخطأ (٥).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمه الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمه الله وهو (أن الضمير يرجع إلى العسل)

صحيح - من وجهة نظري - لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، ولما

قدمته من قواعد في الترجيح تدعم هذا القول.

والله تعالى أعلم بالصواب (٦)

(١) تفسير القرآن العظيم (٤ / ٥٨٢).

(٢) فتح القدير (٤ / ٢٣٨).

(٣) انظر: قواعد الترجيح (١ / ٢٤٨).

(٤) المصدر السابق (١ / ٢٣٢).

(٥) انظر: المستصفي في علم الأصول (١ / ٤٣٠).

(٦) وذهب قوم من أهل الجهالة إلى أن هذه الآية إنما يراد بها أهل البيت ورجال بني هاشم، وأنهم النحل، وأن

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَنْوِقَكُمْ وَمِنْكُمْ مَن يُرَدُّ ۝ أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ۝﴾

٧٠

في هذه الآية مسألتان.

المسألة الأولى: معنى ﴿أَرْدَلِ الْعُمْرِ﴾^(١).

يقول القرطبي رحمته الله: ﴿وَمِنْكُمْ مَن يُرَدُّ ۝ أَرْدَلِ الْعُمْرِ﴾ يعني: أردؤه وأوضعه. وقيل: الذي ينقص قوته وعقله ويصيره إلى الخرف ونحوه. وقال ابن عباس: يعني إلى أسفل العمر، يصير كالصبي الذي لا عقل له^(٢). والمعنى متقارب^(٣).

طريقة الترجيح: التنصيص على القول الراجح بقوله (والمعنى متقارب).

Ø في معنى ﴿أَرْدَلِ الْعُمْرِ﴾ ثلاثة أقوال:

القول الأول- أَرْدَلِ الْعُمْرِ: أردؤه وآخره وأسفله من الهرم والخرف.

وهذا ما رجحه القرطبي، وهو قول جمهور المفسرين^(٤) رحمهم الله جميعاً.

الشراب القرآن والحكمة، وقد ذكر بعضهم هذا في مجلس المنصور أبي جعفر العباسي: فقال له رجل ممن حضر: جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بني هاشم، فأضحك الحاضرين، وبهت الآخر، وظهرت سخافة قوله. المحرر الوجيز (٤/ ١٨٢).

(١) قال الشنقيطي: (وخص بالرديلة؛ لأنه حال لا رجاء بعدها لإصلاح ما فسد. بخلاف حال الطفولة، فإنها حالة ينتقل منها إلى القوة وإدراك الأشياء) أضواء البيان (٢/ ٤٠٩) وقال ابن عاشور: (فإضافة أَرْدَلِ إلى العمر التي هي من إضافة الصفة إلى الموصوف على طريقة المجاز العقلي، لأن الموصوف بالأردل حقيقة هو حال الإنسان لا نفس العمر. فأردل العمر هو حال الهرم، وأما نفس مدة العمر فهي لا توصف بردالة ولا شرف... وهذه الردالة رذالة في الصحة لا تعلق لها بحالة النفس، فهي مما يعرض للمسلم والكافر فتسمى أَرْدَلِ الْعُمْرِ فيها، وقد استعاذ رسول الله ^ﷺ من أن يرد إلى أَرْدَلِ الْعُمْرِ) التحرير والتنوير (١٤/ ٢١٢) مختصراً.

(٢) انظر: التفسير الوسيط للواحيدي (٣/ ٧٣).

(٣) تفسير القرطبي (١٢/ ٣٧٤).

(٤) نسبه إلى الجمهور: الماوردي. انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٨٢).

واستدل أصحاب هذا القول باللغة:

- قال الجوهري: (الرَّذِلُ: الدُّونُ الخسيس . وقد رَذُلَ فلان - بالضم - يَرُذُلُ رَذَالَةً... ورُذَال كل شيءٍ: رديئُهُ) (١).

- وقال الراغب: (الرَّذِلُ والرُّذَالُ: المرغوب عنه لرداءته) (٢).

القول الثاني - أرذل العمر: الهرم والخرف المسببان لنقص العقل.

وهذا القول مروى عن مقاتل (٣) والسدي (٤) ومحمد بن السائب الكلبى (٥).

وهو قول الزجاج وأبي جعفر النحاس والواحدى وابن كثير (٦).

واستدل أصحاب هذا القول بأن (الهرم) و(الخرف) مما يفسر به ﴿أَرذَلِ الْعُمُرِ﴾ حيث إنها مترادفات لفظية.

قال إبراهيم اليازجي: (وتقول: قد خَرِفَ الشيخ، وَأَفْنَدَ إِفْنَادًا، وَسُبِهَ وَأَهْتَرَ - بصيغة المجهول فيهما - إذا ضَعَفَ عقله من الهرم. وبه خَرَفٌ وفَنَدٌ وَسَبَةٌ - بفتحتين فيهن - وهْتَرٌ - بالضم - وقد أَخْرَفَهُ الهرم وَأَفْنَدَهُ الْكِبَرُ، وبلغ فلان هَرَمًا مُفْنَدًا. ورأيتُه وقد رَكَكَ عقله، وَأَفْنَنَ رَأْيَهُ.... وقد خرج عن التكليف، وسقطت عنه التكليف، وأصبح لا يُسأل عما يفعل، ورُدَّ إلى أرذل العمر، وعاد لا يعلم من بعد علم شيئاً) (٧).

القول الثالث - ﴿أَرذَلِ الْعُمُرِ﴾: أسفله.

(١) الصحاح (٥/ ٣٩٤).

(٢) مفردات غريب القرآن ص ١٩٤.

(٣) انظر: تفسيره (٢/ ٢٢٧).

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٩٠) الدر المنثور (٩/ ٧٨).

(٥) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٨٢).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١١) معاني القرآن (٤/ ٨٣) الوجيز (١/ ٤٢٧) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٨٥).

(٧) نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد (١/ ٩٩).

وهو مروى عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وقال به: السمرقندي (١).

و احتج لهذا القول بأن له نظيراً في القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿ + /

٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠ ﴿ التين: ٥.٤.

قال بعض السلف (٢): ﴿ ٥ ٤ ﴾: الهرم وأرذل العمر.

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض الأقوال السابقة ما يلي:

§ أن القول الأول تفسير للفظ، والقولين الثاني والثالث تفسير على المعنى.

§ أن معتمد القول الأول اللغة، ومعتمد القولين الآخرين الرواية عن السلف.

§ أن النظر القرآني الذي أُيد به القول الثالث متعقب، حيث إنه جعل الإنسان في

أسفل سافلين إلا المؤمنين، ولو فسر ذلك بالهرم فإن الواقع يخالفه؛ إذ كثير من الكفار يموت قبل الهرم وكثير من المؤمنين يهرم.

- قال ابن تيمية: (وفي قوله ﴿ ٥ ٤ ﴾ قولان؛ قيل: الهرم، وقيل: العذاب بعد

الموت، وهذا هو الذي دلت عليه الآية قطعاً؛ فإنه جعله في أسفل سافلين إلا المؤمنين. والناس نوعان: فالكافر بعد الموت يعذب في أسفل سافلين والمؤمن في عليين. وأما القول الأول ففيه نظر؛ فإنه ليس كل من سوى المؤمنين يهرم فيرد إلى أسفل سافلين، بل كثير من الكفار يموت قبل الهرم وكثير من المؤمنين يهرم، وإن كان حال المؤمن في الهرم أحسن حالاً من الكافر، فكذلك في الشباب حال المؤمن أحسن من حال الكافر، فجعل الرد إلى أسفل سافلين في آخر العمر وتخصيصه بالكفار ضعيف) (٣).

(١) انظر: بحر العلوم (٢/٤٧٣).

(٢) منهم: قتادة وعكرمة وإبراهيم. انظر: تفسير الطبري (٥٠٩/٢٤) وزاد الماوردي: الضحاك والكلبي. انظر:

النكت والعيون (٤/٤٣٥).

(٣) مجموع الفتاوى (١٦/٢٧٩).

- وقال ابن كثير: (وقال بعضهم: ﴿ ٢ ٣ ٤ ٥ ﴾ أي: إلى أرذل العمر... ولو كان هذا هو المراد لما حسن استثناء المؤمنين من ذلك؛ لأن الهرم قد يصيب بعضهم، وإنما المراد ما ذكرناه، كقوله: ﴿ ! " # \$ % & ') * + ﴾ العصر: ٣٠١(١).

- وقال الطاهر بن عاشور: (وهذه الرذالة رذالة في الصحة لا تعلق لها بحالة النفس، فهي مما يعرض للمسلم والكافر فتسمى أرذل العمر فيهما)(٢).
و الصحيح في توجيه آية التين: أن يكون الاستثناء منقطعاً.
- قال أبو حيان: (والاستثناء على هذا منقطع، وليس المعنى أن كل إنسان يعتريه هذا بل في الجنس من يعتريه ذلك)(٣).

§ أن الاختلاف بين الأقوال اختلاف تنوع، ولا تضاد بينها.
§ أن الجمع بين الأقوال ممكن، بأن يقال: إن معنى أرذل العمر: أردؤه وأسفله وآخره من الهرم والخرف.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو (أرذل العمر: أردؤه وأسفله وآخره من الهرم والخرف)

يشهد بصحة هذا الرأي ما تناولته المناقشة السابقة، وقواعد الترجيح التي تنص على:

* لا يصح اعتماد اللغة دون غيرها من المصادر التفسيرية(٤).

(١) تفسير القرآن العظيم (٨ / ٤٣٥).

(٢) التحرير والتنوير (١٤ / ٢١٢).

(٣) البحر المحيط (١٠ / ٤٩٩).

(٤) انظر: قواعد التفسير ص ٦٣٣

* لا تعارض بين التفسير اللفظي والتفسير على المعنى (١).

* الجمع بين المقصودين أولى من العمل بأحدهما وتعطيل الآخر (٢).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن أرذل العمر: أردؤه وأنقصه) هو بعض القول الراجح - من وجهة نظري - لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، ولما قدمته من أدلة تؤيد القول الراجح.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) المصدر السابق ص ٦٥٢

(٢) الإحكام في أصول القرآن (١/ ٢١٨).

المسألة الثانية: معنى ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾.

يقول القرطبي رحمه الله: ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ أي: يرجع إلى حالة الطفولية فلا يعلم ما كان يعلم قبل من الأمور لفرط الكبر. وقد قيل: هذا لا يكون للمؤمن؛ لأن المؤمن لا ينزع عنه علمه. وقيل: المعنى: لكيلا يعمل بعد علم شيئاً، فعبر عن العمل بالعلم لافتقاره إليه، لأن تأثير الكبر في عمله أبلغ من تأثيره في علمه^(١).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرّض.

Ø للمفسرين في معنى هذه الآية ثلاثة أقوال:

القول الأول- ﴿لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾: يعود جاهلاً كثير النسيان كحالة الطفل.

وهذا ما رجحه القرطبي، ووافقه الألويسي^(٢).

وهو قول الطبري وأبي جعفر النحاس والزخشي والماوردي والخازن والشنقيطي^(٣).

و حجة هذا القول: أن تقدم السن ينقص قدرة العقل على التذكر ويورث النسيان، وهذا شبيه بحال الطفل.

القول الثاني- ﴿لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾: لا يعمل شيئاً.

و احتج لهذا القول بأن تأثير الكبر في العمل أبلغ من تأثيره في العلم، فيكون التعبير بالعلم عن العمل لافتقاره إليه.

القول الثالث- ﴿لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾: لا يزيد علمه.

(١) تفسير القرطبي (٣٧٥/١٢).

(٢) انظر: روح المعاني (٢٣٤/١٠).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٥١/١٧) معاني القرآن (٨٣/٤) الكشاف (٣٧٤/٣) النكت والعيون (٣٨٢/٢)

لباب التأويل (١٩٤/٤) أضواء البيان (٤٠٩/٢).

قال به: الشوكاني (١).

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض أقوال المفسرين السابقة ما يلي:

§ أنه لم يرو عن السلف شيء في تفسير هذه الآية - حسب علمي -.

§ أن القول الثاني من التفسير باللائم (٢)، فالعلم يستلزم العمل به.

§ أن جميع المعاني تحتملها الآية، ولا تضاد بينها.

§ أن الواقع يؤيد جميع المعاني السابقة، فالهزم تضعف ذاكرته فيكثر نسيانه للعلم،

فيعود جاهلا لا يزيد علمه، ولا يقوى على العمل.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو الجمع بين المعاني الواردة،

فيكون معنى الآية (يعود جاهلا لضعف عقله الذي يورثه كثرة النسيان، فلا يزيد علمه، ولا

يقوى على العمل).

يقوي هذا الرأي ما ظهر من نتائج مناقشة الأقوال، إضافة إلى قواعد الترجيح الآتية:

* الجمع بين المقصودين أولى من العمل بأحدهما وتعطيل الآخر (٣).

* إذا ورد أكثر من تفسير صحيح تحتمله الآية بلا تضاد جاز تفسير الآية بها (٤).

- قال الشافعي في رسالته: (ولزم أهل العلم أن يمضوا الخبرين على وجوههما ما

وجدوا لإمضائهما وجهها، ولا يعدونها مختلفين وهما احتملان أن يمضيا، وذلك إذا أمكن

فيهما أن يمضيا معا أو وجد السبيل إلى إمضائهما، ولم يكن منهما واحد بأوجب من

(١) انظر: فتح القدير (٤ / ٢٤١).

(٢) التفسير باللائم: هو التفسير بمعنى لم يدل عليه اللفظ مباشرة، لكن يلزم وجوده عقلا أو عرفا. كالكتابة

تستلزم كتابا، وهذه الطريقة في التفسير من طرق السلف رحمهم الله. انظر: فصول في أصول التفسير ص ٧٩.

(٣) انظر: الإحكام في أصول القرآن (١ / ٢١٨).

(٤) انظر: التفسير اللغوي للقرآن ص ٥٩١

الآخر (١).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن معنى ﴿لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾: يعود جاهلا كثير النسيان كحالة الطفل) جزء من القول الراجح، لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، ولقواعد الترجيح الناطقة بهذا الحكم.

والله تعالى أعلم بالصواب

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ﴾^١

في هذه الآية مسألتان.

المسألة الأولى: المراد بـ ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾.

يقول القرطبي رحمه الله: (﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ يعني: آدم خلق منه حواء. وقيل: المعنى ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: من جنسكم ونوعكم وعلى خلقتكم، كما قال: ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾^(١).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرّض.

Ø في تعيين المراد من هذه الآية قولان:

القول الأول - المراد بـ ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾: هو آدم خلق منه حواء.

وهذا ما رجحه القرطبي رحمه الله، وقد روي عن قتادة^(٢)، وهو قول أكثر المفسرين^(٣).
وقال به من أهل اللغة: الزجاج^(٤).

واستدل أصحاب هذا القول بأن حواء خلقت من نفس آدم عليه السلام، وإنما كان هذا المعنى هو المراد بالآية لأنها كانا مبتدأ الجميع، فساغ حمل أمرهما على الجميع حتى صار الأمر كأن النساء خلقن من أنفس الرجال.

القول الثاني - المراد بـ ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾: من جنسكم ونوعكم.

(١) تفسير القرطبي (١٢ / ٣٧٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧ / ٢٥٣) تفسير ابن أبي حاتم (٧ / ٢٢٩١).

(٣) نسبه إلى أكثرهم: الماوردي. انظر: النكت والعيون (٢ / ٣٨٤).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣ / ٢١٢).

وهذا القول مروى عن مقاتل (١)، وهو قول ابن بحر (٢) وابن أبي زمنين والواحدى وابن الجوزي والزمخشري والسمرقندي وابن كثير وأبو السعود والألوسي والشنقيطي وابن عاشور (٣).

ورجحه ابن عطية والفخر الرازي (٤).

واستدل أصحاب هذا القول بأن له نظائر في القرآن، منها:

- قوله تعالى: ﴿ | } ~ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ التوبة: ١٢٨.

- وقوله: ﴿ Z Y \ [^ _ ﴾ الروم: ٢١.

- وقوله: ﴿ j k l m n o p q r s t u v x y z ﴾

{ | } ~ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿ ٣٩ ﴾ القيامة: ٣٦-٣٩.

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض القولين السابقين وأدلتها ما يلي:

§ أن كلا القولين مروى عن السلف.

§ أن القول الأول داخل في الثاني ضمناً ولزوماً، إذ يلزم من خلق حواء من آدم أن

تكون من نوعه وجنسه.

§ أن القول الأول متعقب بأمرين:

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٢٢٩).

(٢) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٨٤) وابن بحر: هو الحافظ الإمام أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سلمة القزويني، محدث قزوین وعالمها، سمع من ابن ماجه وأبي حاتم وكان شيخا عالما بجميع العلوم: التفسير والفقه والنحو واللغة زاهدا، قال ابن فارس سمعته يقول: كنت حين رحلت أحفظ مائة ألف حديث. ت: ٣٤٥ هـ. انظر: طبقات الحفاظ (١/ ٧٠).

(٣) انظر: تفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٤١٠) الوجيز (١/ ٤٢٨) زاد المسير (٤/ ١١١) الكشاف (٣/ ٣٧٦) بحر العلوم (٢/ ٤٧٥) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٨٦) إرشاد العقل السليم (٤/ ١٣٧) روح المعاني (١٠/ ٢٣٧) أضواء البيان (٢/ ٤١٢) التحرير والتنوير (١٤/ ٢١٧).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ١٨٣) مفاتيح الغيب (٩/ ٤٣٣).

- أن الخطاب في ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ عام، معناه: أنه تعالى خلق النساء ليتزوج بهن الذكور، فتخصيصه بآدم وحواء خلاف الدليل.
- أنه لا يلائمه جمع الأنفس والأزواج.
و أرى أن هذه الاعتراضات مدفوعة إذا علمنا أن تفسير المعنى العام ببعض أفراده على سبيل التمثيل سبيل مطروقة عند السلف في التفسير^(١).
§ أن الجمع بين القولين ممكن، بأن يقال: من جنسكم ونوعكم كآدم حين خلقت منه حواء.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو (من جنسكم ونوعكم كآدم حين خلقت منه حواء)

يقوي هذا الرأي نتائج المناقشة السابقة، مع قواعد الترجيح الآتية:

- * لا تعارض بين التفسير اللفظي والتفسير على المعنى^(٢).
- * الجمع بين المقصودين أولى من العمل بأحدهما وتعطيل الآخر^(٣).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن المراد بـ ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾: آدم خلق منه حواء) جزء من القول الراجح - والله أعلم - لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، ولما ذكرت من القواعد المؤيدة للقول الراجح.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) انظر: مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير ص ٣ في عرضه لأسباب الخلاف في التفسير عند السلف، فذكر هذه الطريقة وبين وجهها.

(٢) انظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم ص ٦٥٢

(٣) انظر: الإحكام في أصول القرآن (١/ ٢١٨).

المسألة الثانية: معنى ﴿حَفْدَةٌ﴾.

يقول القرطبي رحمته الله: (قوله تعالى: "وحفدة" روى ابن القاسم عن مالك قال: وسألته عن قوله تعالى: ﴿بَيْنَ وَحَفْدَةٍ﴾ قال: الحفدة: الخدم والأعوان في رأيي. وروي عن ابن عباس في قوله تعالى: "وحفدة" قال: هم الأعوان، من أعانك فقد حفدك^(١). قيل له: فهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم وتقوله، أو ما سمعت قول الشاعر^(٢):

حَفَدَ الْوَلَاءُ حَوْلَهُمْ وَأَسْلَمَتْ بِأَكْفَهِنَّ أَرْزَمَةُ الْأَجْمَالِ

أي: أسر عن الخدمة. والولاء: الخدم، الواحدة وليدة؛ قال الأعشى^(٣):

كَلَّفْتُ مَجْهولَهَا نُوقاً يَمَانِيَةً إِذَا الحُدَاةُ عَلَى أَكْسَائِهَا^(٤) حَفَدُوا

أي: أسرعوا. وقال ابن عرفة^(٥): الحفدة عند العرب الأعوان^(٦)، فكل من عمل عملاً

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/٢٥٥).

(٢) قال محقق تفسير القرطبي: (والبيت نسبه ابن دريد في الجمهرة ١٢٣/٢ إلى الفرزدق، ونسبه أبو عبيد في مجاز القرآن ٣٦٤/١ والطبري في تفسيره (٣٠٢/١٤) والماوردي في النكت والعيون (٢٠٢/٣) إلى جميل، ونسبه أبو عبيد الهروي في غريب الحديث (٣٧٤/٣) إلى الأخطل، وسيأتي قريباً عند المصنف منسوباً إلى كثير، ولم نقف عليه في دواوين هؤلاء الشعراء، وهو عند الطبراني في الكبير (٢٥٠/١٠) في سؤالات نافع بن الأزرق لابن عباس ونسبه لأمية بن أبي الصلت، ولم نقف عليه في ديوانه) تفسير القرطبي بتحقيق التركي (٣٧٨/١٢).

(٣) لم أجده في ديوانه، وهو موجود في ديوان الراعي النميري ص ٥٨، ونسبه إليه أيضاً الطبري في تفسيره (٣٠٣/١٤) والماوردي في تفسيره (٢٠٢/٣). والراعي النميري هو عبيد بن حصين بن معاوية، شاعر من معاصري جرير والفرزدق، ت: ٩٠ هـ. انظر: الشعر والشعراء (٨٤/١).

(٤) الأكساء: جمع كساء وهو مؤخر الشيء. انظر: لسان العرب (١/١٣٨).

(٥) إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي العتكي، أبو عبد الله: إمام في النحو. وكان فقيهاً، مسنداً في الحديث ثقة، قال ابن حجر: (جالس الملوك والوزراء، وأتقن حفظ السيرة ووفيات العلماء، مع المروءة والفتوة والظرف) يؤيد مذهب سيبويه في النحو فلقبوه (نفظويه)، ونظم الشعر ولم يكن بشاعر، وإنما كان من تمام أدب الأديب في عصره أن يقول الشعر. سمي له ابن النديم وياقوت عدة كتب، منها: كتاب التاريخ وغريب القرآن وكتاب الوزراء وأمثال القرآن. ت: ٣٢٣ هـ. انظر: معجم الأدباء (١/١١٤) الأعلام (١/٦١).

(٦) لم يمكن التوثيق لعدم توفر مؤلفاته. قال الزركلي عن كتبه: (ولا نعلم عن أحدها خيراً).

أطاع فيه وسارع فهو حافد، قال: ومنه قولهم: إليك نسعى ونحفد^(١)، والحفدان: السرعة. قال أبو عبيد: الحفد: (العمل والخدمة)^(٢) وقال الخليل بن أحمد: (الحفدة عند العرب الخدم)^(٣) وقاله مجاهد^(٤). وقال الأزهري: قيل: الحفدة أولاد الأولاد^(٥). وروي عن ابن عباس^(٦).

وقيل: الأختان، قاله ابن مسعود^(٧) وعلقمة^(٨) وأبو الضحى^(٩) وسعيد بن جبير^(١٠) وإبراهيم^(١١)، ومنه قول الشاعر^(١٢):

(١) وهو قطعة من دعاء القنوت: (اللهم إنا نستعينك ونستغفرك، ونثني عليك ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخشى عذابك، إن عذابك بالكفار ملحق) أخرجه عبد الرزاق في المصنف - كتاب الصلاة - باب القنوت (١١٠/٢) برقم ٤٩٦٨، وابن أبي شيبة في المصنف - كتاب صلاة التطوع - باب في قنوت الوتر (٢٠٠/٢) برقم ٦٨٣٩، والطبري في تهذيب الآثار (١٣٧/٦) وابن خزيمة في صحيحه - كتاب الوتر (٢٤٧/٤) برقم ١١٠٠، والطحاوي في شرح معاني الآثار - كتاب الصلاة - باب القنوت في صلاة الفجر (٢٤٩/١) برقم ١٣٧٠، والبيهقي في معرفة السنن والآثار (١٧٨/٢) وهو مما نسخ تلاوة. انظر: الاعتبار في النسخ والمنسوخ من الآثار - باب في دعاء النبي ^٨ على آحاد الكفرة (٨٩/١).

(٢) غريب الحديث (٣٧٤/٣).

(٣) العين (١٨٥/٣).

(٤) انظر: تفسير مجاهد ص ١٣٣، تفسير الطبري (١٧/٢٥٦).

(٥) تهذيب اللغة (٤٢٨/٤) وعزاه إلى (بعضهم).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٧/٢٥٧) تفسير ابن أبي حاتم (٧/٢٢٩١).

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٧/٢٥٣) الدر المنثور (٩/٨٢).

(٨) لم أجد له قولاً في هذه الآية في الكتب المعنية بمرويات التفسير.

(٩) انظر: تفسير الطبري (١٧/٢٥٣).

(١٠) انظر: تفسير الطبري (١٧/٢٥٣).

(١١) انظر: النكت والعيون (٢/٣٨٤).

(١٢) هو النعمان بن بشير الخزرجي الأنصاري، أبو عبد الله: من أجلاء الصحابة، خطيب وشاعر، له ١٢٤

حديثاً، وهو أول مولود ولد في الانصار بعد الهجرة، ولي القضاء بدمشق ثم ولي اليمن لمعاوية ثم استعمله على

=

فلو أن نفسي طاوعتني لأصبحتُ لها حَفْدٌ مِمَّا يُعَدُّ كَثِيرٌ
ولكنها نَفْسٌ عَلَيَّ أَيْبَةٌ عَيُوفٌ لِأَصْهَارِ اللَّئَامِ قَدُورٌ

وروى زر عن عبد الله قال: (الحفدة الأصهار^(١)) وقاله إبراهيم^(٢)، والمعنى متقارب.
قال الأصمعي: (الْحَتَنُ: من كان من قِبَلِ المرأة، مثل أبيها وأخيها وما أشبههما، والأصهار
منهما جميعاً)^(٣) يقال: أصهر فلان إلى بني فلان وصاهر. وقول عبد الله: هم الأختان،
يحتمل المعنيين جميعاً. يحتمل أن يكون أراد أبا المرأة وما أشبهه من أقربائها، ويحتمل أن
يكون أراد: وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات تزوجونهن، فيكون لكم بسببهن أختان.
وقال عكرمة: الحفدة: (مَنْ نَفَعَ الرَّجُلَ مِنْ وَلَدِهِ)^(٤) وأصله: من حَفَدَ يَحْفِدُ - بفتح العين في
الماضي وكسرها في المستقبل - إذا أسرع في سيره، كما قال كُثَيْبٌ^(٥):

حَفَدَ الْوَلَاتُ بَيْنَهُنَّ الْبَيْتَ

الكوفة ثم ولاء حمص، قال سماك بن حرب: كان من أخطب من سمعت، وهو الذي تنسب إليه (معرة
النعمان) بلد أبي العلاء المعري، وكانت تعرف بالمعرة، ومر بها النعمان صاحب الترجمة فمات له ولد فدفنه فيها
فنسبت إليه، له ديوان شعر مطبوع. ت: ٦٥ هـ. انظر: الإصابة (٣/١٩٢) الأعلام (٨/٣٦) والبيت من ديوانه
ص ١٠٢.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/٢٥٤).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/٢٥٤).

(٣) أورده الأزهري في تهذيب اللغة (٢/٢٧٧).

(٤) انظر: تفسير عبد الرزاق (١/٣٧٨) تفسير الطبري (١٧/٢٥٣).

(٥) كثير بن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعي، أبو صخر: شاعر متيم مشهور. من أهل المدينة. أكثر إقامته بمصر.
وفد على عبد الملك بن مروان فازدرى منظره، ولما عرف أدبه رفع مجلسه، فاختص به وبينه مروان؛ يعظمونه
ويكرمونه. وكان مفطر القصر دميماً، في نفسه شمم وترفع. يقال له: ابن أبي جمعة، وكثير عزة، والملحي: نسبة
إلى بني مليح، وهم قبيلته، قال المرزباني: (كان شاعر أهل الحجاز في الإسلام، لا يقدمون عليه أحدا) وفي
المؤرخين من يذكر أنه من غلاة الشيعة. أخباره مع عزة بنت حميل الضمرية كثيرة. له ديوان شعر مطبوع. توفي
بالمدينة سنة ١٠٥ هـ. ت: انظر: شذرات الذهب (٢/٣٦) الأعلام (٥/٢١٩).

ويقال: حَفَدْتُ وَأَحَفَدْتُ، لغتان: إذا خَدَمْتَ. ويقال: حَافِدٌ وَحَفْدٌ، مثل خَادمٍ وَخَدَمٍ، وحَافِدٌ وَحَفْدَةٌ مثل كَافِرٍ وَكَفَرَةٍ. قال المهدي (١): (ومن جعل الحفدة الخدم جعله منقطعاً مما قبله ينوي به التقديم، كأنه قال: جعل لكم حفدة وجعل لكم من أزواجكم بنين) (٢). قلت: ما قاله الأزهري من أن الحفدة أولاد الأولاد هو ظاهر القرآن بل نَصُّه؛ ألا ترى أنه قال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ فجعل الحفدة والبنين منهن) (٣).

طريقة الترجيح: التنصيص على القول الراجح بقوله (قلت....).

Ø في معنى هذه الآية أربعة أقوال:

القول الأول- معنى "حفدة": أولاد الأولاد.

وهذا القول مروى عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وابن زيد (٤) والضحاك (٥).

وهو ما رجحه القرطبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، موافقاً لابن العربي (٦)، ووافقهم: السمين الحلبي

(١) المهدي: أحمد بن عمار بن أبي العباس المهدي التميمي، أبو العباس: مقرئ أندلسي أصله من المهديّة بالقيروان. رحل إلى الأندلس في حدود سنة ٤٠٨ هـ وصنف كتباً، منها: (التفصيل الجامع لعلوم التنزيل) وهو تفسير كبير للآيات، ثم اختصره وسماه (التحصيل في مختصر التفصيل)، وله (أبيات في أجناس الظاءات) (والهداية) في القراءات. توفي نحو ٤٤٠ هـ. انظر: الصلة لابن بشكوال (٨٧/١) الأعلام (١/١٨٤).

(٢) يحتمل أن تكون عبارته هذه من كتابه (التفصيل الجامع لعلوم التنزيل) وهو مخطوط حقق في عدد من الرسائل العلمية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، إلا أنها لم تطبع.

انظر: موقع جامعة الإمام محمد بن سعود - الثلاثاء ٢٩/٣/١٤٣٣ هـ - س: ٩ صباحا.

http://www.imamu.edu.sa/colleg_instt/colleg/osol_aldean/science_department

[ment/quran_department/Pages/dalel.aspx](http://www.imamu.edu.sa/colleg_instt/colleg/osol_aldean/science_department/ment/quran_department/Pages/dalel.aspx)

(٣) تفسير القرطبي (١٢/٣٧٧).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧/٢٥٧).

(٥) انظر: تفسير الضحاك (١/٥٢١) تفسير الطبري (١٧/٢٥٧).

(٦) انظر: أحكام القرآن (٥/١٨١).

والأمين الشنقيطي^(١).

وقال به من المفسرين: الواحدي والسمرقندي وابن كثير والسيوطي^(٢)، ومن أهل اللغة: الأزهري^(٣).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن العرب تسمي أولاد الأولاد: حفدة، ومنه قول الشاعر:

حَفَدَ الْوَلَاءُ دُحُولَهُنَّ وَأَسْلَمَتْ بِأَكْفِهِنَّ أَرْزَمَةُ الْأَجْمَالِ

* أن " من " سببية، ولا شك أن الأزواج سبب لوجود الحفدة.

* أن ظاهر الآية أن " حفدة " معطوف على " بنين " .

* أن أولاد الرجل وأولاد أولاده: من خدمه المسرعين في خدمته عادة.

- قال الشوكاني: (ورجح كثير من العلماء أنهم أولاد الأولاد، لأنه سبحانه امتن على عباده بأن جعل لهم من الأزواج بنين وحفدة)^(٤).

القول الثاني - معنى " حفدة " : خدماً وأعواناً.

وهذا القول مروى عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(٥) وعكرمة والحسن^(٦) ومجاهد وقتادة^(٧) والسدي^(٨).

(١) انظر: الدر المصون (٢٦٤/٧) أضواء البيان (٤١٢/٢).

(٢) انظر: الوجيز (٤٢٨/١) بحر العلوم (٤٧٥/٢) تفسير القرآن العظيم (٥٨٦/٤) تفسير الجلالين (٤٧٢/٤).

(٣) انظر: تهذيب اللغة (٤٢٨/٤).

(٤) فتح القدير (٢٤٣/٤).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٢٥٣/١٧).

(٦) انظر: تفسير عبد الرزاق (٣٧٨/١) تفسير الطبري (٢٥٣/١٧).

(٧) انظر: تفسير الطبري (٢٥٧/١٧).

(٨) انظر: تفسير الطبري (٢٥٧/١٧).

وهو قول أبي عبيدة وابن قتيبة^(١)، واختاره أبو جعفر النحاس ووافق ابن عطية وأبو حيان^(٢)، ومن أهل اللغة: ابن فارس^(٣).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن الأصل في الحفد لغة: السرعة والخفة في العمل.

- قال ابن فارس: (الحاء والفاء والذال أصل يدل على الخفة في العمل، فالحفدة:

الأعوان؛ لأنه يجتمع فيهم التجمع والتخفف والسرعة إلى الطاعة)^(٤).

* أن السرعة والخفة في العمل أظهر ما تكون في الخدم.

* أن نعمة وجود الأعوان والخدم عامة لكل أحد، غير مقتصرة على من كان له زوج،

فيكون قوله: ﴿مَنْ أَرْوَجِكُمْ﴾ على العموم والاشتراف، أي: من أزواج البشر جعل الله

لهم البنين ومنهم جعل الخدمة، فمن لم تكن له زوجة فقد جعل الله له حفدة، وحصل تحت

النعمة، وهكذا تستقيم لفظة "حفدة" على مجراها في اللغة، إذ البشر بجملتهم لا يستغني

أحد منهم عن حفدة.

* أنه يجوز أن يكون في الآية تقديم وتأخير، فكأنه قال: وجعل لكم حفدة - أي: خدماً

- وجعل لكم من أزواجكم بنين.

القول الثالث - معنى "حفدة": أختاناً، والختن: من كان من قبل المرأة من الرجال

كالأب والأخ^(٥).

وهذا القول مروى عن ابن عباس^(٦) وابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وسعيد بن جبير وأبي

(١) انظر: مجاز القرآن (٣٦٤/١) غريب القرآن ص ٢٦٤.

(٢) انظر: معاني القرآن (٩٠/٤) المحرر الوجيز (١٨٤/٤) البحر المحيط (٢٦٥/٧).

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة (٨٤/٢).

(٤) معجم مقاييس اللغة (٨٤/٢).

(٥) ويقال لزوجة الابنة أيضاً ختن. انظر: الصحاح (٣٨٥/٦).

(٦) انظر: تفسير الطبري (٢٥٣/١٧) تفسير ابن أبي حاتم (٢٢٩١/٧).

الضحيو إبراهيم النخعي، وهو قول الفراء (١).

و احتج هؤلاء بقول النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

فلو أن نفسي طاوعتني لأصبتُ لها حَفْدٌ مَّا يُعَدُّ كَثِيرٌ
ولكنها نَفْسٌ عَلَيَّ أَيْبَةٌ عَيُوفٌ لِأَصْهَارِ اللَّئَامِ قَدُورٌ
القول الرابع - معنى " حفدة " : أصهاراً.

وهذا القول مروى عن ابن عباس (٢) وابن مسعود (٣).

و احتج لهذا القول بأن العرب تسمي الأصهار حفدة، لكونهم من أعوان الرجل والمسرعين في طاعته.

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية :

يتبين من عرض الأقوال السابقة ما يلي :

§ أن جميع الأقوال جاءت الرواية بها عن السلف، ويلاحظ أن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا له في كل قول رواية.

§ أن القول الأول جاء على الاستعمال الغالب عند العرب للفظ الـ " حفدة "، وهو المعنى الظاهر المتبادر للذهن عند الإطلاق.

§ أن القول الثاني جاء على الأصل في الاستعمال اللغوي.

§ أن حمل الآية على القول الثاني يلزم منه قطع المعنى بين " بنين " و " حفدة ".

§ أن القولين الثالث والرابع يدخلان ضمن القول الثاني؛ حيث إن علة تسمية الأختان والأصهار حفدة هو كونهما من أعوان الرجل في العادة، فهما تفسير لمراد الآية وليس لمعناها.

§ أن جميع الأقوال صحيحة (٤)، إلا أن القول الأول يتقوى بأمور:

(١) انظر: معاني القرآن (٢/١١٠).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/٢٥٦) تفسير ابن أبي حاتم (٧/٢٢٩١).

(٣) انظر: تفسير عبد الرزاق (١/٣٧٨).

(٤) وقد رجح حمل الآية على الجميع واستواء جميع الأقوال في قوة المعنى بسبب كون اللفظ مشترك محتمل للكلمة:

- أنه ظاهر الآية.

- أنه موافق للسياق واتصال المعنى؛ أزواج فبنين فأبناء البنين.

قال الشنقيطي رحمته الله: (وفي هذه الآية الكريمة قرينة دالة على أن الحفدة أولاد الأولاد؛ لأن قوله ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ دليل ظاهر على اشتراك البنين والحفدة في كونهم من أزواجهم، وذلك دليل على أنهم كلهم من أولاد أزواجهم. ودعوى أن قوله: "حفدة" معطوف على قوله "أزواجاً" غير ظاهرة، كما أن دعوى أنهم الأختان، وأن الأختان أزواج بناتهم، وبناتهم من أزواجهن غير ذلك من الأقوال كله غير ظاهر. وظاهر القرآن هو ما ذكره (١).

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو (أن معنى "حفدة": أولاد

الأولاد)

يشهد بصحة هذا نتائج المناقشة السابقة، وقواعد الترجيح الآتية:

* في تفسير القرآن بمقتضى اللغة يراعى المعنى الأغلب والأشهر والأفصح دون الشاذ أو القليل (٢).

* القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه (٣).

* من وجوه الترجيح: أن يكون ذلك المعنى هو المتبادر إلى الذهن، فإن ذلك دليل على ظهوره ورجحانه (٤).

الطبري، ووافقه الرازي. انظر: تفسير الطبري (١٧ / ٢٥٧) مفاتيح الغيب (٩ / ٤٣٣).

(١) أضواء البيان (٢ / ٤١٢).

(٢) انظر: قواعد التفسير (١ / ٢١٢).

(٣) انظر: قواعد الترجيح (١ / ٢٦٩).

(٤) انظر: مقدمة تفسير ابن جزي (١ / ٤٣).

== ترجيحات القرطبي في التفسير من سورة الحجر إلى آية (٨٠) من سورة النحل == ٥٢٧ -

* إلحاق بعض الكلام ببعض - إذا كان له وجه صحيح - أولى من القول بتفرقه (١).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن معنى "حفدة": أولاد الأولاد) صحيح - من وجهة نظري - لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، ولما أوردته من قواعد تؤيد القول الراجح.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) انظر: تفسير الطبري (٤٦٢/١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ > ? @ A B C D E F G H I J K
 \ [ZY XWU S RP ONML

في هذه الآية مسألتان.

المسألة الأولى: المراد بالعبد المملوك وبالرجل الحر المنفق (١).

يقول القرطبي رحمته الله: ﴿ > ? @ ﴾ أي بَيَّنَّ شَبَهَا، ثم ذكر ذلك فقال: ﴿ A
 B ﴾ أي: كما لا يستوي عندكم عبد مملوك لا يقدر من أمره على شيء ورجل حرّ قد
 رُزِقَ رزقاً حسناً، فكذلك أنا وهذه الأصنام... وقال قتادة: هذا المثل للمؤمن والكافر (٢).
 فذهب قتادة إلى أن العبد المملوك هو الكافر؛ لأنه لا ينتفع في الآخرة بشيء من عبادته، وإلى
 أن معنى ﴿ G H I J K ﴾ المؤمن. والأول عليه الجمهور من أهل العلم
 والتأويل (٣).

طريقة الترجيح: ذكر قول الجمهور دون تعقب إشارة إلى موافقته لهم.

Ø للمفسرين في تعيين المراد بالآية قولان:

القول الأول - المراد بالمملوك: الأصنام، وبالحر المنفق: الله جل جلاله.

فيكون المعنى: كما لا يستوي عندكم عبد مملوك لا يقدر من أمره على شيء ورجل حر
 قد رزق رزقاً حسناً؛ فكذلك أنا وهذه الأصنام.

وهو ما رجحه القرطبي رحمته الله موافقاً أبا جعفر النحاس وابن عطية (٤)، ووافقهم ابن

(١) وفي قوله تعالى: " وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم " (النحل: ٧٦) قولان أيضاً كالقولين في هذه المسألة.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧ / ٢٦٠).

(٣) تفسير القرطبي (١٢ / ٣٨٢).

(٤) انظر: معاني القرآن (٤ / ٩١) المحرر الوجيز (٤ / ١٨٦).

القيم (١).

وهذا القول مروى عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (٢) ومجاهد (٣) والضحاك (٤) والحسن (٥).
وقال بهذا المعنى: الزجاج والزمخشري والواحدي وابن جزري وأبو حيان وجلال الدين السيوطي والألوسي وابن عاشور (٦).
واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:
* أن الظاهر من سياق الآيتين بطلان أمر الأصنام.

* أن السباق واللاحق يقويان هذا المعنى؛ فسباق الآية ﴿ ! " # \$ % & ' () * + , - . / ﴾ ولاحقها ﴿ [^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z { } ﴾ والآخر لم يختلف
المفسرون في كونه مضرًا وبالله والأصنام إلا من شذ منهم (٧).

- قال ابن القيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تعليقه اختياره لهذا المعنى: (.... فإنه أظهر في بطلان الشرك،
وأوضح عند المخاطب، وأعظم في إقامة الحجة، وأقرب نسبًا بقوله ﴿ ! " # \$ % & ' () * + , - . / ﴾ (٨).

(١) انظر: بدائع التفسير (١١٤/٢).

(٢) انظر: الدر المنثور (٨٥/٩).

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢٢٩٢/٩) الدر المنثور (٨٥/٩).

(٤) انظر: تفسير الضحاك ص ٥٢١

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢٢٩٢/٩) الدر المنثور (٨٥/٩).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢١٣/٣) الكشاف (٣٧٩/٣) الوجيز (٤٢٨/١) التسهيل (٨٠/٢) البحر

المحيط (٢٦٨/٧) تفسير الجلالين (٤٧٥/٤) فتح القدير (٤/٢٤٥) التحرير والتنوير (٢٢٣/١٤).

(٧) انظر: معاني القرآن للنحاس (٩١/٤).

(٨) بدائع التفسير (١١٤/٢).

القول الثاني- المراد بالمملوك: المشرك، وبالحر المنفق: المؤمن.

وهذا القول مروى عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(١) وقتادة ومقاتل^(٢).

ورجحه الطبري^(٣)، وهو قول عبد الرزاق الصنعاني والبغوي وابن كثير والسمرقندي^(٤).

و احتج لهذا القول بأن الله تعالى قال: "عبداً" والصنم لا يسمى عبداً^(٥).

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض القولين السابقين ما يلي:

§ أن كلا القولين وارد عن السلف.

§ أن الظاهر من السياق هو الأول.

§ أن القول الثاني من لوازم المثل المضروب وأحكامه المستنبطة منه والأمر التي نبه

عليها وأرشد إليها.

§ أن حمل الآية على المعنيين ممكن.

- قال ابن القيم في قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وهو المعنى الثاني في الآية -: (فذكره ابن

عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا منبهاً على إرادته، لا أن الآية اختصت به. فتأمله فإنك تجده كثيراً في كلام

ابن عباس وغيره من السلف في فهم القرآن، فيظن الظان أن ذلك هو معنى الآية التي لا

معنى لها غيره، فيحكيه قوله)^(٦).

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧ / ٢٦٠) تفسير ابن أبي حاتم (٩ / ٢٢٩٢) الدر المنثور (٩ / ٨٥).

(٢) انظر: تفسير مقاتل (٢ / ٢٣٠).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧ / ٢٦٠).

(٤) انظر: تفسير عبد الرزاق (٢ / ٣٥٩) معالم التنزيل (٥ / ٣٢) تفسير القرآن العظيم (٤ / ٥٨٨) بحر العلوم (٢ /

٤٧٦).

(٥) انظر: تفسير السمعاني (٣ / ١٨٩).

(٦) بدائع التفسير (٢ / ١١٤).

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو (أن المراد بالمملوك: الأصنام، وبالحر المنفق: الله جل جلاله)
يشهد بصحة هذا المعنى ما ظهر من نتائج مناقشة الأقوال وما نطقت به قاعدة الترجيح الآتية:

* إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك^(١).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن المراد بالمملوك: الأصنام، وبالحر المنفق: الله جل جلاله) صحيح حسب ما ظهر لي من مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، وقواعد الترجيح.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) انظر: قواعد الترجيح (١/١١١).

المسألة الثانية: تعيين مفسر الضمير في ﴿أكثرهم﴾.

يقول القرطبي رحمته الله: ﴿X Y﴾ أي: أكثر المشركين ﴿Z﴾ [أن الحمد لي وجميع النعمة مني. وذكر الأكثر وهو يريد الجميع، فهو خاص أريد به التعميم. وقيل: أي: بل أكثر الخلق لا يعلمون، وذلك أن أكثرهم المشركون^(١).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرّض.

Ø ورد في تعيين مفسر الضمير قولان:

القول الأول- إن مفسر الضمير في "أكثرهم": المشركون.

فيكون المعنى: أكثر المشركين لا يعلمون أن الحمدي وجميع النعمة مني.

وهو ما رجحه القرطبي، ووافقه أبو حيان^(٢) رحمهما الله.

وقال به: ابن الجوزي والبعوي وجلال الدين السيوطي وأبو السعود والأوسمي وابن

عاشور^(٣).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن سياق الآيات في الإخبار عن المشركين، فيكون مرجع الضمير إليهم.

* أن نفي العلم مسند إلى أكثر المشركين لأن منهم من يعلم الحق ويكابّر استبقاءً

للسيادة واستجلاباً لطاعة دهمائهم، فهذا ذم لأكثرهم بالصراحة وهو ذم لأقلهم بوصمة

المكابرة والعناد بطريق التعريض.

القول الثاني- إن مفسر الضمير في "أكثرهم": الناس، مؤمنهم وكافرهم.

(١) تفسير القرطبي (١٢/٣٨٦).

(٢) انظر: البحر المحيط (٧/٢٦٨).

(٣) انظر: زاد المسير (٤/١١٣) معالم التنزيل (٥/٣٢) تفسير الجلالين (٤/٤٧٥) إرشاد العقل السليم

(٤/١٤٠) روح المعاني (١٠/٢٤٥) التحرير والتنوير (١٤/٢٢٦).

و هو قول الواحدي وابن كثير (١).

و احتج لهذا المعنى بأن أكثر الخلق مشركون، استناداً إلى:

- قوله تعالى ﴿ ٩ : : > = < ; ؟ ﴾ يوسف: ١٠٦.

- وقوله ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا ﴾ هود: ١٧.

- وقوله ﴿ @ A B C D E F G H I J K L ﴾

﴿ M ﴾ الإسراء: ٨٩.

- وقوله: ﴿ \] ^ _ ` a b c d ﴾ الشعراء: ٨-٦٧-١٠٣-١٢١-١٣٩.

١٥٨-١٧٤-١٩٠.

و غيرها من المواضع التي تنص على أن أكثر الناس لا يؤمنون.

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض القولين السابقين ما يلي:

§ أن سياق الآيات يؤيد القول الأول؛ لاتصال الإخبار عن المشركين.

§ أن القول الأول خاص، والثاني عام.

§ أن القول الثاني يرجع إلى الأول؛ حيث إن أكثر الناس هم المشركون.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو (أن مفسر الضمير في " أكثرهم ":

المشركون)

يشهد بصحة هذا قاعدة الترجيح الآتية:

* من وجوه الترجيح: أن يشهد لصحة القول سياق الكلام ويدل عليه ما قبله أو ما

بعده (٢).

(١) انظر: الوجيز (١/ ٤٢٨) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٨٨).

(٢) انظر: مقدمة تفسير ابن جزي (١/ ٤٢).

* أن السياق من مخصصات العموم (١).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن مفسر الضمير في " أكثرهم ":
المشركون) صحيح - من وجهة نظري - لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال، ولما قدمته من
قواعد علمية تؤيد القول الراجح.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) انظر: البحر المحيط في أصول الفقه (٤/٢٣٤) وإرشاد الفحول (١/٣٤٦).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ } - السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ ۗ هُوَ أَقْرَبُ إِلَيْكَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ ﴾
في هذه الآية مسألتان.

المسألة الأولى: علة تشبيه مجيء الساعة بلمح البصر.

يقول القرطبي رحمته الله: (واللَّمْحُ: النظر بسرعة، يقال: لَمَحَهُ لَمَحًا وَلَمَحَانًا. ووجه التأويل: أن الساعة لما كانت آتية ولا بد جُعلت من القرب كلمح البصر. وقال الزجاج: لم يُرد أن الساعة تأتي في لمح البصر، وإنما وصف سرعة القدرة على الإتيان بها؛ أي: يقول للشيء كن فيكون^(١)). وقيل: إنما مثل بلمح البصر لأنه يلمح السماء مع ما هي عليه من البعد من الأرض. وقيل: هو تمثيل للقرب، كما يقول القائل: ما السَّنة إلا لحظة، وشبَّهه. وقيل: المعنى هو عند الله كذلك لا عند المخلوقين؛ دليله قوله: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۖ وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾
المعارج: ٦-٧) (٢).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرير.

Ø في هذه الآية ثلاثة أقوال:

القول الأول - علة تشبيه مجيء الساعة بلمح البصر: هو القرب.

وهو ما رجحه القرطبي رحمته الله، وهذا القول مروى عن قتادة^(٣) والسدي^(٤) وابن جريج^(٥).

وهو قول الطبري والزمخشري وابن الجوزي والبغوي وأبي حيان والسمين الحلبي

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/٢١٤).

(٢) تفسير القرطبي (١٢/٣٨٨).

(٣) انظر: تفسير عبد الرزاق (٢/٣٨٩) تفسير الطبري (١٧/٢٦٤).

(٤) انظر: الدر المنثور (٩/٨٩).

(٥) انظر: الدر المنثور (٩/٨٩).

والسيوطي والألوسي (١).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن هذا القول هو المروي عن السلف.

* أن قوله ﴿هُوَ أَقْرَبُ﴾ قرينة على أن مراد الآية قرب الوقوع وسرعته.

* أن تشبيه سرعة وقوع الأمر بلمح البصر مشهور في كلام العرب وأمثالها (٢).

* أن تشبيه سرعة وقوع الأمر بلمح البصر له نظير في القرآن، هو قوله تعالى: ﴿

\$ % & القمر: ٥٠.

- يقول الطاهر بن عاشور: (والمقصود الكناية عن أسرع ما يمكن من السرعة، أي:

وما أمرنا إلا كلمة واحدة... وهذا التشبيه في تقريب الزمان أبلغ ما جاء في الكلام العربي) (٣).

* ورد في السنة وصف لوقوع الساعة كأسرع ما يقع الأمر، ومن ذلك قوله ^:

«... ولتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقوم الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقوم الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه، ولتقوم الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها» (٤).

القول الثاني - علة تشبيه مجيء الساعة بلمح البصر: هو قدرته تعالى على سرعة الإتيان

بها.

و هو قول الزجاج، وقال به: ابن أبي زمنين والواحدي وابن عطية والفخر الرازي وابن

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٦٤) الكشاف (٣/ ٣٨١) زاد المسير (٤/ ١١٥) معالم التنزيل (٥/ ٣٤) الدر

المصون (٧/ ٢٧١) تفسير الجلالين (٤/ ٤٧٧) البحر المحيط (٧/ ٢٧١) روح المعاني (١٠/ ٢٤٩).

(٢) انظر: مجمع الأمثال (١/ ١٥٥).

(٣) التحرير والتنوير (٢٧/ ٢٢٠).

(٤) صحيح البخاري - كتاب الرقاق - باب قول النبي ^ «بعثت أنا والساعة كهاتين» (٩/ ٢٠٣) برقم ٦٥٠٦.

جزى وابن كثير والشوكاني والطاهر بن عاشور^(١).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

* أن وصف سرعة قدرة الله تعالى في الخلق والبعث له نظائر في القرآن، منها:

- قوله تعالى: ﴿ وَصَوَّرَهُمْ قِيَمًا سَوًا ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُ ۗ ﴾

﴿ فَيَكُونُ ﴾ آل عمران: ٥٩.

- وقوله: ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْثُبُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ ﴾ لقمان: ٢٨.

قال ابن عاشور: (ووجه الشبه هو كونه مقدوراً بدون كلفة، لأن لمح البصر هو أمكن

وأسرع حركات الجوارح)^(٢).

القول الثالث - علة تشبيه مجيء الساعة بلمح البصر: أنها عند الله كذلك لا عند

المخلوقين.

و احتج لهذا القول بأن له نظائر في القرآن، منها:

* قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ دُخَانًا وَسَاءَ لِمَنْ أَهْلَكَ الْأَنْجَارُ ۗ وَالْأَرْضُ نَارٌ كَالْعِزَّةِ وَالنَّارُ حَرٌّ كَالْبُخَارِ ۗ وَاللَّهُ يَخْتَارُ ۗ ﴾

الحج: ٤٧.

* وقوله: ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۖ وَرَأَيْنَهُ قَرِيبًا ۖ ﴾ المعارج: ٦-٧.

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض الأقوال السابقة ما يلي:

§ أن القول الأول هو المروي عن السلف.

§ أن القول الثاني من لوازم القول الأول؛ إذ قرب وقوع أمر الساعة وسرعة الإتيان بها

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي زمنين (٤١٢/٢) الوجيز (٤٢٩/١) المحرر الوجيز (١٨٧/٤) مفاتيح

الغيب (٤٤٠/٩) التسهيل (٨١/٢) تفسير القرآن العظيم (٥٨٩/٤) فتح القدير (٢٤٧/٤) التحرير

والتنوير (٢٣٠/١٤).

(٢) التحرير والتنوير (٢٣٠/١٤).

يلزم منه بيان قدرة الله في هذا الأمر.

§ أنه لا مانع من أن يكون وقوع أمر الساعة عند المخلوقين كلمح البصر، وهذا اعتراض يرد على القول الثالث.

§ أن أظهر الأقوال هو الأول لأمر:

- أنه تفسير السلف.
- أنه الظاهر من الآية، بقريئة لفظية في السياق: ﴿هُوَ أَقْرَبُ﴾.
- أنه المشهور من استعمال العرب لهذا التشبيه.
- أن له نظيراً في القرآن.
- أن له شاهداً من السنة.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو (أن علة تشبيه مجيء الساعة بلمح البصر: هو القرب)

يشهد بصحة هذا ما ظهر من نتائج مناقشة الأقوال، وما تنص عليه قواعد الترجيح الآتية:

- * تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم (١).
- * إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه (٢).
- * القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه (٣).
- * القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك (٤).

(١) قواعد الترجيح (٢٤٣/١).

(٢) قواعد الترجيح (١٨٣/١).

(٣) قواعد الترجيح (٢٦٩/١).

(٤) المصدر السابق (٢٨١/١).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن علة وصف مجيء الساعة بلمح البصر: هو القرب) صحيح؛ لما ظهر من مناقشة الأقوال، ولما قدمته من أدلة تؤيد القول الراجح.

والله تعالى أعلم بالصواب

المسألة الثانية: معنى «أو».

يقول القرطبي رحمته الله: ﴿هُوَ أَقْرَبُ﴾ ليس "أو" للشك بل للتمثيل بأيها أراد الممثل. وقيل: دخلت لشك المخاطب. وقيل: "أو" بمنزلة بل^(١).

طريقة الترجيح: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمرير.

Ø في معنى "أو" في هذه الآية أربعة أقوال:

القول الأول- إن "أو" للتخير، أي: التمثيل بأيها أراد الممثل.

وهو ما رجحه القرطبي رحمته الله، وقال به: الشوكاني^(٢).

القول الثاني- إن "أو" للإضراب، بمعنى بل.

وهو مروى عن مقاتل^(٣).

وهو قول الفراء والبغوي وابن الجوزي والفخر الرازي والطاهر بن عاشور^(٤). قال

ابن عاشور: (و"أو" في ﴿هُوَ أَقْرَبُ﴾ للإضراب الانتقالي، إضراباً عن التشبيه الأول

بأن المشبه أقوى في وجه الشبه من المشبه به، فالتكلم يخيل للسامع أنه يريد تقريب المعنى

إليه بطريق التشبيه ثم يعرض عن التشبيه)^(٥).

القول الثالث- إن "أو" للإبهام على المخاطب.

وهو قول أبي حيان^(٦).

و احتج لقوله بأن استخدام "أو" بهذا المعنى له نظائر في القرآن، منها:

(١) تفسير القرطبي (١٢/٣٨٩).

(٢) انظر: فتح القدير (٤/٢٤٧).

(٣) انظر: تفسير مقاتل (٢/٢٣٢).

(٤) انظر: معاني القرآن (٢/١١١) معالم التنزيل (٥/٣٤) المدمش (١/٣) مفاتيح الغيب (٩/٤٤٠) التحرير

والتنوير (١٤/٢٣٠).

(٥) انظر: التحرير والتنوير (١٤/٢٣٠).

(٦) انظر: البحر المحيط (٧/٢٧١).

§ قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ الصافات: ١٤٧ وهو تعالى قد علم عددهم.

§ وقوله: ﴿أَتَتْهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ يونس: ٢٤ وهو تعالى قد علم متى يأتيها أمره، كما علم أمر الساعة، لكنه أبهم على المخاطب.

القول الرابع - إن " أو " للشك من المخاطب (١).

و هو قول ابن عطية (٢).

- قال **رحمته الله**: (فلو اتفق أن يقف على ذلك محصل من البشر لكانت من السرعة بحيث يشك هل هي كلمح البصر أو هي أقرب من ذلك، ف" أو " على هذا على بابها في الشك) (٣).

مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية:

يتبين من عرض أقوال المفسرين ما يلي:

§ أن القول الأول متعقب بأن التخيير إنما يكون في المحظورات كقولهم: خذ من مالي

ديناراً أو درهماً، أو في التكاليف كآية الكفارات: ﴿ P R Q T S U V

W X Y Z [\] ^ _ ` a b c d e f g h i j

k l m n o p q r s t u v w x

في الأخبار.

§ أن القول الثاني هو المروي عن السلف.

§ أن القول الثاني متعقب بأن الإضراب له قسمان وكلاهما لا يصح هنا:

- إما أن يكون إبطالاً للإسناد السابق وأنه ليس هو المراد، وهذا لا يصح في كلام الله.

(١) ويحرم نسبة الشك إلى المتكلم؛ لأن الشك مستحيل في حق الله تعالى.

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ١٨٧).

(٣) المحرر الوجيز (٤/ ١٨٧).

- وإما يكون انتقالاً من شيء إلى شيء من غير إبطال للمعنى السابق، وهذا مستحيل هنا للتنافي بين المعنيين: كونهم كالمح البصر، وكونه أقرب من ذلك، فلا يمكن صدقهما معاً. ولكن هذه الاعتراضات لا تقدر في صحة المعاني المذكورة. § أن جميع المعاني متساوية في القوة، وحمل الآية على الجميع ممكن؛ إذ لا دليل يقطع بقوة أحدها أو ضعفه.

الرأي الراجح:

يظهر من خلال المناقشة السابقة أن الرأي الراجح هو (صحة حمل الآية على جميع المعاني)

يشهد بصحة هذا قواعد الترجيح الآتية:

- * إذا ورد أكثر من تفسير لغوي صحيح تحتمله الآية بلا تضاد جاز تفسير الآية بها (١).
- * كل حرف له معنى متبادر ثم استعمل في غيره فإنه لا ينسلخ من معناه الأول بالكلية، بل يبقى فيه رائحة منه ويلاحظ معه (٢).

الحكم على ترجيح القرطبي رحمته الله

بهذا يتبين أن ترجيح الإمام القرطبي رحمته الله وهو (أن " أو " للتخيير) هو بعض القول الراجح — والله أعلم — لما ذكرته أثناء مناقشة الأقوال الواردة في تفسير الآية، ولقواعد الترجيح المؤيدة للقول الراجح.

والله تعالى أعلم بالصواب

(١) انظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم ص ٥٩١

(٢) انظر: قواعد التفسير (١/٣٨٣).

الخاتمة

و بعد شكر الله على ما أكرمني به من توفيق لإتمام هذا البحث، أذكر أهم النتائج والتوصيات:

• أهم نتائج البحث:

أولاً- إحصائيات البحث:

- عدد المسائل الترجيحية: ٨٣ مسألة.
- عدد المسائل التي وافق ترجيح القرطبي القول الراجح: ٤٦ مسألة.
- عدد المسائل التي قوي فيها ترجيح غيره: ٣٧ مسألة.
- عدد مصادر البحث ومراجعته: ٣٧٧ مرجعاً.

ثانياً- نتائج القسم النظري:

١. أن القرطبي رحمه الله كان يتمتع بسماة أثرت في قوة علمه، وفي تلقي تفسيره بالقبول في الأوساط العلمية جيلاً بعد جيل، منها:
 - النشأة في بيئة علمية ومجالسة جهابذة العلماء في مختلف الفنون.
 - التواضع وطرح التكلف.
 - عفة اللسان عن المخالف في الرأي.
 - طلب العلم في مرحلة مبكرة من حياته بمنهجية متميزة كان يتتهجها أهل الأندلس ويختصون بها؛ وهي البدء بتعلم القرآن والعربية جنباً إلى جنب، في حين أن بقية الأمصار يقدمون تعلم القرآن وحده.
٢. أن التفرغ لعمل مع التركيز فيه هو سر جودته وعمقه، فما نجده في تفسير القرطبي رحمه الله من الاتساع والعمق مع التحرير وجودة الترتيب وقوة الطرح هو بفضل انعزاله عن الناس وتفرغه للتأليف، وهذا يتكرر في سير العلماء الذين تفرغوا للكتابة والتأليف فأخرجوا مصنفاتٍ قلّ أن يجود غيرهم بمثلها.

٣. أن على طالب العلم المتخصص في علم من العلوم أن يحرص على أمرين:
- أ- التفنن في بقية العلوم الأخرى لتحقيق التوازن العلمي المطلوب؛ فالقرطبي رحمته الله - إضافة إلى تصدره في علم التفسير - كان محدثاً فقيهاً أصولياً مؤرخاً عالماً بالقراءات وحروفها، وهذا أضفى على مؤلفاته سمة القوة العلمية والموسوعية.
- ب- القيام بدوره الإصلاحي التربوي: والقرطبي أبرز من يقتدى بهم في هذا المجال؛ فقد كان داعيةً مصلحاً، ملاً كتبه بالرد على الصوفية والشيعية والمتكلمين وغيرهم من المبتدعة وأهل الأهواء، إلى جانب مؤلفاته في النصح والوعظ.

ثالثاً - نتائج القسم التطبيقي:

١. استخلاص الأقوال التفسيرية الصحيحة في القدر المخصص للدراسة.
٢. أن أكثر ترجيحات القرطبي جاءت موافقةً للقول الراجح في تفسير الآية، وهذا برهانٌ على تحريه للصواب، واتباع الدليل.
٣. أن للقرطبي رحمته الله منهجية علمية فريدة أثرت في قوة ترجيحاته، منها:
 - الاجتهاد وترك التقليد.
 - عدم التعصب للمذهب.
 - تقديم المأثور على الرأي.
 - الجمع بين الرواية والدراية.
 - الاستدلال للأقوال ومناقشة الأدلة ونقدها.
 - العمل بقواعد الترجيح المعتمدة.
٤. تبين بالدراسة أن تفسير القرطبي من التفاسير الموسوعية المحررة، بخلاف ما يشتهر عنه من كونه تفسيراً فقهياً فحسب.
٥. أن مما يتميز به تفسير القرطبي رحمته الله: دقة الاستنباطات، واستلال بديع الفوائد من الآيات بلطفاً نادرة، ولم أجد من أشار إلى هذا من قبل.
٦. أن الوصول إلى القول الراجح في التفسير أمرٌ شاقٌ في الغالب؛ إذ يحمل المفسر على

استفراغ الوسع في حشد الأدلة، ثم بذل الجهد في النظر فيها، وهو يستلزم في ذلك كله: الروية والصبر وطول التأمل، وربما يتعذر مع كل ذلك الوصول إلى القول الراجح، فيتعين سؤال أهل العلم واتخاذ الأسباب المتنوعة للوصول إلى الحق.

رابعاً- نتائج تربوية:

١. أن دراسة الترجيحات العلمية دراسة موازنة مقارنة تصقل ملكة طالب العلم على تحرير الأقوال المختلفة وتمييز أقربها للصواب.

٢. أن لطول ممارسة الطالب لقواعد الترجيح أثراً في تطوير مهارات التفكير لديه، وتطوير قدرته على التفريق بين المشابهات، ونقد الأفكار بموضوعية.

٣. أن نقد الأقوال وتحريها يكسب الطالب مهارة المناظرة ومناقشة الخصم بمنهجية علمية مؤصلة.

٤. أن على طالب العلم الانفتاح على مصادر المعلومات المتعددة في هذا العصر، فقد توقفت في مسألة موضع خروج العسل من النحلة عند قوله تعالى: ﴿p o q t s r﴾ النحل: ٦٩ هل هو من فمها أم من أسفلها - كتوقف شيخي القرطبي رحمته الله - قرابة أسبوعين، حتى اهتديت للبحث عن أفلام وثائقية في حياة النحل، ورأيتها كيف تُخرج العسل من فيها وتضعه في الخلية، فاستطعت - بفضل الله - الترجيح بناءً على ذلك.

• أهم توصيات البحث:

١. أن يولي القائمون على وضع المناهج الدراسية في قسم الكتاب والسنة عنايتهم بوضع منهج لدراسة الترجيح وقواعده وتطبيقه على كتب المفسرين.

٢. أن تُخرج جامعة أم القرى الكنوز العلمية - الموجودة في الرسائل العلمية التي عُنت بدراسة ترجيحات المفسرين - إلى النور، وذلك بإحدى طريقتين:

الأولى: جمع ترجيحات كل مفسر وطباعتها في مجلد واحد، ويمكن أن يُسمى الكتاب

المستخلص من الرسائل العلمية التي درست ترجيحات القرطبي في التفسير: (الصحيح المختصر من مسائل تفسير الإمام القرطبي) ويُفضل أن يكون هذا مجلداً مُلحقاً بتفسير القرطبي.

الثانية: جمع الأقوال الراجعة في التفسير من جميع الرسائل التي عنيت بدراسة ترجيحات المفسرين، ثم يُوازن بينها لاستخلاص قولٍ واحدٍ راجحٍ فقط في كل مسألة تفسيرية، ثم تطبع تحت مسمى (التفسير المختصر الصحيح).

هذا، والله تعالى هو أعلم العالمين، وأحكم الحاكمين

سبحانك ربنا لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات..

الفهارس

- أولاً- فهرس الآيات القرآنية
- ثانياً - فهرس الأحاديث المرفوعة
- ثالثاً - فهرس الآثار
- رابعاً - فهرس الشواهد الشعرية
- خامساً - فهرس الأعلام المترجم لهم
- سادساً - فهرس المصطلحات العلمية المشروحة
- سابعاً - فهرس البلدان والأماكن
- ثامناً - فهرس القبائل والعشائر
- تاسعاً - فهرس الفرق والمذاهب
- عاشراً - فهرس المصادر والمراجع
- حادي عشر - فهرس المحتويات

أولاً - فهرس الآيات القرآنية

رقم الصفحة	السورة ورقم الآية	طرف الآية
٢٦٧	الفاحة: ٢	﴿ (' & ﴾ -
٣٣٦	الفاحة: ٥	﴿ 5 4 3 2 ﴾ -
٣٣٦	الفاحة: ٦	﴿ 9 8 7 ﴾ -
٣٣٦	الفاحة: ٧	﴿ C BA @ ? > = < ; ﴾ -
١٢٩	البقرة: ٧	﴿ 6 5 4 3 2 1 0 / . - ﴾ -
٤٣٣	البقرة: ٩٨	t s r q p o n m ﴿ x w v u ﴾ -
٣٨٤	البقرة: ١١٤ المائدة: ٤١	﴿ b a ` _ ^] \ [Z ﴾ -
٤٤	البقرة: ١٨٧	﴿ ! & % \$ # " ! ﴾ -
٣٨٤	البقرة: ٢٠١	﴿ © مَن يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ ﴿ ١ ٢ ﴾ -
٢٩٧	البقرة: ٢١٤	﴿ مَسْتَهْمُ الْبِاسَاءِ ﴿ ١ ٢ ﴾ الرُّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَمَن نَّصَرَ اللَّهُ ﴿ ﴾ -
٢٥	البقرة: ٢٢٨	﴿ L K J I H ﴾ -
٤١٦	البقرة: ٢٣١ آل عمران: ١٠٣ فاطر: ٣	﴿ A @ ? > ﴾ -
٤٣٣	البقرة: ٢٣٨	﴿ ' & % \$ # " ! ﴾ -

رقم الصفحة	السورة ورقم الآية	طرف الآية
		﴿ (
١٢٩	البقرة: ٢٥٧	﴿) (' & % ﴾ -
٤١٢	البقرة: ٢٦٠	﴿ 2 1 0 / . ﴾ -
٥٣٩	آل عمران: ٥٩	﴿ } { z y x w v ﴾ -
٤٤٧	آل عمران: ٨٣	﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ -
٤١٧	آل عمران: ١٠٣	﴿ Q P O N M L K J I H ﴾ -
٣٨٣	آل عمران: ١٢٠	﴿ إِنْ تَمَسَّكُمُ حَسَنَةٌ نَسُّوهُمْ ﴾ -
٣٨٤	آل عمران: ١٤٨	﴿ فَتَأْتِيهِمُ اللَّهُ تَوَابًا دُنْيَا وَآخِرَةً حَسَنًا وَتُؤْتِيهِمُ الْأَخْرَجَةَ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ -
٢١١	آل عمران: ١٨٥ الأنبياء: ٣٥ العنكبوت: ٥٧	﴿ q p o n ﴾ -
٤٢٤	آل عمران: ١٩٦	﴿ V U T S R Q P ﴾ -
٢٧	النساء: ٣	﴿ ^] \ [Z Y X W V U T ﴾ - ﴿ _ ﴾ -
١٢٠	النساء: ٢٤	﴿ + *) (' & % \$ # " ﴾ - ﴿ , ﴾ -
٩١	النساء: ٨٢	﴿ X W V U T S R Q P O ﴾ -
٤٠٠	النساء: ٩١	﴿ فَخَذُّوهُمْ وَأَقْبَلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ -
٣٤٣	النساء: ٩٧	﴿ U T S R Q P ﴾ -
٣٣٠	النساء: ١٦٥	﴿ P O N ﴾ -

رقم الصفحة	السورة ورقم الآية	طرف الآية
٣٠٢	النساء: ١٧١	5 4 3 2 1 0 / . ﴿ - ﴿ 9 8 7 6
١٣٤	المائدة: ٤٤	﴿ b a ﴾ -
١٣٥	المائدة: ٦٧	﴿] \ [z ﴾ -
٤٩٠	المائدة: ٩٠	, + *) (' & % \$ ﴿ - ﴿ -
٣٣٠	المائدة: ٩٢	﴿ T S R Q P O ﴾ -
١٤٣	الأنعام: ٧	﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَابٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ﴿١﴾ ﴿ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾
٣٩١	الأنعام: ٢٣	﴿ { } ~ قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ﴾ -
٣٩١	الأنعام: ٢٤	﴿ انظُرْ كَيْفَ ﴿١﴾ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢﴾
٤٥٣	الأنعام: ٣٨	﴿ N M L K J I H G F E D C ﴾ -
٤٥٣	الأنعام: ٩٧	N M L K J I H G F E ﴿ - ﴿ O
٤٢٣	الأنعام: ١١٠	﴿ وَنَقَلْنَا أَعْدَانَهُمْ وَابْصُرْهُمْ كَمَا لَرِيًّا مُنْأَبِهِ ۗ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿١﴾
٣٤٨	الأنعام: ١٢٢	p o n m l k j i h g ﴿ - ﴿ x w v u t s r q
٣٣٢	الأنعام: ١٥٣	﴿ N M L K J ﴾ -
٢٧٦	الأنعام: ١٥٩	﴿ R Q P O N M L K J I ﴾ -
٤٩١	الأنعام: ١٦٤ الإسراء: ١٥	﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿١﴾

رقم الصفحة	السورة ورقم الآية	طرف الآية
	فاطر: ١٨ الزمر: ٧	
٣٧٥	الأعراف: ٣٧	- ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُم مَّرْسَلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا آيِنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾
٢٤٩	الأعراف: ٦٣	- ﴿s r q p o n m l k﴾
٢٥٤	الأعراف: ٧٣	- ﴿بَيْنَهُ مِن رَّبِّكُمْ هٰذِهِ نَافَةٌ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾
١٩٠	الأعراف: ٥٧	- ﴿μ ¶ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ﴾
٤٢٤	الأعراف: ٩٧	- ﴿< ; : 9 8 7 6 5 4﴾
٤٢٤	الأعراف: ٩٨	- ﴿F E D C B A @ ? >﴾
٣٨٣	الأعراف: ١٣١	- ﴿& % \$ # " !﴾
٢١٠	الأعراف: ١٨٧	- ﴿إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّبُهَا لَوْ قَنَّبَهَا إِلَّا هُوَ﴾
٣١٨	الأعراف: ١٨٩	- ﴿Y X W V U﴾
٣٤٩	الأعراف: ١٩١	- ﴿u t s r q p o﴾
٣٤٩	الأعراف: ١٩٢	- ﴿} { z y x w﴾
٣٤٩	الأعراف: ١٩٣	- ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾
٣٤٩	الأعراف: ١٩٤	- ﴿¶ μ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ﴾
٣٤٩	الأعراف: ١٩٥	- ﴿أَلْهَمَ أَرْجُلٌ يَّمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ﴾
٣٤٩	الأعراف: ١٩٧	- ﴿2 1 0 / . - ,﴾ ﴿5﴾
٣٤٩	الأعراف: ١٩٨	- ﴿< ; : 9 8 7﴾

رقم الصفحة	السورة ورقم الآية	طرف الآية
٤٧٠	الأنفال: ٢٢	﴿ { zy x wvut sr } ﴾ -
٢٦٧	الأنفال: ٢٤	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ ﴿μ﴾
٤٧٠	الأنفال: ٢٥	﴿ وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾
٣٥٧	الأنفال: ٣١	{ zy xwv u ts } ﴿ ~ } ﴾ -
٢٩٤	الأنفال: ٣٢	﴿ وَإِذْ قَالُوا ﴿ إن كان هذا هو الحق من عندك ﴿ μ ﴾ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا ﴿ ٩ ﴾
٤٧٠	الأنفال: ٥٥	﴿ S RQP O NML KJ ﴾ -
٢٦٦	التوبة: ٤	﴿ hg fed cb a ` ﴾ -
٤٧٧	التوبة: ١٠٧	﴿ 5 4321 ﴾ -
١٤١	التوبة: ١٢٤	﴿ < ; : 9 87 6 5 43 ﴾ - ﴿ = ﴾
١٤١	التوبة: ١٢٥	N M L K J I H G ﴿ - ﴿ R Q P O ﴾
٦٧	التوبة: ١٢٨	﴿ ~ مِنْ أَنْفُسِكُمْ } ﴾ -
٣٩٢	يونس: ٢	﴿ / . - , + *) (﴾ -
٣٩٢	يونس: ٢٤	﴿ μ ٩ ﴾ الْأَرْضُ زُخْرُفُهَا وَأَزَيَّنَّتْ ﴿
٤٧٧	يونس: ٢٦	﴿ % \$ # " ﴾ -
٤٥٦	يونس: ٢٩	s r qpo n m l k ﴿ -

رقم الصفحة	السورة ورقم الآية	طرف الآية
		﴿ t ﴾
٤٢٨	يونس: ٤٢	- ﴿ مِّنْ يَّسْتَمِعُونَ ۖ أَأَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّ وَلَوْ ۖ لَا يَعْقِلُونَ ﴾
٤٢٨	يونس: ٤٣	- ﴿ + *) (' & % \$ # " ! ﴾
٥٠٧	يونس: ٥٧	- ﴿ [Z Y X W V U T S R ﴾
٢٣٠	يونس: ٧٨	- ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِنَا عِمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا ﴾
٤٥١	يونس: ٨٨	- ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ﴾
٤٠٨	يونس: ٩٣	- ﴿ h g f e d c ﴾
١٨١	هود: ٦	- ﴿ *) (' & % \$ # " ﴾
٢٩٥	هود: ٨	- ﴿] \ [Z Y X W V U ﴾
٥٣٣	هود: ١٧	- ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا ﴾
٤٢	هود: ٣٧	- ﴿ وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا ﴾
٢٩٣	هود: ٤٠	- ﴿ F E D C B A ﴾
٣٩٢	هود: ٥٨	- ﴿ r q p o n m l k j i ﴾
٢٥٤	هود: ٦٤	- ﴿ > = < ; : 9 ﴾
٢٣٠	هود: ٨١ العنكبوت: ٣٣	- ﴿ إِلَّا أَمْرًا نَّكَ ﴾

رقم الصفحة	السورة ورقم الآية	طرف الآية
٢٩٥	هود: ٨٢	﴿ & % \$ # " ! ﴾ -
١٥٩	هود: ٩١	﴿ R Q P ﴾ -
٣٩٣	هود: ١٠١	﴿ B ﴾ - ﴿ F E D C ﴾
١٨١	يوسف: ٤	﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأَيْتَهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ -
٤٩٠	يوسف: ٨٦	﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾ -
٥٣٣	يوسف: ١٠٦	﴿ ? > = < ; : 9 ﴾ -
٤١٧	يوسف: ١٠٩	﴿ m l k j i h g f e d ﴾ - ﴿ n ﴾
٣٩٤	الرعد: ٦	﴿ ' & % \$ # " ! ﴾ - ﴿) (﴾
٢٩	الرعد: ٨	﴿ O N M L K J ﴾ -
١٣٦	الحجر: ٦	﴿ R Q P O N M L K ﴾ -
١٤٧	الحجر: ٧	﴿ [Z Y X W V U T ﴾ -
١٠٨	الحجر: ٩	﴿ m l k j i h g ﴾ -
١٣٦	الحجر: ١٠	﴿ u t s r q p o ﴾ -
١٣٦	الحجر: ١١	﴿ ~ } { z y x w ﴾ -
١٣٦	الحجر: ١٢	﴿ كَذَلِكَ نَسَلُكُمْ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ -
١٠٢	الحجر: ١٤	﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ ۙ μ ۙ فِيهِ يَعْرَجُونَ ﴾ -
١٠٢	الحجر: ١٥	﴿ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴾ -

رقم الصفحة	السورة ورقم الآية	طرف الآية
٧٤	الحجر: ١٦	﴿ ' & % \$ # " ! ﴾ -
٧٤	الحجر: ١٧	﴿ - , + *) ﴾ -
٧٤	الحجر: ١٨	﴿ 5 4 3 2 1 0 / ﴾ -
١٨٧	الحجر: ١٩	﴿ J I H G F E D C ﴾ -
١٨٧	الحجر: ٢٠	﴿ J I H G F E D C ﴾ -
١٨٧	الحجر: ٢١	U T S R Q P O N M L ﴾ - ﴿ V ﴾
٦٩	الحجر: ٢٢	﴿ _ ^] \ [Z Y X ﴾ -
١٩٩	الحجر: ٢٣	﴿ j i h g f e ﴾ -
١٢١	الحجر: ٢٤	﴿ r q p o n m l ﴾ -
١١٠	الحجر: ٢٦	﴿ } ~ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ -
١٦١	الحجر: ٣٤	﴿ : 9 8 7 6 ﴾ -
١٦١	الحجر: ٣٥	﴿ A @ ? > = < ﴾ -
٢١١	الحجر: ٣٦	﴿ H G F E D C ﴾ -
٢١١	الحجر: ٣٧	﴿ M L K J ﴾ -
٢١١	الحجر: ٣٨	﴿ R Q P O ﴾ -
٢١٦	الحجر: ٣٩	﴿ \ [Z Y X W V U T ﴾ - ﴿] ﴾
٢١٦	الحجر: ٤٠	﴿ b a ` _ ﴾ -
٧٥	الحجر: ٤١	﴿ h g f e d ﴾ -

رقم الصفحة	السورة ورقم الآية	طرف الآية
٧٦	الحجر: ٤٢	﴿ s r q p o n m l k j ﴾ - ﴿ t ﴾
١٠٠	الحجر: ٤٥	﴿ إِبْرَاهِيمَ فِي جَنَّتِ ﴾ © ﴿﴾
١٠٠	الحجر: ٤٦	﴿ أَدْخُلُوهَا وَسَلِّمْ ءَامِنِينَ ﴾
١٠٤	الحجر: ٤٧	﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ ۙ سُرُورًا مِّنْقَلِيلِينَ ﴾
٩٣	الحجر: ٤٨	﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾
٢٣٨	الحجر: ٦١	﴿ m l k j i ﴾ -
٢٣٨	الحجر: ٦٢	﴿ r q p o ﴾ -
٢٣٨	الحجر: ٦٣	﴿ z y x w v u t ﴾ -
٢٣٨	الحجر: ٦٤	﴿ } ~ لَصْدِقُونَ ﴾ -
٢٣٨	الحجر: ٦٥	﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ ۙ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾
٢٣٤	الحجر: ٦٦	﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ۙ هَتُولَاءَ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴾
٢٣٦	الحجر: ٦٧	﴿ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾
٢٣٦	الحجر: ٦٨	﴿ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءَ ضِيفِي فَلَا تَفْضَحُونْ ﴾
٢٣٦	الحجر: ٦٩	﴿ وَأَنْفِقُوا لِلَّهِ وَلَا تُخْزُونْ ﴾
٢٣٦	الحجر: ٧٠	﴿ قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾
٢٣٦	الحجر: ٧١	﴿ & % \$ # " ! ﴾ -
٢٣٦	الحجر: ٧٢	﴿ , + *) (﴾ -

رقم الصفحة	السورة ورقم الآية	طرف الآية
١٠٣	الحجر: ٧٣	﴿ O / . ﴾ -
٦٩	الحجر: ٧٥	﴿ ? > = < ; ﴾ -
٢٤٨	الحجر: ٧٧	﴿ H G F E ﴾ -
٢٤٨	الحجر: ٧٨	﴿ O N M L K ﴾ -
٢٤٨	الحجر: ٧٩	﴿ U T S R Q ﴾ -
٢٥٣	الحجر: ٨٠	﴿ [Z Y X W ﴾ -
٨٠	الحجر: ٨٢	﴿ h g f e d c ﴾ -
٢٥٣	الحجر: ٨١	﴿ a ` _ ^] ﴾ -
٧٧	الحجر: ٨٥	~ } { z y x w v u ﴾ - السَّاعَةَ لِأَيَّةٍ ﴿
١١٤	الحجر: ٨٧	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَابِ وَالْقُرْءَانَ ﴾ -
٢٧٨	الحجر: ٩٠	﴿ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴾ -
١٣١	الحجر: ٩١	﴿ \$ # " ! ﴾ -
٢٨٤	الحجر: ٩٢	﴿ (' & ﴾ -
٢٨٤	الحجر: ٩٣	﴿ , + * ﴾ -
٧٩	الحجر: ٩٤	﴿ 3 21 O / . ﴾ -
٧٠	الحجر: ٩٩	﴿ V U T S R ﴾ -
٧٧	النحل: ١	﴿ \ [Z Y X ﴾ -
١٠٩	النحل: ٢	﴿ k j i h g f e d c ﴾ -
٣١٥	النحل: ٣	{ y x w v ﴾ -

رقم الصفحة	السورة ورقم الآية	طرف الآية
		{
٣١٦	النحل: ٤	- ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾
٣١٦	النحل: ٥	- ﴿ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾
٣١٦	النحل: ٦	- ﴿ تَرْيَحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾
٣١٦	النحل: ٧	- ﴿ ! " # \$ % & ' () * ﴾
٨٥	النحل: ٨	- ﴿ 1 2 3 4 5 6 7 8 9 ﴾
٢١٦	النحل: ٩	- ﴿ E D C B A @ ? > = < F ﴾
٦٦	النحل: ١٤	- ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾
٩٣	النحل: ١٥	- ﴿ ! " # \$ % & ' ﴾
٣٥٢	النحل: ١٦	- ﴿ 1 0 / . - ﴾
٣٦١	النحل: ٢٠	- ﴿ X W V U T S R Q P O ﴾
٤٥٦	النحل: ٢١	- ﴿ a ` _ ^ \ [Z ﴾
٩٧	النحل: ٢٢	- ﴿ l k j i h g f e d c n m ﴾
٣٧٠	النحل: ٢٤	- ﴿ قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ ﴾
٣٥٨	النحل: ٢٥	- ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِهِمْ ﴾

رقم الصفحة	السورة ورقم الآية	طرف الآية
		﴿ ١١ ١٢ ﴾
٩٣	النحل: ٢٦	- ﴿ قَدَّمَكِرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾
٣٧٥	النحل: ٢٧	- ﴿ ' & % \$ # " ! ﴾ ﴿ + * ﴾
٣٩٥	النحل: ٣١	- ﴿ { z x w v u t s r ﴾ ﴿ } ﴾
٤٠٨	النحل: ٣٣	- ﴿ ١١ ١٢ تَأْتِيهِمُ الْمَلَكَةُ أَوْ يَأْتِي أَمْرٌ رَبِّكَ ﴾
٧٩	النحل: ٣٨	- ﴿ { z y x w u t s ﴾
٤١١	النحل: ٣٩	- ﴿ © لَهُمُ الَّذِينَ يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾
٩٤	النحل: ٤٠	- ﴿ ١١ لَشَيْءٍ إِذَا أَرَدْتَهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾
٤١٢	النحل: ٤١	- ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَاهَرُوا لِنُبُوَّتِهِمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾
٤١٧	النحل: ٤٣	- ﴿ (' & % \$ # " ! ﴾
٤١٧	النحل: ٤٤	- ﴿ < ; : 9 8 7 6 5 ﴾
٤٤٠	النحل: ٤٥	- ﴿ H G F E D C B A @ ﴾
٤٤٠	النحل: ٤٦	- ﴿ W V U T S R Q ﴾
٤٤٠	النحل: ٤٧	- ﴿ ` _ ^] \ [Z Y ﴾
٩١	النحل: ٤٨	- ﴿ k j i h g f e d c b ﴾
٤٥١	النحل: ٤٩	- ﴿ } { z y x w v u t ﴾ ﴿ ~ ﴾

رقم الصفحة	السورة ورقم الآية	طرف الآية
٤٥١	النحل: ٥٠	﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ ۞ يُؤْمَرُونَ ﴾
٤٦٣	النحل: ٥٢	﴿ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾
٤٧٠	النحل: ٥٣	﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۗ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَالْيَايِسُ بِخَيْرِهَا ﴾
٤٧٠	النحل: ٥٤	﴿ ثُمَّ إِذَا كُفِيَ الضَّرُّ عَنْكُمْ إِذَا مِنْكُمْ ءِشْرَكُونَ ﴾
٤٧٠	النحل: ٥٥	﴿ (' % \$# " ! ﴾
٤٧٠	النحل: ٥٦	﴿ O / . - , + * ﴾
٤٧٦	النحل: ٥٧	﴿ ? > = < : 98 ﴾
٤٧٩	النحل: ٥٩	﴿ R Q P O N M L K ﴾
٤٨٣	النحل: ٦٠	﴿ l j i h g f e d c b a ﴾ ﴿ n m ﴾
٤٩٠	النحل: ٦١	﴿ { z y x w v u t s r q p ﴾ ﴿ ~ } ﴾
٩٢	النحل: ٦٢	﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾
٥٠١	النحل: ٦٣	﴿ تَأْتِيهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ فِي يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ ﴿ أَعْمَلْتُمْ فَهُوَ وَلِيُّكُمْ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾
٩٥	النحل: ٦٧	﴿ M L K J I H G F ﴾ ﴿ N ﴾
٥١٤	النحل: ٦٨	﴿ b a ` _ ^] \ [Z Y X W ﴾ ﴿ C ﴾

رقم الصفحة	السورة ورقم الآية	طرف الآية
٩٥	النحل: ٦٩	﴿ w v u t s r q p o ﴾ -
٥٣٠	النحل: ٧٠	﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَنُوقِكُمْ وَمِنْكُمْ مَن يَرُدُّ ۖ أَزْدَلِ الْعَمْرِ ﴾ -
٩٤	النحل: ٧١	﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾ -
٩٩	النحل: ٧٢	﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ -
٩٦	النحل: ٧٥	﴿ H G F E D C B A @ ? > ﴾ - ﴿ K J I ﴾
٥٥٨	النحل: ٧٧	﴿ } ~ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ ۗ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ -
٨٨	النحل: ٨٠	﴿ , + *) (' ﴾ -
٣٨٤	النحل: ٩٧	﴿ b a ` _ ^] \ [Z Y ﴾ - ﴿ d c ﴾
٤٨٢	إبراهيم: ٢٢	﴿ e d c b a ` _ ^] \ ﴾ - ﴿ g f ﴾
٣٣٠	الإسراء: ١٥	﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ -
١٧٩	الإسراء: ٣١	﴿ R Q P ﴾ -
٥٦	الإسراء: ٤٤	﴿ h g f e d c b ﴾ -
٢٥٤	الإسراء: ٥٩	﴿ 1 0 / . - , ﴾ -
٣٠٣	الإسراء: ٨٥	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾ -
٥٣٣	الإسراء: ٨٩	﴿ H G F E D C B A @ ﴾ -
٣٠٨	الإسراء: ١٠٧	﴿ G F E D C B A @ ? > = ﴾ -

رقم الصفحة	السورة ورقم الآية	طرف الآية
		﴿H﴾
١٥٩	الكهف: ٢٠	- ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾
٤٧٧	الكهف: ٣٥	- ﴿! " # \$ % & ' () * +﴾
٤٧٧	الكهف: ٣٦	- ﴿1 0 / .﴾
٤٨١	الكهف: ٥٠	- ﴿s r q p o n m l﴾
١٦٩	الكهف: ٨٦	- ﴿8 7 65﴾
٢٩٠	مريم: ٣١	- ﴿l k j i h g﴾
١٥٩	مريم: ٤٦	- ﴿} ~ تَنْتَه لَأَرْجَمَنَّكَ﴾
٤٧٧	مريم: ٧٧	- ﴿(' & % \$ # " !﴾
٤٧٧	مريم: ٧٨	- ﴿0 / . - , + *﴾
٢٩٥	الأنبياء: ١	- ﴿' & % \$ # " !﴾
٣٠٧	الأنبياء: ١٦	- ﴿T S R Q P O N﴾
٤٤٢	الأنبياء: ٢٨	- ﴿Q P O N﴾
٣٦٦	الأنبياء: ٣٢	- ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ © مَحْفُوظًا﴾
١٨١	الأنبياء: ٣٣	- ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾
٣٠١	الأنبياء: ٤٥	- ﴿! " # \$﴾
٤١٦	الأنبياء: ٥٠	- ﴿f e d c﴾
٣٥٢	الأنبياء: ٩٨	- ﴿y x w v u t s r﴾

رقم الصفحة	السورة ورقم الآية	طرف الآية
٣٨٨	الأنبياء: ١٠٥	U T S R Q P O N M L ﴿ W V ﴾ -
٢٩٥	الحج: ٤٧	﴿ & % \$ # " ! ﴾ -
٣٧٢	الحج: ٥٤	﴿ وَلِيَعْلَمَ ﴿١﴾ أَوْتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ ﴾ -
٤٥٥	الحج: ٧١	﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ ﴿٢﴾ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ ﴾ -
٢٤٩	المؤمنون: ٢٤	{ z y x w v u t s r q p ﴿ ~ } ﴾ -
٤٦٥	النور: ٣٥	﴿ { z y ﴾ -
١٧٩	النور: ٤٥	﴿ 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . - ﴾ -
٣٥٧	الفرقان: ٥	﴿ M L K J ﴾ -
٥٣٣	الشعراء: ٨-٦٧ - ١٠٣-١٢١ - - ١٣٩-١٥٨ - ١٧٤-١٩٠	﴿ d c b a _ ^] \ ﴾ -
١٦٠	الشعراء: ١١٦	﴿ C BA @ ? > = < ﴾ -
٢٥٤	الشعراء: ١٥٤	﴿ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ ﴿٣﴾ ﴾ -
٢٥٤	الشعراء: ١٥٥	﴿ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴾ -
٣٠٢	الشعراء: ١٩٣	﴿ k j i h ﴾ -
٤٢٣	الشعراء: ٢١٩	﴿ n m l ﴾ -

رقم الصفحة	السورة ورقم الآية	طرف الآية
١٦٧	النمل: ٧	﴿ b a ﴾ -
١٨١	النمل: ١٨	﴿ i h g f e d ﴾ -
٤٧٢	النمل: ٦٥	﴿ @ ? > = < ; : 9 8 7 ﴾ -
٤٥٢	القصص: ٨	﴿ M L K J I H G ﴾ -
٢٧٧	القصص: ٤٨	﴿ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا ﴾ -
٣٧٢	القصص: ٨٠	﴿ ^] \ [Z Y X W V ﴾ - ﴿ a ` _ ﴾ -
٣١٩	العنكبوت: ١٣	﴿ وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ -
٣٩٤	العنكبوت: ٣٥	﴿ q p o n m l k ﴾ -
٣٧٢	العنكبوت: ٤٩	﴿ k j i h g f e d c ﴾ -
٤١٢	العنكبوت: ٥٣	﴿ (' & % \$ # ! ﴾ -
٢٨٧	الروم: ١٤	﴿ وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُؤْمِدُ بِنَفَرَاتٍ ﴾ -
٣٤٨	الروم: ١٩	﴿ @ ? > = ﴾ -
٥١٧	الروم: ٢١	﴿ a ` _ ^] \ [Z Y ﴾ - ﴿ b ﴾ -
٨٥	الروم: ٤٣	﴿ A @ ﴾ -
٣٧٢	الروم: ٥٦	﴿ { z y x w v u t s r q ﴾ - ﴿ } ﴾ -
٥٣٧	لقمان: ٢٨	﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ أَكْفَيْسٍ أَذُنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ ﴾ - ﴿ Ç ﴾ -

رقم الصفحة	السورة ورقم الآية	طرف الآية
٢١٠	لقمان: ٣٤	﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ -
٤٨٢	السجدة: ٥	﴿ c b a ` _ ^] \ [﴾ -
٢٩٦	الأحزاب: ٦٣	﴿ 1 0 / . - , ﴾ -
٣٧٢	سبأ: ٦	﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي © إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ ﴾ -
٤٧٧	سبأ: ٣٥	﴿ m l k j i h g f ﴾ -
٤٣٤	فاطر: ١	﴿ s r q p o ﴾ -
٤٣٤	فاطر: ٣	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ -
٣٤٩	فاطر: ١٣	﴿ H G F E D C B A @ ﴾ - ﴿ N M L K J I ﴾
٣٤٩	فاطر: ١٤	﴿ hg fe dc b a ` _ ﴾ -
٤٤٠	فاطر: ٢٨	﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ -
٤٨٢	يس: ٥٤	﴿ فَالْيَوْمَ لَا نُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾ -
٣٣٢	يس: ٦١	﴿ X W V U S ﴾ -
٤٨٢	يس: ٦٥	﴿ s r q p ﴾ -
٤٩٣	يس: ٧١	﴿ + *) (' & % \$ # " ! ﴾ - ﴿ , ﴾
٤٩٣	يس: ٧٢	﴿ 3 2 1 0 / . ﴾ -
٣٠٩	يس: ٧٧	﴿ a ` _ ^] \ [Z Y X ﴾ - ﴿ b ﴾

رقم الصفحة	السورة ورقم الآية	طرف الآية
١٥٨	الصفات: ٦	﴿ ٦ ٧ ٨ ٩ : ﴾
١٥٨	الصفات: ٧	﴿ A @ ? > = ﴾
١٥٨	الصفات: ٨	﴿ K J I H G F E D C ﴾
١٥٨	الصفات: ٩	﴿ Q P O I M ﴾
١٦٥	الصفات: ١٠	﴿ Y X W V U T S ﴾
٨٤	الصفات: ٩٥	﴿ قَالَ اتَّعَبُونَ مَا نُنَحِّتُونَ ﴾
٥٤١	الصفات: ١٤٧	﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾
٤٧٦	الصفات: ١٤٩	﴿ أَلرَّيْكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴾
٢٩٥	ص: ١٦	﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ أَعْقَابَنَا يَا قَاسِمُ ﴾
٣٠٧	ص: ٢٧	﴿ ' & % \$ # " ! ﴾
٥٦	ص: ٤٤	﴿ < ; : 9 8 7 6 5 4 ﴾
٢٧	ص: ٧١	﴿ s r q p o n m l k ﴾
١٦١	ص: ٧٨	﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعَنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾
٤٤٦	الزمر: ٣	﴿ Y X W V ﴾
١١٦	الزمر: ٢٣	﴿ > = < ﴾
٣٥٢	الزمر: ٤٣	﴿ Y X W V U T ﴾
٣٨٧	الزمر: ٧٤	﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ ﴾
١١٣	غافر: ١٥	﴿ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرٍ مِنْ عِبَادِهِ ﴾
٣٧٤	غافر: ٨٥	﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾

رقم الصفحة	السورة ورقم الآية	طرف الآية
٤٥٢	فصلت: ٤٠	﴿ V U T S I O P O ﴾ -
٤١٩	فصلت: ٤١	﴿ a ` _] \ [Z Y X ﴾ -
١٣٦	فصلت: ٤٢	﴿ o n m k j i h g f e d c ﴾ - ﴿ p ﴾
٤٧٧	فصلت: ٥٠	﴿ q p o n m l k j ﴾ -
٤٦٥	الشورى: ١١	﴿ 3 2 1 ﴾ -
٢٩٦	الشورى: ١٨	﴿ F E D C B A ﴾ -
٤٣٥	الشورى: ٢٧	﴿ ~ الأَرْضِ } { z y x ﴾ -
٤٣٥	الشورى: ٢٩	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾ -
٤٦٩	الشورى: ٣٤	﴿ ? > = ﴾ -
٣٠٢	الشورى: ٥٢	﴿ ' & % \$ # " ! ﴾ -
٤٧٦	الزخرف: ١٦	﴿ f e d c b a ` ﴾ -
٤٥٢	الزخرف: ٨٣ المعارج: ٤٢	﴿ t s r q p o n m ﴾ -
٣٠٧	الدخان: ٣٨	﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِلْعَيْبِ ﴾ -
٣٠٧	الدخان: ٣٩	﴿ مَا خَلَقْنَاهُمْ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا ﴾ -
٤٣٦	الجمانية: ٤	﴿ 7 6 5 4 3 2 1 ﴾ -
٣٤٩	الأحقاف: ٥	﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ -
٣٧٢	محمد: ١٦	﴿ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا ﴾ -
٢٠٠	ق: ٤	﴿ @ ? > = < ; ﴾ -

رقم الصفحة	السورة ورقم الآية	طرف الآية
١٩٤	الذاريات: ٢	﴿ فَالْحَمَلَتِ وَقَرًا ﴾ -
١٩٢	الذاريات: ٤١	﴿ o n m l k j i ﴾ -
٢٤٠	الذاريات: ٣٧	﴿ O N M L K J I ﴾ -
٤٧٦	الطور: ٣٩	﴿ c b a ` _ ﴾ -
٦٨	النجم: ٤	﴿ 4 3 2 1 0 ﴾ -
٢٩٦	النجم: ٥٧	﴿ b a ﴾ -
٢٩٦	النجم: ٥٨	﴿ i h g f e d ﴾ -
٢٩٦	القمر: ١	﴿ ~ الْقَمَرُ } ﴾ -
٤١٦	القمر: ٢٥	﴿ أَلْقَى الذِّكْرَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ ﴾ -
٢٣٤	القمر: ٣٤	﴿ T ﴾ -
٥٣٦	القمر: ٥٠	﴿ & % \$ # " ! ﴾ -
٤٢٧	القمر: ٤٥	﴿ سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الذُّبُرُ ﴾ -
٢٠٦	الرحمن: ١٤	﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ -
٦٦	الرحمن: ٢٢	﴿ < ; : 9 ﴾ -
٢١٢	الرحمن: ٢٦	﴿ R Q P O ﴾ -
٢٨١	الرحمن: ٣٩	﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾ -
٤٣٢	الرحمن: ٦٨	﴿ \$ # " ! ﴾ -
٣٩٣	الحديد: ١٤	﴿ [Z X W V U ﴾ -
٥٤١	المجادلة: ٣	﴿ Z Y X W V U T S R Q P ﴾ - ﴿] \ [﴾

رقم الصفحة	السورة ورقم الآية	طرف الآية
٥٤١	المجادلة: ٤	﴿ q p o n m l k j i h ﴾ -
٩٣	المجادلة: ١١	﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ ءَاوَلَعِلْمَ ﴾ -
٣٠٤	المجادلة: ٢٢	﴿ > = < ﴾ -
٣٦٧	الحشر: ٢	﴿ فَأَنذَرْتَهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي ۞ الرَّعْبِ ۞ ﴾ -
٤٠٨	الحشر: ٩	﴿ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْأَيْمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِجُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ -
١٨٥	المنافقون: ٧	﴿ N M L K J I H G F E D ﴾ - ﴿ IO ﴾
١٥٨	الملك: ٥	﴿ _ ^] \ [Z Y X ﴾ -
٤٩٤	الملك: ١٥	﴿ 9 8 7 6 5 4 ﴾ -
٥٣٥	المعارج: ٦	﴿ إِنْتَهُمْ يَرُونَهُ بَعِيدًا ﴾ -
٥٣٥	المعارج: ٧	﴿ وَنَزَلَهُ قَرِيبًا ﴾ -
١٦٥	الجن: ٨	﴿ t s r q p o n m ﴾ -
١٦٥	الجن: ٩	﴿ { z y x w v ﴾ -
٩٥	المزمل: ١٠	﴿ c b a ` _ ^] ﴾ -
٢٧٧	المدثر: ٢٤	﴿ > = < ; : 9 ﴾ -
٢٩٠	المدثر: ٤٣	﴿ قَالُوا آءَامِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾ -
٢٩٠	المدثر: ٤٤	﴿ وَلَمْ ۞ نَطْعِمِ الْمَسْكِينِ ﴾ -
٢٩٠	المدثر: ٤٥	﴿ u u مَعَ الْخَائِضِينَ ﴾ -
٢٩٠	المدثر: ٤٦	﴿ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الَّذِينَ ﴾ -
٢٩٠	المدثر: ٤٧	﴿ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴾ -

رقم الصفحة	السورة ورقم الآية	طرف الآية
٥١٧	القيامة: ٣٦	﴿n ml k j﴾ -
٥١٧	القيامة: ٣٧	﴿u tsr qp﴾ -
٥١٧	القيامة: ٣٨	﴿{ z y xw﴾ -
٥١٧	القيامة: ٣٩	﴿~ } الْزَّوْجَيْنِ الذَّكَرِ وَالْأُنثَى﴾ -
٢٤٠	النازعات: ٢٦	﴿X WV U TS﴾ -
٤٦٠	التكوير: ٨	﴿? > =﴾ -
٤٦٠	التكوير: ٩	﴿C B A﴾ -
١٩٣	الطارق: ٦	﴿; :﴾ -
٢٧٠	الأعلى: ١	﴿r qp o﴾ -
٢٧٠	الأعلى: ٢	﴿v ut﴾ -
٢٧٠	الأعلى: ٣	﴿z y x﴾ -
٢٧٠	الأعلى: ٤	﴿~ } ﴾ -
٢١٤	الفجر: ١٤	﴿a ` _﴾ -
٣٣٠	الليل: ١٢	﴿لِلَّهْدَى﴾ -
١٣٦	القدر: ١	﴿% \$ # " !﴾ -
٣١٧	الزلزلة: ٢	﴿@ ? >﴾ -
٥١١	العصر: ١	﴿!﴾ -
٥١١	العصر: ٢	﴿& % \$ #﴾ -
٥١١	العصر: ٣	﴿, + *) (﴾ -
٢٧٩	التكاثر: ٨	﴿} { z y﴾ -

رقم الصفحة	السورة ورقم الآية	طرف الآية
٥١٠	التين: ٤	﴿ ٠ / . - , + ﴾ -
٥١٠	التين: ٥	﴿ 5 4 3 2 ﴾ -

ثانياً - فهرس الأحايث المرفوعة

م	طرف الحديث	الصفحة
١	«اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله»	٧٠
٢	«إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله....»	١٦٤
٣	«أرض بيضاء مسيرة الشمس ثلاثين يوماً....»	٣٢٣
٤	«اسقه عسلاً»	٥٠٤
٥	«ألا إني أوتيتُ القرآن ومثله معه»	٦٨
٦	«الحمد لله أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني»	١١٤
٧	«الريح الجنوب من الجنة، وهي الريح اللواقح التي ذكرها الله في كتابه، وفيها منافع للناس»	٦٩
٨	«أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم»	٢٦٧
٩	«أما عثمان - أعني عثمان بن مظعون - فقد جاءه اليقين، وإني لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل به»	٧١
١٠	«إن الله سبحانه وتعالى أعطاني السبع الطوال مكان التوراة....»	٢٧١
١١	«إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يُعطي بها في الدنيا ويجزي بها في الآخرة»	٣٨٣
١٢	«إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه»	٩٠
١٣	«أنا نبي الرحمة ونبي الملحمة....»	٢٥٨
١٤	«إياكم والعصه»	٢٧٦
١٥	«بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب....»	١٨٥
١٦	«حرمت الخمر بعينها، والسكر من كل شراب»	٤٨٨
١٧	«خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»	٧٦
١٨	«صدق الله وكذب بطن أخيك»	٥٠٤
١٩	«عليكم بالشفائين: العسل والقرآن»	٥٠٦
٢٠	«قسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي....»	٢٦٨

م	طرف الحديث	الصفحة
٢١	«لا تسألوا الآيات...»	٢٥٣
٢٢	«لا تعضية في ميراث إلا فيما حمل القسم»	٢٧٥
٢٣	«لقد جئتم بالذبح، وبعثت بالحصاد...»	٢٥٦
٢٤	«للمتفرسين»	٦٩
٢٥	«لنا من دفتهم وصرامهم سلموا بالميثاق»	٣١٤
٢٦	«ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن»	٢٧٢
٢٧	«ما منعك أن تأتيني؟»... «ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن...»	٢٦٧
٢٨	«ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم...»	٤٤٧
٢٩	«نعم؛ إذا كثرت الخبث»	٤٧١
٣٠	«هو الجدي، عليه قبلتكم وبه تهتدون في بركم وبحركم»	٣٣٩
٣١	«والله لينزلن ابن مريم حكماً عادلاً...»	٣٢٦
٣٢	«... ولتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه»	٥٣٦
٣٣	«يا عمرو، نعم المال الصالح للمرء الصالح»	٣٨٨
٣٤	«يا معاذ، إن المؤمن يُسأل يوم القيامة عن جميع سعيه...»	٢٧٩
٣٥	«يجبس أهل الجنة بعد ما يجوزون الصراط...»	٢١٩
٣٦	«يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة...»	٢١٩
٣٧	﴿ & ' ﴾ يُسأل العباد كلهم يوم القيامة عن خُلَّتَيْن...»	٢٧٩
٣٨	«يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم»	٤٧٠

ثالثاً - فهرس الآثار

م	الأثر	القائل	الصفحة
١	(أراد أن يخطف السمع)	ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	١٦٥
٢	(أشرف لباس ابن آدم فيه لعاب دودة، وأشرف شرابه رجيع نحلة)	علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٤٩٧
٣	(أصحاب محمد ﷺ، ظلمهم المشركون بمكة وأخرجوهم....)	قتادة	٤٠٠
٤	(التفسير على أربعة أوجه....)	ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	١٢٩
٥	(الحسنة في الدنيا: العلم والرزق الطيب، وفي الآخرة حسنة الجنة)	سفيان الثوري	٣٨٤
٦	(الحسنة في الدنيا: العلم والعبادة، وفي الآخرة: الجنة)	الحسن البصري	٣٨٤
٧	(السبع الطول)	ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٢٦٤
٨	(العسل شفاء من كل داء، والقرآن شفاء لما في الصدور)	عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٥٠٦
٩	(المطر خزائن كل شيء)	الحسن البصري	١٨٣
١٠	(الناس والملائكة)	مجاهد	٤٣٥
١١	(أما حسنة الدنيا فالمال، وأما حسنة الآخرة فالجنة)	السدي	٣٨٤
١٢	(آمنوا ببعض وكفروا ببعض)	ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٣١٣
١٣	(إن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم قبل أن يخلقه)	مقاتل بن سليمان	٢٧
١٤	(إن رسول الله ^أ لعن العاصية والمستعصية)	عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٢٧٧
١٥	(إني لأرجو أن أكون أنا وأبوك من الذين قال الله فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ فِي سُرْرٍ مُنْقَلَبِينَ﴾)	علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٢٢٢
١٦	(أول ما يدخل أهل الجنة الجنة تعرض لهم عينان....)	ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	١٠٤
١٧	(أي: في أن يلقيهم في ذنب يمنعهم عفوي....)	سفيان بن عيينة	٧٧

م	الأثر	القاتل	الصفحة
١٨	(بلى والله حتى إن الحبارى لتموت في وكرها من ظلم الظالم)	أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٤٧٢
١٩	(تصعد الشياطين أفواجا تسترق السمع....)	ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٧٤
٢٠	(حرّض النبي ^٨ على الصف الأول في الصلاة....)	ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	١٩٩
٢١	(خطب ابن عباس وهو على الموسم، فجعل يقرأ ويفسّر، فجعلت أقول: لو سمعته فارس والروم لأسلمت)	الأعمش	٧٣
٢٢	(ذاك عثمان وطلحة والزبير وأنا)	علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٢٢٥
٢٣	(سلوني عن كتاب الله؛ فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار، في سهل أم في جبل)	علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٧٢
٢٤	(عن يمين العرش نهر من النور مثل السموات السبع....)	ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٣٢٣
٢٥	(فمن إذن إن لم نكن نحن أولئك؟)	علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٢٢٢
٢٦	(فيما والله أهل بدر نزلت ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ﴾ ﴿سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾)	علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٢٢٠
٢٧	(كاد الضب يموت في جحره هزلا من ظلم ابن آدم)	أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٤٧٣
٢٨	(كان لرجل من المسلمين على مشرك دين فتقاضاه....)	أبو العالية	٧٩
٢٩	(كان مضر وخزاعة يدفنون البنات أحياء....)	قتادة	٤٥٨
٣٠	(كانت امرأة تصلي خلف رسول الله ^٨ حسناء من أحسن النساء....)	ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	١٢١
٣١	(كل شيء فيه رُوحٌ دابةٌ يسجدُ لله عز وجل)	الضحاك	٤٣٦
٣٢	(لباب البر بلعاب النحل بخالص السمن ما عابه مسلم)	الحسن البصري	٥١٩
٣٣	(لقد نزلت قبل أن يفرض القتال)	معتمر بن سليمان	٢٠٢
٣٤	(لما نزلت هذه الآية قال رجال من المنافقين بعضهم لبعض: إن هذا يزعم أن أمر الله أتى....)	ابن جريج	٢٩٥

م	الأثر	القائل	الصفحة
٣٥	(لو أخذ الله الخلائق بذنوب المذنبين لأصاب العذاب جميع الخلق....)	عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٤٦٩
٣٦	(ما زال النبي ^٨ مستخفياً حتى نزل قوله تعالى: ﴿ / . ﴾ فخرج هو وأصحابه)	عبد الله بن عبيد	٧٩
٣٧	(معناه هذا صراط يستقيم بصاحبه حتى يهجم به على الجنة)	عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٧٥
٣٨	(مَنْ نَفَعَ الرَّجُلَ مِنْ وَلَدِهِ)	عكرمة	٥٢١
٣٩	(نزلت في أبي بكر وعمر وعلي والصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ)	علي بن الحسين	١٠٥
٤٠	(نزلت في ثلاثة أحياء من العرب: في بني هاشم وبني تيم وبني عدي)	علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٢٢٠
٤١	(نزلت في عليّ وطلحة والزبير)	ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٢٢١
٤٢	(نسخه قوله: ﴿ فَحُدُوهُمْ وَأَقِطُوهُمْ حَيْثُ نَفَقْتُمُوهُمْ ﴾ النساء: ٩١)	قتادة	٢٥٦
٤٣	(نسل كل دابة)	ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٣١٤
٤٤	(نعم ترجمان القرآن ابن عباس)	ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٧٣
٤٥	(هذا صراطٌ يستقيم بصاحبه حتى يهجم به على الجنة)	عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٧٥
٤٦	(هذا ما وعدكم الله في الدنيا، وما ادّخر لكم في الآخرة أكثر)	عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٤١١
٤٧	(هو خلق السوس في الثياب والدود في الفواكه)	قتادة	٣٢٣
٤٨	(والذي لا إله غيره، ما منكم أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة....)	عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٢٨٠
٤٩	(والذي لا إله غيره ما من كتاب الله سورة إلا أنا أعلم حيث نزلت....)	عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٧٢
٥٠	(وقد فعل ذلك في زمن نوح عليه السلام؛ أهلك الله ما على ظهر الأرض من دابة إلا ما حمل في سفينة نوح)	قتادة	٤٧٣

م	الأثر	القائل	الصفحة
٥١	(ولنعم دار المتقين الدنيا)	الحسن البصري	٣٨٧
٥٢	(يعني: الملائكة)	ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ	٤٣٢
٥٣	(يعني البعوضة التي أهلك الله بها نمروداً)	ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ	٧٥
٥٤	(.... ولا يَعْضُهُ بَعْضُنَا بَعْضًا)	عبادة بن الصامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ	٢٧٦
٥٥	(*) > ? @ : الموتى	ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ	٣١٨

رابعاً - فهرس الشواهد الشعرية

الصفحة	القائل	البيت	
٢٧٣	رؤية بن العجاج	وليس دين الله بالمعصَى
٤٤٣	أبو الأسود الدؤلي	بدم يكون الدهر أجمع واصبا	لا أبتغي الحمد القليل بقاؤه
١٦٨	أوس بن حجر	نقع يثور تخالسه طنبا	وانقض كالدرى يتبعه
٤٣٥	علقمة بن عبد	صواعقها لطير هنديب	كأثم صابت عليهم سحابة
١٧٤	جرير	ومن لي بالمرقق والصناب	تكلفني معيشة آل زيد
٤٩٨	أبو العلاء المعري	فيعود شهاداً في طريق رصاه	والنحل يجني المثر من زهر الربا
١٦٧	ذو الرمة	مسوم في سواد الليل منقضب	كأنه كوكب في إثر عفريت
١٩٢	النابغة الذبياني	وليل أقاسيه بطيء الكواكب	كليني لهم يا أميمة ناصب
١٦٨	بشر بن أبي خازم	ينقض خلفها انقضا الكوكب	والعير يرهقها الحبار وجحشها
١٩٣	مهشل بن حري	ومختبط مما تطيح الطوائج	ليتك يزيد ضارع لخصومة
٥١٩	الراعي النميري	إذا الحداة على أكسائها حقدوا	كلفت مجهولاً نوقاً يمانية
٢٤٣	النابغة الذبياني	برداً أسف لثأته بالإثم	تجلو بقادمتي حمامة أيكاة
٤٩٠	جندل بن المشي	جعلت أعراض الكرام سكرًا
١٥٠	أوس بن حجر	فليست بطلقي ولا ساكرة	فصرت على ليلة ساهرة
٤٤٤	أعشى باهلة	ولا يعص على شرسوفه الصفر	لا يمسك الساق من أين ولا وصب
٤٨٥	الأخطل	شربهم إذا جرى فيهم المزاء والسكر	بئس الصحاة وبئس الشرب
١٥٣	جندل بن المشي	واستخفت الأفعى وكانت تظهر	جاء الشتاء واجثأ القنبر
		وجعلت عين الحرور تسكر	وطلعت شمس عليها مغفر
٥٢١	النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	لها حقد مما يعد كثير	فلو أن نفسي طاوعتني لأصبحت
		عيوف لإصهار اللثام قدور	ولكنها نفس علي أيبنة
٢٣٨	عبد الله بن أبي رواحة	والله يعلم أي ثابت البصر	إني توسمت فيك الخير أعرفه
٤٩٩	ابن الرومي	والحق قد يعتريه سوء تعبير	في زخرف القول تزيين لباطله
		وإن تعب قلت ذا قبي الزنابير	تقول هذا مجاج النحل تمدحه

الصفحة	القائل	البيت	
		سِحْرُ الْبَيَانِ يُرِي الظُّلْمَاءَ كَالنُّورِ	مَدْحًا وَدَمًّا وَمَا غَيَّرَتْ مِنْ صِفَةٍ
٤٢٦	جرير	قَدْ عَضَّ أَعْنَاقَهُمْ جِلْدَ الْجَوَامِيسِ	الْوَارِدُونَ وَتَيْمٌ فِي ذُرَا سِيًّا
٢٨٤	أبو ذؤيب الهذلي	يَفِيضُ عَلَى الْقِدَاحِ وَيَضْدَعُ	وَكَأَنَّهُنَّ رَبَابَةٌ وَكَأَنَّهُ يَسْرُ
٣٣١	زهير بن أبي سلمى	بَاطِلُهُ وَعُرِّيَ أَفْرَاسُ الصَّبَا وَرَوَّاحِلُهُ عَلَيَّ سِوَى قَصْدِ السَّبِيلِ مَعَادِلُهُ	صَحَا الْقَلْبَ عَنْ سَلْمَى وَأَقْصَرَ وَأَقْصَرْتُ عَمَّا تَعْلَمِينَ وَسُدَّدْتُ
٤٣٣	المتنبي	فَإِنَّ الْمَسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ	فَإِنَّ تَفْقِ الْأَنْبَامِ وَأَنْتَ مِنْهُمْ
١٥٩	جرير	كَمَا تَرْمُونَ قَبْرَ أَبِي رِغَالِ	إِذَا مَاتَ الْفَرَزْدَقُ فَارْجَمُوهُ
٥١٩	كثير عزة	بِأَكْفَهِنَّ أَرْمَةُ الْأَجْمَالِ	حَفَدَ الْوَلَائِدُ حَوْلَهُنَّ وَأَسْلَمَتْ
٢٠٤	الأعشى	كَعَدُوِ الْمُصْلِصِلِ الْجَوَالِ	عَنْتَرِيْسُ تَعْدُو إِذَا مَسَّهَا السُّوْطُ
٣٣٤	امرؤ القيس	قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهُ ذُو دَخَلِ	وَمِنْ الطَّرِيقَةِ جَائِرٌ وَهَدَى
٤٣٤	الأعشى	إِلَى مِثْلِ دِعْصِ الرَّمْلَةِ الْمُتَهَيَّلِ دَيْبِ قَطَا الْبَطْحَاءِ فِي كُلِّ مَنْهَلِ	رَوَادِفُهُ تُثْنِي الرِّدَاءَ تَسَانَدَتْ نِيَافٌ كَغَصَنِ الْبَانِ تَرْتَجُّ إِنْ مَشَتْ
٢٠٤	الخطيئة	يُفْسِدُ اللَّحْمَ لَدَيْهِ الصُّلُولُ	ذَاكَ فَتَى يَبْذُلُ ذَا قَدْرِهِ لَا
٣٦٧	عبدة بن الطيب	وَلَكِنَّهُ بِنِيَانٌ قَوْمٌ تَهْدَمًا	فَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلُكُهُ هُلُكٌ وَاحِدٌ
٢٣٧	طريف العنبري	بَعَثُوا إِلَيَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّمُوا	أَوْكَلِمَا وَرَدَتْ عَكَاطَ قَبِيلَةٍ
٢٣٧	زهير بن أبي سلمى	أَنْيَقَ لَعَيْنِ النَّازِرِ الْمُتَوَسِّمِ	وَفِيهِنَّ مَلْهَى لِلصَّدِيقِ وَمَنْظَرِ
٢٣٨	أعرابي	عَلَيْهِ وَقَلَّتِ الْمَرْءُ مِنْ آلِ هَاشِمِ	تَوَسَّمْتُهُ لِمَا رَأَيْتَ مَهَابَةً
٢٦٥	صفية بنت عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا	يُخْصُّ بِتَنْزِيلِ الْمَثَانِي الْمُعْظَمِ	فَقَدْ كَانَ نُورًا سَاطِعًا يُهْتَدَى بِهِ
٤٥٠	عنتر بن شداد	وَالْكَفْرُ مَحْبَبَةٌ لِنَفْسِ الْمُنْعِمِ
٤٢٨	الفرزدق	رَزِيَّةٌ شَبْلِيٌّ مُخْدِرٌ فِي الضَّرَاغِمِ	بِفِي الشَّامِيِّينَ الصَّخْرُ إِنْ كَانَ هَدَنِي
١٦٠	النابغة الجعدي	نَصِيرٌ كَأَنَّهَا فَرْسَارُهُانِ	تَرَاجَمْنَا بِمُرِّ الْقَوْلِ حَتَّى
٢١٥	ورد دون نسبة	عَلَيْهَا طَرِيقِي أَوْ عَلَيَّ طَرِيقَهَا	فَهِنَّ الْمَنَايَا أَيُّ وَادٍ سَلَكَتَهُ
١٣١	ورد دون نسبة	تَ فِي عُقَدِ الْعَاضِهِ الْمُعْضِهِ	أَعْوَذُ بِرَبِّي مِنَ النَّافِثَا

الصفحة	القائل	البيت	
٢٦٤	سليمان بن يزيد العدوي	أم الكتاب السبع من مثاني	نشدتكم بمُنزِل القرآن
٢٦٥	جرير	مُضِيْعاً لِمَفْصَلِ وَالمِثَانِي	جزى الله الفرزدق حين يُمسي

خامساً - فهرس الأعلام المترجم لهم

الصفحة	العَلَم	م
١٥٣	أبان بن تغلب البكري	١
١١٨	إبراهيم بن خالد الكلبي، أبو ثور	٢
٣٦	إبراهيم بن علي اليعمري، ابن فرحون	٣
٥١٩	إبراهيم بن محمد الأزدي، ابن عرفة	٤
١١٨	إبراهيم بن يزيد النخعي	٥
٤٤٣	أبو الأسود الدؤلي	٦
٤٩٨	أبو العلاء المعري	٧
٤٠٠	أبو جندل بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس	٨
٤٤١	أبو سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي	٩
٣٠٩	أبي بن خلف بن وهب الجمحي	١٠
٤٩	أحمد بن أبي السعود بن أبي المعالي السطريجي	١١
٢٤	أحمد بن إدريس الصنهاجي، القرافي	١٢
٤٣٣	أحمد بن الحسين الجعفي المتنبى	١٣
٥٠	أحمد بن الزبير الثقفي	١٤
٤٣	أحمد بن عبد الحلیم الحرّاني، ابن تيمية	١٥
٤٩٨	أحمد بن عبد الله، أبو العلاء المعري	١٦
٥٠	أحمد بن علي بن حجر العسقلاني	١٧
١٢١	أحمد بن علي بن شعيب النسائي	١٨
٥٢٢	أحمد بن عمار المهدي التميمي	١٩
٤٧	أحمد بن عمر الأنصاري، ابن المزيّن	٢٠

م	العَلَم	الصفحة
٢١	أحمد بن عمر المالكي	٤٦
٢٢	أحمد بن عمر بن لبابة	٤٨
٢٣	أحمد بن فارس الرازي، ابن فارس	٢٢
٢٤	أحمد بن كامل البغدادي، ابن شجرة	٢٤٥
٢٥	أحمد بن محمد القرطبي	٤٩
٢٦	أحمد بن محمد القيسي، ابن أبي حجة	٤٦
٢٧	أحمد بن محمد بن الصديق الغماري	٥٤
٢٨	إسماعيل بن حماد أبو نصر، الجوهرري	٥٧
٢٩	إسماعيل بن عمر الدمشقي، ابن كثير	٢٨
٣٠	إسماعيل بن محمد الخراستاني	٥٠
٣١	إسماعيل بن محمد بن مصطفى القونوي	٣١٠
٣٢	أم العلاء بنت الحارث بن ثابت الأنصارية	٧١
٣٣	امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي	٣٣٤
٣٤	أوس بن حجر التميمي	١٥٠
٣٥	أوس بن خالد الربعي، أبو الجوزاء	١٢١
٣٦	بختنصر	٣٦٠
٣٧	بلال بن رباح الحبشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٤٠٠
٣٨	ثابت بن أسلم البناني	١٣٤
٣٩	جرو ل بن أوس العسبي، الخطيئة	٢٠٤
٤٠	جرير بن عطية الخطفي	١٥٩
٤١	جندل ابن المثني الطهوي	٤٩٠
٤٢	جوير بن سعيد الأزدي	١٤٩
٤٣	الحسن بن سعيد البصري	٧٧

م	العَلَم	الصفحة
٤٤	الحسن بن محمد بن عمروك	٤٨
٤٥	الحسن بن يسار البصري	٧٧
٤٦	حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات	٩١
٤٧	خباب بن الأرت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ	٤٠٠
٤٨	خبيب بن ثابت بن عبد الله	٢٥٠
٤٩	خلف بن عبد الملك الأندلسي، ابن بشكوال	٥٠
٥٠	خلف بن هشام البزار	٩١
٥١	الخليل بن أحمد الفراهيدي	١٢٧
٥٢	خويلد بن خالد الهذلي، أبو ذؤيب	٢٨٤
٥٣	خير الدين بن محمود بن محمد، الزركلي	٥٨
٥٤	داود بن دينار، أبو هند	٤٠٣
٥٥	رؤبة بن عبد الله العجاج	٢٧٣
٥٦	الربيع بن أنس البكري	١١٣
٥٧	ربيع بن عبد الرحمن الأشعري	٤٥
٥٨	رفيع بن مهران الرياحي، أبو العالية	٧٩
٥٩	زَبَّان بن عمار البصري، أبو عمرو بن العلاء	١٤٩
٦٠	الزبير بن العوام القرشي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ	٢٢١
٦١	زر بن حبيش الأسدي	١٢٧
٦٢	زهير بن ربعة المزني	٢٣٧
٦٣	زياد بن معاوية الذيباني، النابغة	١٩٢
٦٤	زيد بن أبي أوفى الأسلمي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ	٢٢٤
٦٥	زينب بنت جحش الأسدية رَضِيَ اللهُ عَنْهَا	٤٧١
٦٦	سعد بن عبد الله بن جنيدل	٢٤٥

م	العَلَم	الصفحة
٦٧	سعد بن مالك الأنصاري، أبو سعيد الخدري	٦٩
٦٨	سعيد بن جبير الأسدي	١١٥
٦٩	سفيان بن عيينة الهلالي، ابن عيينة	٧٧
٧٠	سليمان بن عبد القوي الطوفي	١٥٦
٧١	سليمان بن مهران الأسدي، الأعمش	٧٣
٧٢	صُدِّي بن عجلان الباهلي	٢١٩
٧٣	صفية بنت عبد المطلب بن هاشم رَضِيَ اللهُ عَنْهَا	٢٦٥
٧٤	صهيب بن سنان بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ	٤٠٠
٧٥	طريف بن تميم العنبري	٢٣٧
٧٦	طلحة بن عبيد الله القرشي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ	٢٢١
٧٧	ظافر بن علي الإسكندراني، ابن رواج	٤٧
٧٨	ظالم بن عمرو الكناني، أبو الأسود الدؤلي	٤٤٣
٧٩	عائشة بنت أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهَا	٤٧٠
٨٠	عائشة بنت عبد الرحمن، بنت الشاطئ	١٧٠
٨١	علي بن إبراهيم بن إسماعيل الغزنوي	١٣٩
٨٢	عامر بن الحارث الباهلي، أعشى باهلة	٤٤٤
٨٣	عامر بن شراحيل الشعبي	١١٨
٨٤	عبد الحق بن غالب الغرناطي، ابن عطية	٢٨
٨٥	عبد الحي بن أحمد بن محمد، ابن العماد الحنبلي	٤١
٨٦	عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، السيوطي	٧٨
٨٧	عبد الرحمن بن القاسم المصري، ابن القاسم	١٢٦
٨٨	عبد الرحمن بن صخر الدوسي، أبو هريرة	٦٩
٨٩	عبد الرحمن بن عمرو بن يحمدا، الأوزاعي	٨٨

م	العَلَم	الصفحة
٩٠	عبد الصمد بن محمود الغزنوي	٤٤٣
٩١	عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقي، العز بن عبد السلام	٢٦
٩٢	عبد القادر الأرناؤوط	٥٤
٩٣	عبد الله بن رواحة الأنصاري	٢٣٨
٩٤	عبد الله بن سليمان الأنصاري	٤٥
٩٥	عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي	٧٣
٩٦	عبد الله بن عبد المحسن التركي	٥٣
٩٧	عبد الله بن عبيد الليثي	٧٩
٩٨	عبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا	١١١
٩٩	عبد الله بن مسعود الهذلي	٧٢
١٠٠	عبد المعطي بن محمود اللخمي	٤٦
١٠١	عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج	٧٧
١٠٢	عبد الملك بن قريب الباهلي، الأصمعي	١٢٧
١٠٣	عبدة بن الطيب	٣٦٧
١٠٤	عبيد بن حصين بن معاوية، الراعي النميري	٥١٩
١٠٥	عثمان بن سعيد المصري، ورش	٩٢
١٠٦	عثمان بن مظعون الجمحي	٧١
١٠٧	عكرمة بن عبد الله المدني	١٢٨
١٠٨	علقمة بن عبدة	٤٣٥
١٠٩	علي بن أحمد بن حزم	٢٥٨
١١٠	علي بن إسماعيل الأندلسي، ابن سيده	١٧٠
١١١	علي بن الحسين بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ	١٠٥

م	العَلَم	الصفحة
١١٢	علي بن العباس بن جريج، ابن الرومي	٤٩٨
١١٣	علي بن جعفر السعدي، ابن القطاع	٥٧
١١٤	علي بن حمزة الأسدي الكسائي	٩١
١١٥	علي بن عبد الله الأنصاري، ابن قطرال	٤٤
١١٦	علي بن علي بن محمد، ابن أبي العز الحنفي	٢٥٦
١١٧	علي بن محمد السخاوي	٢٦٥
١١٨	علي بن محمد الشحي، الخازن	٦٨
١١٩	علي بن محمد بن علي الشوكاني	٢٧
١٢٠	علي بن هبة الله بن سلامة، ابن الجميزي	٤٥
١٢١	عمار بن ياسر الكناني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ	٤٠٠
١٢٢	عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ	٣٨٨
١٢٣	عمرو بن سهيل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أبو جندل	٤١٨
١٢٤	عمرو بن عوف الأسدي، بشر بن أبي خازم	١٦٧
١٢٥	عمرو بن هشام المخزومي، أبو جهل	٢٩٤
١٢٦	عنتر بن شداد العبسي	٤٥٠
١٢٧	عوف بن مالك الجشمي، أبو الأحوص	٤٩٣
١٢٨	غياث بن غوث، الأخطل	٤٨٧
١٢٩	غيلان بن عقبة العدوي، ذو الرمة	١٦٧
١٣٠	القاسم بن سلام، أبو عبيد	١٠١
١٣١	القاسم بن فيرّه بن خلف الشاطبي	٢٧
١٣٢	قاسم بن قطلوبغا السوداني، ابن قطلوبغا	١٦٨
١٣٣	قتادة بن دعامة السدوسي	١٣١
١٣٤	قسي بن منبه الثقفي، أبو رغال	١٥٩

الصفحة	العَلَم	م
١٦٠	قيس بن عبد الله الجعدي، النابغة الجعدي	١٣٥
٢٢١	كثير بن إسماعيل التيمي	١٣٦
٥٢١	كثير بن عبد الرحمن الخزاعي	١٣٧
٨٨	الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي	١٣٨
١٤٩	مؤرج السدوسي: أبو فيد النحوي	١٣٩
٤٤	مالك بن أنس بن مالك الأصبحي	١٤٠
٢٧٥	المبارك بن محمد الجزري، أبو السعادات	١٤١
٢٩	محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي	١٤٢
٣٤	محمد محمد حسين	١٤٣
٤٧	محمد بن أحمد الميموني، ابن القسطلاني	١٤٤
١٢٧	محمد بن أحمد بن الهروي، الأزهري	١٤٥
٤١	محمد بن أحمد بن عثمان، الذهبي	١٤٦
٨٨	محمد بن إدريس بن العباس الشافعي	١٤٧
١٠٢	محمد بن السائب بن بشر الكلبي	١٤٨
٧٩	محمد بن القاسم بن محمد، ابن الأنباري	١٤٩
٣٨	محمد بن الوليد بن محمد الطرطوشي	١٥٠
٢٢	محمد بن بهادر بن عبد الله، الزركشي	١٥١
٢٨	محمد بن جرير الطبري	١٥٢
١١٩	محمد بن عبد الرحمن الأنصاري ابن أبي ليلى	١٥٣
١٣٥	محمد بن عبد الله الألبيري، ابن أبي زمنين	١٥٤
٤٥	محمد بن عبد الله القضاعي، ابن الأبار	١٥٥
٣٤	محمد بن عبد الله المصمودي، بن تومرت	١٥٦

م	العَلَم	الصفحة
١٥٧	محمد بن عَزِيز السجستاني، ابن عزيز	١٦٦
١٥٨	محمد بن علي القشيري، ابن دقيق العيد	١٢٣
١٥٩	محمد بن علي بن أحمد، الداودي	٥٧
١٦٠	محمد بن علي بن الحسن، الترمذي الحكيم	٦٩
١٦١	محمد بن علي بن محمد، الشوكاني	٢٨
١٦٢	محمد بن عيسى السلمي، الترمذي	٧٠
١٦٣	محمد بن محمد الحسيني، الزبيدي	٢٥
١٦٤	محمد بن محمد بن محمد الغزالي	٣٠٤
١٦٥	محمد بن محمد بن محمد، ابن أمير حاج	٣٩٩
١٦٦	محمد بن موسى بن عيسى، الدميري	٤٩٩
١٦٧	محمد بن يوسف الغرناطي، أبو حيان	٥٠
١٦٨	محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي	٢٩
١٦٩	مرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي	٢٥٨
١٧٠	مروان بن الحكم بن أبي العاص	١٩٩
١٧١	مسعود بن مالك الأسدي، أبو رزين	١١٩
١٧٢	مصطفى زيد	٢٥٨
١٧٣	معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي	٢٠١
١٧٤	مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي	٢٧
١٧٥	منصور بن المعتمر بن عبد الله	١٧٩
١٧٦	ميمون بن قيس، الأعشى الكبير	٢٠٦
١٧٧	النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة	٣٥٥
١٧٨	النعمان بن بشير الخزر جي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ	٥٢٠

م	العَلَم	الصفحة
١٧٩	النعمان بن ثابت التيمي، أبو حنيفة	٨٨
١٨٠	النمرود بن كوش بن كنعان	٧٥
١٨١	نهشل بن حري بن ضمرة	١٩٣
١٨٢	هبة الله بن سلامة بن نصر	٢٥٧
١٨٣	هبة الله بن عبد الرحيم الجهني، ابن البارزي	٢٥٨
١٨٤	همام بن غالب التميمي، الفرزدق	١٥٩
١٨٥	يحيى بن زياد الديلمي، الفراء	١٣٢
١٨٦	يحيى بن سلام التيمي	١٠٥
١٨٧	يحيى بن عبد الرحمن الأشعري	٤٣
١٨٨	يحيى بن مبارك الزبيدي	٩١
١٨٩	يزيد بن القعقاع المخزومي	٩٢

سادساً - فهرس المصطلحات العلمية المشروحة

الصفحة	المصطلح	م
٤٩	الإجازة	١
١٨٧	الاستعارة المكنية	٢
٨١	الإسرائيليات	٣
٢٤٨	اسم الجنس الإفرادي	٤
١٣١	اشتقاق اللفظ	٥
٧٦	التابعي	٦
١٣١	تصريف اللفظ	٧
٤٠٨	التضمن	٨
١٨٧	التفسير الإشاري	٩
٦٥	تفسير القرآن بالقرآن	١٠
٨٣	التفسير بالرأي	١١
٥١٤	التفسير باللازم	١٢
٦٥	التفسير بالمأثور	١٣
٢٥١	دلالة الالتزام	١٤
٢٥١	دلالة التضمن	١٥
١٢٤	السباق	١٦
٧٨	سبب النزول	١٧
١١٧	السلف	١٨
١٢٤	السباق	١٩
٧٢	الصحابي	٢٠

١٢٦	الظاهر	٢١
٢٤٩	العام	٢٢
٢٤٨	العام الذي أريد به الخصوص	٢٣
٨٦	الفقه المقارن	٢٤
٣٣٧	القراءة التفسيرية	٢٥
١٩٤	القراءة الشاذة	٢٦
١٢٤	اللحاق	٢٧
٢٧٠	المئون	٢٨
٦٥	المشابه اللفظي	٢٩
٢٦٥	المثاني	٣٠
٢٥	المشترك اللفظي	٣١
٢٦٥	المفصل	٣٢
٣٨٤	مفهوم المخالفة	٣٣
٤٩	المناول	٣٤
٦٥	النظائر القرآنية	٣٥
٣٠٣	الوجوه	٣٦

! ! !

سابعاً - فهرس البلدان والأماكن

الصفحة	اسم البلد أو المكان	م
٥٥	استنبول	١
٣٠	الأندلس	٢
١٢٠	أوطاس	٣
٢٤٣	الأيكة	٤
٥٣	بيروت	٥
٥٧	الجزائر	٦
٢٥٣	الحجر	٧
٧٤	الروم	٨
١٦٠	الطائف	٩
٢٣٧	عكاظ	١٠
٧٣	فارس	١١
٥٨	فاس	١٢
٣٠	قرطبة	١٣
٣٠	مصر	١٤
٤٩	المنيا	١٥
٣٨	منية بني خصيبي	١٦
٢٢٢	همدان	١٧
٤١٨	يثرب	١٨

ثامناً - فهرس القبائل والعشائر

الصفحة	الاسم	م
٣٠	الأنصار	١
٣٥	الأيوبيون	٢
٢٢١	بنو تميم	٣
٢٢١	بنو عدي	٤
٢٢١	بنو هاشم	٥
٤٥٨	تميم	٦
٨٠	خزاعة	٧
٣٠	الخزرج	٨
٨٠	كنانة	٩
٤٥٨	مضر بن نزار	١٠
٣٢	الموحدون	١١

تاسعاً - فهرس الفرق والمذاهب

الصفحة	الاسم	م
٤٢	الأشعرية	١
٤٢	أهل السنة والجماعة	٢
٢٤٩	البراهمة	٣
٤٣	الشيعة	٤
٤٣	الصوفية	٥
٩٨	الطبيعيون	٦
٩٧	القدرية	٧
٤٦	المتكلمون	٨
٣٣٥	المجوسية	٩
٤٣	المذهب المالكي	١٠
١١٨	المعتزلة	١١
٣٣٥	النصرانية	١٢
٣٣٤	اليهودية	١٣

عاشراً - فهرس المصادر والمراجع

(حسب المعلومات المتوفرة عنها)

أولاً - المخطوطات:

(١) تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء - لأبي الفتح عبد الصمد بن محمود الغزنوي، ت:
- رقم النسخة: ٢٤/٢٥/٢٦ - عدد الأوراق: ٦٤٤ ورقة - مصدر المخطوط:
مكتبة مهر شاه سلطان بالسليمانية باستنبول بتركيا.

(٢) غريب القرآن - لأبي العدل قاسم بن قطلوبغا، ت: ٨٧٩هـ - رقم النسخة:
٣٠٢٠٦٦ - عدد الأوراق: ٢٦ ورقة - مصدر المخطوط: موقع مخطوطات مكتبة
الأزهر الشريف.

ثانياً - الكتب المطبوعة:

(٣) القرآن الكريم - رواية حفص عن عاصم - طبعة مجمع الملك فهد لطباعة
المصحف الشريف.

(٤) الآثار - لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، ت: ١٨٢هـ - دار الكتب
العلمية.

(٥) الإبانة عن أصول الديانة - لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن أبي موسى الأشعري،
ت: ٣٢٤هـ - تحقيق: د. فوقية محمود - دار الأنصار - الأولى ١٣٩٧هـ.

(٦) الإبهاج في شرح المنهاج - لأبي الحسن علي بن عبد الكافي السبكي، ت: ٧٥٦هـ -
دار الكتب العلمية - ١٤١٦هـ.

(٧) الإبتقان في علوم القرآن، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت: ٩١١هـ
- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٣٩٤هـ.

(٨) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية - لمحمد بن أبي بكر ابن قيم
الجوزية، ت: ٧٥١هـ - تحقيق: عواد المعتق - مطابع الفرزدق التجارية - الطبعة

الأولى ١٤٠٨ هـ.

(٩) الإحاطة في أخبار غرناطة - لمحمد بن عبد الله السلماني الأندلسي، الشهير بلسان

الدين ابن الخطيب، ت: ٧٧٦ هـ - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ.

(١٠) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام - لأبي الفتح محمد بن علي القشيري،

المعروف بابن دقيق العيد، ت: ٧٠٢ هـ - تحقيق: مصطفى شيخ، مدثر سندس -

مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ.

(١١) أحكام القرآن - لأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي، ت: ٥٤٣ هـ - خرج أحاديثه

وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية - الطبعة الثالثة ١٤٢٤ هـ.

(١٢) الإحكام في أصول الأحكام - لأبي محمد علي بن أحمد حزم الأندلسي الظاهري،

ت: ٤٥٦ هـ - تحقيق: أحمد محمد شاكر - دار الآفاق الجديدة.

(١٣) أخبار أصبهان - لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ت: ٤٣٠ هـ - تحقيق: سيد

كسروي - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.

(١٤) أخلاق العلماء - لأبي بكر محمد بن الحسين الأجرئي، ت: ٣٦٠ هـ - راجعه وعلق

عليه: إسماعيل الأنصاري - رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة

والإرشاد.

(١٥) الآداب - لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ت: ٤٥٨ هـ - اعتنى به وعلق عليه:

أبو عبد الله السعيد المنذوه - مؤسسة الكتب الثقافية - الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.

(١٦) الأربعين في التصوف - لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلماني، ت: ٤١٢ هـ -

الطبعة الأولى - مجلس دائرة المعارف العثمانية.

(١٧) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء) - لأبي عبد الله ياقوت بن

عبد الله الرومي الحموي، ت: ٦٢٦ هـ - تحقيق: إحسان عباس - دار الغرب

الإسلامي، بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.

- (١٨) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم - لأبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، ت: ٩٨٢هـ - دار إحياء التراث العربي.
- (١٩) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول - لمحمد بن علي الشوكاني، ت: ١٢٥٠هـ - تحقيق: أحمد عزو عناية - دار الكتاب العربي - الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
- (٢٠) أسباب نزول القرآن - لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ت: ٤٦٨هـ - تحقيق: عصام الحميدان - دار الإصلاح - الطبعة الثانية ١٤١٢هـ.
- (٢١) الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير - للدكتور رمزي نعناعة - دار القلم، دار الضياء - الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ.
- (٢٢) الإسلام والحضارة الغربية - لمحمد محمد حسين، ت: ١٤٠٣هـ - دار الفرقان.
- (٢٣) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز - لعز الدين عبد السلام بن أحمد الشافعي، ت: ٦٧٨هـ - لا يوجد بيانات على الكتاب.
- (٢٤) الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين - للخالديان أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي، ت: ٣٧١هـ، وأبو بكر محمد بن هاشم الخالدي، ت: نحو ٣٨٠هـ - تحقيق: محمد علي دقة - وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية.
- (٢٥) الإصابة في تمييز الصحابة - لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت: ٨٥٢هـ - تحقيق: عادل عبد الموجود، علي معوض - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- (٢٦) الأصمعيات - لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي، ت: ٢١٦هـ - تحقيق: أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون - دار المعارف - الطبعة السابعة.
- (٢٧) أصول الفقه على منهج أهل الحديث - زكريا بن غلام قادر الباكستاني - دار الخراز - الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

- (٢٨) الأصول من علم الأصول - لمحمد بن صالح العثيمين، ت: ١٤٢١ هـ - دار ابن الجوزي - طبعة عام ١٤٢٦ هـ.
- (٢٩) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، ت: ١٣٩٣ هـ - دار الفكر للطباعة والنشر - ١٤١٥ هـ.
- (٣٠) الاعتصام - لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشهير بالشاطبي، ت: ٧٩٠ هـ - تحقيق: سليم بن عيد الهلالي - دار ابن عفان - الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ.
- (٣١) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق - لعائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطبي، ت: ١٤١٩ هـ - دار المعارف - الطبعة الثالثة.
- (٣٢) إعراب القرآن وبيانه - لمحيي الدين بن أحمد درويش، ت: ١٤٠٣ هـ - دار الإرشاد للشئون الجامعية بحمص - دار اليهامة ببيروت - دار ابن كثير ببيروت - الطبعة الرابعة ١٤١٥ هـ.
- (٣٣) الأعلام - لخير الدين بن محمود بن محمد الزركلي الدمشقي، ت: ١٣٩٦ هـ - دار العلم للملايين - الطبعة: الخامسة عشر.
- (٣٤) الأغاني - لأبي الفرج علي بن الحسين الأصبهاني، ت: ٣٥٦ هـ - تحقيق: سمير جابر - دار الفكر - الطبعة الثانية.
- (٣٥) الإكليل في استنباط التنزيل - لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت: ٩١١ هـ - تحقيق: سيف الدين الكاتب - دار الكتب العلمية - ١٤٠١ هـ.
- (٣٦) الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب - لأبي نصر علي بن هبة الله بن ماکولا، ت: ٤٧٥ هـ - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤١١ هـ.
- (٣٧) الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير - مشهور حسن محمود سلمان - دار القلم - الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ.

- (٣٨) الأمثال في الحديث النبوي — لأبي الشيخ الأصبهاني، ت: ٣٦٩ هـ — تحقيق: عبد العلي عبد الحميد - الدار السلفية بالهند.
- (٣٩) الأمصار ذوات الآثار — لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي — تحقيق: محمود الأرناؤوط - دار ابن كثير - ١٤٠٥ هـ.
- (٤٠) اقتضاء العلم العمل — لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، ت: ٤٦٣ هـ — تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - الطبعة الرابعة ١٣٩٧ هـ.
- (٤١) إملأ ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن — لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، ت: ٦١٦ هـ — دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ.
- (٤٢) أنوار البروق في أنواع الفروق — لأبي العباس أحمد بن إدريس المالكي الشهير بالقرافي، ت: ٦٨٤ هـ - تحقيق: خليل المنصور - دار الكتب العلمية - ١٤١٨ هـ.
- (٤٣) إثارة الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد — لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم المرتضى الحسيني عز الدين اليميني، ت: ٨٤٠ هـ - دار الكتب العلمية - الطبعة الثانية.
- (٤٤) إيضاح المكنون ذيل كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون — لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي، ت: ١٠٦٧ هـ - دار الكتب العلمية.
- (٤٥) إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله — لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري — تحقيق: محيي الدين رمضان - مطبوعات مجمع اللغة العربية - ١٣٩٠ هـ.
- (٤٦) الإيضاح في علوم البلاغة - لجلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، المعروف بخطيب دمشق، ت: ٧٣٩ هـ - تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي - دار الجيل - الطبعة الثالثة.
- (٤٧) الإيضاح في علوم الحديث والاصطلاح — لمصطفى الخن وبديع اللحام — دار

- الكلم الطيب - الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ.
- (٤٨) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه - لأبي محمد مكّي بن أبي طالب القيسي، ت: ٤٣٧ هـ - تحقيق: د. أحمد فرحات - دار المنارة - الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.
- (٤٩) بحر العلوم - لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي - تحقيق: د. محمود مطرجي - دار الفكر.
- (٥٠) البحر المحيط في أصول الفقه - لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ت: ٧٩٤ هـ - دار الكتبي - الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.
- (٥١) البحر المحيط في التفسير - لأبي حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، ت: ٧٤٥ هـ - تحقيق: صدقي محمد جميل - دار الفكر - الطبعة ١٤٢٠ هـ.
- (٥٢) البداية والنهاية - لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، ت: ٧٧٤ هـ - تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي - دار هجر للطباعة والنشر - الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.
- (٥٣) بدائع التفسير، الجامع لتفسير ابن القيم رحمه الله - جمعه ووثق نصوصه وخرج أحاديثه: يسري السيد محمد - دار ابن الجوزي - الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.
- (٥٤) بدائع الفوائد - لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: ٧٥١ هـ - تحقيق: علي العمران - دار عالم الفوائد.
- (٥٥) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع - لمحمد بن علي الشوكاني، ت: ١٢٥٠ هـ - دار المعرفة.
- (٥٦) البرهان في علوم القرآن - لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي، ت: ٧٩٤ هـ - تحقيق: محمد أبو الفضل - دار إحياء الكتب العربية - الطبعة الأولى ١٣٧٦ هـ.
- (٥٧) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة - لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ت: ٨١٧ هـ - دار سعد الدين للطباعة والنشر - الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ.

- (٥٨) البيان والتبيين - لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - تحقيق وشرح: عبد السلام هارون - مكتبة الخانجي - الطبعة السابعة ١٤١٨ هـ.
- (٥٩) البيئة وأثرها على المفسرين، دراسة تطبيقية على الإمام القرطبي - لصالح الدين عوض - إصدار مجلس الدعوة بالخرطوم.
- (٦٠) ت: نحو ٥٠٥ هـ - دار القبلة للثقافة الإسلامية.
- (٦١) تاج العروس من جواهر القاموس، لأبي الفيض محمد بن محمد الحسيني، الملقب بمرتضى الزبيدي، ت: ١٢٠٥ هـ - تحقيق: مجموعة من المحققين - دار الهداية.
- (٦٢) تاريخ الأدب العربي - لكارل بروكلمان - نقله إلى العربية: عبد الحليم النجار - دار المعارف - الطبعة الخامسة.
- (٦٣) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام - لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، ت: ٧٤٨ هـ - تحقيق: بشار عواد معروف - دار الغرب الإسلامي - الطبعة الأولى.
- (٦٤) تاريخ الأمم والملوك - لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: ٣١٠ هـ - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ.
- (٦٥) التاريخ الصغير - لمحمد بن إسماعيل البخاري، ت: ٢٥٦ هـ - تحقيق: محمود زايد - دار المعرفة.
- (٦٦) تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم - لأبي المحاسن الفضل بن محمد التنوخي، ت: ٤٤٢ هـ - تحقيق: عبد الفتاح الحلو - هجر للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الثانية ١٤١٢ هـ.
- (٦٧) التاريخ الكبير - لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ت: ٢٥٦ هـ - دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد.
- (٦٨) تاريخ بغداد - لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، ت: ٤٦٣ هـ - تحقيق: بشار عواد معروف - دار الغرب الإسلامي - الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ.

- (٦٩) تاريخ علماء الأندلس - لأبي الوليد عبد الله بن محمد، المعروف بابن الفرضي، ت: ٤٠٣ هـ - عني بنشره وتصحيحه: السيد عزت العطار - مكتبة الخانجي - الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ.
- (٧٠) التبيان في إعراب القرآن - لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، ت: ٦١٦ هـ - تحقيق: علي البجاوي - مكتبة البابي الحلبي.
- (٧١) تبصير المتبته وتحرير المشتبه - لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت: ٨٥٢ هـ - تحقيق: محمد علي النجار - المكتبة العلمية.
- (٧٢) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (التحرير والتنوير) - لمحمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي، ت: ١٣٩٣ هـ - الدار التونسية للنشر.
- (٧٣) تحريم القتل وتعظيمه - لعبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، ت: ٦٠٠ هـ - تحقيق: أبو عبد الله عمار بن سعيد - دار ابن حزم - الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ.
- (٧٤) تحصيل نظائر القرآن الكريم - للحكيم الترمذي - تحقيق: نصر زيدان - مطبعة السعادة.
- (٧٥) تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي - أبو العلا محمد عبد الرحمن المباركفوري، ت: ١٣٥٣ هـ - دار الكتب العلمية.
- (٧٦) التذكار في أفضل الأذكار من القرآن الكريم - لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ت: ٦٧١ هـ - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.
- (٧٧) تذكرة الحفاظ - لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، ت: ٧٤٨ هـ - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ.
- (٧٨) تذكرة الموضوعات - لمحمد طاهر الفتني، ت: ٩٨٦ هـ - إدارة الطباعة المنيرية - الأولى ١٣٤٣ هـ.

- (٧٩) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة - لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ت: ٦٧١هـ - تحقيق ودراسة: د. الصادق بن محمد بن إبراهيم - مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع - الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ.
- (٨٠) التسهيل لعلوم التنزيل - لأبي القاسم محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي، ت: ٧٤١هـ - تحقيق: د. عبد الله الخالدي - شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ.
- (٨١) تعبير الرؤيا - لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، ت: ٣٠٣هـ - تحقيق: أبو إسلام جمال نصر - مكتبة التراث الإسلامي.
- (٨٢) تعظيم قدر الصلاة - لأبي عبد الله محمد بن نصر المروزي، ت: ٢٩٤هـ - تحقيق: عبد الرحمن الفريوائي - مكتبة الدار - الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.
- (٨٣) تفسير الثوري - لأبي عبد الله سفيان بن سعيد الثوري، ت: ١٦١هـ - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ.
- (٨٤) تفسير الجلالين - لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي، ت: ٨٦٤هـ، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت: ٩١١هـ - دار الحديث - الطبعة الأولى.
- (٨٥) تفسير الضحاك - لأبي القاسم الضحاك بن مزاحم الهلالي، ت: ١٠٥هـ - جمع ودراسة وتحقيق: محمد شكري الزاويتي - دار السلام - الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ.
- (٨٦) تفسير القرآن - لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني، ت: ٤٨٩هـ - تحقيق: ياسر إبراهيم، غنيم عباس - دار الوطن - الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.
- (٨٧) تفسير القرآن - لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ت: ٢١١هـ - تحقيق: د. مصطفى مسلم - مكتبة الرشد - الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.
- (٨٨) تفسير القرآن - لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، الملقب بسليمان العلماء، ت: ٦٦٠هـ - تحقيق: د. عبد الله الوهبي - دار ابن حزم - الطبعة الأولى

١٤١٦ هـ.

(٨٩) تفسير القرآن العزيز - لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الإلبيري، المعروف بابن أبي زمنين المالكي، ت: ٣٩٩ هـ - تحقيق: حسين بن عكاشة، محمد الكنز - الفاروق الحديثة - الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ.

(٩٠) تفسير القرآن العظيم - لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، ت: ٧٧٤ هـ - تحقيق: سامي سلامة - دار طيبة للنشر والتوزيع - الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ.

(٩١) تفسير القرآن العظيم - لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد الرازي، المعروف بابن أبي حاتم، ت: ٣٢٧ هـ - تحقيق: أسعد محمد الطيب - مكتبة نزار مصطفى الباز - الطبعة الثالثة ١٤١٩ هـ.

(٩٢) التفسير القيم - لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، ت: ٧٥١ هـ - تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان - دار ومكتبة الهلال - الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.

(٩٣) التفسير اللغوي للقرآن الكريم - للدكتور مساعد بن سليمان الطيار - دار ابن الجوزي - الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ.

(٩٤) تفسير المراغي - أحمد بن مصطفى المراغي، ت: ١٣٧١ هـ - مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - الطبعة الأولى ١٣٦٥ هـ.

(٩٥) التفسير الميسر - نخبة من أساتذة التفسير - مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - الطبعة الثانية ١٤٣٠ هـ.

(٩٦) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن - لمحمد الأمين الهرري - دار طوق النجاة - الطبعة الثالثة ١٤٢٨ هـ.

(٩٧) تفسير مجاهد - لأبي الحجاج مجاهد بن جبر المكي، ت: ١٠٤ هـ - تحقيق: محمد أبو

- النيل - دار الفكر الإسلامي الحديثة - الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.
- (٩٨) تفسير مقاتل بن سليمان - لأبي الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي بالولاء البلخي - تحقيق: أحمد فريد - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ.
- (٩٩) التفسير والمفسرون - لمحمد السيد حسين الذهبي، ت: ١٣٩٨ هـ - مكتبة وهبة.
- (١٠٠) التقرير والتحبير - لأبي عبد الله محمد بن محمد، المعروف بابن أمير حاج ويقال له ابن الموقت الحنفي، ت: ٨٧٩ هـ - دار الفكر - الطبعة ١٤١٧ هـ.
- (١٠١) التكملة لكتاب الصلة - لمحمد بن عبد الله البلنسي، الشهير بابن الأبار، ت: ٦٥٨ هـ - تحقيق: عبد السلام الهراس - دار الفكر للطباعة - ١٤١٥ هـ.
- (١٠٢) التمهيد في تخريج الفروع على الأصول - لأبي محمد عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعي، ت: ٧٧٢ هـ، تحقيق: د. محمد حسن هيتو - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ.
- (١٠٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد - لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، ت: ٤٦٣ هـ - تحقيق: مصطفى العلوي، محمد البكري - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب - ١٣٨٧ هـ.
- (١٠٤) تهذيب التهذيب - لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت: ٨٥٢ هـ - مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند - الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ.
- (١٠٥) تهذيب الكمال في أسماء الرجال - لأبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي، ت: ٧٤٢ هـ، تحقيق: د. بشار عواد معروف - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ.
- (١٠٦) تهذيب اللغة - لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى الهروي، ت: ٣٧٠ هـ - تحقيق: محمد عوض - دار إحياء التراث العربي.
- (١٠٧) توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم - لأبي بكر

- محمد بن عبد الله، الشهير بابن ناصر الدين، ت: ٨٤٢هـ — تحقيق: محمد العرقسوسي - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى.
- (١٠٨) التوقيف على مهمات التعاريف - لعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين المناوي، ت: ١٠٣١هـ - عالم الكتب - الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- (١٠٩) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، ت: ١٣٧٦هـ — تحقيق: عبد الرحمن اللويحق — مؤسسة الرسالة — الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
- (١١٠) الثقات — لأبي حاتم محمد بن التميمي، البستي، ت: ٣٥٤هـ — دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد - الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ.
- (١١١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن - لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، ت: ٣١٠هـ — تحقيق: عبد الله التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية - دار هجر للطباعة والنشر - الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- (١١٢) جامع الرسائل - لأبي العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، ت: ٧٢٨هـ — تحقيق: محمد رشاد سالم - دار العطاء - الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- (١١٣) الجامع الكبير (سنن الترمذي) — لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَورة الترمذي، ت: ٢٧٩هـ - تحقيق: بشار عواد معروف - دار الغرب الإسلامي.
- (١١٤) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ^ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري) - لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ت: ٢٥٦هـ — تحقيق: محمد زهير الناصر، شرح وتعليق د. مصطفى البغا — دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) - الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.
- (١١٥) جامع بيان العلم وفضله - لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، ت: ٤٦٣هـ - تحقيق: أبي الأشبال الزهيري - دار ابن الجوزي - الأولى ١٤١٤هـ.

- (١١٦) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان - لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ت: ٦٧١هـ - تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف د. عبد الله التركي - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.
- (١١٧) الجرح والتعديل - لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد الرازي، المعروف بابن أبي حاتم، ت: ٣٢٧هـ - طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد - الطبعة الأولى.
- (١١٨) جمال القراء وكمال الإقراء - لأبي الحسن علي بن محمد السخاوي، ت: ٦٤٣هـ - دراسة وتحقيق: عبد الحق القاضي - مؤسسة الكتب الثقافية - الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
- (١١٩) جمهرة أشعار العرب - لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، ت: ١٧٠هـ - حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي البجادي - نهضة مصر للطباعة والنشر.
- (١٢٠) جمهرة اللغة - لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، ت: ٣٢١هـ - تحقيق: رمزيعلبكي - دار العلم للملايين - الطبعة الأولى.
- (١٢١) الجواهر الحسان في تفسير القرآن - لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، ت: ٨٧٥هـ - تحقيق: محمد معوض، وعادل عبد الموجود - دار إحياء التراث العربي - الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- (١٢٢) الجواهر المضية في طبقات الحنفية - لأبي محمد عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي الحنفي، ت: ٧٧٥هـ - مير محمد كتب خانة، كراتشي.
- (١٢٣) حاشية القونوي على تفسير البيضاوي - لإسماعيل بن محمد الحنفي، ت: ١١٥٩هـ - ضبطه وصححه: عبد الله محمود محمد - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- (١٢٤) الحجة في القراءات السبع - للحسين بن أحمد بن خالويه، ت: ٣٧٠هـ - تحقيق:

- عبد العال مكرم - دار الشروق - الطبعة الرابعة ١٤٠١ هـ.
- (١٢٥) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني - ت: ٤٣٠ هـ - دار السعادة ١٣٩٤ هـ.
- (١٢٦) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر - لعبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني، ت: ١٣٣٥ هـ - تحقيق وتعليق حفيده: محمد بهجة البيطار - دار صادر، بيروت - الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ.
- (١٢٧) حياة الحيوان الكبرى - لأبي البقاء محمد بن موسى الدميري، ت: ٨٠٨ هـ - دار الكتب العلمية - الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ.
- (١٢٨) الحيوان - لأبي عثمان عمرو بن بحر، الشهير بالجاحظ، ت: ٢٥٥ هـ - دار الكتب العلمية - الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ.
- (١٢٩) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب - لعبد القادر بن عمر البغدادي، ت: ١٠٩٣ هـ - تحقيق: محمد طريفي، إميل يعقوب - دار الكتب العلمية.
- (١٣٠) الخصائص - لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي، ت: ٣٩٢ هـ - الهيئة المصرية العامة للكتاب - الطبعة الرابعة.
- (١٣١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر - لمحمد أمين بن فضل الله المحبي الحموي، ت: ١١١١ هـ - دار صادر.
- (١٣٢) الخلاصة الجامعة لقواعد التفسير النافعة - للشيخ حامد بن عبد الله العلي.
- (١٣٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون - لأبي العباس أحمد بن يوسف، المعروف بالسمين الحلبي، ت: ٧٥٦ هـ - تحقيق: د. أحمد الخراط - دار القلم.
- (١٣٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور - لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت: ٩١١ هـ - تحقيق: مركز هجر للبحوث - دار هجر.
- (١٣٥) دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف المسلم منها - لناصر بن عبد الكريم

- العقل - دار أشبيليا - الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.
- (١٣٦) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة - لأحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني،
ت: ٨٥٢ هـ - تحقيق ومراقبة: محمد عبد المعيد ضان - مجلس دائرة المعارف
العثمانية، حيدر أباد - الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ.
- (١٣٧) الدعاء للطبراني - لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ت: ٣٦٠ هـ - تحقيق:
مصطفى عطا - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ.
- (١٣٨) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب - لمحمد الأمين بن محمد المختار
الشنقيطي، ت: ١٣٩٣ هـ - مكتبة ابن تيمية - الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ.
- (١٣٩) دلائل النبوة - لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ت: ٤٣٠ هـ - تحقيق: د.
محمد رواس قلعه جي - دار النفائس - الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ.
- (١٤٠) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة - لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي،
ت: ٤٥٨ هـ - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ.
- (١٤١) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب - لإبراهيم بن علي المعروف بابن
فرحون اليعمري، ت: ٧٩٩ هـ - دار الكتب العلمية.
- (١٤٢) ديوان ابن الرومي - لأبي الحسن علي بن عباس، الشهرير بابن الرومي، ت: ٢٨٣ هـ
- شرح: أحمد حسن بسج - دار الكتب العلمية.
- (١٤٣) ديوان الأخطل - شرحه وصنفه: مهدي ناصر الدين - دار الكتب العلمية - الطبعة
الأولى ١٤١٤ هـ.
- (١٤٤) ديوان الأعشى الكبير - لأبي بصير ميمون بن قيس بن جندل، ت: ٧ هـ - لا يوجد
بيانات للكتاب.
- (١٤٥) ديوان النابغة الذبياني - لأبي أمامة زياد بن معاوية الذبياني، ت: ١٨ ق هـ - اعتنى به
وشرحه: حمدو طماس - دار المعرفة - الطبعة الثانية ١٤٢٦ هـ.

(١٤٦) ديوان أوس بن حجر - لأوس بن حجر بن مالك التميمي، ت: ٢ ق.هـ. - تحقيق: محمد نجم - دار صادر - الطبعة الثالثة ١٣٩٩ هـ.

(١٤٧) ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي - لبشر بن عمرو بن عوف الأسدي، ت: ٢٢ ق.هـ. - شرح وتقديم: محمد طراد - دار الكتاب العربي - الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ.

(١٤٨) ديوان جرير - لجرير بن عطية الخنفي، ت: ١١٤ هـ. - تحقيق: نعمان طه - دار المعارف - الطبعة الثالثة.

(١٤٩) ديوان ذي الرمة - لأبي الحارث غيلان بن عقبه بن مسعود، الملقب بذي الرمة، ت: ١١٧ هـ. - شرحه: أحمد حسن بسج - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ.

(١٥٠) ديوان رؤبة بن العجاج (ضمن مجموع أشعار العرب) - اعتنى بتصحيحه: وليم بن الورد البروسي - دار ابن قتيبة للطباعة والنشر.

(١٥١) ديوان عبد الله بن رواحة ودراسة في سيرته وشعره - د. وليد القصاب - دار العلوم - ١٤٠٢ هـ.

(١٥٢) ديوان عنتره - تحقيق: محمد سعيد مولوي - المكتب الإسلامي.

(١٥٣) ديوان لبيد بن ربيعة العامري - لأبي عقيل لبيد بن ربيعة العامري، الشاعر معدود من الصحابة، ت: ٤١ هـ. - اعتنى به: حمدو طماس - دار المعرفة - الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ.

(١٥٤) الرسالة - لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، ت: ٢٠٤ هـ. - تحقيق: أحمد شاکر - مكتبه الحلبي - الطبعة الأولى ١٣٥٨ هـ.

(١٥٥) روائع التفسير، الجامع لتفسير ابن رجب الحنبلي - لأبي الفرج عبد الرحمن ابن رجب الحنبلي، ت: جمع وتعليق: طارق عوض الله - دار العاصمة - الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ.

- (١٥٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - لأبي المعالي محمود شكري بن عبد الله الألويسي، ت: ١٣٤٢هـ - دار إحياء التراث العربي.
- (١٥٧) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام - لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، ت: ٥٨١هـ - تحقيق: عمر السلامي - دار إحياء التراث العربي - الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
- (١٥٨) الروض المعطار في خبر الأقطار - لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحميري، ت: ٩٠٠هـ - تحقيق: إحسان عباس - مؤسسة ناصر للثقافة، طبع على مطابع دار السراج - الطبعة الثانية ١٩٨٠ م.
- (١٥٩) زاد المسير في علم التفسير - لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، ت: ٥٩٧هـ - المكتب الإسلامي - الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ.
- (١٦٠) زاد المعاد في هدي خير العباد - لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: ٧٥١هـ - مؤسسة الرسالة - الطبعة السابعة والعشرون ١٤١٥هـ.
- (١٦١) الزهد - لعبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي - تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي - دار الكتب العلمية.
- (١٦٢) الزهد - لأبي السري هناد بن السري بن مصعب الكوفي، ت: ٢٤٣هـ - تحقيق: عبد الرحمن الفريوائي - دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- (١٦٣) الزهد - لأبي سفيان وكيع بن الجراح الرؤاسي، ت: ١٩٧هـ - تحقيق: عبد الرحمن الفريوائي - مكتبة الدار - الأولى ١٤٠٤هـ.
- (١٦٤) الزهد - لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، ت: ٢٤١هـ - وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
- (١٦٥) السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة - لمحمد بن عبد الله بن حميد النجدي، ت:

- ١٢٩٥ هـ - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.
- (١٦٦) سقط الزند - لأبي العلاء أحمد بن عبد الله المعري، ت: ٤٤٩ هـ - دار بيروت - ١٣٧٦ هـ.
- (١٦٧) سلسلة الأحاديث الصحيحة - لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، ت: ١٤٢٠ هـ - مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الطبعة الأولى.
- (١٦٨) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة - لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، ت: ١٤٢٠ هـ - دار المعارف - الطبعة الأولى.
- (١٦٩) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر - لأبي الفضل محمد خليل الحسيني، ت: ١٢٠٦ هـ - دار ابن حزم - الطبعة الثالثة ١٤٠٨ هـ.
- (١٧٠) سمط اللآلي في شرح أمالي القاضي (هو كتاب شرح أمالي القاضي أبي عبيد البكري) - لأبي عبيد الله بن عبد العزيز البكري، ت: ٤٨٧ هـ - صححه وحقق ما فيه واستخرجه من بطون دواوين العلم: عبد العزيز الميمني - دار الكتب العلمية.
- (١٧١) السنة - لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، ت: ٢٤١ هـ - تحقيق: د. محمد سعيد القحطاني - دار ابن القيم - الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.
- (١٧٢) سنن ابن ماجه - لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد، ت: ٢٧٣ هـ - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء الكتب العربية.
- (١٧٣) سنن أبي داود - لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، ت: - دار الكتاب العربي - وزارة الأوقاف المصرية.
- (١٧٤) سنن الدارقطني - لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني، ت: ٣٨٥ هـ - حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، حسن شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ.
- (١٧٥) السنن الصغرى للبيهقي - تخريج: محمد الأعظمي - مكتبة الرشد - ١٤٢٢ هـ.

(١٧٦) السنن الكبرى - لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، ت: ٣٠٣هـ - تحقيق:

حسن شلبي - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ.

(١٧٧) سير أعلام النبلاء - لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، ت: ٧٤٨هـ - مجموعة من

المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة - الطبعة الثالثة،

١٤٠٥ هـ.

(١٧٨) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية - لمحمد محمد مخلوف، ت: ١٣٦٠هـ -

المطبعة السلفية - ١٣٤٩ هـ.

(١٧٩) شذرات الذهب في أخبار من ذهب - لأبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن

العماد الحنبلي، ت: ١٠٨٩هـ - تحقيق: محمود الأرنؤوط - دار ابن كثير - الطبعة

الأولى ١٤٠٦ هـ.

(١٨٠) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك - لعبد الله بن عبد الرحمن العقيلي، لابن

عقيل، ت: ٧٦٩هـ - تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد - دار التراث - الطبعة

العشرون ١٤٠٠ هـ.

(١٨١) شرح أدب الكاتب لابن قتيبة - لأبي منصور موهوب بن أحمد ابن الجواليقي، ت:

٥٤٠هـ - قدم له: مصطفى صادق الرافعي - دار الكتاب العربي.

(١٨٢) شرح أدب الكاتب لابن قتيبة، لأبي منصور موهوب بن أحمد ابن الجواليقي، ت:

٥٤٠هـ - تقديم: مصطفى صادق الرافعي - دار الكتاب العربي.

(١٨٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن

منصور اللالكائي، ت: ٤١٨هـ - تحقيق: أحمد بن سعد الغامدي - دار طيبة -

الثامنة ١٤٢٣ هـ.

(١٨٤) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية - لابن أبي العز محمد بن علاء الدين الحنفي

الدمشقي، ت: ٧٩٢هـ - تحقيق: أحمد محمد شاكر - وكالة الطباعة والترجمة في

- الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
- (١٨٥) شرح ديوان الفرزدق - ضبط معانيه وشروحه وأكملها: إيليا الحاوي - دار الكتاب اللبناني - الطبعة الأولى.
- (١٨٦) شرح ديوان المتنبي - لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، ت: ٦١٦ هـ - تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي - دار المعرفة.
- (١٨٧) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى - لأبي الحجاج يوسف بن سليمان، المعروف بالأعلم النحوي، ت: ٤٧٦ هـ - جمع وترتيب: السيد محمد بدر الدين الحلبي - المطبعة المحمدية ١٣٢٣ هـ.
- (١٨٨) شرح صحيح البخاري لابن بطلال - لعلي بن خلف بن بطلال، ت: - تعليق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم - مكتبة الرشد.
- (١٨٩) شرح مشكل الآثار - لأبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي، ت: ٣٢١ هـ - تحقيق: شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ.
- (١٩٠) شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية - للشيخ محمد بن صالح العثيمين - ت: ١٤٢١ هـ - إعداد وتقديم: عبد الله الطيار - دار الوطن - الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ.
- (١٩١) شعب الإيمان - لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ت: ٤٥٨ هـ - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.
- (١٩٢) الشعر والشعراء - لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، ت: ٢٧٦ هـ - دار الحديث - ١٤٢٣ هـ.
- (١٩٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، مذيلاً بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء - للقاضي عياض بن موسى اليحصبي، ت: ٥٤٤ هـ - الحاشية: أحمد بن محمد بن محمد الشمني، ت: ٨٧٣ هـ - دار الفكر - ١٤٠٩ هـ.
- (١٩٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري

- الفارابي، ت: ٣٩٣هـ - تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار - دار العلم للملايين -
الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ.
- (١٩٥) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان - لأبي حاتم لمحمد بن حبان بن أحمد البُستي،
ت: ٣٥٤هـ - تحقيق: شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة - الطبعة الثانية
١٤١٤هـ.
- (١٩٦) صحيح ابن خزيمة - لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري، ت:
٣١١هـ - تحقيق: د. محمد الأعظمي - المكتب الإسلامي.
- (١٩٧) صحيح الجامع الصغير وزياداته - لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، ت:
١٤٢٠هـ - المكتب الإسلامي.
- (١٩٨) صفة الصفوة - لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، ت: ٥٩٧هـ - تحقيق:
أحمد بن علي - دار الحديث - الطبعة ١٤٢١هـ.
- (١٩٩) الصوفية؛ نشأتها وتطورها - محمد العبد، طارق عبد الحليم - الطبعة الرابعة
١٤٢٢هـ.
- (٢٠٠) الضعفاء الكبير - لأبي جعفر محمد بن عمرو العقيلي، ت: ٣٢٢هـ - تحقيق:
عبد المعطي قلعجي - دار المكتبة العلمية - الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
- (٢٠١) ضعيف الجامع الصغير وزياداته - لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، ت:
١٤٢٠هـ - المكتب الإسلامي.
- (٢٠٢) ضعيف سنن الترمذي - لمحمد ناصر الدين الألباني، ت: ١٤٢٠هـ - علق عليه:
زهير الشاويش - المكتب الإسلامي - الطبعة الأولى ١٤١١ هـ
- (٢٠٣) ضعيف سنن الترمذي - لمحمد ناصر الدين الألباني، ت: ١٤٢٠هـ - مكتبة
المعارف - الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
- (٢٠٤) الطب النبوي - لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ت: ٤٣٠هـ - تحقيق:

- مصطفى خضر - دار ابن حزم - الطبعة الأولى.
- (٢٠٥) طبقات الحفاظ - لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت: ٩١١ هـ - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ.
- (٢٠٦) طبقات الشافعية الكبرى - لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي - ت: ٧٧١ هـ - تحقيق: د. محمود الطناحي، د. عبد الفتاح الحلو - هجر للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ.
- (٢٠٧) طبقات الفقهاء - لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، ت: ٤٧٦ هـ - تحقيق: إحسان عباس - دار الرائد العربي - الطبعة الأولى.
- (٢٠٨) الطبقات الكبرى - لأبي عبد الله محمد بن سعد البغدادي المعروف بابن سعد، ت: ٢٣٠ هـ - تحقيق: زياد محمد منصور - مكتبة العلوم والحكم - الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ.
- (٢٠٩) طبقات المفسرين - لأحمد بن محمد الأدهوي - ت: ق ١١ هـ - تحقيق: سليمان بن صالح الحزري - مكتبة العلوم والحكم - الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ.
- (٢١٠) طبقات المفسرين - لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت: ٩١١ هـ - تحقيق: علي محمد عمر - مكتبة وهبة - الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ.
- (٢١١) طبقات فحول الشعراء - لأبي عبد الله محمد بن سلام الجمحي، ت: ٢٣٢ هـ - تحقيق: محمود شاكر - دار المدني.
- (٢١٢) عقد الجواهر في علماء الربع الأول من القرن الخامس عشر - ليوسف المرعشلي - دار المعرفة - الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ.
- (٢١٣) العلل - لأبي الحسن علي بن عبد الله المدني، ت: ٢٣٤ هـ - تحقيق: محمد الأعظمي - المكتب الإسلامي.
- (٢١٤) عيون الأنباء في طبقات الأطباء - لأبي العباس أحمد بن القاسم ابن أبي أصيبعة،

- ت: ٦٦٨ هـ - تحقيق: نزار رضا - دار مكتبة الحياة.
- (٢١٥) غاية النهاية في طبقات القراء - لأبي الخير محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري،
ت: ٨٣٣ هـ - مكتبة ابن تيمية - الطبعة الأولى ١٣٥١ هـ.
- (٢١٦) غرائب التفسير وعجائب التأويل - لأبي القاسم محمود بن حمزة الكرماني -
- (٢١٧) غرائب القرآن ورغائب الفرقان - لنظام الدين الحسن بن محمد القميا لنيسابوري،
ت: ٨٥٠ هـ - تحقيق: الشيخ زكريا عميرات - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى
١٤١٦ هـ.
- (٢١٨) غريب الحديث - لأبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي، ت: ٢٨٥ هـ - تحقيق: د.
سليمان العايد - جامعة أم القرى - الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ.
- (٢١٩) غريب الحديث - لأبي محمد عبد الله بن قتيبة، ت: ٢٧٦ هـ - تحقيق: عبد الله
الجبوري - مطبعة العاني - الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ.
- (٢٢٠) غريب القرآن - لأبي محمد عبد الله بن قتيبة الدينوري، ت: ٢٧٦ هـ - تحقيق: أحمد
صقر - دار الكتب العلمية - ١٣٩٨ هـ.
- (٢٢١) غريب القرآن (المسمى بنزهة القلوب) - لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني
العُزيري، ت: ٣٣٠ هـ - تحقيق: محمد أديب عبد الواحد - دار قتيبة - الطبعة الأولى
١٤١٦ هـ.
- (٢٢٢) غزوات الرسول ^٨ وسراياه - لأبي عبد الله محمد بن سعد البغدادي، ت:
٢٣٠ هـ.
- (٢٢٣) الفائق في غريب الحديث والأثر - لأبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، ت:
٥٣٨ هـ - تحقيق: علي البجاوي، محمد أبو الفضل - دار المعرفة - الطبعة الثانية.
- (٢٢٤) فتح القدير - لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، ت: ١٢٥٠ هـ - دار ابن كثير، دار
الكلم الطيب - الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.

- (٢٢٥) فتوح البلدان - لأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري، ت: ٢٧٩هـ - دار ومكتبة الهلال.
- (٢٢٦) الفردوس بمأثور الخطاب - لأبي شجاع شيرويه بن شهر دار الديلمي، ت: ٥٠٩هـ - تحقيق: السعيد بسيوني زغلول - دار الكتب العلمية.
- (٢٢٧) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية - لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر الإسفراييني، ت: ٤٢٩هـ - دار الآفاق الجديدة - الطبعة الثانية.
- (٢٢٨) الفروق اللغوية - لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري، ت: نحو ٣٩٥هـ - حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم - دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع.
- (٢٢٩) فصول في أصول التفسير - للدكتور مساعد بن سليمان الطيار - دار النشر الدولي - الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
- (٢٣٠) فقه اللغة وسر العربية - لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، ت: ٤٢٩هـ - تحقيق: عبد الرزاق المهدي - إحياء التراث العربي - الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- (٢٣١) فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات - لمحمد عبد الحي الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني، ت: ١٣٨٢هـ - تحقيق: إحسان عباس - دار الغرب الإسلامي - الطبعة الثانية.
- (٢٣٢) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة - لمحمد بن علي الشوكاني، ت: ١٢٥٠هـ - تحقيق: عبد الرحمن المعلمي - دار الكتب العلمية.
- (٢٣٣) فوات الوفيات - لمحمد بن شاكر بن أحمد، الملقب بصلاح الدين، ت: ٧٦٤هـ - تحقيق: إحسان عباس - دار صادر - الطبعة الأولى.
- (٢٣٤) في تاريخ الأيوبيين والمماليك - لأحمد مختار العبادي - دار النهضة الحديثة.
- (٢٣٥) القراءات الشاذة بين الرواية والتفسير - للدكتور سامي محمد عبد الشكور - دار عمار - الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ.

- (٢٣٦) القرطبي ومنهجه في التفسير - محمود زلط القصبي - دار الأنصار.
- (٢٣٧) قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن - لمرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي - تحقيق: سامي عطا حسن - دار القرآن الكريم - ١٤٠٠ هـ.
- (٢٣٨) قواعد الترجيح عند المفسرين - للدكتور حسين الحربي - دار القاسم - الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ.
- (٢٣٩) قواعد التفسير، جمعاً ودراسة - لخالد بن عثمان السبت - دار ابن عفان - الطبعة الثانية ١٤٢٩ هـ.
- (٢٤٠) كتاب التعريفات - لعلي بن محمد الجرجاني، ت: ٨١٦ هـ - ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ.
- (٢٤١) كتاب العلم - لأبي خيثمة زهير بن حرب النسائي - تحقيق: محمد ناصر الألباني
- (٢٤٢) كتاب العين - لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت: ١٧٠ هـ - تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي - دار ومكتبة الهلال.
- (٢٤٣) كتاب شرح ديوان الهذليين - لأبي سعيد الحسن بن الحسين السكري - تحقيق: عبد الستار فراج - مكتبة العروبة.
- (٢٤٤) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل - لأبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، ت: ٥٣٨ هـ - دار الكتاب العربي - الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ.
- (٢٤٥) كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس - لإسماعيل بن محمد العجلوني، ت: ١١٦٢ هـ - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.
- (٢٤٦) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - لمصطفى بن عبد الله كاتب جليبالشهير بحاجي خليفة، ت: ١٠٦٧ هـ - مكتبة المثنى ببغداد.
- (٢٤٧) الكشف والبيان عن تفسير القرآن - لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي، ت:

- ٤٢٧ هـ - تحقيق: أبي محمد بن عاشور - مراجعة وتدقيق: أ. نظير الساعدي - دار إحياء التراث العربي - الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ.
- (٢٤٨) كلية ودمنة - لعبد الله بن المقفع، ت: ١٤٢ هـ - ترجمة لكتاب الفيلسوف الهندي بيدبا - المطبعة الأميرية - الطبعة السابعة عشرة ١٣٥٥ هـ.
- (٢٤٩) لباب التأويل في معاني التنزيل - لأبي الحسن علي بن محمد، المعروف بالخازن، ت: ٧٤١ هـ - تحقيق: محمد علي شاهين - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ.
- (٢٥٠) لباب النقول في أسباب النزول - ضبطه وصححه: أحمد عبد الشافي - دار الكتب العلمية.
- (٢٥١) اللباب في علوم الكتاب - لأبي حفص عمر بن عادل الحنبلي، ت: ٧٧٥ هـ -
- (٢٥٢) لسان العرب، لأبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري، ت: ٧١١ هـ - دار صادر - الطبعة الثالثة ١٤١٤ هـ.
- (٢٥٣) لسان الميزان - لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت: ٨٥٢ هـ - تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة - دار البشائر الإسلامية - الطبعة الأولى.
- (٢٥٤) مجاز القرآن - لأبي عبيدة معمر بن المثنى البصري، ت: ٢٠٩ هـ - تحقيق: محمد فواد سزكين - مكتبة الخانجي - ١٣٨١ هـ.
- (٢٥٥) مجمع الأمثال - لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني، ت: ٥١٨ هـ - تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد - دار المعرفة.
- (٢٥٦) مجمع البيان في تفسير القرآن - لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، ت: ٥٨٤ هـ - دار التقريب بين المذاهب الإسلامية - ١٣٧٣ هـ.
- (٢٥٧) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الإصطخري، ت: ٣٤٦ هـ - دار صادر.
- (٢٥٨) مجموع الفتاوى - لأبي العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، ت: ٧٢٨ هـ -

- تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار - دار الوفاء - الطبعة الثالثة ١٤٢٦ هـ.
- (٢٥٩) محاسن التأويل - لمحمد جمال الدين بن محمد القاسمي، ت: ١٣٣٢ هـ - تحقيق: محمد عيون السود - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.
- (٢٦٠) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها - لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي، ت: ٣٩٢ هـ - وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - الطبعة ١٤٢٠ هـ.
- (٢٦١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ت: ٥٤٢ هـ - تحقيق: عبد السلام عبد الشافي - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ.
- (٢٦٢) المحصول - لأبي عبد الله محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي، ت: ٦٠٦ هـ - دراسة وتحقيق: د. طه جابر فياض العلواني - مؤسسة الرسالة - الطبعة الثالثة ١٤١٨ هـ.
- (٢٦٣) المحكم والمحيط الأعظم - لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، ت: ٤٥٨ هـ - تحقيق: عبد الحميد هنداوي - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ.
- (٢٦٤) مختصر التحرير شرح الكوكب المنير - لأبي البقاء محمد بن أحمد الفتوحى المعروف بابن النجار الحنبلي، ت: ٩٧٢ هـ - تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد - مكتبة العبيكان - الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ.
- (٢٦٥) المخصص - لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، ت: ٤٥٨ هـ - تحقيق: خليل إبراهيم جفال - دار إحياء التراث العربي - الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ.
- (٢٦٦) مدارك التنزيل وحقائق التأويل - لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي، ت: ٧١٠ هـ - تحقيق: يوسف بديوي - دار الكلم الطيب - الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ.
- (٢٦٧) المزهر في علوم اللغة وأنواعها - لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت:

- ٩١١ هـ - تحقيق: فؤاد علي منصور - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.
- (٢٦٨) مسائل في الفقه المقارن - لعمر بن سليمان الأشقر - دار النفائس للنشر والتوزيع - الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ.
- (٢٦٩) مستخرج أبي عوانة - لأبي عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفراييني، ت: ٣١٦ هـ - تحقيق: أيمن عارف الدمشقي - دار المعرفة - الأولى ١٤١٩ هـ.
- (٢٧٠) المستدرک علی الصحیحین - لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري المعروف بابن البيع، ت: ٤٠٥ هـ - تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤١١ هـ.
- (٢٧١) المستصفى في علم الأصول - لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، ت: ٥٠٥ هـ - تحقيق: محمد بن سليمان الأشقر - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ.
- (٢٧٢) المستقصى في أمثال العرب - لأبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، ت: ٥٣٨ هـ - دار الكتب العلمية.
- (٢٧٣) المسند - لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، ت: ٢٤١ هـ - تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون - إشراف: د. عبد الله التركي - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ.
- (٢٧٤) مسند أبي حنيفة - لابن خسرو البلخي، ت: ٢٥٥ هـ - تحقيق: لطيف الرحمن القاسمي - المكتبة الإمدادية - الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ.
- (٢٧٥) مسند أبي يعلى - لأبي يعلى أحمد بن علي الموصلي، ت: ٣٠٧ هـ - تحقيق: حسين سليم أسد - دار المأمون للتراث - الطبعة الثانية ١٤١٠ هـ.
- (٢٧٦) مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار - لأبي بكر أحمد بن عمرو المعروف بالبزار، ت: ٢٩٢ هـ - تحقيق: مجموعة من المحققين - مكتبة العلوم والحكم.
- (٢٧٧) مسند الدارمي، المعروف بـ (سنن الدارمي) - لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن

الدارمي، ت: ٢٥٥ هـ - تحقيق: حسين سليم أسد - دار المغني - الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ.

(٢٧٨) مسند الشاميين - لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ت: ٣٦٠ هـ - تحقيق: حمدي السلفي - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ.

(٢٧٩) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله [^] - لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت: ٢٦١ هـ - مجموعة من المحققين - دار الجليل - مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة ١٣٣٤ هـ.

(٢٨٠) مصطلحات في كتب العقائد: دراسة وتحليل - لمحمد بن إبراهيم الحمد - دار ابن خزيمة - الطبعة الأولى.

(٢٨١) المصنف - لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ت: ٢١١ هـ - تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي - المكتب الإسلامي - الثانية ١٤٠٣ هـ.

(٢٨٢) المصنف في الأحاديث والآثار - لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، ت: ٢٣٥ هـ - تحقيق: كمال الحوت - مكتبة الرشد - الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ.

(٢٨٣) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية - لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت: ٨٥٢ هـ - تحقيق: ١٧ باحثاً في ١٧ رسالة علمية بجامعة الإمام محمد بن سعود - تنسيق: د. سعد بن ناصر الشثري - الناشر: دار العاصمة - الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ.

(٢٨٤) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول - لحافظ بن أحمد الحكمي، ت: ١٣٧٧ هـ - تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر - دار ابن القيم - الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.

(٢٨٥) معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة - محمد بن حسين الجيزاني - دار ابن الجوزي - الطبعة الخامسة ١٤٢٧ هـ.

- (٢٨٦) معالم التنزيل في تفسير القرآن - لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، ت: ٥١٠ هـ -
حققه وخرج أحاديثه: محمد النمر، عثمان ضميرية، سليمان الحرش - دار طيبة للنشر والتوزيع - الطبعة الرابعة ١٤١٧ هـ.
- (٢٨٧) معاني القرآن - لأبي الحسن المجاشعي المعروف بالأخفش الأوسط، ت: ٢١٥ هـ -
تحقيق: د. هدى قراة - مكتبة الخانجي - الطبعة الأولى ١٤١١ هـ.
- (٢٨٨) معاني القرآن - لأبوزكريا يحيى بن زياد الفراء، ت: ٢٠٧ هـ - تحقيق: أحمد النجاتي،
محمد النجار، عبد الفتاح الشلبي - الدار المصرية للتأليف والترجمة - الطبعة الأولى.
- (٢٨٩) معاني القرآن - لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس، ت: ٣٣٨ هـ - تحقيق: محمد علي
الصابوني - جامعة أم القرى - الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ.
- (٢٩٠) معاني القرآن - لعلي بن حمزة الأسدي الكسائي، ت: ١٨٩ هـ - جمعه: د. عيسى
شحاتة علي - لا يوجد بيانات للكتاب.
- (٢٩١) معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، ت: ٣١١ هـ - عالم
الكتب - الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.
- (٢٩٢) المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين
- لعبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، ت: ٦٤٧ هـ - تحقيق: د. صلاح الدين
الهوري - المكتبة العصرية - الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ.
- (٢٩٣) معجم الأمكنة الوارد ذكرها في القرآن الكريم - لسعد بن عبد الله بن جنيدل،
ت: ١٤٢٧ هـ - الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ.
- (٢٩٤) المعجم الأوسط - لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ت: ٣٦٠ هـ - تحقيق:
طارق عوض الله، عبد المحسن الحسيني - دار الحرمين.
- (٢٩٥) المعجم الأوسط - لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ت: ٣٦٠ هـ - تحقيق:

طارق بن عوض الله - دار الحرمين.

(٢٩٦) معجم البلدان - لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، ت: ٦٢٦هـ - دار صادر - الطبعة الثانية.

(٢٩٧) معجم الشعراء - لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، ت: ٣٨٤هـ - تصحيح وتعليق: أ.د: ف. كرنكو - مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية - الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

(٢٩٨) معجم ألفاظ العقيدة - لأبي عبد الله عامر بن عبد الله فالج - مكتبة العبيكان - الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

(٢٩٩) المعجم الكبير - لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ت: ٣٦٠هـ - تحقيق: حمدي السلفي - مكتبة العلوم والحكم - الطبعة الثانية ١٤٠٤.

(٣٠٠) معجم المناهي اللفظية - للشيخ بكر أبو زيد، ت: ١٤٢٩هـ - دار العاصمة للنشر والتوزيع - الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ.

(٣٠١) معجم المؤلفين - لعمر بن رضا كحالة الدمشقي، ت: ١٤٠٨هـ - مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي.

(٣٠٢) المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية بالقاهرة - إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار - دار الدعوة.

(٣٠٣) معجم قبائل العرب القديمة والحديثة - لعمر رضا كحاله - دار العلم للملايين - ١٣٨٨هـ.

(٣٠٤) معجم مقاييس اللغة - لأبي الحسين أحمد بن فارس الرازي، ت: ٣٩٥هـ - تحقيق: عبد السلام محمد هارون - دار الفكر - ١٣٩٩هـ.

(٣٠٥) معرفة الثقات - لأبي الحسن أحمد بن عبد الله العجلي، ت: ٢٦١هـ - ترتيب: أبو سليمان الهيثمي، ابن عبد الكافي السبكي - تحقيق ودراسة: عبد العليم البستوي -

مطبعة المدني.

- (٣٠٦) معرفة الصحابة - لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ت: ٤٣٠هـ - تحقيق: عادل العزازي - دار الوطن للنشر - الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
- (٣٠٧) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار - لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، ت: ٧٤٨هـ - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
- (٣٠٨) مغني اللبيب عن كتب الأعراب - لأبي محمد عبد الله بن يوسف ابن هشام، ت: ٧٦١هـ - تحقيق: مازن المبارك، محمد حمد الله - دار الفكر - الطبعة السادسة.
- (٣٠٩) المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار - لأبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، ت: ٨٠٦هـ - دار ابن حزم - الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.
- (٣١٠) مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير - لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، ت: ٦٠٦هـ - دار إحياء التراث العربي - الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ.
- (٣١١) المفتاح في الصرف - لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، ت: ٤٧١هـ - تحقيق: د. علي توفيق الحمد - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
- (٣١٢) مفحمت الأقران في مبهمات القرآن - لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت: ٩١١هـ - تحقيق: مصطفى ديب البغا - مؤسسة علوم القرآن - الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
- (٣١٣) المفردات ف غريب القرآن - لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهاني، ت: ٥٠٢هـ - تحقيق: محمد سيد كيلاني.
- (٣١٤) المفضليات - للمفضل بن محمد بن يعلى الضبي، ت: نحو ١٦٨هـ - تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون - دار المعارف.

(٣١٥) مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير - للدكتور مساعد بن سليمان الطيار - دار المحدث - الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ.

(٣١٦) مقدمة في أصول التفسير - لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني - ت: ٧٢٨ هـ - دار مكتبة الحياة - الطبعة ١٤٠٩ هـ.

- مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

(٣١٧) الملل والنحل - لمحمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني - تحقيق: محمد سيد كيلاي - دار المعرفة ١٤٠٤ هـ.

(٣١٨) مناهل العرفان في علوم القرآن - لمحمد عبد العظيم الزرقاني، ت: ١٣٦٧ هـ - مطبعة عيسى البابي الحلبي - الطبعة الثالثة.

(٣١٩) منجد المقرئين ومرشد الطالبين - لمحمد بن محمد ابن الجزري، ت: ٨٣٣ هـ - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ.

(٣٢٠) المنظار الهندسي للقرآن الكريم - لخالد فائق العبيدي - دار المسيرة - الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ.

(٣٢١) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة - يوسف الحاج أحمد - مكتبة ابن حجر - الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ.

(٣٢٢) موسوعة الفقه الإسلامي - محمد بن إبراهيم التويجري - بيت الأفكار الدولية - الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ.

(٣٢٣) موسوعة المدن العربية والإسلامية - د. يحيى شامي - دار الفكر العربي - الطبعة الأولى.

(٣٢٤) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة - إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي - إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني - دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الرابعة ١٤٢٠ هـ.

- (٣٢٥) الناسخ والمنسوخ - لأبي جعفر أحمد بن محمد النَّحَّاس، ت: ٣٣٨ هـ - تحقيق: د. محمد عبد السلام محمد - مكتبة الفلاح - الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.
- (٣٢٦) الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم - لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم، ت: ٤٥٦ هـ - تحقيق: د. عبد الغفار البنداري - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.
- (٣٢٧) الناسخ والمنسوخ - لأبي القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر المقرئ، ت: ٤١٠ هـ - تحقيق: زهير الشاويش، محمد كنعان - المكتب الإسلامي - الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ.
- (٣٢٨) نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد - لإبراهيم بن ناصف اليازجي، ت: ١٣٢٤ هـ - مطبعة المعارف.
- (٣٢٩) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - ليوسف بن تغري بردي الظاهري الحنفي، ت: ٨٧٤ هـ - وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر.
- (٣٣٠) النحو الوافي - عباس حسن، ت: ١٣٩٨ هـ - دار المعارف - الطبعة الخامسة عشرة.
- (٣٣١) نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر - لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت: ٨٥٢ هـ - دار إحياء التراث العربي.
- (٣٣٢) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر - لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، ت: ٥٩٧ هـ - تحقيق: محمد عبد الكريم الراضي - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ.
- (٣٣٣) النشر في القراءات العشر - لمحمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري، ت: ٨٣٣ هـ - تحقيق: علي محمد الضباع - المطبعة التجارية الكبرى.
- (٣٣٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - لإبراهيم بن عمر بن أبي بكر البقاعي، ت: ٨٨٥ هـ - دار الكتب العلمية - ١٤١٥ هـ.
- (٣٣٥) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب - لشهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ

- التلمساني، ت: ١٠٤١ هـ - تحقيق: إحسان عباس - دار صادر - الطبعة الأولى.
- (٣٣٦) النكت والعيون (تفسير الماوردي) - لأبي الحسن علي بن محمد البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، ت: ٤٥٠ هـ - تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم - دار الكتب العلمية.
- (٣٣٧) نهاية الأرب في فنون الأدب - لأحمد بن عبد الوهاب النويري، ت: ٧٣٣ هـ - دار
- (٣٣٨) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب - لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي، ت: ٨٢١ هـ - تحقيق: إبراهيم الإبياري - دار الكتاب اللبنانيين - الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ.
- (٣٣٩) النهاية في غريب الحديث والأثر - لأبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير، ت: ٦٠٦ هـ - تحقيق: طاهر الزاوي، محمود الطناحي - المكتبة العلمية - ١٣٩٩ هـ.
- (٣٤٠) نوادير الأصول في أحاديث الرسول ^٨ - لأبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي، ت: نحو ٣٢٠ هـ - تحقيق: عبد الرحمن عميرة - دار الجيل.
- (٣٤١) نواسخ القرآن - لعبد الرحمن بن علي الجوزي، ت: ٥٩٧ هـ - تحقيق: محمد أشرف علي المليباري - موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - ١٤٠٤ هـ.
- (٣٤٢) النور السافر عن أخبار القرن العاشر - لعبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس، ت: ١٠٣٨ هـ - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ.
- (٣٤٣) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه، وجمل من فنون علومه - لأبي محمد مكي بن أبي طالب حمّوش القيسي، ت: ٤٣٧ هـ - مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي - نشره: مجموعة بحوث الكتاب والسنة بجامعة الشارقة - الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ.
- (٣٤٤) هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين - لإسماعيل بن محمد أمين الباباني البغدادي، ت: ١٣٩٩ هـ - دار إحياء التراث العربي.

(٣٤٥) الوافي بالوفيات - لصالح الدين خليل بن أبيك الصفدي، ت: ٧٦٤هـ - تحقيق:

أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى - دار إحياء التراث ١٤٢٠هـ.

(٣٤٦) الوجوه والنظائر في القرآن العظيم - لمقاتل بن سليمان البلخي، ت: ١٥٠هـ -

تحقيق: حاتم الضامن - مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث - الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ.

(٣٤٧) الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز - لأبي عبد الله الحسين بن عبد الله

الدامغاني، ت: ٤٧٨هـ - تحقيق: عربي عبد الحميد علي - دار الكتب العلمية.

(٣٤٨) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، ت: ٤٦٨هـ

- تحقيق: صفوان داوودي - دار القلم، الدار الشامية - الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

(٣٤٩) الوسيط في تفسير القرآن المجيد - لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، ت: ٤٦٨هـ

- تحقيق وتعليق: عادل عبد الموجود، علي محمد معوض، أحمد صيرة، أحمد الجمل،

عبد الرحمن عويس - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

(٣٥٠) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى - لأبي الحسن علي بن عبد الله بن أحمد الحسيني

السمهودي، ت: ٩١١هـ - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

(٣٥١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - لأبي العباس أحمد بن محمد ابن خلكان، ت:

٦٨١هـ، - تحقيق: إحسان عباس - دار صادر.

ثانياً - الرسائل العلمية:

(٣٥٢) ابن جريج: مروياته وأقواله في التفسير، من أول القرآن إلى نهاية سورة الحج، جمع

ودراسة حديثة تفسيرية - دكتورة - أميرة علي الصاعدي - إشراف: الأستاذ

الدكتور سعدي الهاشمي - ١٤٢٥هـ - جامعة أم القرى.

(٣٥٣) أثر دلالة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني:

دراسة نظرية تطبيقية على آيات قصص نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام

- في القرآن الكريم - ماجستير - تهاني باحويرث - إشراف الأستاذ الدكتور عبد العزيز عزت الوائلي - ١٤٢٥ هـ - جامعة أم القرى.
- (٣٥٤) ترجيحات القرطبي في التفسير من أول سورة الأنعام إلى آخرها، جمعاً ودراسةً موازنة - ماجستير - أسهاء محمد السلومي - إشراف الأستاذ الدكتور: عبد العزيز عزت الوائلي - ١٤٢٩ هـ - جامعة أم القرى.
- (٣٥٥) ترجيحات القرطبي في التفسير من أول سورة المؤمنون إلى الآية العاشرة من سورة النور - ماجستير - أميرة أسعد قنق - إشراف الأستاذ الدكتور: أمين محمد عطية باشا - ١٤٣٠ هـ - جامعة أم القرى.
- (٣٥٦) تفسير القرآن بالقرآن، جمعاً ودراسة - ماجستير - للطالب عمر بكري جاكيتي - إشراف: الدكتور محمد بكر عابد - ١٤٣٠ هـ - الجامعة الإسلامية.
- (٣٥٧) دلالة السياق - ماجستير - ردة الله بن ردة الطلحي - ١٤٢٤ هـ - جامعة أم القرى.
- (٣٥٨) دلالة السياق عند الأصوليين، دراسة نظرية تطبيقية - ماجستير - سعد بن مقبل العنزي - إشراف: الأستاذ الدكتور حمزة الفعر - ١٤٢٨ هـ - جامعة أم القرى.
- (٣٥٩) منهج الإمام القرطبي في أصول الدين - ماجستير - أحمد المزيدي - ١٤١٣ هـ - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- (٣٦٠) النسخ في القرآن الكريم، دراسة تشريعية تاريخية نقدية - دكتوراة - مصطفى زيد - إشراف: الأستاذ الدكتور محمد الزفازف - ١٣٨١ هـ - جامعة القاهرة.
- ثالثاً. الأبحاث المحكمة:**
- (٣٦١) تفسير القرآن بالقرآن، دراسة تأصيلية - أحمد بن محمد البريدي - مجلة معهد الإمام الشاطبي - العدد الثاني - ١٤٢٧ هـ.
- رابعاً. الأبحاث الإلكترونية:**
- (٣٦٢) إعجاز القرآن في وصف حركة الظلال - يحيى وزيري - إصدار الهيئة العالمية

للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

(٣٦٣) الخلاصة الجامعة لقواعد التفسير النافعة - لحامد بن عبد الله العلي - المصدر:

موقع الشيخ حامد بن عبد الله العلي.

(٣٦٤) شرح الورقات في أصول الفقه - لأبي المعالي الجويني، ت: ٤٧٨ هـ - شرح: الشيخ

عبد الكريم الخضير - دروس مفرغة من موقعه الإلكتروني.

(٣٦٥) منهج القرطبي في تفسير آيات الأحكام في كتابه الجامع لأحكام القرآن، دراسة

تحليلية - عامر بن عيسى اللهو - إشراف الأستاذ الدكتور: حسين عبد الغني أبو

غدة - ١٤٢٩ هـ.

خامساً. المواقع الإلكترونية:

(٣٦٦) ملتقى البشارة الدعوي <http://www.albshara.com>

(٣٦٧) الموسوعة الحرة ويكيبيديا <http://ar.wikipedia.org>

(٣٦٨) الموسوعة العربية <http://www.arabency.com>

(٣٦٩) موقع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

<http://www.imamu.edu.sa>

(٣٧٠) موقع جامعة أم القرى [/http://uqu.edu.sa](http://uqu.edu.sa)

(٣٧١) موقع جريدة الرياض <http://www.alriyadh.com>

(٣٧٢) موقع رابطة العالم الإسلامي <http://www.themwl.org>

(٣٧٣) موقع صيد الفوائد <http://www.saaaid.net>

(٣٧٤) موقع مكتبة الأزهر الشريف <http://www.alazharonline.org>

(٣٧٥) موقع يوتيوب <http://www.youtube.com>

أحد عشر- فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
٣	ملخص الرسالة بالعربية
٤	ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية
٥	المقدمة
٢١	التمهيد، وفيه:
٢٢	أولاً- مقدمة في الترجيح:
٢٢	أ- معنى الترجيح في اللغة والاصطلاح:
٢٣	ب- أهمية الترجيح وفائدته:
٢٥	ت- متى يكون الترجيح:
٣٠	ثانياً- ترجمة موجزة للإمام القرطبي:
٣٠	أ- حياته الشخصية:
٣٠	اسمه ونسبه
٣٢	مولده
٣٤	نشأته
٣٦	صفاته وأخلاقه
٣٨	ب- حياته العلمية:
٣٨	طلبه للعلم
٤٠	مكانته العلمية
٤١	ثناء العلماء عليه
٤٢	عقيدته ومذهبه الفقهي
٤٥	شيوخه
٤٩	تلاميذه

الصفحة	الموضوع
٥٢	مؤلفاته ونتاجه العلمي
٥٩	وفاته
٦٠	القسم الأول - منهج الإمام القرطبي في التفسير والترجيح
٦٠	الفصل الأول - منهج الإمام القرطبي في تفسيره
٦١	المبحث الأول: المنهج العام لتفسيره
٦٤	المبحث الثاني: المنهج الوصفي التفصيلي
٦٥	المطلب الأول: تفسيره القرآن بالمأثور
٦٥	الأمر الأول: تفسيره القرآن بالقرآن
٦٨	الأمر الثاني: تفسيره القرآن بالسنة
٧٢	الأمر الثالث: تفسيره القرآن بأقوال الصحابة
٧٦	الأمر الرابع: تفسيره القرآن بأقوال التابعين
٧٨	الأمر الخامس: عنايته بأسباب النزول
٨١	الأمر السادس: موقفه من الإسرائيليات
٨٣	المطلب الثاني: موقفه من التفسير بالرأي
٨٣	الأمر الأول: تفسيره القرآن باللغة، وعنايته بالإعراب
٨٦	الأمر الثاني: عنايته بالأحكام الفقهية
٩٠	الأمر الثالث: عنايته بتوجيه القراءات
٩٣	الأمر الرابع: عنايته بالاستنباط
٩٥	المطلب الثالث: عنايته ببيان بعض أنواع علوم القرآن
٩٧	المطلب الرابع: عنايته بالرد على الفرق المخالفة، وأصحاب المعتقدات الضالة
١٠٠	الفصل الثاني: منهج القرطبي في الترجيح في التفسير
١٠١	المبحث الأول: طرق الترجيح عند القرطبي في تفسيره
١٠٢	المطلب الأول: التنصيص على القول الراجح

الصفحة	الموضوع
١٠٧	المطلب الثاني: التفسير بقول، مع النص على ضعف غيره
١٠٨	المطلب الثالث: ذكر قول بصيغة الجزم، وذكر بقية الأقوال بصيغة التمريض
١١٠	المطلب الرابع: إيراد قول جمهور المفسرين، إشارة إلى موافقتهم
١١١	المطلب الخامس: الاختصار على ذكر قول أحد المفسرين دون تعقب، إشارة إلى موافقته
١١٢	المبحث الثاني- وسائل الترجيح عند القرطبي في تفسيره
١١٢	المطلب الأول: الترجيح بالنظائر القرآنية
١١٤	المطلب الثاني: الترجيح بالحديث النبوي
١١٧	المطلب الثالث: الترجيح بأقوال السلف
١٢٠	المطلب الرابع: الترجيح بأسباب النزول
١٢٣	المطلب الخامس: الترجيح بالسياق
١٢٦	المطلب السادس: الترجيح بظاهر القرآن
١٢٩	المطلب السابع: الترجيح بدلالة الأصل المعبر في كلام العرب
١٣١	المطلب الثامن: الترجيح بدلالة تصريح اللفظ واشتقاقه
١٣٣	القسم الثاني-دراسة المسائل الترجيحية من أول سورة الحجر إلى آخر الآية (٨٠) من سورة النحل
١٣٤	أولاً-دراسة المسائل الترجيحية في سورة الحجر
١٣٤	- مرجع الضمير في قوله تعالى: " وإنا له لحافظون "
١٣٩	- عود الضمير في قوله تعالى: " نسلكه "
١٤٥	- مرجع الضمير في قوله تعالى: " فظلوا "
١٤٩	- معنى قوله تعالى: " سكرت "
١٥٧	- معنى قوله تعالى: " رجيم "
١٦٣	- نوع الاستثناء في قوله تعالى: " إلا من استرق السمع "

الصفحة	الموضوع
١٦٧	- معنى قوله تعالى: "شهاب"
١٧٤	- المراد بقوله تعالى: "معايش"
١٧٩	- المراد بقوله تعالى: "من لستم له برازقين"
١٨٣	- المراد بقوله تعالى: "خزائنه"
١٩٠	- معنى قوله تعالى: "لواقح"، هل يرجع إلى كونها لاقح أم ملقح؟
١٩٦	- المراد بقوله تعالى: "المستقدمين" و"المستأخرين"
٢٠٤	- معنى قوله تعالى: "صلصال"
٢٠٩	- المراد بقوله تعالى: "يوم الوقت المعلوم"
٢١٤	- معنى قوله تعالى: "هذا صراطٌ عليّ مستقيم"
٢١٨	- المراد بالغل في قوله تعالى: "ونزعنا ما في صدورهم من غل"، وموطن نزعه من صدور المتقين
٢٢٤	- معنى قوله تعالى: "متقابلين"
٢٢٨	- معنى قوله تعالى: "ولا يلتفت"
٢٣٢	- تعيين وقت نزول العذاب بقوم لوط: هل كان ابتداء نزوله في الصباح أم عند الإشراق؟
٢٣٦	- معنى قوله تعالى: "للمتوسمين"
٢٤٣	- تعيين المراد بالأئكة التي نُسب إليها قوم شعيب عليه السلام
٢٤٨	- المراد بقوله تعالى: "المرسلين"
٢٥٣	- المراد بقوله تعالى: "بآياتنا"
٢٥٦	- قوله تعالى: "فاصفح الصفح الجميل" هل هو منسوخ؟ أم محكم؟
٢٦٣	- المراد بالسبع المثاني
٢٧٣	- معنى قوله تعالى: "عضين"
٢٧٩	- مرجع الضمير في قوله تعالى: "لنسألنهم"

الصفحة	الموضوع
٢٤٨	- معنى قوله تعالى: " فاصدع بما تؤمر "
٢٨٨	- المراد باليقين
٢٩٣	دراسة المسائل الترجيحية في سورة النحل من أول السورة إلى آخر الآية (٨٠).
٢٩٣	- المراد بقوله تعالى: " أمر الله "
٣٠٠	- المراد بالروح
٣٠٦	- المراد بقوله تعالى: " بالحق "
٣٠٩	- المراد بقوله تعالى " الإنسان "
٣١٢	- المراد بقوله تعالى: " دفع "
٣١٧	- المراد بقوله تعالى: " أثقالكم "
٣٢٠	- المراد بقوله تعالى: " بلد "
٣٢٣	- المراد بقوله تعالى: " ما لا تعلمون "
٣٢٩	- معنى قوله تعالى: " على الله قصد السبيل "
٣٣٤	- مفسر الضمير في قوله تعالى: " ومنها جائر "
٣٣٩	- المراد بالنجم
٣٤٣	- المراد بالاهتداء
٣٤٧	- تعيين المراد بالموصوفين بقوله تعالى: " أمواتٌ غير أحياء "
٣٥١	- مرجع الضمير في " يشعرون " و " يُبعثون "
٣٥٥	- تعيين قائل " ماذا أنزل ربكم " وقائل " أساطير الأولين "
٣٦٠	- تعيين المراد بالذين أتى الله بنيانهم من القواعد
٣٦٥	- معنى قوله تعالى: " فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف "
٣٦٩	- المراد بـ " الذين أتوا العلم "
٣٧٤	- المراد بـ " الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم "
٣٧٨	- وقت إلقاء السؤال: " ماذا أنزل ربكم " على " الذين اتقوا "

الصفحة	الموضوع
٣٨٢	- المراد بقوله تعالى: " حسنة "
٣٨٧	- المراد بقوله تعالى: " دار المتقين "
٣٩١	- المراد بقوله تعالى: " أمر ربك "
٣٩٦	- المراد بقوله تعالى: " الذي يختلفون فيه "
٤٠٠	- تعيين المراد بـ " الذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا "
٤٠٦	- المراد بالـ " حسنة " التي بوأها الله المهاجرين في الدنيا
٤١١	- مرجع الضمير في قوله تعالى: " لو كانوا يعلمون "
٤١٥	- المراد بقوله تعالى: " أهل الذكر "
٤٢٢	- المراد بقوله تعالى: " تقلبهم "
٤٢٦	- علة مجيء " اليمين " بالـإفراد، ومجيء " الشمال " بالجمع
٤٣٢	- وجه إفراد " الملائكة " بالذكر
٤٣٩	- مرجع الضمير في " يخافون ربهم "، والمراد بالفوقية في قوله تعالى: " من فوقهم "
٤٤٣	- معنى قوله تعالى: " واصبأ "
٤٥٠	- معنى اللام في قوله تعالى: " ليكفروا "
٤٥٤	- مفسر الضمير في قوله تعالى: " لا يعلمون "
٤٥٨	- المراد بدس الأثني في التراب
٤٦٢	- المراد بقوله تعالى: " مَثَلُ السَّوْءِ "
٤٦٥	- المراد بـ " المثل الأعلى "
٤٦٩	- المراد بقوله تعالى: " دابة "
٤٧٥	- المراد بقوله تعالى: " الحسنى "
٤٨٠	- المراد بقوله تعالى: " اليوم "
٤٨٤	- المراد بقوله تعالى: " سَكْرًا "

الصفحة	الموضوع
٤٩٣	- تعيين المراد بصاحب الحال لـ " ذللاً "
٤٩٧	- المراد بقوله تعالى: " من بطونها "
٥٠٣	- مرجع الضمير في قوله تعالى: " فيه شفاء للناس "
٥١٣	- معنى قوله تعالى: " لكيلا يعلم بعد علم شيئاً "
٥١٦	- المراد بقوله تعالى: " من أنفسكم "
٥١٩	- معنى قوله تعالى: " حفدة "
٥٢٨	- المراد بالعبد المملوك وبالرجل الحر المنفق
٥٣٢	- تعيين مفسر الضمير في قوله تعالى: " أكثرهم "
٥٣٥	- علة تشبيهه مجيء الساعة بلمح البصر
٥٤٠	- معنى قوله تعالى: " أو "
٥٤٣	الخاتمة
٥٤٧	الفهارس
٥٤٨	فهرس الآيات القرآنية
٥٧٢	فهرس الأحاديث المرفوعة
٥٧٤	فهرس الآثار
٥٧٨	فهرس الشواهد الشعرية
٥٨١	فهرس الأعلام المترجم لهم
٥٩٠	فهرس المصطلحات العلمية المشروحة
٥٩٢	فهرس البلدان والأماكن
٥٩٣	فهرس القبائل والعشائر
٥٩٤	فهرس الفرق والمذاهب
٥٩٥	فهرس المصادر والمراجع
٦٣٣	فهرس المحتويات